

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الإخوة منتوري قسنطينة

قسم الآداب واللغة العربية
رقم التسجيل



كلية الآداب واللغات

الرقم التسلسلي

موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء
حتى القرن الثاني الهجري

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي
(شعبة الأدب القديم)

إشراف الأستاذ الدكتور
دياب قديد

انجاز الباحث
امحمد بارش

أعضاء لجنة المناقشة

رئيساً
مشرفاً ومقرراً
عضواً مناقشاً
عضواً مناقشاً
عضواً مناقشاً
عضواً مناقشاً

جامعة الإخوة منتوري قسنطينة
جامعة الإخوة منتوري قسنطينة
جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
جامعة العربي بن امهيدي أم البواقي
جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
جامعة الإخوة منتوري قسنطينة

الأستاذ الدكتور : نوار بوحلاسة
الأستاذ الدكتور : دياب قديد
الأستاذ الدكتور : رابح دوب
الأستاذ الدكتور : العلمي المكي
الأستاذة الدكتورة: زينب بوصبيعة
الدكتور : منصف شلي

السنة الجامعية: 1437 - 1438 هـ / 2016 - 2017 م



الإهداء



الحمد والشكر لله الذي مدني بإرادة قوية وأعانني على إتمام هذا البحث .

إلى والدي الشيخ لخضر بن الدراجي - رحمهما الله -



الذي كان محبا للعلم والعلماء.

وإلى والدتي خديجة بن فاضل رحمها الله.

وإلى هاجيرة، عاتيقة، الوازنة، فاطمة، زبيدة، أشرف الدين، شهاب الدين، أنس، وفوزي،

على سؤالهم كثيرا عن الأطروحة ، وتعلقهم بإتمام هذا البحث حتى رأى النور.

وإلى شيخي الفاضل البار الأستاذ الدكتور عبد الله حمادي الذي أشرف على هذا البحث.

وإلى الأستاذ الدكتور المحترم دياب قديد المشرف على هذا البحث.

وإلى أعضاء لجنة المناقشة على قراءتهم لهذه الأطروحة.

إليهم جميعا أهدي ثمرة هذا الجهد العلمي الذي صبرت عليه كثيرا.



المقدمة

المقدمة

يعد الشعر من القضايا الكبرى التي حصل حوله جدل بين القدماء والمحدثين، إذ شكل اختلافات كبيرة، بين الدارسين من حيث إن الشعر مرتبط بالجانب الفني فقط، ويرى بعضهم أنه ذو علاقة متينة بالجوانب الأخلاقية والعقائدية، وهو ما جعل العرب بعد البعثة المحمدية في إشكال معرفي وفني من خلال دعوتهم إلى جعل الشعر مرتبطاً بالأساس بالمتعة الفنية فقط، لكن الإسلام نظر عكس ذلك، وعليه اتجهت مواقف القرآن العظيم والسنة النبوية إلى توجيه الشعراء إلى استخدام الفن الشعري منطلقاً أساسياً في تعزيز الأخلاق والدعوة الإسلامية، ومن هذا الأساس سار الصحابة على هذا المنوال متخذين من الرسول (ﷺ) قدوة لهم في عد الشعر وسيلة للبناء وليس للهدم، ولكن في عصر التابعين أثناء حكم الدولة الأموية تغيرت بعض المعطيات الفكرية والأخلاقية والسياسية، وبدأ الشعر يعود إلى سابق عهده "الجاهلية" من حيث النظرة الفنية التي تشكل منها الشعراء من خلال الوقوف على بعض القضايا، حتى ولو تعارضت مع النظرة الإسلامية، وظهرت النزعة السياسية المسيطرة على بعض الشعراء من خلال تبنيهم لمواقف سياسية، سواء أكانت مطابقة للحكم الأموي أو مخالفة له .

ويعد موضوع " موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء حتى القرن الثاني الهجري " الجزء الثاني المكمل للمشروع "موقف الإسلام من الشعر والشعراء " والذي أنجزت منه الجزء الأول الموسوم بـ "موقف الإسلام من الشعر والشعراء دراسة كرونولوجية حتى القرن الثامن الهجري" في رسالة الماجستير؛ حيث اقتصر البحث فيها على مصدرين أساسيين، هما: الكتاب والسنة . وفي ضوئهما درست " موقف القرآن العظيم وموقف الرسول (ﷺ) من الشعر والشعراء " ، لهذا يعتبر موضوع " موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء حتى القرن الثاني الهجري " مكتملاً للمشروع وامتتما للبحث، وهو من المواضيع الأدبية ذات الصلة بالنقد الأدبي العربي القديم، كما أنه موضوع ذو شقين: الأول: خاص بموقف الصحابة، والثاني: خاص بموقف التابعين من الشعر والشعراء، وكل ما كتب مما يتصل به بسبب كان كتابة جزئية في بعض المراجع، وميزة هذا البحث هي توظيف مصطلحين هامين، هما: مصطلح الصحابة، ومصطلح التابعين، وجمع بينهما في وظيفتين، هما: الشعر والنقد، في دراسة متسلسلة تكشف عن تتابع العلاقة التي تجمع بينهما في دراسة نقدية لم يسبق لها .

وقد جمع هذا البحث ضمن مصطلح الصحابة، الصحابة الخلفاء، والصحابة غير الخلفاء، والصحابة الشعراء.

كما جمع ضمن مصطلح التابعين، التابعين الخلفاء والتابعين العلماء ، والتابعين الأدباء النقاد .

وضم إليهم التابعيات الأدبيات الناقدات ، والتابعين النحاة، والتابعين الشعراء. ويحاول هذا البحث أن يكشف عن الصورة الصحيحة لتصوير الصحابة والتابعين ودورهم، في الجانب الشعري أو النقدي .

كما يسعى هذا البحث إلى الجمع بين عصرين متداخلين، وهما: عصر الصحابة وعصر التابعين، وهذا التداخل هو الذي أعطى نكهة وجاذبية خاصة في تتبع مسار الصحابة الخلفاء والشعراء والنقاد، والتابعين الخلفاء والشعراء والنقاد بصورة فردية، مع كون أن الصحابة والتابعين يمثلان جيلين مختلفين . ويعود سبب اختياري لموضوع " موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء " للأسباب الآتية: لكونه يحمل مسألة نقدية ذات أهمية بالغة في تاريخ النقد العربي، وهي تؤدي دورا أساسيا في تطور تاريخ الحركة النقدية العربية، كما أنها تدخل في التراث العربي الإسلامي، بالإضافة إلى كونها موضوعا حيويا مثيرا للنقاش باستمرار .

أما الدراسات السابقة لهذا الموضوع، فقد تمحورت حول العودة إلى أهم المتون الأدبية والنقدية، التي جاء ذكرها عند موقف الصحابة من الشعر والشعراء، ومن بينها :

- 1- "الإسلام والشعر" : يحيى الجبوري، 1383 هـ 1964م.
- 2- "الإسلام والشعر" : سامي مكّي العاني / 1403 هـ 1983م.
- 3- "الإسلام والشعر" : فايز ترحيني، 1990 م .
- 4- " الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي " : محمد مصطفى هدارة ، 1995 م .
- 5- "الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين " نايف معروف، 1418 هـ 1998 م .

وتبقى هذه البحوث جزئية رغم ما طرحته من رؤى نقدية ، لم تحط بالموضوع ، إحاطة شاملة ، ويعود ذلك إلى هدف كل باحث .

ولعل أهم هذه المصادر التي عاد إليها هؤلاء الباحثون هي مصادر النقد ، و"سيرة النبي ﷺ" لابن هشام ، إلا أنها لم تختص بموقف الصحابة بشكل كبير، بل جاءت عبارة عن بعض الإشارات واللمحات ، وهو ما جعل التوجه إلى البحث والدراسة إلى موقف الصحابة بشكل مستفيض ودقيق عن كل الآراء والمواقف المختلفة حول الشعر والشعراء أمرا في غاية الأهمية ؛ ذلك أن مصطلح التابعين حول الشعر والشعراء لم يرد ذكره في أدبيات الدراسات السابقة .

ويسعى هذا البحث إلى الوقوف عند النصوص الشعرية والنقدية الأولى، التي تعكس موقف الصحابة من الشعر والشعراء ، وانطلاقاً من النتيجة التي أحدثها القرآن العظيم؛ حيث أعاد ترتيب مصادر الثقافة العربية، فبعد ما كان الشعر المصدر الأول والأساسي للثقافة عند العرب، أصبح الشعر المصدر الثالث للثقافة العربية الإسلامية بعد القرآن العظيم والسنة النبوية .

وهكذا نجد أن القرآن العظيم لم يبلغ الشعر ولم يهمله، بل كانت العناية به شديدة من طرف الصحابة الخلفاء وغير الخلفاء، وعلى هذا الأساس فإنه من الواضح أن موقف الصحابة من الشعر والشعراء، هو موقف ينطلق أساساً من موقف القرآن العظيم ومنهجه وما سنه الرسول ﷺ من توجيهات للشعر، و إدراكه للرؤية الجديدة للحياة من منظور فكري ديني جديد، يختلف كلياً عن منهج العرب قبل الإسلام في رؤيتهم للفن والحياة، ومن هنا ظهر الموقف الجديد للإسلام في رؤيته للشعر في مفهومه ووظيفته، فخط بذلك منهجاً فكرياً تجاه الشعر اتخذته الصحابة موقفاً في رؤيتهم في تجديد الحركة الشعرية والنقدية.

وهكذا أضفى الصحابة الشعراء من خلال احترافيتهم للشعر وموقفهم الفني الجديد صبغة جديدة على الشعر، الذي أصبح ملتزماً بقضايا دعوة الدين الجديد، يطرحها للنقاش والجدل في قصائد شعرية، لأن القرآن العظيم أعطى دفعا قويا، وبعدها جديدا لقضايا عديدة في موضوع المعاني المطروحة، ودفع بالشعراء إلى توظيف معاني جديدة مبتكرة، أعطت للشعر صورة جديدة، واستمر هذا الموقف أكثر من خمسين سنة يمثلها جيل الصحابة، إلى أن قامت الدولة الأموية بقيادة معاوية بن أبي سفيان (ت60هـ/680م) الذي انحرف عن المنهج الذي أرساه الرسول ﷺ سياسة ونظام حكم، وثبت بعده صاحبة قاعدته القائمة على نظام الشورى، إلى النظام الملكي، وفرض تحولات سياسية كبرى نقلت المسلمين الصحابة والتابعين من عصر إلى عصر .

أما عن موقف التابعين من الشعر والشعراء فقد تجلّى بعد انحصار نجم عصر الصحابة من الحياة السياسية، وظهرت بوادر عصر التابعين الشعراء، الذي ظهرت بدايات مدرسته الشعرية في العهد الأموي الذي عرف كيف يُسخر الشعر ويجلب الشعراء المادحين إلى قصره بالشام، وقصور ولاته وأمرائه وقادته العسكريين، وتغيير مجرى وظيفة الشعر تغييراً كبيراً يتماشى مع التحولات السياسية الكبرى، وبهذا دفعت السياسة الأموية بجيل كامل من التابعين الشباب إلى الميل إلى سياسة بني أمية برؤية جديدة خضعت

لصراعات ومواقف حزبية، وحروب دموية، تصدع من خلالها منظور موقف الصحابة الخلفاء والشعراء والعلماء للحياة والفن الشعري ونقده، وتجلى بهذا موقف التابعين من الشعر والشعراء الذي خضع بقوة الإغراء والتهديد، إلى الانسلاخ من ماضيه القريب، فأصبح يعبر عن رؤية جديدة للحياة، ذات نزعة فنية انطلقت من نزعة سياسية لإحياء مآثر الأجداد الجاهليين وأمجادهم ، ومن إثارة للعصبية القبلية والفن والافتتال والانقسام، فتغير بذلك مفهوم القصيدة الإسلامية.

وقد اعتمدت في هذا البحث على مصادر ومراجع متنوعة وأولها القرآن العظيم، كما استعنت بأهم مصادر السيرة: " سيرة النبي " لابن إسحاق(ت151هـ) ، و"سيرة النبي (ق) لابن هشام (ت213هـ)، و" أنساب الأشراف " للبلاذري (ت279هـ)، و" تاريخ الطبري " لابن جرير الطبري (ت310هـ) . بالإضافة إلى دواوين الشعراء، كتب التاريخ الأدبي ومصادر النقد، "جمهرة أشعار العرب " للقرشي (ت170هـ) ، و" طبقات فحول الشعراء " لابن سلام (ت231هـ)، و" الشعر والشعراء " لابن قتيبة (276هـ)، و" العقد الفريد " لابن عبد ربه (ت329هـ) ، و" مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي (ت 346هـ957م)، و" الموشح " للمرزباني (384هـ)، و" العمدة " لابن رشيق (ت 465هـ)، فهذه المصادر أثار لي ما كان غامضا، ومن المراجع التي اعتمدت عليها ، تلك التي تناولت الحديث عن النقد وعن العصور والبيئات الشعرية، فأفادتني كثيرا بمادتها العلمية، مؤلف: طه حسين "في الأدب الجاهلي" ، ومؤلفات شوقي ضيف، "التطور والتجديد في الشعر الأموي" ، و"الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية" ، ومؤلف يوسف خليف "في الشعر الأموي دراسة في البيئات" ، و" الإسلام والشعر " ليحيى الجبوري، و" الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي " لمحمد مصطفى هدارة، و" الشعرية العربية بين الإتياع والابتداع " لعبد الله حمادي، و"موسوعة آثار الصحابة " لأبي عبد الله سيد كسروي بن حسين ، وقد أمدتني هذه الكتب كثيرا بمادتها، وكانت لي دليلا في مجال اختصاصها، وعونا بما دعمت به حجج وقضايا هذا البحث، سواء من الناحية التاريخية أو الأدبية أو النقدية.

ولقد استدعى انجاز البحث في هذا الموضوع الاعتماد على المنهج التاريخي في تقصي الحقائق العلمية الدقيقة، متتبعا وجهات نظر الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء ، كما استفدت من المنهج الفني في استجلاء القضايا النقدية التي وردت في ثنايا آرائهم ومواقفهم الأدبية المختلفة.

انطلاقاً من هذا فقد قسمت أطروحتي إلى ثلاثة أبواب ومقدمة وخاتمة .

تناولت في **الباب الأول** : موقف الصحابة من الشعر والشعراء . وقد قسمته إلى ثلاثة فصول .

إذ خصصت **الفصل الأول**: للحديث عن موقف الصحابة الخلفاء من الشعر والشعراء ، وتناولت فيه مفهوم الصحابي اصطلاحاً (الزمان والمكان) ، ثم تحدثت عن زمان وقوع الصحبة ومكانها، وبينت منزلة الصحابة في القرآن والسنة وفي اللغة والأدب وأثرهم في الحركة النقدية في عصرهم .

ثم تحدثت فيه عن مفهوم الشعر عند الصحابة، مع الإشارة إلى نظرة العرب الجاهليين للشعر، ثم بعد ذلك بينت مفهوم الشعر عند الصحابة: السيدة عائشة، وعبد الله بن رواحة، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن عباس، وعلي بن أبي طالب .

كما وضحت موقف الصحابة الخلفاء من الشعر والشعراء: أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهم أجمعين-.

أما **الفصل الثاني**: فقد تعرضت فيه لشعر الصحابة بين البعد الفكري والفني .

وتناولت في **الفصل الثالث**: شعر الصحابة في الميزان الأخلاقي والفني.

وأما **الباب الثاني**: فقد اشتمل على موقف التابعين من الشعر والشعراء. وقد قسمته إلى ثلاثة فصول.

فجاء **الفصل الأول** مرتبطاً بمفهوم التابعين اصطلاحاً، ومفهومهم للشعر ، بالإضافة إلى توضيح موقف التابعين الخلفاء من الشعر والشعراء .

أما **الفصل الثاني** : فقد وضحت فيه موقف التابعين العلماء من الشعر والشعراء ، شريح القاضي، وسعيد بن المسيب ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، ومحمد بن سيرين ، وعروة بن أذينة .

ثم تعرضت في **الفصل الثالث**: لشعر التابعين في الميزان الأخلاقي والفني، وبينت فيه: أثر الموروث الإسلامي في شعر التابعين ، ثم أثر الجاهلية في شعر التابعين مضموناً وفناً.

ثم جاء **الباب الثالث** : بعنوان المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء . وقد قسمته إلى ثلاثة فصول .

تناولت في **الفصل الأول** : الحديث عن المرتكزات النقدية عند الصحابة الخلفاء في نقد الشعر والشعراء .

واتبعته **بالفصل الثاني** : الذي أوقفته للحديث عن المرتكزات النقدية عند الصحابة غير الخلفاء في نقد الشعر والشعراء ، عند : معاوية بن أبي سفيان ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر .
كما وقفت عند تبيان المرتكزات النقدية عند الصحابة الشعراء في نقد الشعر والشعراء، عند عثمان ابن مظعون ، وحسان بن ثابت ، ولبيد بن ربيعة العامري .

أما **الفصل الثالث** : فقد تناولت فيه أسس التجديد النقدي عند التابعين ، فتحدثت فيه عن التجديد النقدي في مجالس التابعين الخلفاء ، فتحدثت عن مجالس كل من : عبد الملك بن مروان ، والوليد بن عبد الملك ، ومسلمة ، وسليمان ، وعمر بن عبد العزيز ، ثم انتقلت للحديث عن التجديد النقدي في مجالس التابعين العلماء الفقهاء ، فتحدثت فيه عن مجلس سعيد بن المسيب ، ثم وضحت التجديد النقدي في مجالس التابعين النقاد ، وذكرت مجلس ابن أبي عتيق ، دون أن أغفل التجديد النقدي في مجالس التابعيات الناقدات: السيدة سكينه بنت الحسين، والسيدة عقيلة بنت عقيل، ثم بعد ذلك تحدثت عن التجديد النقدي في مجالس التابعين النحاة ، واتبعته بتبيان التجديد النقدي في مجالس النحاة لابن أبي إسحق الحضرمي، وفي مجالس التابعين الشعراء: الخطيئة، وكثير عزة، والفرزدق، وجرير، ونصيب، والكميت بن زيد ، مرتبا حديثي في كل هذا ترتيبا كرونولوجيا .

ثم جاءت **الخاتمة** تتويجا للنتائج المتوصل إليها في هذا البحث .

وأخيرا ؛ فإنني لا أزعم لهذا البحث الكمال، أو السلامة من المآخذ ، ويكفياني أنني قد بذلت أقصى جهدي وطاقتي، وحاولت قدر استطاعتي أن ألم بأطرافه . فإن كنت موفقا فهذا هدي، وإن لم يكن ذلك فيكفي أنني اجتهدت وقدمت ما أراه الأفضل .

كما لا يقوتني أن أقدم الشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور دياب قديد الذي قبل الإشراف على هذا البحث من جديد بكل تواضع، وتفضل بقرائه، وتكرم بإبداء ملاحظاته القيمة ، الفكرية والأدبية والنقدية ، واللغوية ، وتوجيهاته السديدة ، فجزاه الله عني كل خير .

هذا وإن كنت قد وقفت في بحثي بففضل الله عز وجل، وإن أخفقت فمني، وما توفيقي إلا بالله.

الباب الأول

موقف الصحابة من الشعر والشعراء

الفصل الأول

موقف الصحابة من الشعر والشعراء

أولاً: مفهوم الصحابي اصطلاحاً (الزمان و المكان).

ثانياً: مفهوم الشعر لدى الصحابة .

ثالثاً: موقف الصحابة الخلفاء من الشعر والشعراء .

أولاً : مفهوم الصحابي اصطلاحاً (الزمان و المكان) :

مفهوم الصحابي اصطلاحاً (الزمان و المكان) :

إذا أردنا أن نستهل بحثنا عن موقف الصحابة من الشعر والشعراء ، فلا بد من الحديث عن مفهوم الصحابي؛ ليكون مفتاحاً لمعرفة شخصية الصحابة الدينية والفكرية والسياسية والأدبية ، ودورهم في الحركة الشعرية والنقدية في عصرهم، باعتبارهم عرباً عرفوا الشعر والشعراء ، وجرى الشعر على ألسنتهم قبل معرفتهم للإسلام .

مفهوم الصحابي اصطلاحاً :

أما " الصحابي " في الاصطلاح، فقد اختلف أهل العلم في ذلك، والتعريفات التي عرف بها "الصحابي" كثيرة، وقد اهتم بها علماء الحديث ، والأصوليين، فكان جمهرة المحدثين يتوسعون في مفهوم الصحابي اصطلاحاً حتى عدوا من رأى الرسول رؤية هو من الصحابة، بينما الأصوليون يضيقون مفهومه ، قال ابن الصلاح : « فالمعروف من طريق أهل الحديث : أن كل مسلم رأى رسول الله ﷺ فهو من الصحابة»¹ .

وقال البخاري في صحيحه: « من صحب النبي ﷺ، أو رآه من المسلمين، فهو من أصحابه »² . ودلالة آراء علماء الحديث كما هو واضح تنص على أن مجرد الرؤية كاف في إطلاق الصحبة . وأما عن رأي الأصوليين في مفهوم الصحابي، فقد قال ابن الصلاح: « وبلغنا عن أبي مظفر السمعاني المرزوي أنه قال: أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل من روى عنه حديثاً أو كلمة ، ويتوسعون حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة ، وهذا لشرف منزلة النبي ﷺ، أعطوا كل من رآه حكم الصحبة .

وذكر: أن اسم الصحابي من حيث اللغة والظاهر، يقع على من طالت صحبته للنبي ﷺ، وكثرت مجالسته له على طريق التبعية والأخذ عنه. قال: وهذا طريق الأصوليين»³ .

وهذا المفهوم كما نلاحظ يوضح صورة الجدل بين علماء الحديث والأصوليين حول مفهوم

1- ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهر زوري : مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، اعتنى به وعلق عليه : إسماعيل زومان ، ط1، بيروت ، لبنان ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، 1425هـ 2004م ، ص173.

2- المصدر نفسه ، ص73 .

3- المصدر نفسه ، ص173.

الصحابي، فعلماء الحديث ، يتوسعون في مفهومه حتى يعدون من رأى الرسول مرة واحدة فهو من الصحابة، بينما الأصوليون ضيقوا مفهوم الصحابي واشتروا طول الزمن في الصحبة للرسول، " وكثرت مجالسته له على طريق التبعية له والأخذ عنه ". وفي هذا الرأي تضيق لمفهوم الصحبة كما هو واضح، ولكن مهما كان أمر الجدل والاختلاف في مفهوم الصحابي بين العلماء ، فإن أهم وأوفى ما عرف به الصحابي، ما قاله ابن حجر العسقلاني(ت852هـ/1449م) في الإصابة: « إن الصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على الإسلام »¹.

وقد شرح التعريف فقال: « فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أولم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية، ولو لم يجلسه، ومن لم يره لعارض كالعمى . ويخرج بقيد "الإيمان " من لقيه كافرا، ولو أسلم بعد ذلك، إذا لم يجتمع به مرة أخرى. وقولنا: "به" يخرج من لقيه مؤمنا بغيره كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة ، وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنه سيبعث ، أو لا يدخل ؟ محل احتمال ، ومن هؤلاء بحيرا الراهب ونظراؤه . ويدخل في قولنا: "مؤمنا به" كل مكلف من الجن والإنس... وخرج بقولنا: "ومات على الإسلام" من لقيه مؤمنا ثم ارتد ومات على رده والعياذ بالله. وقد وجد من ذلك عدد يسير، كعبيد الله بن جحش الذي كان زوج أم حبيبة، فإنه أسلم معها، وهاجر إلى الحبشة فتنصر هو ومات على نصرانيته، وكعبد الله بن خطل الذي قتل وهو متعلق بأستار الكعبة، وكربيعة بن أمية بن خلف. ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت ، سواء اجتمع به ﷺ، مرة أخرى، أم لا... كالأشعث بن قيس، وهو ممن ارتد وعاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر.

وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين، كالبخاري، وشيخه أحمد بن حنبل، ومن تبعهما، ووراء ذلك أقوال أخرى شاذة تقول: كقول من قال: لا يعد صحابيا إلا من وصف بأحد أوصاف أربعة: من طالت مجالسته، أو حفظت روايته ، أو ضبط أنه غزا معه ، أو استشهد بين يديه، كذا من اشترط في صحة الصحبة بلوغ الحلم أو المجالسة ولو قصرت . وأطلق جماعة أن من رأى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فهو صحابي، وهو محمول على من

1- شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية ، د. ت ، ص 158 .

بلغ سن التمييز، إذ من لم يميز لا تصح نسبة الرؤية إليه، نعم يصدق أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - رآه، فيكون صحابياً من هذه الحيشة، ومن حيث الرواية يكون تابعياً، وهل يدخل من رآه ميتاً قبل أن يدفن، كما وقع ذلك لأبي ذؤيب الهذلي الشاعر؟ إن صح محل نظر، والراجح عدم الدخول»¹.

طريق معرفة صحبة الصحابي للرسول ﷺ:

يؤكد علماء الحديث بأن معرفة صحبة الصحابي للرسول ﷺ، تعرف بأحد الأدلة الآتية: «تارة بالتواتر، وتارة بأخبار مستفيضة وتارة بشهادة غيره من الصحابة له، وتارة بروايته عن النبي ﷺ، سماعاً أو مشاهدة، مع المعاصرة»².

أما شرط المعاصرة فيعتبر بعدم مضي مائة سنة وعشرين سنة من هجرة النبي ﷺ، لقوله في آخر عمره لأصحابه: «أرايتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد»³.

زمان ومكان وقوع الصحبة:

كانت مكة مهبط الرسالة الإسلامية، وفيها كانت إرهاصات الوحي الأولى، وفيها بدأ تبليغ الدعوة، وفيها اكتملت، وفيها وقعت الصحبة لأوائل المسلمين، وذلك أن «قوما أسلموا بمكة أول المبعث، وهم سباق المسلمين مثل: خديجة بنت خويلد وعلي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وزيد بن حارثة، وبقية العشرة ٧، وأصحاب دار الندوة بعد إسلام عمر بن الخطاب ٨، والذين هاجروا إلى الحبشة فكانت صحبتهم للرسول ﷺ، في مكة»⁴.

ولما كان الرسول «يعرض نفسه على العرب كما كان يفعل في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي

1- العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ص ص 159 - 158.

2- الحافظ بن كثير: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، لبنان، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت. ص 141.

3- مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت. رقم الحديث 2537، ج 16، ص 89.

- وينظر: مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، مؤسسة قرطبة، 1412 هـ 1991 م، ج 16، باب 53، ص 134.

4- يوسف بن إسماعيل النهائي: الأساليب البديعية في فضل الصحابة، سوسة، تونس، دار المعارف للطباعة والنشر، 1989 م، ص ص 15-16.

رهما من الخزرج... وكانوا ستة نفر»¹، وأصحاب العقبة الأولى من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلاً².
وأصحاب العقبة الثانية وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين من الأنصار منهم: البراء بن معرور، وعبد
الله بن عمرو بن حرام، وسعد بن عباد (ت 14هـ 635م)، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة
الشاعر (ت 8هـ 629م)، وكعب بن مالك الشاعر (ت 50هـ)³.
وأما الذين أسلموا بالمدينة قبل وعند هجرة الرسول ﷺ، في (15 أو 16 أوت "تموز" 622م) وقعت
لهم الصحبة بالمدينة، حسان بن ثابت (ت 54هـ 674م) وغيره ممن أسلم معه، والذين هاجروا بعد
الحديبية وقبل فتح مكة في السنة الثامنة خالد بن الوليد (ت 21هـ 642م)، وعمرو بن العاص (ت
43هـ 664م)، وعثمان بن طلحة⁴ فكانت صحبتهم بالمدينة؛ حيث أسلموا يوم الفتح بمكة سنة
ثمان (8هـ)، وهم خلق كثير، ومن بينهم صبياء أدركوا النبي ﷺ، ورأوه يوم الفتح وبعده في حجة الوداع
كالسائب بن يزيد⁵. وكانت صحبة الأعراب بالمدينة في عام الوفود سنة تسع (9هـ) هجرية، ومن قدم
على الرسول ﷺ الوفد التميمي وفيهم من الشعراء: الأقرع بن حابس (ت 31هـ 651م)، والزبيران
ابن بدر، وعمرو بن الأهتم، والحاجب بن يزيد، وعباس بن مدراس (ت 18هـ نحو 639م)⁶.
وقدم عليه وفد طيء فيهم الشاعر زيد الخيل بن المهلهل الطائي وكان سيدهم⁷، وقدم عليه فروة
ابن مسيك المرادي الشاعر⁸، وقدم عليه الشاعر عمرو بن معدي كرب في أناس من بني زيد⁹، وقدم
عليه وفد همدان منهم مالك بن نمط¹⁰، و«أدرك لبيد الإسلام وقدم على رسول الله ﷺ في وفد بني

-
- 1- أبو محمد عبد الملك بن هشام : سيرة النبي ﷺ، راجع أصولها و ضبط غريبها وعلق حواشيتها ووضع فهرسها : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1401هـ 1981م ، ج 2، ص 38.
 - 2- المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 39 .
 - 3- المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 47 وما بعدها .
 - 4- يوسف بن إسماعيل النبهاني : الأساليب البيعية في فضل الصحابة ، ص 16 .
 - 5- المصدر نفسه ، ص 16 .
 - 6- ابن هشام : سيرة النبي ﷺ، ج 4، ص 222 وما بعدها .
 - 7- محمد بن عبد الله بن يحيى بن سيد الناس : السيرة النبوية المسمى عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ، القاهرة ، مكتبة القدس للطبع والنشر والتوزيع ، 1406هـ 1986م ، ج 2، ص 289 .
 - 8- المصدر نفسه ، ج 2، ص 291 .
 - 9- المصدر نفسه ، ج 2، ص 299 .
 - 10- المصدر نفسه ، ج 2، ص 299 .

كلاب فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم»¹. واستقبل لبيد عهدا جديدا في حياته ، وكانت صحبته للرسول ﷺ بالمدينة.

وروى ابن الصلاح (ت643هـ/1245م) « عن أبي زرعة الرازي: أنه سئل عن عدة من روى عن النبي ﷺ فقال: ومن يضبط هذا؟ شهد مع النبي ﷺ حجة الوداع أربعون ألفا، وشهد معه تبوك سبعون ألفا... قيل له: أليس يقال: حديث النبي ﷺ أربعة آلاف حديث؟ قال: ومن قال هذا قلقة الله أنيابه؟، هذا قول الزنادقة ومن يحصي حديث رسول الله ﷺ، قبض رسول الله عن مئة ألف وأربعة عشر ألف من الصحابة، ممن روى عنه وسمع منه، فقيل له: يا أبا زرعة: هؤلاء أين كانوا، وأين سمعوا منه؟ قال: أهل المدينة وأهل مكة، وما بينهما والأعراب، ومن شهد معه حجة الوداع كل رآه وسمع منه بعرفة»².

وعلى هذا الأساس يتضح لنا أن زمان حدوث الصحبة فهو زمن الرسول ﷺ، ومدته ثلاثة وعشرون سنة من أول المبعث بمكة إلى وفاته ، حيث كان الصحابة يتوافدون عليه لإعلان إسلامهم في أزمنة متفاوتة ، وفي الأماكن التي وطئتها قدمه.

منزلة الصحابة في القرآن والسنة وفي اللغة والأدب وأثرهم في الحركة النقدية في عصرهم:

يعد الصحابة -رضي الله عنهم- كلهم عدولا ، وذلك لأن للصحابة « خصيصة، وهي: أن لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدولين بنصوص الكتاب والسنة ، وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة»³.

ولهذا « نجد أن الصحابة لم يذكر الله تعالى في كتابه إلا وأثنى عليهم وأجزل الأجر والمثوبة لهم، ولم يفرق بين فرد وفرد، ولا بين طائفة وطائفة»⁴. وقد ورد ذكرهم في كثير من الآيات منها قوله تعالى:

أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ دِينًا يُرِيدُ أَنَّ تَرْضَوْا بِهِ وَأَنْتُمْ كَارِهِينَ

1- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : الشعر والشعراء، قدم له: حسن تميم ، راجعه وأعد فهرسه: محمد عبد المنعم العريان ، ط3 ، بيروت ، لبنان ، دار إحياء العلوم ، 1407هـ/1987م، ص 171 .

- وينظر: لبيد بن ربيعة : الديوان، شرحه وضبط نصوصه وقدم له : عمر فاروق الطباع ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، 1417هـ/1997م ، ص 8 .

2- ابن الصلاح : مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، ص 176 .

3- المصدر نفسه ، ص 174 .

4- أبو الحسن عبد الباقي بن نافع بن مرزوق البغدادي : معجم الصحابة ، حققه وخرج حديثه : أحمد فتحي عبد الرحمن ، ط1، بيروت ، لبنان ، منشورات علي بيوض ، دار الكتب العلمية ، 1426هـ/2005م ، مج 1، ص4.

الأسود الدؤلي لم يضع علم النحو- على الصحيح- إلا بأمر من سيدنا علي، وتذكر لنا الروايات في ذلك أن أبا الأسود كان يعرض على سيدنا علي فيبدي رأيه فيه، ويوجهه إلى الأفضل والأحسن»¹.
 أما مكانتهم من الناحية الأدبية فقد «كثرت عدد الشعراء كثرة مفرطة، حتى بلغ ثلاثمائة شاعر من الصحابة وخدمهم، منهم ثلاثة وعشرون من الصحابييات الشواعر»². غير «أن كثيرا من هؤلاء الصحابة، لم يكونوا شعراء بالمعنى الدقيق للكلمة، بل كانوا جماعة من المؤمنين ملاً للإسلام قلوبهم، فقالوا في تمجيده أبياتا أو مقطوعات قصيرة هي- في أغلب الأحيان- قليلة الحظ من الجمال»³.
 والفخر لكل الصحابة الشعراء الذين كان لهم الفضل في نقل الشعر العربي من عصر إلى عصر، ومن جيل إلى جيل ومن حضارة إلى حضارة، في صورته الجاهلية والإسلامية، ويكفي أن حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك والناطقة الجعدي، وغيرهم من الشعراء الذين سمع لهم الرسول ﷺ، وشهد لهم بالشاعرية، فأزروه ودافعوا عنه، ومدحوه ورثوا شهداء المسلمين، وهجوا مشركي قريش وردوا على شعرائها، وناصروا الإسلام والمسلمين، فكان شعرهم وثيقة تاريخية للأحداث الزمانية والمكانية التي ألهمتهم وألهمت شعرهم، وأرخ لكل هذا علماء السير والأدب ونقادهم.

1- رمضان خميس القسطاوي : الشواهد النحوية في شعر الصحابة (دراسة وتحقيق) ، البحيرة ، دار شريف للنشر والتوزيع ، 2004م ، ص 221 .
 2- وهب رومية : بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي(قصيدة المدح أمودجا) ، ط1 ، دمشق ، دار الطباعة والنشر والتوزيع ، 1418هـ .
 1992م ، ص 211 .
 3- الرجع نفسه ، ص 212 .

ثانيا: مفهوم الشعر لدى الصحابة .

مفهوم الشعر لدى الصحابة :

عند تتبعنا للآثار الأدبية والنقدية في مصادر ومراجع الشعر العربي الجاهلي ونقده ، تأكد لنا عدم العثور على مفهوم واضح للشعر العربي عند الجاهليين، لأن الذي كان يهم العرب هو قول الشعر وروايته والمفاخرة به بالدرجة الأولى، بدون تحديد لماهيته.

وفي عصر صدر الإسلام، لما نزل القرآن العظيم بأسلوب جديد ، ولغة جديدة وضحت شريعته ، وأذاب في أسلوبه لغة العرب جميعا ، وتجاوز أسلوب الشعراء العرب ، وبهر خطباءهم وفصحاءهم ببيانه، عندئذ تغيرت النظرة إلى الشعر ، فأصبح له منطلق وهدف يريد الوصول إليه .

ومن خلال التوجيه النبوي والراشدي للشعر والشعراء ، ندرك قيمة وأهمية الهزة الأدبية والنقدية النوعية ، التي أحدثها الإسلام في تغيير مجرى الشعر العربي، وتوضيح وظيفته وأهدافه وغاياته .

وعلى هذا الأساس يمكن طرح السؤال الآتي: هل استطاع المسلمون الأوائل، والصحابة -تحيديا- ، الذين حفظوا الشعر العربي ورووه ، وحفظوا القرآن العظيم، والسنة النبوية ونقلوهم إلى التابعين، أن يبلوروا رؤية فنية ونقدية جديدتين، حددوا من خلالها مفهومهم للشعر؟ أم أنهم ساروا في ركب فهم العرب الجاهليون للشعر ؟ .

رؤية العرب لمفهوم الشعر :

أما من حيث فهم العرب الجاهليين للشعر وتصورهم له ، فقد « فهمت العرب قديما الشعر- ولم تكن تحتفل بفن احتفالها به- فهمًا مقرونا بوجود قوة غيبية ، هي مصدر الإلهام والعبقرية ، فتحدثت عن شياطين الشعر والشعراء ، فكأن الشعر- أو الفن- هبة من هذه القوة الغيبية ، وهو فهم يقترب من فهم " أفلاطون " من حيث مصدر الفن، فإذا كان هذا الفن قد هبط من السماء على الإنسان حين ألقى به الإله " بروميثوس " عند " أفلاطون " فإنه هبة من هذه الشياطين تلقي به على ألسنة الشعراء عند العرب، فكلاهما- " العرب وأفلاطون " - يرى أن مصدر الفن قوة غيبية غريبة عن الإنسان ومنفصلة عنه، وإن كان أفلاطون يسمي هذه القوة " الإله أو السماء " وكانت العرب تسميها " الشياطين " ، ولكن السفسطائيين أكدوا أن الإنسان هو مصدر الفنون جميعا، أي إن الفن ظاهرة إنسانية لا ترجع في مصدرها إلى أصل إلهي، وبذا أصبح الجمال قيمة متغيرة بتغير الناس والزمان والمكان، وأكد " أرسطو "

أن الفن من صنع الإنسان، وأناط به مهمة تصحيح الطبيعة وتقومها وإكمالها»¹.
ويبدو جلياً من خلال اعتقاد العرب بفكرة " شياطين " الشعر والشعراء ، أن حال معاناة الشاعر الجاهلي « يكتنفها الغموض وهي مليئة بالأسرار مما جعل العرب يحيطونها بالاعتقادات الخرافية»².
هذه الخرافات التي أكدها النقاد ، فقرنوا بين الشعراء والشياطين، ناسبين لكل شاعر شيطاناً، « فهم يزعمون أن مع كل فحل من الشعراء شيطاناً يقول ذلك الفحل على لسانه الشعر»³.
وقد ذكر القرشي (ت 171هـ) في مقدمة " جمهرة أشعار العرب " حديثاً عن " شياطين الشعراء " فذكر أسماء لشياطين الشعر، وذكر أسماء لشعراء الجن وحدد أن "مدرک بن واغم " صاحب الكميت ، و" مسحل السكران " صاحب الأعشى⁴، « أما لافظ فصاحب امرئ القيس ، وأما هبيد فصاحب عبيد بن الأبرص وبشر، وأما هاذر فصاحب زياد الذبياني»⁵. ومن شعراء الجن الصلادم وواغم⁶، والسفاح بن الرقراق الجني⁷، ومن شياطين الشعر الهوير والهوجل وهياب⁸.
وقد أقر الشياطين بفضلهم على الشعراء ، كقول لافظ بن لاحظ شيطان امرئ القيس: « أنا والله منحتة ما أعجبك منه»⁹.

وأرجع توفيق الزبيدي: أن ارتباط الإبداع الشعري عند الشعراء الجاهلين بالشياطين، يعود إلى اعتقاد فكري عربي ساد في العصر الجاهلي « مؤداه أن التعليل الخرافي للإبداع، ينحدر عن المفاهيم السائدة للجاهلية ، تلك التي ارتبطت بكل القوة الخارقة للعادة ، كالسحر والجن والغول، ومما يؤكد رأينا أن أولى تهمة وجهت للرسولﷺ، عند نزول القرآن هي الشعر مقرونا بمفهوم الجنون»¹⁰.

1- وهب رومية: بنية القصيدة حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح أمودجا) ، ص ص 197 - 198.

2- توفيق الزبيدي: مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع ، ط2 ، تونس ، سراس للنشر ، 1985 م ، ص 55 .

3- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : الحيوان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط1 ، مصر ، مكتبة الجاحظ ، 1938 م ، ج 6 ، ص ص

225 - 226.

4- أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي : جمهرة أشعار لعرب ، بيروت ، درا بيروت للطباعة والنشر ، 1404 هـ 1984 م ، ص 43 .

5- المصدر نفسه ، ص 43 .

6- المصدر نفسه ، ص 41 .

7- المصدر نفسه ، ص 49 .

8- المصدر نفسه ، ص 54 .

9- المصدر نفسه ، ص 44 .

10- توفيق الزبيدي : مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع ، ص 60 .

يقول حسان وتارة يقول شيطانه، وهذا إذا أخذ على وجهه الظاهري يعني أن الشيطان يرفد صاحبه أو يستقل بقصيدته ويستقل الشاعر بأحرى ولا يتولى الإلهام كله»¹.

إن هذا الغموض الذي انسحب على الشعر، انسحب كذلك على الشاعر والكاهن، مما جعل نظرة العرب إلى الشعر نظرة شمولية، فاخلطوا بين السجع والرجز.

وعلى هذا الأساس يتضح أن مفهوم الشعر عند العرب الجاهليين غير واضح، وذلك لغياب المصطلح والغاية منه، لارتباطه بحال معاناة الشاعر غير الواضحة التي يكتنفها الغموض، كما لم تكن روح الإبداع عند العرب مستقلة عن الخرافات. وهذا الاعتقاد هو صورة للعرب حينما كانوا ينظرون إلى الشعر على أساس أنه يأتي من قوة غيبية، لهذا غاب عنهم تحديد هويته، وبلورة مفهومه، فبقيت نظرتهم للشعر محصورة بين الشاعر وشيطانه، ولم يتجاوزوا ذلك إلى رؤية نقدية تحدد مفهومهم للشعر، خاصة بزماهم ومكانهم ومستواهم الفني وحضارتهم.

وبالتالي فإذا كان العرب في الجاهلية لم يحددوا مفهومهم للشعر، فهل استطاع الصحابة من خلال ثقافتهم الدينية والأدبية، الفنية والنقدية الجديدة، أن يتميزوا في عصرهم ويحددوا مفهومهم للشعر وأن يتجاوزوا خرافة العرب في فهمهم وتصورهم للشعر؟

إن الذي لا جدال فيه، أنه «عندما جاء الإسلام وكثر أتباعه، كانت تعاليمه تدعوهم للخضوع إلى...قوانين شاملة لكل أغراضهم، نحو تلك الحياة الجديدة، ويطرحوا ما لا يتناسب وتلك الحياة من الأغراض التي ألفوها في حياتهم الجاهلية، لأنهم لم تعد تتفق ومبادئ وأخلاقيات المجتمع الإسلامي الجديد»².

وفي ظل الحياة الاجتماعية الجديدة التي قادها الرسول ﷺ، ووجه إليها الصحابة الذين دفعوا قدما بالوعي العربي الإسلامي نحو تجديد حركية المجتمع، وفق رؤية دينية وأدبية، حتى «شكل ظهور الإسلام تحولاً نوعياً في التاريخ العربي، اجتماعياً وسياسياً وعقائدياً وثقافياً، وقد كان من المفروض أن يمس هذا

1- إحسان عباس: تاريخ النقد عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، ط4، د. م، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2006 م، ص 16.

2- سامي مكي العاني: الإسلام والشعر، الكويت، في سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد 66، 1403 هـ 1983 م، ص 82.

التحول مجال الشعر»¹ من حيث المفهوم أولاً، ومن حيث المضمون والوظيفة ثانياً، لأن الشعر أهم شكل تعبيرى حظي باهتمام العرب، نظراً لمكانته الخاصة في عقولهم ووجدانهم، والمعروف أن « الشعر الذي كان في العصر الجاهلي يعبر عن أوضاع اجتماعية وذاتية متباينة ، أصبح مع ظهور الإسلام متأقظاً بين توجهين رئيسيين: تأييد الإسلام، أو مناوآته في نطاق صراع مبدئي قبل أن يتأقظ بين تأييد سلطة سياسية ضد أخرى في نطاق صراع سياسي»².

وأثناء هذا الصراع وقبله، « كان ينبغي للشعر أن يغير من ثوبه القديم حتى يستطيع أن يحمل تلك المضامين الجديدة للدعوة الإسلامية إذا أراد أن يكون له وجود في الساحة الجديدة»³.

رؤية الصحابة لمفهوم الشعر :

لقد أدرك الرسول P والصحابة، قيمة الشعر وأهميته عند العرب ، منذ بداية مرحلة دار الهجرة، حيث كان الأنصار يفخرون بمقدمه، ولما وقعت المواجهة بين شعراء مدرستي: مكة والمدنية في غزوة بدر، وظف المشركون الشعر ضد الرسول P، والمسلمين، عندئذ ظهرت النظرة الإسلامية الجديدة للشعر، والرغبة في تغيير مضمونه وتوضيح وظيفته وتحديد مفهومه الجديد، من خلال تشجيع الرسول P لشعرائه، ودفعهم للرد على شعراء المشركين، وذلك لأن « الشعر أهم شكل تعبيرى حظي باهتمامهم نظراً إلى مكانته عندهم. فلا عجب أن حاول الرسول توجيهه لفائدة الرسالة الدينية، وذلك بالتركيز على مضمونه دون الاهتمام بجانبه الفني»⁴.

ويوضح هذه الرؤية تلك التعريفات التي حددت ماهية الشعر في صدر الإسلام، التي روتها بعض

المصادر النقدية، منسوبة إلى الرسول، ومنها ما هو منسوب إلى الصحابة P فقال P: « إنما الشعر كلام فمن الكلام خبيث وطيب»¹.

1- عبد العزيز جسوس: نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي، ط1، مراكش، مطبعة تينمل، مراكش، 1995م. ص 41 .

2- المرجع نفسه ، ص 41

3- أحمد سويلم: الإعلام الشعري في التراث العربي ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1995 م ، ص 88 .

4- توفيق الزبيدي: مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع ، ص 92 .

1- أبو علي الحسين بن رشيق القيرواني الأزدي : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، حققه وفصله وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 1 ، القاهرة ، دار الطلائع للنشر والتوزيع ، 2006م ، ج 1 ، ص 23.

2- عبد العزيز جسوس: نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 53 .

إن هذا التعريف لا ينظر إلى الشعر في إطاره الفني، إنما ينظر إليه ككلام في إطار مضمونه ووظيفته المنبعثة من روح عقائدية جديدة، وهذه النظرة هي وجه الخلاف بين ما يراه العرب في الشعر، وما يراه الرسول ﷺ وصحابته؛ حيث طريق الشعر العربي الجاهلي يتعارض مع طريق الإسلام، « ومن هنا كان على الرسول ﷺ، أن يوجه الشعر إلى منازع جديدة من القول، غير التي كان يخوض فيه في الجاهلية، فكان ينفر من المهجاء، وقد ساءه كثيرا هجاء المشركين فاضطر أن ينازلهم بسلاحهم على كره منه، وكان بطبيعة الحال بنفر من التشبيب وفحش القول، ولا يهوى من الشعر إلا ما تضمن حكمة أو موعظة حسنة، أو ما كان فيه إعلاء شأن الإسلام والمسلمين »².

وفي هذا الصدد ذهبت السيدة عائشة (ت 58 هـ 678م) - في السياق نفسه - إلى تحديد مفهوم الشعر فقالت: « الشعر فيه كلام حسن و قبيح، فخذ الحسن و اترك القبيح »³.

إن هذا القول ليس تعريفا فنيا للشعر، بقدر ما هو تحديد لوظيفته، ذلك أن مضمونه الفكري ذو حدين، وهما مقياسي: الحسن والقبح، فالشعر يحمل المعاني الحسنة والعاني القبيحة، ويوظفان لغرضهما المقصود، والهدف في هذا التعريف يتطابق مع رؤية الرسول ﷺ، للشعر.

وقد نسب إلى الرسول ﷺ، وإلى الصحابة أقوال فيها إشارات إلى الجانب الفني لماهية الشعر، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: « إنما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق فلا خير فيه »⁴.

فحديثي الرسول ﷺ: « يؤكدان أن الشعر(كلام مؤلف) فيه القصد البشري في التأليف، وهو مخالف للقرآن الكريم الذي هو كلام إلهي موحى به ، وكل كلام بشري لا بد أن تنعكس فيه بشرية صاحبه التي تتراوح بين الخبث والطيبوبة ، بين الشر والخير، ومقياس تفضيل شعر على آخر هو اقترابه (من الحق)

وابتعاذه عن (الباطل) ، وهي معايير منسجمة مع السلوك الإسلامي في المجالات المختلفة »¹.

3- ابن رثيق: العمدة ، ج 1 ، ص 23.

4- المصدر نفسه ، ج1، ص 23 .

1- عبد العزيز جسوس: نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 53.

2- توفيق الزبيدي: مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نحاة القرن الرابع ، ص 92 .

وقد جعل الرسول ρ ، الشعر مقرونا بالحق والخير والجمال، وأن الحق أصل ومعيار، ورد إليه الجمال، ولا يكون الشعر جميلا إلا إذا كان مقرونا بالحق والخير، ولا يكون الكلام حقا إلا إذا التزم الشاعر الصدق، لأن الإسلام يحرم الكذب، والمبالغة والغلو، ويدعو إلى تمثل الأخلاق الفضيلة بعيدا عن مخالفة الشرع .

وما هو واضح في قول الرسول، إن « المقصود بالـ "كلام" هنا ليس الكلام الغفل، وإنما هو الكلام المصنوع »². إذ أن « الكلمة لا تتضمن المقياس الذي يراه لتقدير الشعر والحكم عليه فحسب، وإنما هي دعوة لشيء آخر، إنما دعوة إلى العدول بالشعر عن طريقه الجاهلي بكل قيمه، وصبغه بالصبغة الإسلامية ككل شيء آخر في حياة العرب بعد الإسلام »³.

وكما قال وهب رومية: « فالإسلام لا يهتم بالشعر بوصفه فنا، ولكنه يهتم به بوصفه كلاما، أي بوصفه وجهها عاديا من وجوه النشاط البشري " إنما الشعر كلام " هو ينظر إليه نظرتة إلى هذه الوجوه جميعا فما كان منها مقرونا بالحق أو الخير فهو حسن، وما كان منها مفارقا أو مخالفا لهذا الحق فهو قبيح لا خير فيه »⁴.

ويظهر أن رأي الرسول ρ ، يصور الموقف النظري للإسلام من الشعر، الذي يقابله بالموقف العملي، حيث إن الموقفين عنده « يتطابقان تطابقا تاما، فقد مضى الرسول الكريم يطبق نظرة الإسلام إلى الشعر تطبيقا صارما صرامة المبادئ الدينية نفسها، فيمتدح بعضه ويشجع ويثني على قائله - على نحو ما نعرف لتشجيعه لشعراء المسلمين كحسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك-، ويذم بعضه الآخر ويمنع روايته ويذم أصحابه ، وقد يهدر دم بعضهم- على نحو ما فعل بكعب بن زهير-، وهو لم يقصر حكمه على معاصريه من الشعراء وما قالوه من شعر، بل راح يحكم على الشعراء الماضين من أهل الجاهلية فيذم بعضهم كامرئ القيس، ويخص بعضهم بالثناء كعنترة العبسي وآخرين، وهو في أحكامه جميعا يصدر عن موقف ثابت لا يتغير، هو الموقف الأخلاقي، فما وافق القيم

3- عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد عند العرب ، بيروت ، لبنان ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت . ، ص 52.

4- وهب رومية: بنية القصيدة حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح أمودجا) ، ص ص 207 - 208 .

الإسلامية من شعر أولئك الشعراء كان شعرا جميلا يستحق صاحبه الثناء، وما خالف هذه القيم كان شعرا رديئا، وكان صاحبه بالذم أولى»¹.

ولم يتوقف الرسول ρ عند هذا الحد من الجانب النظري للشعر، بل كان حريصا على أن يعرف حقيقة الشعر وطريقته عند شعراء الإسلام، فكان يسأل الصحابة الشعراء ويريد أن يتحرى حقيقة الشعر عندهم، ليلغي بذلك اعتقاد الجاهلين في الشعر الذي كانت النظرة الخرافية محاطة به، «فمن ذلك أنه قال لعبد الله بن رواحة [ت8هـ689م]: "أخبرني ما الشعر يا عبد الله"؟ قال: شيء يخلج في صدري فينطق به لساني»².

إن أول ما يلفت النظر في هذا الحديث، هو سؤال الرسول ρ الذي ينكشف من خلاله بعد نظره الفني في سؤاله عن حقيقة الشعر، فهو يعد من الوجهة النقدية أول سؤال حدائثي فني نقدي، يطرح في الإسلام عن ماهية الشعر وحقيقة في تاريخ الأدب العربي، وكانت إجابة الشاعر عبد الله بن رواحة في هذا المفهوم، تحمل إشارة إلى مسألة الإبداع الفني في الشعر، الذي يرتبط بمكونات الشاعر الداخلية وأحاسيسه، فينطق بها لسانه كلاما فيتحول إلى قصيدة فخر أو مدح أو هجاء أو رثاء. فيكون هذا الشعر تعبيرا عن مشكلات الشاعر واهتماماته، وقضاياها، وهي نظرة جديدة تؤكد أن الشعر من عمل الإنسان وفعله، وبهذا تكون النظرة الإسلامية للشعر مخالفة لنظرة العرب التي كانت ترى بأن الشيطان هو الذي يقول الشعر على لسان الشاعر، لهذا جدّ الصحابة، و«عمل المسلمون الأوائل على توجيه الشعر ليساير الحركة الإسلامية الجديدة، تقديرا لأهميته في الوجدان العربي، ولخطورته في ساحة المعركة، ومن ثم احتاجوا لتأطيره والإمساك بتلابيبه حتى ينسجم مع إيقاع التحول الجديد»³.

ومن خلال هذا المنحى الفني، قاد الصحابة حركة الشعر، بعدما أدركوا دلالة أبعاد مفهومه، التي

حددها الرسول ρ ، فالتزموا في ذلك بما سنه في دعوته التجديدية للشعر، من خلال تحديد إطاره النظري وهويته الجديدة، مخالفا في ذلك اعتقاد العرب في فهمهم للشعر قلبا وقالبا.

1- وهب رومية: بنية القصيدة حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح أنموذجا)، ص 208.

2- أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: كتاب العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهرسه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، 1403 هـ 1983م، ج 5، ص 278.

3- عبد العزيز جسوس: نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي، ص 41.

ولقد شارك الصحابة الخلفاء والصحابة غير الخلفاء مشاركة فعالة، إلى جانب الصحابي الشاعر عبد الله بن رواحة، في التنظير للشعر، وبيان وظيفته الفنية، بعدما وعوا التجربة التوجيهية النقدية للرسول ﷺ للشعر، التي فتحت لهم آفاقاً جديدة، في فهم وتصوير النظرة الجديد للشعر، حيث شاركوا برؤاهم النقدية والفنية مشاركة فعالة، في بلورة مفهوم جديد للشعر، تدل دلالة قاطعة على تطور الوعي الأدبي والنقدي في صدر الإسلام، وفهم صحيح لمنابع الشعر، ومجرى وظيفته السياسية والدينية والأدبية، وكيف يمكن للشعر أن يعكس صورة المجتمع الإسلامي الجديد، من خلال التجارب الفنية للشعراء، وتجاوبهم مع الحركة النقدية الجديدة .

ففي مسألة مفهوم الشعر، يعد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (ت 23 هـ .644 م) من أكثر الصحابة علماً بالشعر واهتماماً به ، فكانت تتجلي خبرته وتقديره لدوره من خلال ممارسته النقدية للشعر، وذلك من خلال ما أثر عنه من أقوال تكشف أنه كان - رحمه الله - يدرك أهمية الشعر في الإنتاج الثقافي العربي . فقال في مفهومه للشعر: « الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه »¹ . في هذا النص يقدم الخليفة عمر مفهومًا جديدًا للشعر على أساس أنه علم يقوم على مجموعة من الخصائص التي تحدده ، وليس عبارة عن كلام لا ضابط له، ولا فائدة يتشكل منها، بل إن مفهوم الشعر عند الخليفة عمر، هو " علم قوم " ، وهو بهذا المنظور يشير إلى الشعر الجاهلي الذي كانت العرب تنتفسه في حياتها، وطبيعي أن يكون لكل قوم علم، وعلم العرب الشعر، وهذا المفهوم يعد نظرة فاحصة للشعر العربي الجاهلي، لهذا أعطاه صفة " العلم " الذي يعكس الصورة التاريخية للإنسان العربي وجهوده في الحياة ، وهذا ما قاله ابن سلام الجمحي في صفة الشعر باعتباره علم العرب: « كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون »² ، حيث « صب العرب في الشعر خلاصة عقولهم، وثمرة تفكيرهم، وعبروا فيه عن عاداتهم وتقاليدهم، ومثلهم وقيمهم وآمالهم وآلامهم »³ .

1- ابن رشيقي: العمدة ، ج1 ، ص 23 ..

2- محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء ، قرأه وشرحه : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، 1974 م ، ج1 ، ص 24 .

3- وليد قصاب: شخصيات إسلامية في الأدب والنقد ، ط1 ، الدوحة ، دار الثقافة ، 1413 هـ . 1992 م ، ص 19 .

كما ينسب إليه بعض الأقوال، التي توضح أنه « كان مهتما بالشعر الذي يدخل المتعة على النفس، ويلتقي مع تعاليم الإسلام في الدعوة إلى السمو ومكارم الأخلاق »¹.

فقد كان الخليفة عمر حريصا على أن يتعمق في فهم الشعر من كل جوانبه، الفنية والفكرية والخلقية، فقال: « الشعر جزل من كلام العرب، يسكن به الغيظ وتطفأ به الثائرة، ويتبلغ به القوم في ناديمهم، ويعطى به السائل »².

هذه نظرة فنية لمفهوم الشعر ووظيفته عند الخليفة عمر، فهو يحاول من خلالها توجيه الشعر باعتباره كلاما فنيا، إلى ما لا يتعارض مع القيم الإسلامية، وهي نظرة تحمل في طياتها التزام الشعر لما فيه من القول الحسن، والهدف إلى الخير، وهو بهذا المفهوم يعطي رؤية عن تصوره لمذهبه في الشعر، إذ يريد أن يكرس النظرة الإسلامية، « ويطور مفهوم الشعر وأن يتجه به اتجاهها جديدا، ليفصله عن ماضيه الجاهلي ويصله بحاضره الإسلامي، فيستلهم تعاليم الإسلام، ويدعو لها، وبذلك يكون من عوامل البناء لا من عوامل الهدم في المجتمع الجديد »³.

ويؤكد رؤية الخليفة عمر في مفهومه للشعر، الصحابي ابن عباس (ت 68 هـ 687م)، حيث روي عنه أنه قال: « الشعر علم العرب وديوانها فتعلموه وعليكم بشعر الحجاز »⁴.

وقد عقب ابن عبد ربه على هذا المفهوم فقال: « فأحسبه ذهب إلى شعر الحجاز وحض عليه، إذ لغتهم أوسط اللغات »⁵.

والواضح من هذا المفهوم، أن ابن عباس يرى أن الشعر " علم العرب "، لأنه يتطلب ميرانا ودراية، وصنعة تُتعلَّم، على الرغم مما يتطلب هذا الشعر من ملكة . ويرى أن الشعر " ديوان العرب "، لأنه صورة جامعة للحياة العربية، ويذهب إلى تعلم الشعر الرصين، الذي أنتجته بيئة الحجاز، فرأى من وراء ذلك أنها بيئة الشعر الأمثل، الذي يجب أن يحتذى به، كما قد يكون له من خصوصيات أفرزتها البيئة الحجازية، منها تقويم اللسان وتهذيب الذوق الفني .

1- عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد عند العرب ، ص 62.

2- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 5 ، ص 281.

3- عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد عند العرب ، ص 75 .

4- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 5 ، ص 281.

5- المصدر نفسه ، ج 5 ، ص 281.

يضاف إلى هذا أن الخليفة علي بن أبي طالب (ت 40 هـ 661 م)، واحد من المهتمين بالشعر، والحريصين على تجديد مضمونه، وماهيته من وجهته الفنية، فقد روى له ابن رشيقي قوله: « الشعر ميزان القول، ورواه بعضهم: الشعر ميزان القوم»¹.

ففي هاذين الروايتين، أن الخليفة علي بن أبي طالب،- كما يقول يحيى الجبوري:- « يعطي للشعر قيمته الرفيعة، وإن كنا نرجح الأولى...حيث لا يصح أن يكون الشعر ميزانا للناس، فقد يرفع الشعر وضيعا، وكثيرا ما يقع، وقد يضع رفيعا أو يهون من قدره...ولكن الشعر بما فيه من موسيقى تزن الكلام وتنمقه وتساقق العبارة وتنسقها، يكون ميزانا للقول المهذب الجميل»².

ورأي الخليفة علي يقف من الشعر موقفا فنيا، « أي أن للشعر خصائص فنية، يعرف بها صحيح القول من سقيمه في مقاييس أهل الفن الكلامي، وإن خالف في أغراضه لقيم قوم آخرين»³. وهذا الموقف، « هو دليل على أن الرسول P، وأصحابه وإن وجهوا الشعر وجهة مضمونية تماشى والتعاليم الإسلامية، فإن اعتناءهم هذا يدل على أنهم يفهمون الشعر ككلام فيه قصد فني»⁴.

وعلى هذا الأساس يتضح جليا أن الصحابيات والصحابة P، قد اهتموا بالشعر باعتباره فنا، ففهموا مقاصده، واستطاعوا أن يحددوا مفهومه من الناحية المضمونية، والفنية، أو بمعنى آخر استطاع كل صحابي أن يصطلح على مفهوم للشعر وفقا لروح العصر، ومتطلبات التطور الاجتماعي والديني والثقافي والسياسي والأدبي، منتهجين في ذلك منهج الرسول P، الفكري في رؤيته للشعر، الذي تجاوز من خلال نظرتة اعتقاد العرب في فهمهم للشعر، وإخراجه من دائرة الفهم الخرافي، وحصره في إطار التجربة الإنسانية الواعية، فجاء مفهوم الشعر في نظره محصورا في " الكلام " الذي هو من نتاج البشر، ثم تطورت النظرة إليه فأخذ مفهوم " العلم "، الذي هو نتاج بشري، لتحديد المسار التاريخي للإنسان العربي، وقضاياها الأدبية واللغوية، ثم تطور إلى فن القول ومنه أصبح الشعر " ميزانا " له، أي مقياسا

1- ابن رشيقي : العمدة ، ج 1 ، ص 23.

2- يحيى الجبوري : الإسلام و الشعر ، بغداد، منشورات مكتبة النهضة ، مطبعة الإرشاد ، 1383 هـ 1964م ، ص 115.

3- نايف معروف : الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، ط2، بيروت ، لبنان ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، 1418 هـ 1998م ، ص 193.

4- توفيق الزبيدي : مفهوم لأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع ، ص92.

لمعرفة صحيح القول من سقيمته، وهي رؤية فنية أدخلت مفهوم الشعر في علم اللسان العربي، وهو الاصطلاح الذي اتكأ عليه الناقد البصري البغدادي ابن سلام* الجمحي (139-231هـ)، في الثلث الأول من القرن الثالث الهجري، في دراسته للشعر؛ حيث توصل إلى نتيجة مفادها، أن « للشعر صناعة يثقفها اللسان »¹.

وأيا كانت دلالات هذه المفاهيم، فإنها قد ظلت تواكب حركة التطور الأدبي في المجتمع الإسلامي، وكان حرص الصحابة شديدا في توجيه الشعر، من خلال هذه الاصطلاحات التي وقف عندها الصحابة في مفهومهم للشعر، ووفق هذه المعايير التي يفضلها « وبفعل تقدير المسلمين الأوائل لدور الشعر في نصرة العقيدة، وامتصاص التناقضات السياسية والاجتماعية »²، قام الشعر بدوره الإيجابي في تبليغ الدعوة الجديدة، وتوجيه العقل العربي ووجدانه إلى فكرة ممارسة الفن الشعري، في إطار التطور الاجتماعي من خلال حركة الوعي الديني والسياسي، التي قادها الرسول ﷺ، ومن بعده الصحابة الخلفاء، والصحابة الشعراء والصحابة الفقهاء، حيث اتضحت ملامح الشعر الإسلامي ومجراه الجديد، فتأقلم الشعر مع معايير الجديدة من حيث مفهومه ومضمونه ووظيفته، فكان « كل ما استطاع أن يفعله الإسلام مع الشعر، هو أنه حاول الإغلاء من مهمته في البيئة العربية، ووضع له أهدافا جديدة، تتفق وطبيعة... الأفكار الإسلامية.. فتحول كثير من الشعر من مجرد خدمة للحاكم أو طبقة معينة إلى أداة ناجحة نافعة مسخرة من أجل المسلمين جميعا »³.

وقد وقف كل من الشعر والشعراء في عصر صدر الإسلام، وقفة ثابتة في خدمة الدعوة، وقيمها ومثلها، والذود عن الرسول ﷺ، والإشادة بدعوته وفضله، كما صور الشعر و« ظل يصور حياة الناس،

* « أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي، أحد الأخباريين والرواة. (توفي إحدى أو اثنتين وثلاثين ومائتين) وله من الكتب: كتاب الفاضل في ملح الأخبار والأشعار، وكتاب بية تات العرب، كتاب طبقات الشعراء الجاهليين/ وكتاب طبقات الشعراء الإسلاميين، وكتاب غريب القرآن، ». - محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، حققه وقدم له: مصطفى الشويبي، تونس، الجزائر، دار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية، للكتاب، 1406م . 1985م، ص 501 .

1- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج 1، ص 5 .

2- عبد العزيز جسوس: نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي، ص 68.

3- أحمد سويلم: الإعلام الشعري في التراث العربي، ص 88 .

4- محمد مصطفى هدارة: الإسلام والشعر، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1995م، ص 82 .

ويسيل على ألسنة الشعراء عذبا رقيقا؛ حيث يستوعب همومهم، ويعبر عما يجيش في صدورهم أو يدور في أفكارهم»⁴، حتى خط مسلكه، وترك بصمته الحضارية في كل أجيال الشعراء بعد هذه الحقبة المتميزة .

انطلاقا من هذا، فإن نظرة الصحابة الثاقبة لمفهوم الشعر، أكدت دعوتهم الصريحة إلى تخليصه من الأوهام والخرافات، التي كان العرب يعتقدونها، من خلال علاقة الشعر ببعض الظواهر الخرافية.

ثالثاً: موقف الصحابة الخلفاء من الشعر والشعراء

موقف الصحابة الخلفاء من الشعر والشعراء

الصحابة هم الجيل الأول من المسلمين، الذي عاش مع الرسول ﷺ، كل الأحداث والوقائع التي أحدثتها الإسلام في مكة والمدينة وما بينهما، ووراءهما، وشاركوا فيها وسجلوها في أشعارهم مدحا وفخرا وهجاء وثناء، وفي أقوالهم وآرائهم النقدية .

ولقد كان اهتمام الصحابة الخلفاء بالشعر والشعراء، أمرا واضحا لا جدال فيه، إلى جانب اهتمامهم بالدعوة، ومسؤولياتهم اتجاه الرعية، وكان اهتمامهم بالشعر مبكرا ، فمعظمهم مخضرمين عرفوا الجاهلية وعرفوا شعرها وشعرائها، ولما جاء الإسلام لم يبعدهم عن الشعر، فقد قال العلوي: « إن النبي ﷺ سمع الشعر في الرجز والقصيد واستنشدته، وتمثل به مكسور الوزن، وفي رواية صحيح الوزن، وأمر شعراءه بهجاء من هجاه، وحث عليه، ودعا إليه، وله شعراء معروفون من الأنصار وغيرهم ، ولم يبق أحد من أصحابه إلا وقال شعرا قليلا أو كثيرا، واستنشدته وتمثل به ، واحتج وكاتب وراسل »¹.

وهذا يدل دلالة واضحة قاطعة على تشجيع الرسول ﷺ، لأصحابه على فن الشعر، وذلك في نطاق توجيهاته الأخلاقية والدينية والفنية، وما يدل على اهتمام الصحابة بالشعر بحضرة الرسول ﷺ، ما رواه الترمذي عن جابر بن سمرة، حيث يقول: «جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر، وتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية ، وهو ساكت وربما تبسم معهم»².

ولهذا فلا غرابة أن يكون موقف الرسول ﷺ، وأصحابه- رضوان الله عنهم- من الشعر والشعراء موقفا إيجابيا، وذلك لأنهم ينظرون إلى الشعر باعتباره كلاما عربيا، وفنهم الأول الذي كانوا يتواصلون به، ويسجلون فيه وقائعهم وأحداثهم، كما أن الرسول ﷺ كان يعلم قبل أن يهاجر إلى المدينة التي تعد مدرسة في الشعر دون منازع ، بأن أهلها أهل فن ، جمعوا بين فني الغناء والشعر ، وبالتالي فلا غرو

1- نقلا عن : وليد قصاب : النقد العربي القديم نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي ، ط1، دمشق ، دار الفكر ، 1426هـ-2005م، ص 51.

- المظفر العلوي : نضرة الإغريض في نصرة القرظ ، تحقيق : نهي عارف ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1396هـ-1976م، ص 361.

2- الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: سنن الترمذي ، وهو الجامع الصحيح ، حققه وصححه : عبد الرحمن محمد عثمان ، ط2، بيروت ، لبنان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1403هـ-1983م ، ج 4 ، ص 216 .

أن يكون الشعر محل اهتمام الصحابة الخلفاء، وأن يحتل الشعر مكانة خاصة في الإسلام ، فقد دل على هذا قول أنس بن مالك (ت93هـ711م) خادم النبي : « قدم علينا رسول الله ﷺ وما في الأنصار بيت إلا وهو يقول الشعر، قيل له: وأنت يا أبا حمزة ؟ قال: وأنا »¹.

وكان مما روي عن الصحابة: « أنهم كانوا يتحدثون ويتناشدون الأشعار، فإذا جاء ذكر الله انقلبت حما ليقهم كأنهم لم يعرفوا أحدا »².

وقد قيل للحسن البصري (ت110هـ728م): « أكان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يمزحون ؟ قال : نعم ، ويتقارضون من القريض وهو الشعر »³.

وتأكيدا لهذا قال أبو سلمة : « لم يكن أصحاب رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - متحزقين ولا متماومين، كانوا يتناشدون الأشعار ويتذاكرون أمر جاهليتهم، فإذا أريد أحدهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينه كأنه مجنون »⁴.

وقد أشار كثير من النقاد القدماء إلى الموقف الإيجابي للصحابة من الشعر، من ذلك ابن رشيق في قوله: « وقد قال الشعر كثير من الخلفاء الراشدين والجللة من الصحابة والتابعين والفقهاء المشهورين »⁵.

كما ثبت عن كثير من الصحابة أنهم قالوا الشعر، وكانوا يحنون على رواية الشعر وحفظه وتعلمه، وكانوا يكتبون إلى أمرائهم ويوجهون الرعية إليه، وبخاصة الأولاد منهم، وذلك لما فيه من فوائد تعليمية وتربوية وذوقية " جمالية " وخلقية ، فكانوا « يختارون مؤدبين لتربية أولادهم فيروون لهم من مختارات أشعار الفحول ومقطعاتها وقصائدها وأراجيزها مما يهذب النفس من الدنس ، كالخسة والغدر والكذب والخيانة، ويرغب إلى علو الهمة كالجود والكرم ، والوفاء والسماحة ، والحماسة ، وكانوا يقضون حاجة المحتاج بالشعر ينشده أمام سؤاله ، و يعفون عن المسيء ببيت تمثل به قدام الاعتذار عن حاله »⁶.

1- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 5 ، ص283 .

2- شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح الأبههي : المستطرف في كل فن مستظرف ، الطبعة الأخيرة ، مصر ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، 1371هـ1958 ، ج2، ص262 .

3- جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الفائق في غريب الحديث ، الهند ، طبعة حيدر آباد ، د . ت ، ج 2 ، ص339 .

4- المصدر نفسه ، ج1، ص257.

5- ابن رشيق : العمدة ، ج1، ص27 .

6- جابي زادة علي فهمي : من حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة ، دار سعادت (رشن مطبعة س) ، مقدمة الكتاب : محمد خالص بن محمد الشرواني ، 1329هـ ، ج 1 ، ص م .

ويعد الصحابة وفي مقدمتهم « الخلفاء الراشدون هم أكثر الناس صلة بالإسلام، وأشدهم تمسكا

وحرصا على الالتزام بمضامينه وأحكامه»¹. فأضافوا إلى هذا الالتزام الديني اهتمامهم بالشعر، فقد قالوا الشعر ورووه وتمثلوا به ونقدوه وراقبوه، « وكان الخلفاء الراشدون من بعد الرسول يرددونه دائما على ألسنتهم كما كان صحابته كثيرا ما يتناشدونه في المسجد... مهتدين بهدي الإسلام الحنيف، ينهون عن الهجاء ويعاقبون فيه»²، وقد روي عن سعيد بن المسيب (ت94هـ - 712م) أنه قال: « كان أبو بكر شاعرا، وعمر شاعرا، وعلي أشعر الثلاثة»³.

وكما قال ابن الأحرر [807هـ]: « ومن الدليل أيضا على ذلك أن الخلفاء الراشدين الأربعة، وهم: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وعلي أبو السبطين - عليهم السلام - قالوا الشعر، وقاله أيضا جملة من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم والصلاح»⁴. وإن الباحث في أقوال الصحابة وآثارهم الأدبية، شعرا ونقدا، يكشف عن موقفهم من الشعر والشعراء، ومن خلال مواقفهم الإيجابية، وقبلهم موقف السنة النبوية والقرآن العظيم، يتجلى لنا بوضوح موقف الإسلام من الشعر والشعراء.

1- موقف الخليفة أبي بكر الصديق من الشعر:

يعد أبو بكر الصديق (573-634م) أول الخلفاء الراشدين (11-13 هـ 632-634م)، ومن أكبر فصحاء العرب، ومن أكثرهم تذوقا للشعر وإدراكا لمعانيه، ومرامي الشعراء، وكان « أعلم الناس بأنساب العرب لا سيما قريش، أخرج ابن إسحاق عن يعقوب عن عتبة عن شيخ من الأنصار قال: كان جبير بن مطعم من أنسب قريش لقريش والعرب قاطبة، وكان يقول: إنما أخذت النسب من أبي بكر، وكان أبو بكر من أنسب العرب»⁵. والعرب مرتبطين بالشعر، والشعر مرتبط بالنسب.

1- جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، حققه وقدم له وخرج أحاديثه: قاسم الشماخي الرفاعي ومحمد العثماني، د. م.، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.، ص 82.

2- شوقي ضيف: العصر الإسلامي، ط4، مصر، دار المعارف ن. د. ت.، ص45.

3- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص283.

4- أبو الوليد إسماعيل بن الأحرر: نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1396هـ 1976م، ص42.

5- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص36.

كما دل الرسول ρ حسانا لما أراد أن يهجو قريشا فقال له : « استعن بأبي بكر فإنه علامة قريش بأنساب العرب »¹ ، وفي رواية ابن عبد ربه : « اذهب إلى أبي بكر يخبرك بمثالب القوم، ثم أهجوهم وروح القدس معك »² . أما موقف أبي بكر من الشعر فيمكن توضيحه فيما يأتي :

من المواقف التي تمثل فيها الخليفة أبو بكر بالشعر :

من خلال تبعية لأشعار الخليفة أبي بكر، وما ورد عنه من تمثله لأشعار الشعراء يستنتج أنه كان على علم بما قالته العرب في مضامين مختلفة .

إضافة إلى هذا، كان الخليفة أبا بكر مرجعا في الشعر، « كثير الحفظ واسع الاطلاع، غزير المعرفة ، كثير التمثل بأشعار الجاهلية، يروي منه في مواقفه ويستنشد الشعراء»³ ، وهذه صورة تمثله بالشعر . فمن حيث تمثله بالشعر فقد «أخرج عن ثابت البناني، أن أبا بكر كان يتمثل بهذا الشعر :

لَا تَزَالُ تَنْعِي حَبِيبًا حَتَّى تُكُونَهُ وَ قَدْ يَرْجُو الْفَتَى الرَّجَا يَمُوتُ دُونَهُ »⁴ .

ومن شدة تعلقه بالشعر الذي يتفق مع المفاهيم الإسلامية ، ف « قد تمثّل في مرضه الذي توفي فيه ، [بشعر عبيد بن الأبرص] :

وَكَلَّ ذِي إِبِلٍ مَّوْرُوثُ وَكَلَّ ذِي سَلْبٍ مَسْلُوبٌ *
وَكَلَّ ذِي عَيْبَةٍ يَثُوبُ وَغَائِبِ الْمَوْتِ لَا يَثُوبُ

وكان آخر ما تكلم به رب : ﴿ تَوْفَنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾⁵ .

- « وعن حماد بن سلمة عن ثابت قال : كان أبو بكر يتمثل ولم يقل في مرضه ولا غيره :

[مجزوء البسيط]

1- القرشي : جمهرة أشعار العرب ، ص36.

2- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج5 ، ص295.

3- يحيى الجبوري : الإسلام و الشعر، ص79.

4- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص82 .

* جاء البيت الأول : في تاريخ الخلفاء : للسيوطي، ص68. مرويا عن السيدة عائشة وذلك « لما احتضر أبو بكر فعدت عائشة σ عند رأسه، فقالت :

وكل ذي إبل يوما سيورها وكل ذي سلب لا بد مسلوب .

5-أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، لبنان ، في سلسلة روائع التراث ، د.ت . ج3 ، ص423 .

مَا أَنْ يَزَالَ المرءُ يَنْعَى مَيِّتًا حَتَّى يَكُونَهُ
وَلَقَدْ يُرَجَّى مَا يَحِبُّ بُلُوغَهُ فَيَمُوتُ دُونَهُ¹.

المواقف التي روى فيها الخليفة أبو بكر الشعر:

كان الصحابي أبو بكر راوية حفاظة للشعر الجاهلي والإسلامي ، وما كان في صدره من شعر إلا ويعرف قائله، ومناسبته والمكان الذي قيل فيه، وزمانه، ويعد أبو بكر الصديق من رواة الشعر ، لأن الرسول ﷺ، كان كثيرا ما يستعين به، فيروي له من الشعر ما يريد ويستنشدته . ودل على هذا ما جاء في معجم الشعراء: إذ « يروى أن رسول الله ﷺ قال: يا كعب، ما نسي ربك - أو ما كان ربك نسيا - بيتا، قلته. قال كعب: وما هو يا رسول الله؟ فقال: أنشده يا أبا بكر، فأنشد: [الكامل]

رَعَمَتْ سَخِينُهُ أَنَّهَا سَتَعَلِبُ رَهَا وَكَيْغَلِبَنَّ مُعَالِبُ الْعَالِبِ

ويروى :

هَمَّتْ سَخِينُهُ أَنْ تُعَالِبَ رَبَّهَا².

ومن مواقفه في رواية الشعر « روى الزبير بن بكار قال : مر رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر ب

برجل يقول في بعض أزقة مكة :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْخَوَلُ رَحْلُهُ هَلَا نَزَلْتَ بَالِ عَبْدِ الدَّارِ

1- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري : كتاب من جمل أنساب الأشراف ، حققه وقدم له : سهيل زكار ورياض زركلي ، إشراف : مكتبة البحوث والدراسات الإسلامية، ط1، د. م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1417هـ/1996م ، ج10 ، ص 86 .

2- أبو عبيد الله محمد بن عمر بن موسى المرزباني : معجم الشعراء ، تحقيق : فاروق اسليم ، ط 1 ، بيروت ، دار صادر ، 1425هـ/2005م . ص 275 .

- وينظر : أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد عبد القاهر الجرجاني : كتاب دلائل الإعجاز ، قدم وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، د.م ، مطبعة المدني ، دار المدني بجدة ، ط3 ، 1413هـ/1992م ، ص 17 .

* البيت الشعري الذي سمعه الرسول ﷺ لمطروود بن كعب الخزاعي يبكي عبد المطلب وبني عبد مناف في أبيات :

يا أيُّها الرجل الخول رحلُهُ	هلا سألت عن آل عبد منافِ
هبلتك أمك لو حللت بدارهم	ضمنوك من جرم ومن إقرافِ
المنعمين إذا النجوم تغيرت	والظاعنين لرحله الإيلافِ
والمطعمين إذا الرياح تناوحت	حتى تغيب الشمس في الرجافِ
إما هلكت، أبا الفعال، فما جرى	من فوق مثلك عقد ذات نطافِ

فقال النبي ρ يا أبا بكر، أهكذا قال الشاعر* ؟ قال: لا يا رسول الله، ولكنه قال:
يا أيُّها الرجلُ المحوُلُ رحلُهُ هَلَا سَأَلْتُ عَنْ آلِ عَبْدِ مَنَافٍ
قال رسول الله ρ هكذا كنا نسمعها»¹.

ومن مواقف رواية أبي بكر للشعر: ما قاله البيهقي «عن ابن عمر قال : لما دخل رسول الله ρ،
عام الفتح وأتى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمير، فتبسم إلى أبي بكر، وقال: "يا أبا بكر، كيف قال
حسان" ؟ فأنشده أبو بكر ρ :

[الوافر]

عَدِمْتُ بِنِيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّفْعَ مِنْ كَتَفِي كَدَاءِ
يُنَازِعَنَّ الْأَعْنَةَ مُسْرَجَاتٍ يُلْطِمُهُنَّ بِالْخَمْرِ النَّسَاءِ

فقال رسول الله ρ أدخلوها من حيث دخلها حسان»².

فالرسول ρ لما فتح مكة، رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمير، فتذكر "همزية" حسان³، التي
تنبأ فيها بفتح مكة، والتي ذكر صورة النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمير، وهجا فيها أبا سفيان بن
الحرث . فأعجب الرسول بثنبؤ حسان أثناء فتحه مكة، لذا طلب من أبي بكر أن يذكر له البيتين .
فكان أبو بكر يروي ويتمثل بعيون الشعر العربي .

كما «روي أن أبا بكر ρ استنشد عمرو بن معدى كرب، وقال: أنت أول من سألته في الإسلام»⁴.
من المواقف التي تذوق فيها أبو بكر الشعر:

= إلا أبيك أخي المكارم وحده والقيض مُطَلَّبُ أَبِي الْأَضْيَافِ

- ابن هشام : سيرة النبي ρ ، ج 1 ، ص ص 192 - 193 .

1- المصدر نفسه ، ج 1 ، ص ص 192 - 193 .

2- الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير : البداية والنهاية ، قدم له : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث
العربي للطباعة والنشر والتوزيع . د . ت . ج 4 ، ص 289 .

3- ابن ثابت، (حسان): شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، وضعه وضبطه الديوان وصححه: عبد الرحمن البرقوقي ، بيروت ، دار الكتاب
العربي ، د . ت . ص 54 وما بعدها ، مع تغيير ظفيف في اللفظ .

4- المرزباني : معجم الشعراء ، ص ص 33 - 34 .

لم يقف أبو بكر الصديق عند حدود التمثل بالشعر وروايته فحسب، بل كان يتذوق الأشعار ويبيدي رضاه واستحسانه لها، ومما تذوقه T من الشعر ما ذكره البلاذري: « قال الهيثم بن عدي: تزوج عبد الله بن أبي بكر عاتكة بنت زيد فغلبته على رأيه وشغلته عن سوقه، فأمره أبو بكر بطلاقها، فطلقها واحدة، ثم قعد لأبيه على الطريق، فلما رأى أباه بكى وأنشده: [الطويل]

ولم أر مثلي طلق العام مثلها ولا مثلها في غير ذنب تطلق
لها خلق جزل ورأي و منصب وخلق سوي في الحياة ومنطق

فأمره بمراجعتها»¹.

فأبو بكر قضى بحكمين فقهيين من خلال هذا النص، فالأول: أمر فيه ابنه بتطبيق زوجته عاتكة، لأنه رأى أنها لا تصلح أن تكون زوجة لابنه، وهذا الحكم صدر من أب خبير . والحكم الثاني: أمر ابنه بإرجاع زوجته، وذلك لما سمعه من شعر من ابنه، الذي ذكر فيه بعض محاسن زوجته، التي لم ترتكب ذنبا لتطلق، وأن خلقها سوي ورأيها سديد، ومثلها في النساء لم تطلق. عندئذ أمر أبو بكر ابنه بمراجعة زوجته . وهذا الحكم الشرعي الصادر من الخليفة أساسه الذوق الفني السليم، الذي أدرك من خلال البيتين صدق حب عبد الله لزوجته عاتكة .

المواقف التي قال فيها أبو بكر الصديق الشعر:

تعد قصيدته "الرائية" التي قالها أثناء هجرته مع رسول الله P، إلى المدينة من أجمل ما قال؛ « حيث وصف لنا الهواجس التي انتابته في أثناء اختفائهما في غار حراء، بعيدا عن أعين قريش، ويستعيد فيها ذكريات الوحي، واستشعاره فضل الله تعالى الذي بدد سحب الخوف من سماء الغار، بنسيج العنكبوت على بابه، كما يستعيد الكلمات الطيبة التي طمأنه بها رسول الله »².

فقال أبو بكر : [البسيط]

« قال النبي ولم يرزل يُوقرني ونحن في سُدْفَةٍ من ظُلْمَةِ الغارِ*
لا تخشَ شيئا، فإنَّ اللهَ ثالثنا وقد يوكلنا منه بإظهارِ

1- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج 10 ، ص ص 108 - 109.

2- نايف معروف : الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، ص 167.

*سديف: جمع سدف، وهو اختلاط الليل والنهار

وإنما الكيدُ لا تُخشى بَوادِرُهُ كَيْدُ الشَّيَاطِينِ كَادَتْهُ لِكْفَارِ
والله مُهْلِكُهُمْ طَرًّا بِمَا كَسَبُوا وجاعِلُ المنتهى مِنْهُمْ إلى النَّارِ
وأنت مُرْتَجِلٌ عَنْهُمْ وَتَارِكُهُمْ إما غُدُوًّا ، وإمَّا مُدْلِحٌ سَارِ
وهاجِرٌ أَرْضَهُمْ حَتَّى يَكُونَ لَنَا قَوْمٌ عَلَيْهِمْ ذَوُو عِزٍّ وَأَنْصَارِ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ وَارْتَنَا جَوَانِبُهُ وَسَدَّ مِنْ دُونِ مَا نُخْشَى بِأَسْتَارِ
سَارَ الْأَرِيْقَطُ يَهْدِينَا وَأَيُّقُهُ يَنْعَبَنَ بِالْقَوْمِ نَعْبًا تَحْتَ أَكْوَارِ*¹.

ولما « هاجر النبي ρ إلى المدينة، وهاجر أصحابه، مستهم وباء المدينة، فمرض أبو بكر وبلال. قالت عائشة: فدخلتُ عليهما، فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال، كيف تجدك؟ قالت: فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كُلُّ أَمْرِيءٍ مُصَبَّحٍ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ².

وقال البلاذري عن أسماء المشبهين برسول الله ρ: « يقال: إن أبا بكر قال للحسين بن علي - رضي الله عنهما - وقد لقيه في طريق المدينة:

بِأَبِي شُبَّةِ النَّبِيِّ عَيْرٌ شَبِيهِ بِعَلِيِّ

وقد نسب البيت إلى فاطمة بنت رسول الله ρ³.

ومما قال الخليفة أبا بكر: حين وجه رسول الله عبيدة بن الحارث على رأس كوكبة من المهاجرين لقتال المشركين، وكانوا بقيادة أبي سفيان بن حرب:

[طويل]

«أَمِنْ طَيْفِ سَلْمَى بِالْبَطَاحِ الدَّمَائِثِ أَرَقَّتْ وَأَمْرِي فِي الْعَشِيرَةِ حَادِثِ

* الأريقت: هادي النبي ρ وأبي بكر إلى المدينة، نعب: نوع من سير الإبل، الأكوار: جمع كور: رحل الناقة.

1- أبو بكر الصديق: الديوان، حققه وعلق حواشيه وقدم له: عمر الطباع، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 1420 هـ 1999م، ص 160 وما بعدها.

2- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص 281.

- وينظر: أبو بكر الصديق: الديوان، 188.

3- البلاذري: أنساب الأشراف، ج2، ص 204.

** هروا: وثبوا كما تذب الكلاب، والمخجرات: التي أُلجئت إلى مواضعها، اللواهت: التي أخرجت ألسنتها وتعبت فانقطعت أنفاسها.

*** متتنا: أي اتصلنا، وغير كارث: أي غير مخزن.

ترى مِنْ لُؤْيِيٍّ، فُرْقَةً لَا يَصُدُّهَا
 رَسُولُ أَتَاهُمْ صَادِقٌ فَتَكَذَّبُوا
 إِذَا مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ أَذْبَرُوا
 فِكْمَ قَدْ مَتَّئْنَا فِيهِمْ بِقَرَابَةٍ
 فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعُثُوقِهِمْ
 وَإِنْ يَرْكَبُوا طُغْيَانَهُمْ وَضَلَالَهُمْ
 وَنَحْنُ أَنْاسٌ مِنْ ذُؤَابَةِ غَالِبٍ
 فَأُولِي بَرِّ الرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةً
 كَأَدَمِ ظِبْيَاءِ حَوْلَ مَكَّةَ عُكْفٍ
 لَيْنٌ لَمْ يُفَيْقُوا عَاجِلًا مِنْ ضَلَالِهِمْ
 لَتَبْتَدِرْهُمْ غَارَةٌ ذَاتُ مَصَدَقٍ
 فَأَبْلَغَ بَنِي سَهْمٍ لَدَيْكَ رِسَالَةً
 فَإِنْ تَشَعَّثُوا عِرْضِي عَلَى سُوءِ رَأْيِكُمْ
 عَنْ الْكُفْرِ تَذَكِيرٌ وَلَا بَعَثُ بَاعِثٍ
 عَلَيْهِ وَقَالُوا: لَسْتُ فِيْنَا بِمَآكِثٍ
 وَهَرُّوا هَرِيرِ الْمَجْحَرَاتِ اللَّوَاهِثِ**
 وَتَرَكَ التَّقَى شَيْءٌ لَهُمْ غَيْرُ كَارِثٍ***
 فَمَا طَيِّبَاتُ الْحِلِّ مِثْلَ الْخَبَائِثِ
 فَلَيْسَ عَذَابُ اللَّهِ عَنْهُمْ بِلَايِثٍ
 لَنَا الْعِزُّ مِنْهَا فِي الْفُرُوعِ الْأَثَائِثِ*
 حَرَّاجِيحٌ تُحْدَى فِي السَّرِيحِ الرُّثَائِثِ**
 يَرِدُّنَ حِيَاضَ الْبِئْرِ ذَاتِ النَّبَائِثِ***
 وَلَسْتُ إِذَا آلَيْتُ قَوْلًا بِحَانِثٍ
 تُحْرِمُ أَطْهَارَ النِّسَاءِ الطَّوَامِثِ****
 وَكَلَّ كُفُورٍ يَبْتَغِي الشَّرَّ بَاحِثٍ
 فَإِنِ مِنْ أَعْرَاضِكُمْ غَيْرُ شَاعِثٍ*****»¹.

لكن ابن هشام يرتاب في القصيدة ويقول: " وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبي بكر"، ولعل الشكوك التي حامت حول القصيدة، كونها ذات طابع جاهلي في مطلعها، وهي من القصائد الإسلامية، وقد أجابه عبد الله بن الزبير². في قصيدة من اثني عشرة بيتا على الوزن والقافية

* الفروع الأثائث: الكثرة الجملة .

**ولي: أحرفوا أقسم، والراقصات: الإبل، حجاجيح: الحسان، وتحدي: تساق، السريح: قطع من الجلد تربط على أخفاف الإبل مخافة أن تؤذيها الحجارة، الرثائث: البالية الحلقة.

***لأدم: جمع أدماء وهي السمراء الظهر البيضاء البطن، وعكف: مقيمة، والنبايث: جمع نبيثة وهي تراب تخرج من البئر إذا نقيه .

**** الطوامث: جمع طامث وهي الحايض .

*****تشعثوا: معناه تغيروا و تفرقوا.

1- ابن هشام: سيرة النبي p، ج 2، ص 225 وما بعدها.

وينظر: أبو بكر الصديق: الديوان، ص ص 137 و ما بعدها.

2- ابن هشام: سيرة النبي p، ج 2، ص 227 وما بعدها .

نفسيهما، وروى ابن إسحق قطعة شعرية نسبها « لأبي بكر الصديق في غزوة عبد الله بن جحش، ويقال: بل عبد الله بن جحش قالها حين قالت قريش: قد أحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، فسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه المال وأسروا فيه الرجال . وابن هشام ينسبها لعبد الله بن جحش .

وقال أبو بكر τ ردا على ما قالوه: [الطويل]

تُعِدُّونَ قَتْلًا فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرِ الرَّشْدَ رَاشِدٌ*
 صَدُودُكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ وَكُفْرٌ بِهِ وَاللَّهُ رَبِّي شَاهِدٌ**
 وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلُهُ لَيْلًا يُرَى اللَّهُ فِي الْبَيْتِ سَاجِدٌ
 فَإِنَّا وَإِنْ عَيَّرْتُمُونَا بِقَتْلِهِ وَأَرْجَفَ بِالْإِسْلَامِ بَاغٍ وَحَاسِدٌ***
 سَقَيْنَا مِنْ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا بِنَخْلَةٍ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَاقِدٌ****
 دَمًا وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عُثْمَانُ بَيْنَنَا يُنَازِعُهُ عُلٌّ مِنْ الْقِدِّ عَائِدٌ*****¹.

إن ارتياب ابن هشام في هذين المقطوعتين، هو ما دفع بناصر الدين الأسد إلى إنكار هذا الشعر وقال متعجبا: « ومن عجب أن يضع المسلمون الأولون شعرا أو ينحلوه أبا بكر الصديق »².
 ومن حديث الزهري عن عائشة σ أنها قالت: « كذب من أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر واحد في الإسلام »³.

فحديث السيدة عائشة يؤكد هذا الارتياب في الشعر المنسوب إلى أبي بكر، وينفي أن يكون أبوبكر قال الشعر في الإسلام، ولكن نايف معروف عقب على حديث السيدة عائشة، قائلا:

* في الحرام: في الشهر الحرام، العظيمة: الخطيئة العظيمة، وأعظم منه: أي من القتل في الشهر الحرام.

**الصدود: الإعراض .

***عيرتمونا : المعابر : المعايير و عاره عابه .

****بنخلة: في موضع بين الطائف و مكة ، أوقد الحرب: أشعل نارها.

***** ينازعه غل : أي ينازعه القيد و الغل من القد أي من الجلد بشكل سير يقيد به ، العارد: الصلب الشديد

1- ابن هشام: سيرة النبي ρ ، ج 2، ص 243.

- و أبو بكر الصديق: الديوان، ص 148 و ما بعدها.

2- ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ط 7 ، مصر ، دار المعارف ، 1988م ، ص 325 .

3- ابن هشام : سيرة النبي ρ ، ج 2، هامش صفحة 225 .

4- نايف معروف : الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، ص 167.

« فإن أبياتا ومقطعات نسبت إليه، ولا نرى في الأمر غضاضة، خاصة أنه كان من رواته، وأن الرسول ρ ، نفسه كان يسأله... وإذا صح ما نسب إلى السيدة عائشة σ ، فإن الأمر لا يعدو أن يكون في مبلغ علمها أنه لم يقل شعرا في الإسلام، ومما هو جدير بالملاحظة أنها لم تنف قوله الشعر في الجاهلية »⁴.

كما أنه يؤكد صحة نسبة المقطعات والقصائد الشعرية إلى أبي بكر باستثناء القصيدة " الثائية " السابقة، التي قالها في غزوة عبيدة بن الحارث، وأرجع ذلك إلى بنائها الفني، الذي لا ينظمه إلا الشعراء الملتزمين بقواعد الشعر، إذ يقول: « إن الناظر لهذه القصائد المنسوبة إلى أبي بكر لا يستطيع أن يؤكد صحة نسبتها إليه، وفي الوقت ذاته لا يجد مصوغا كافيا لتأكيد نفيها، فأبو بكر كان راوية للشعر ومرجعا في تحقيقه وردده لأصحابه، وهو ليس بعاجز أن يقول هذه القصائد وأضاربها، وبخاصة إذا كانت المناسبة تستدعيها، أما مضامينها الفكرية فيجعل الباحث يميل إلى ترجيح نسبتها إليه باستثناء القصيدة الأخيرة ذات المطلع الغزلي الطللي التقليدي - إذ لم يكن أبو بكر - في الأصل - شاعرا كي يلتزم بقواعد الشعر، فلا يجيد عنها، ثم إن الموقف الجهادي لمناسبة القصيدة لا يستدعي مثل هذا المطلع كي يتخلص إلى غرضها الذي يرمي إلى الوصول إليه »¹.

كما أن محمد مصطفى هدارة يثبت صحة نسبة الشعر إلى أبي بكر، ويشكك في صحة الخبر المروي عن السيدة عائشة σ قائلا: «... ولو صح هذا الخبر ما صحت نسبة الأبيات التي أثبتناها لأبي بكر، ولصح أن يكون له شعر قبل الإسلام، وليس لهذا إشارة في أي مصدر، وعلى أية حال فالموقفان اللذان دفعا أبا بكر τ إلى قول الشعر الذي أوردناه، يدلان على حساسية مرهفة وأصالة فنية لا يجتمعان وجودهما في شاعر همه الشعر فحسب، ونفي الشعرية عنه أصلا ليس معناه أنه لا يحفظه أو ينشده »².

وقد جاء في "جمهرة أشعار العرب"، ومما قيل من الشعر ما جاء موافقا لما جاء في القرآن العظيم،

« وقال أبو بكر τ : [الرملة]

1- نايف معروف : الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، ص 169 .

2- محمد مصطفى هدارة: الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر. 1995م ص 106 .

3- القرشي : جمهرة أشعار العرب، ص 37 .

عَزَّرُوا الْأَمْلَاقَ فِي دَهْرِهِمْ وَأَطَاعُوا كُلَّ كَذَّابٍ أَثِيمٍ

عزروا : أي عظموا ، قال الله تعالى : ﴿ وَعَزَّرُوهُ ﴾ أي عظموه ³ .

[الوافر] وكذلك قال أبو بكر في بلال τ حين قتل أمية بن خلف في بدر وقد كان يعذبه:

هَنِيئًا زَادَكَ الرَّحْمَنُ عِزًّا فَقَدْ أَدْرَكَتْ ثَأْرَكَ يَا بِلَالُ
فَلَا نَكْسَا وَجُدْتَ وَلَا جَبَانًا عَدَاةَ تَنْوِشُكَ الْأَسْلُ الطَّوَالِ ¹ .

وجاء في " مغازي الأموي " حديث عن غزوة بدر « أن رسول الله ρ جعل يمشي بين القتلى ،

ورسول الله ρ ، يقول : " نفلق هاما " فيقول الصديق :

مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةٌ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

إشارة منه إلى ابنه عبد الرحمن حينما كان في حال كفره ² .

وهناك مقطوعات شعرية قالها أبو بكر الصديق τ ، لما توفي الرسول ρ ، حيث حزن عليه الصحابة

حزنا شديدا، وترك فراقه أثرا عميقا في نفوس المسلمين، والخلفاء خاصة، فراحوا يعبرون عن حزنهم تعبيرا

خلدوا فراقه في أشعارهم، « قال المفضل: ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله ρ ، إلا وقد قال الشعر

وتمثل به . فمن ذلك قول أبي بكر الصديق τ ، يرثي النبي ρ :

[الوافر]

أَجْدُكَ مَا لِعَيْنَيْكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّ جُفُوهَا فِيهَا كِلَامٌ ³ .

وفيما قاله أبو بكر من قطع شعرية، « يأتي في مقدمتها ثلاث قطع في رثاء رسول الله ρ ، حيث

يرى بعضهم أن أقربها إلى الصحة وأصدقها تعبيرا وأسلسها نظما قطعة تتسم بالعموية، التي اقتضاها

ذلك الموقف، الذي هز نفوس المسلمين هزا هائلا ⁴ ، وفي هذا « قال محمد بن عمر الواقدي عن

رجاله: قال أبو بكر الصديق يرثي رسول الله ρ :

[المتقارب]

يَا عَيْنِ فَاْبِكِي وَلَا تَسْأَمِي وَحُقَّ الْبُكَاءُ عَلَى السَّيِّدِ !

1- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج 1 ، ص 218.

2- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 3، ص 355.

3- القرشي : جبهة أشعر العرب ، ص 37 .

4- نايف معروف : الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، ص 167 .

5- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، قدم له : إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، د.ت ، ج 2 ، ص 319 .

على خير خندِفَ عندَ البلا
فَصَلَّى المليكُ وِلِيُّ العبادِ
فَكَيْفَ الحياهُ لِفقْدِ الحبيبِ
فَلَيْتَ الممآةَ لَنَا كُنْنَا
ءِ أَمْسَى يُعَيَّبُ فِي المَلْحَدِ
وَرُبُّ البِلَادِ عَلَى أَحْمَدِ
وَزِينِ المَعَاشِرِ فِي المَشْهَدِ؟
وَكُنَّا جَمِيعًا مَعَ المَهْتَدِي!«⁵.

وكذلك « لما توفي رسول الله ﷺ رثاه جماعة من أصحابه وآله بمرث كثيرة ، منها ما روي عن أبي

بكر^٢، فإنه كان أقرب الناس إليه فقال:

[الكامل]

لما رأيتُ نبيًّا مُتَّحِدًا
وارتعتُ رَوْعَةً مُسْتَهَامٍ وَاِلِه
أَعْتَبْتُ وَحُجَّكَ ! إِنَّ حُبَّكَ قَدْ تَوَى
يا لَيْتِنِي مِنْ قَبْلِ مَهْلَكِ صَاحِبِي
ضَاقَتْ عَلَيَّ بِعَرَضِهِنَّ الدُّورُ
وَالعِظْمُ مِنِّي وَاهِنٌ مَكْسُورُ
وَبَفَيْتُ مُنْقَرِدًا وَأَنْتَ حَسِيرُ
عُيِّتُ فِي جَدَثٍ عَلَيَّ صُخُورُ
تَعَبًا بِهِنَّ جَوَانِحُ وَصُدُورُ¹.

وقال الواقدي : « وقال أبو بكر أيضا: يرثي رسول الله ﷺ :

[البيسط]

بَاتَتْ تَأْوِينِي هُمُومٌ ... حَشْدُ
يا لَيْتِنِي حَيْثُ نُبِئْتُ العَدَاةَ بِهِ
لَيْتَ القِيَامَةَ قَامَتْ بَعْدَ مُهْلِكِهِ
واللهُ أَثْبَتِي عَلَى شَيْءٍ ذُفِجْتُ بِهِ
مِثْلُ الصُّخُورِ فَأَمْسَتْ هَدَّتِ الجَسَدَا
قالوا الرسولُ قَدْ أَمْسَى مَيِّتًا فُقِدَا *
وَلَا تَرَى بَعْدَهُ مَالًا وَلَا وَلدًا **
مِنَ البَرِيَةِ حَتَّى أَدْخَلَ اللِّحْدَا
إِذَا تَذَكَّرْتُ أَنَّ يَ لَا أَرَاكَ بَدَا

1- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج 2، ص 320 .

- وينظر: أبو بكر الصديق: الديوان: ص ص 163- 164 .

* حيث الغداة به : جاءني نعيه بأكرا.

** لیت القیامة قامت: یهول الخطب ویتعنی ولو أن الدنیا انتهت مع موت النبی، عند مهلكه: المهلك: الهلاك أي عند موته .

وحدث تغییر طفیف فی الشطر الثانی من البیت فی الديوان : کیلا ترى .

2- ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج 2، ص 320 .

- وينظر: أبو بكر الصديق: الديوان: ص ص 152- 153 .

*** جاءت القصيدة التي في الديوان في ثمانية عشر (18) بيتا .

كان المصفاة في الأخلاق قد علموا، وفي العفاف فلم تعدل به أحدا
نفسى فدؤك من ميت و من بدن!

وروى البلاذري في أنساب الأشراف قال: « رثى أبو بكر الصديق رسول الله ﷺ بقصيدة**»

[الوافر]

منها قوله :

فُجِعْنَا بالنبي وكان فينا إمام كرامة نعم الإمام
وكان قوامنا والرأس منا فنحن اليوم ليس لنا قوام*
نموج ونشتكي ما قد لقينا ويشكو فقده البلد الحرام
فلا تبعد فكل كرم قوم سيذكره - ولو كره - الحمام**
فقدنا الوحي إذ وليت عنا وودعنا من الله الكلام
لقد أورتتنا ميراث صدق عليك به التحيّة والسلام»¹.

والواضح أن هذه الأشعار التي رثى بها أبو بكر الرسول ﷺ، هي في حقيقة الأمر صورة تكشف عن موقف أبي بكر الصديق الإيجابي من الشعر، فقد تمثل به ورواه، وقاله في مناسبات مختلفة .
ومهما يكن من أمر الارتباب الذي أثاره ابن هشام في " سيرة النبي ﷺ " حول بعض قصائد أبي بكر، فإنني وجدتها مثبتة في ديوانه.

ورغم الجدل الذي قام حول شاعرية الخليفة أبي بكر، فإنني لا أشك في حسه الفني، لأنه في نظري يعد شاعرا من الطراز العالي، وذلك لأن حبه للرسول ﷺ وإيمانه العميق بما جاء به الإسلام، كل ذلك دفع به إلى إبراز قدرته اللغوية، ومقدرته الخطابية والفنية، وأظهر حسن بيانه وفصاحته، وهي خصائص ضمنت له الكفاية في قول الشعر، ولا يمكن أن نتصور أن أبا بكر يفوت الفرصة أو الرد على قريش، لما أصبح الشعر سلاحا في المعركة اللسانية بين المسلمين والمشركين، وبخاصة أن الرسول ﷺ

*قوام القوم: عمادهم وركبتهم .

** الحمام (بكسر الحاء): الموت .

1- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج 2 ، ص 275 .

- وينظر : أبو بكر الصديق : الديوان ، ص ص 195 - 196 .

طلب من حسان بن ثابت لما أراد أن يهجو قريشا فقال له: " اهجهم وائت أبا بكر يخبرك أي بمعاييب القوم"، وقد زود أبو بكر حسان بن ثابت ببعض الأفكار فوظفها في شعره .
ويبقى الأمر مؤكداً أن الخليفة أبا بكر قد قال الشعر في مواقف مختلفة، وكان مرجعا من خلال حفظه للشعر والتمثل به وروايته، وهو من الصحابة الفصحاء المخضرمين الذين يحفظون الشعر الجاهلي والإسلامي معا ويعرف الفرق بينهما من حيث اللفظ والمعنى والدلالة والصورة .

2- موقف الخليفة عمر بن الخطاب من الشعر:

أما الخليفة عمر بن الخطاب (ت 23 هـ 644م) الخليفة الثاني (13 هـ 634م)، فقد كانت له مواقف متعددة إزاء الشعر والشعراء، وهذا ما تؤكد مصادره الأدب ونقده القديمة، حيث «لم تجد بعض المصادر حرجا في أن تنسب شعرا لأوائل المسلمين ومن أبرزهم خلفاء الرسول، فلم يكن حظر الشعر يشملهم إلا ما كان من رسول الله الذي نفى عنه القرآن صفة الشاعرية»¹ .

ومن أقدم مصادر السير التي روت أشعارا للصحابة: "السيرة النبوية" لابن إسحق (ت 150 هـ 768م) و"سيرة النبي" لابن هشام (ت 213 هـ 828م)، و"أنساب الأشراف" للبلاذري (ت 892م) ومن أقدم مصادر الأدب والنقد التي تنتمي إلى الغرب الإسلامي²، التي روت لهم أشعارا، "العقد الفريد" لابن عبد ربه (860-940م)، و"العمدة" لابن رشيق القيرواني (ت 1071م) .
ولكن ابن رشيق حينما روى أشعارا للخليفة عمر كان يرتاب في ما نسبه إليه، على أن النصوص المنسوبة إليه تنسب إلى شعراء آخرين .

وهذا الارتياب ليس منهج "العمدة" فحسب، بل هو أساسا منهج ابن إسحق قبله في "السيرة النبوية"، وابن هشام في "سيرة النبي" ، ومن النقاد القدماء ابن سلام الجمحي (139-231 هـ) .
ولكن ارتياب النقاد فيما نسب من الشعر إلى الخليفة عمر، يدفعنا إلى طرح السؤال الآتي:
هل قال الخليفة عمر بن الخطاب الشعر؟ أم أن الرواة نحلوه ما ذكرته مصادر الشعر؟

1- عبد العزيز جسوس: نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي، ص ص 54-55 .

2- المرجع نفسه، ص 55 .

حقيقة إن الإجابة على هذا السؤال تستوقفنا أمام نص صريح رواه ابن قتيبة (213-27هـ) في كتابه " الشعر والشعراء " يبرز فيه أن الخليفة عمر بن الخطاب لا يقول الشعر، واستدل على ذلك بحادثة وهي: « لما استشهد زيد بن الخطاب يوم مسلمة، دخل متمم على عمر بن الخطاب فقال: أنشدني بعض ما قلت في أخيك، فأنشده شعره الذي يقول فيه :

[الطويل]

وَكُنَّا كَنَدَمَائِيَّ حَزِيمَةَ حِقْبَةَ
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكًا
لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

فقال عمر: يا متمم لو كنت أقول الشعر لسرّني أن أقول في زيد بن الخطاب مثل ما قلت في أخيك»¹. وأيا كان الأمر، فإن قول ابن قتيبة في هذا النص على لسان الخليفة عمر " لو كنت أقول الشعر... " يدل على أن عمر لا يقول الشعر بنفس المستوى الفني الذي قال به متمم بن نويرة شعره، في رثاء أخيه فقط. وقول ابن قتيبة لا ينفي عن عمر الشعر إطلاقاً، لأن نفي ابن قتيبة قول الشعر عن عمر ، يتعارض مع كثير من المصادر التي روت له أشعاراً ، وكما يقول عبد العزيز جسوس: « والارتباب في قول عمر الشعر لا يتعارض مع أنه كان مستعداً لذلك، بل تمنى لو كانت له القدرة على رثاء أخيه مثلما رثى متمم أخاه، ولا يتعارض مع أنه كان ملماً إماماً واسعاً بالشعر حاضره وماضيه . ومقدراً لأهميته في النسيج النفسي العربي ومدركاً لدوره في سياق العلاقات الاجتماعية »².

ولهذا فإنه فيما نسب للخليفة عمر من قول الشعر، يؤكد ما روي عن الشعبي (ت103هـ/721م) في قوله: « كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة »³. والذي تؤكد المصادر ، أن الخليفة عمر « هو أكثر الخلفاء الراشدين ميلاً لسماع الشعر وتقويمه ، كما كان أكثرهم تمثلاً به »⁴.

وعلى هذا الأساس يمكننا إبراز موقفه من الشعر والشعراء فيما يأتي:

ما نسب من شعر لعمر بن الخطاب:

- 1- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ص 214 - 215.
- 2- عبد العزيز جسوس : نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 55 .
- 3- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 142 .
- 4- نايف معروف : الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، ص 169 .
- 5- ابن رشيقي : العمدة ، ج 1، ص 28

ذكر ابن رشيقي في "العمدة" بعض الأشعار التي قالها عمر: فقال: «ومن شعر عمر بن الخطاب

٣، وكان من أنقذ أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة، ويروى للأعور الشنبي: [المتقارب]

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْأُمُورَ بِكَفِّ الْإِلَهِ مَقَادِيرُهَا
فَلَيْسَ بِأَتِيكَ مِنْهَيْهَا وَلَا قَاصِرٌ عَنْكَ مَأْمُورُهَا⁵.

وقال ابن رشيقي: «ومن شعره أيضا، وقد لبس بردا جديدا، فنظر الناس إليه - وقد روي لورقة بن

نوفل في أبيات: [البسيط]

لَأَشِيءَ مِمَّا تَرَى تَبَقَى بِشَاشَتُهُ يَبْقَى الْإِلَهُ وَيَفْنَى الْمَالُ وَالْوَلَدُ
لَمْ تُعْنِ عَنِ هُرْمَزٍ يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَالْحُلْدَ قَدْ حَاوَلْتَ عَادًا فَمَا خَلَدُوا
وَلَا سَلِيمَانَ؛ إِذْ تَجْرِي الرِّيحُ لَهُ وَالْجُنُّ وَالْإِنْسُ فِيمَا بَيْنَهَا تَرُدُّ
حَوْضٌ هِنَالِكَ مَوْزُودٌ بِلا كَذِبٍ لِأَبْدٍ مِنْ وَرْدِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا¹.

وفي هذا الاتجاه جاء في "السيرة النبوية" لابن إسحق: «وقد قال عمر بن الخطاب: فيما يزعمون

بعد إسلامه يذكر ما رأت قريش من العبرة، فيما كان أبو جهل هم به من رسول الله ﷺ، وقائل يقول:

قالها أبو طالب: فالله أعلم بمن قالها: [المتقارب]

أَفَيْقُوا بَنِي غَالِبٍ وَأَنْتَهُوا عَنِ الْبَغْيِ فِي بَعْضِ ذَا الْمَنْطِقِ
وَالْأَفَائِي إِذَا خَائِفٍ بَوَائِقَ فِي دَارِكُمْ تَلْتَقِي
تَكُونُ لِغَابِرِكُمْ عِبْرَةً وَرَبِّ الْمَغَارِبِ وَالْمَشْرِقِ
كَمَا ذَاقَ مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ ثَمُودُ وَعَادُ فَمَنْ ذَا بَقِي
غَدَاةً أَتَاهُمْ بِهَا صَرَصَرًا وَنَاقَةُ ذِي الْعَرَشِ إِذْ تَسْتَقِي
فَحَلَّ عَلَيْهِمْ بِهَا سَخَطَةٌ مِنَ اللَّهِ فِي ضَرْبَةِ الْأَزْرَقِ
غَدَاةً يَعْضُ بِعُرْقُوبِهَا حُسَامٌ مِنَ الْهِنْدِ ذُو رَوْنِقِ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِكُمْ عَجَائِبُ فِي الْحَجْرِ الْمُلْصَقِ

1- ابن رشيقي: العمدة، ج 1، ص 34.

2- محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني: السيرة النبوية، حقيقه وعلق عليه وأخرج أحاديثه: أحمد فريد الميزيدي، ط 1، بيروت، لبنان، منشورات علي بيضون بدار الكتب العلمية، 1424 هـ 2004 م، ج 1، ص ص 246-247 ..

بِكفِّ الَّذِي قَامَ مِنْ حِينِهِ إِلَى الصَّابِرِ الصَّادِقِ الْمُتَّقِي
فَأَيَّسَهُ اللَّهُ فِي كَفِّهِ عَلَى رَعْمِ ذَا الْخَائِنِ الْأَحْمَقِ
أُحْيِمُقُ مَخْزَوْمَكُمْ إِذْ غَوَى بَعَى الْغَوَاةَ وَلَمْ يَصْدَقِ².

وأحسب أن الخليفة عمر بن الخطاب قد تمثل بهذه المقطوعات الشعرية تمثيلاً، في مناسبات مختلفة، ويبدو أن من سمعها منه، رواها على أنه قائلها، لهذا ارتاب الرواة في نسبتها إليه ومن بينهم ابن إسحق. ومن الأشعار التي ارتاب الرواة في نسبتها إلى الخليفة عمر بن الخطاب، ما جاء في الكامل للمبرد: « يروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: أتيت باب عمر بن الخطاب - رحمه الله - فسمعته ينشد بالركبانية:

و كيف تُؤايبني بالمدينة بعد ما قَضَى وَطَرًا مِنْهَا جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرِ

فلما استأذنت عليه قال لي: أسمعت ما قلت ؟ فقلت: نعم، فقال: إنا إذا خلونا قلنا ما يقول الناس في بيوتهم¹.

فعقب المبرد على هذا الحوار فقال: «...وَهُم أَبُو الْعَبَّاسِ - رحمه الله - في هذا، وإنما القصة أن عمر ابن الخطاب T هو الذي سمع عبد الرحمن بن عوف ينشد².

وتروي بعض مصادر السيرة، ما قاله الخليفة عمر في بعض المواقف في الجاهلية: فقد روى البلاذري: «كان إسلام عمر متأخراً، أسلم أخوه زيد بن الخطاب قبله، وكان سبب تأخر إسلام عمر أنه خرج إلى الشام ومعه مال فلقيه قوم فخافهم فألقم المال ناقته، فقالوا: إنا ننكر سقوط عيني هذه الناقة وإنا لنحسبه قد ألقمها مالا كان معه، فنحروها وأخذوا المال منه، وشقوا ما بين قصه* إلى ثنيته، فوأل** إلى أهل بيت من العرب فعالجوه، وأقام بالشام سنين، وقالوا: سنتين، وقال: [الرجز]

يَا لَيْتَ قَدْ فَصَلْنَا مِنْ مُعَانَ يَجْمَلْنَ مِنْ زَيْتٍ وَ مِنْ دِهَانِ

وزعفران كَدِمِ الْغَزْلَانِ³ «

1- أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد: الكامل في اللغة والأدب، بيروت، مؤسسة المعارف، د. ت، ج 1، ص 267.

2- المصدر نفسه، ص 287.

*القص: الصدر أو رأسه، الثنية: العانة.

**وأل: التجمد.

3- البلاذري: أنساب الأشراف، ج 10، ص 301.

وروي في المصدر نفسه أن الخليفة عمر بن الخطاب، « خرج في الجاهلية مع عمارة بن الوليد بن المغيرة إلى الشام أجيّرا، فشذت ناقة له فلحقها عمر بعد طلب فاعتقلها وطرحها لجنبها كسيّرا، فحسده عمارة على ما رأى من قوته، فقال: أنحرها وهبيّ لنا طعاما، فاختر عمر وأطبخ، وقدم إلى عمارة طعاما فقال له: الشحم الحار على الخبز الحار في اليوم الحار؟ ما تريد إلا قتلي، ثم وثب ليضربه فبادر إليه عمر بالسيف، فهرب عمارة من بين يديه. وعمر يقول:

[الرجز]

والله لولا شعبة من الكرم
وسبطة في الحبي من خالٍ وعم
لضمني الشر إلى شرٍ مضمّ
وما أساء مطعم ولا ظلم
إن خلط الخبز بلحمٍ و دسم¹.

المواقف التي قال فيها عمر بن الخطاب الشعر في الإسلام :

[البسيط]

روي في "السيرة النبوية" لابن إسحق قال : قال عمر حين أسلم :

الحمد لله ذي المنّ الذي وجبت
لله علينا أيادي ما لها غير
وقد بدأنا فكذبنا فقال لنا
صدق الحديث نبي عنده الخبر
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى
ربي عشية قالوا قد صبا عمر
وقد ندمت على ما كان من زل
بظلمها حين تتلى عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة
أيقنت أن الذي تدعوه خالقها
فقلت أشهد أن الله خالقنا
وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبي صدق أتى بالحق من ثقة².

والقصيدة كما تبدو من خلال الافتتاحية أنها إسلامية، وقد عبر الخليفة عمر عن ندمه مما بادر

منه تجاه الرسول ﷺ ، وفيها يعلن ويؤكد إسلامه .

1- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج 10 ، ص 329 .

2- ابن إسحق : السيرة النبوية ، ج 1 ، ص 223 .

3- جابي زادة علي فهمي : من حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة ، ج 1، ص ص 324- 325 .

ومما يعزى إليه من شعر يعبر عن موقفه يوم فتح مكة مشيدا بنصرة الدين الإسلامي، ودور الفاتحين

ولخاصة الصحابييين الزبير وخالد ، وفرحة رسول الله ﷺ بالفتح قوله: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ قَبْلَ ذَلِكَ حَائِدٍ
وَأَسْلَبَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ بَعْدَمَا تَدَاعَوْا إِلَى أَمْرِ الْعَيِّ فَاسِدٍ
عِدَاةَ آجَالِ الْخَيْلِ فِي عَرَصَاتِهَا مُسَوِّمَةً بَيْنَ الزَّبِيرِ وَخَالِدِ
فَأَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ قَدْ عَزَّ نَصْرُهُ وَأَمْسَى عِدَاهُ مِنْ قَتِيلٍ وَشَارِدٍ³.

وعن أبي وحزة قال: « قال عمر لأعرابي و هو يعلمه الصلاة: [الرجز]

إِنَّ الصَّلَاةَ أَرْبَعٌ وَأَرْبَعٌ ثُمَّ ثَلَاثٌ بَعْدَهُنَّ أَرْبَعٌ
ثُمَّ صَلَاةُ الصُّبْحِ لَا تُضَيِّعُ

قال : و هما ركعتان¹.

فعمر قد تصرف مع الأعرابي بحكمة، وعرفه مواقيت الصلاة وعددها بالرجز لأن العرب أحفظ للشعر .

ومما قاله أيضا ما روي « عن عاصم بن عمر عن عبد الله بن عمر، أن كعب الأحبار قال لعمر: يا أمير المؤمنين أنت ميت في ثلاث، أجد ذلك في كتاب الله، قال: أتجد اسمي و نسبي؟ قال: لا، ولكن أجد صفتك وسيرتك، فقال عمر: [الطويل]

أَيُّوعِدُنِي كَعْبٌ ثَلَاثًا أَعْدَهَا وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَ لِي كَعْبُ
وَمَا بِي خَوْفُ الْمَوْتِ إِنْ لَمِيتَ وَلَكِنْ خَوْفِي الدَّنْبُ يَتَّبِعُهُ الدَّنْبُ².

ومن المواقف التي قال فيها الخليفة عمر بن الخطاب الشعر وفاة الرسول ﷺ، والصحابة :

1- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج 10 ، ص ص 355 - 356.

2- المصدر نفسه ، ج 10، ص 429 .

3- المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 275 .

وذلك لما توفي الرسول ﷺ، حزن عليه الصحابة حزنا شديدا ، ورثاه الصحابة الشعراء والصحابيات، كما رثاه عمر بن الخطاب ؓ بشعر فيه لوعة عن فراق الرسول وحزنا لفقده ، فقال البلاذري : « قال عمر شعرا كتبنا منه أبياتا وهي :

[المتقارب]

مازلتُ مُدَّ وضع الفراش جثته وثوى، مريضاً خائفٌ أتوقعُ
شققاً عليه أن يُرْوَلَ مكانه عتاً فيبقى بعده المتفجعُ
فأليبيك أهلاً المدينة كلُّهم والمسلمون بكل أرض تجزعُ
نفسِي فداؤك من لنا في أمرنا أم من نساوره إذا نتوجعُ»³.

وكان الصحابي عمر قوي الشعور عميق الحزن، يتأثر لما يصيب المسلمين في فقدهم لرجالهم، ففي حديث عمر ؓ يرثي عروة بن مسعود الثقفي، وفي مادة "زور" وفي شعر عمر ؓ: [البيسيط]

بالخيل عابسة زوراً مناكبها تعدوا شواذب بالشعث الصناديد»¹.

ولما توفي أبو بكر الصديق ؓ رثاه الخليفة عمر بهذه الأبيات حين رجع من دفنه فقال:

[مجزوء الكامل]

ذهب الذين أحبُّهم فعليك يا دنيا السلام
لا تدكرين العيش لي فالعيش بعدهم حرام
إني رضيع وضاهمهم والطفل يؤلمه الفطام»².

وكان الخليفة عمر يدعو إلى حفظ الشعر وروايته لأنه مصدر من مصادر اللغة العربية، وبه يفهم القرآن العظيم ويفسر، فقال القرشي في حديثه " عن اللفظ المختلف وجماز المعنى " ما جاء موافقا لما جاء في القرآن العظيم « قول عمر بن الخطاب ؓ:

[المديد]

يكلأ الخلق جميعاً إنه كالى الخلق، ورزاق الأمم

لكالى : الحافظ قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ ﴾³.

1- جاي زاده علي فهمي: من حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة ، ج1 ، ص 322 .

2- الأبيسيهي: المستطرف في كل فن مستظرف ، ج2 ، ص306.

3- القرشي: جمهرة أشعار العرب ، ص 34 .

4- جاي زاده علي فهمي: من حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة، مقدمة الكتاب: محمد خالص بن محمد الشرواني، ج1، صفحة غير مرقمة.

ومن المواقف التي دعا من خلالها عمر المسلمين إلى حفظ الشعر العربي لفهم القرآن العظيم: ذلك « لما قرأ وهو على المنبر قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ الآية . قال للصحابة ما تقولون في معنى هذه الآية أي معنى التخوف ، فسكتوا فقام شيخ من هذيل، فقال: هذه لغتنا يا أمير المؤمنين، التخوف التنقص، فقال عمر: وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ فقال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَأْمِكًا قَرْدًا كَمَا تَخَوَّفَ عُوْدُ النَّبَعَةِ السَّفْنَ

فقال عمر: عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا، قال: شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم⁴.

وهنا يظهر حرص الخليفة عمر على فهم القرآن العظيم، والمحافظة على حفظ الشعر الجاهلي وروايته .

المواقف التي تمثل فيها الخليفة عمر τ بالشعر :

تعد شخصية الخليفة عمر بن الخطاب - المتميزة - التي هذبها الإسلام وصاغ منها عبقرية نادرة ، متعددة الجوانب، سياسيا ودينيا وأديبا، وبخاصة « في مجال الشعر تشهد الحال بعلو كعب أبي حفص في المعرفة به، والبصر بشأنه والعناية بروايته، إنه يحتل حيزا ذا بال في تفسيره واهتمامه، فهو حَفْظَةٌ واسع الرواية لعيون وشوارد أمثاله، وهو يحرص على الاستشهاد به وتوظيفه في كثير مما يعرض له من شؤون الحياة¹، ولقد كان الخليفة عمر مسؤولا عن السلطتين: الدينية والسياسية، وهو القائد الأعلى للمسلمين، فكان يرعى الحق ويدحض الباطل، ويرى من واجباته رعاية الكلمة الطيبة وإشاعتها ، وتركية القول الحسن، فكانت أخلاقه تشيع في المجتمع الإسلامي، ويشيع معها عدله وإعجابه بالقول الحسن، مما ينشده في مجالسه أو رحلاته، أو يتمثل به، ولكثرة ما روي عنه، أنه « لا يكاد يعرض له أمرا إلا أنشد فيه بيت شعر² .

1- وليد قصاب : شخصيات في الأدب والنقد ، ص 15 .

2- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين ، صيدا ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1422 هـ 2001 م ، ج 1 ، ص 151 .

3- المرزوق : الكامل في اللغة والأدب ، ج 2 ، ص 169 .

* امرأة حكيمة من العرب .

4- الجاحظ : البيان والتبيين ، ج 1 ، ص 38 .

وفي هذا الصدد روى المبرد قال : قال ابن عباس : « ما رأيت أروى من عمر »³.

وجاء في "البيان والتبيين" عن إنشاد الخليفة عمر للشعر، أنه: « قيل للأوسية* أي منظر أحسن؟ فقالت: قصور بيض في حدائق خضر، فأنشد عند ذلك عمر بيت عدي بن زيد العبادي: [الخفيف]

كَدُمَى الْعَاجِ فِي الْحَارِيبِ أَوْ كَاكَ بِيضِ فِي الرُّوضِ زَهْرٌ مُسْتَنْبِرٌ⁴.

وفي مواقف تمثل عمر بالشعر ذكر الجرجاني في "دلائل الإعجاز" أنه قال: «أبي عمر - رضوان الله عليه - بجلل من اليمن، فأتاه محمد بن جعفر بن أبي طالب، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله، ومحمد بن طالب، فدخل عليه زيد بن ثابت τ فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء المحمدون بالباب يطلبون الكسوة، فقال: ائذن لهم يا غلام، فدعا بجلل، فأخذ زيد أجودها [حلة]، وقال هذه لمحمد بن حاطب، وكانت أمه عنده، وهو من بني لؤي، فقال عمر τ : "أيها أهيات" وتمثل بشعر عمارة بن الوليد:

[الطويل]

أَسْرَكَ لِمَا صُرِّعَ الْقَوْمُ نَشْوَهُ خُرُوجِي مِنْهَا سَالِمًا غَيْرَ غَارِمٍ
بَرِيئًا كَأَنِّي قَبْلُ لَمْ أَكُ مِنْهُمْ؟ وَلَيْسَ الْخِدَاعُ مُرْتَضِيًّا فِي التَّنَادِمِ

ردها، ثم قال: اتتني بثوب فألقه على هذه الحلل، وقال: أدخل يديك فخذ حلة، وأنت لا تراها، فأعطهم، قال عبد الملك: فلم أر قسمة أعدل منها¹.

وذكر البلاذري عن سعيد بن المسيب قال: « حج عمر فلما كان بضحنان، قال: لا إله إلا الله العظيم العلي، المعطي ماشاء من شاء! كنت أرى إبل الخطاب بهذا الوادي في مدرعة صوف، وكان فظا غليظا، يتعبنى إذا عملت، ويضربني إذا قصرت، وقد أمسيت وليس بيني وبين الله أحد، ثم تمثل:

[البيسيط]

لَا شَيْءَ فِيمَا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ يَبْقَى الْإِلَهُ وَيَفْنَى الْمَالُ وَالْوَلَدُ
لَمْ تُعْنِ عَنْ هُرْمُرٍ يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَالخَلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادًا فَمَا خَلَدُوا
وَلَا سَلِيمَانَ، إِذْ تَجْرِي الرِّيَّاحُ لَهُ وَالْإِنْسُ وَالْجِنَّ فِيمَا بَيْنَهَا تَرْدُ
أَيْنَ الْمَلُوكِ الَّتِي كَانَتْ نَوَافِلُهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا رَاكِبٌ يَفْدُ

1- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 13-14.

2- الطبري: تاريخ الطبري، ج 4، ص 219-220.

حوضٌ هنالك مورودٌ بِلَا كَذِبٍ لا بُدَّ مِنْ وَرْدِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا»².

وفي تمثله بالشعر: « كان عمر بن الخطاب τ يقول في بعض ما يرتجز من شعر* : [الرجز]

إِلَيْكَ تَعْدُو قَلْقًا وَضِيئَهَا مُخَالِفًا دِينَ النَّصَارَى دِينَهَا

وقد عقب ابن عبد ربه على هذا البيت من خلال تمثل عمر به فقال : « فجعل الدين للناقة ،

وإنما أراد صاحب الناقة، ولم تزل الشعراء في مدائحها تصف النوق وزيارتها لمن تمدحه»¹.

ونظرا لأهمية الشعر وقيمه المعنوية والفنية وتأثيره النفسي، فكان الخليفة عمر يتمثل في كل موقف

بما يناسبه من شعر حيث « كان عمر يتمثل بقول الشاعر: [الطويل]

خَلِيلِي لَيْسَ الرَّأْيُ فِي صَدْرٍ وَاحِدٍ أَشِيرًا عَلَيَّ الْيَوْمَ مَا تَرَيَانِ

أُرْكَبُ صَعْبَ الْأَمْرِ إِنَّ دُلُولَهُ بِنَجْرَانٍ لَا يَقْبِضُ بَحِينَ أَوَانِ

ويكتب به إلى بعض أمرائه وقضاته»².

وهدف الخليفة عمر من معنى البيتين، أنه مهما كانت خبرة الإنسان في الحياة، ومهما جمع من معرفة

في صدره، فإنه تأتي اللحظة التي يكون فيها في حاجة إلى مشورة أهل الحكمة والرأي السديد .

* هذا الشعر لكرز أخو أبي الحارث بن علقمة، قاله لما قدم على النبي ρ في وفد نجران من النصارى وقال ابن هشام : « إن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبنا عندهم، فلما مات رئيس منهم فأفضت الرئاسة إلى غيره ختم على تلك الكتب خاتما من الخواتم التي كانت قبله، ولم يكسرهما، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي ρ يمشي فعثر، فقال ابنه: تعس الأبعد، يريد النبي ρ ، فقال له أبوه: لا تفعل، فإنه نبي واسمه في الوضائع (يعني الكتب)، فلما مات لم تكن لابنه همة إلا أن شد، فكسر الخواتم، فوجد فيها ذكر النبي ρ ، فأسلم، وحسن إسلامه، وحج وهو الذي يقول: [الرجز]

إليك تغدوا قلقا وضيئها معترضا في بطنها جنينها

مخالفا دين النصارى دينها » .

- ابن هشام: سيرة النبي ρ ، ج 2، ص 205 .

1- ابن عبد ربه: العقد الفريد، 5، ص 333 .

- وينظر : ابن هشام: سيرة النبي ρ ، ج 2، ص 205 .

2- نقلا عن : وليد قصاب: النقد العربي القديم ، نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي ، ص 72 .

- ابن عبد البر القرطبي: بحجة المجالس وأنس المجالس، ج 1، ص 453 .

3- أبو عبد الله سيد بن كسروي بن حسن: موسوعة آثار الصحابة، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1418هـ 1997م. ج 1، ص 262.

4- المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 356 .

وعن أبي جعفر: أن « رجلا صحب عمر بن الخطاب إلى مكة ، فمات في الطريق ، فاحتبس عمر عليه حتى صلى عليه ودفنه ، فقل يوم إلا كان عمر يتمثل ويقول:

[الطويل]

وبالغ أمرٍ كان يأملُ دونهُ ومختلجٍ من دُونِ ما كان يأملُ»³.

[الطويل]

و« عن عمر بن الخطاب τ أنه كان يتمثل و يقول:

لا يَغْرَنكَ عَيْشُ سَاكِنٍ قَدْ يُوَاوِي بِالنِيَةِ السَّحَرَ»⁴.

ومما تمثل به ما روي عن ابن عباس قال: « خرجت مع عمر في بعض أسفاره فإنا لنسري ليلة ،

[الطويل]

وقد دنوت منه إذ ضرب مقدم رحله بسوطه، وقال:

كَذِبْتُمْ وَبَيْتُ اللَّهِ يُقْتَلُ أَحْمَدُ وَ لَمَّا نُطَاعُنْ دُونَهُ وَنُنَاضِلُ

وَنُسَلِمُهُ حَتَّى نُصْرَعُ حَوْلَهُ وَنُدْهِلُ مِنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلُ

[الطويل]

ثم قال: أستغفر الله، وسار فلم يتكلم إلا قليلا، ثم قال:

و ما حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَبْرٌ وَأَوْقَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ

وَأَكْسَى لِبَرْدِ الْحَالِ قَبْلَ ابْتِدَالِهِ وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّنَابِقِ الْمَتَجَرِّدِ

ثم قال: أستغفر الله يا ابن عباس، أبوك عم رسول الله وأنت ابن عمه، فما منع قومك منكم ؟

قال: قلت: لا أدري، قال: لكني أدري، يكرهون أن تجمع فيكم النبوة والخلافة»¹.

البيتان الأولان هما من " لامية " أبي طالب عم الرسول ρ ، الذي عبر فيها لقريش بأنه سيدافع عن ابن أخيه ولن يسلمه لهم ليقتلوه . وأما البيتان الآخران فهما لأنس² بن زنيم، قالهما في قصيدة اعتذر فيها للرسول ρ ، ومدحه، وعبر له فيها عن خوفه، لأن الرسول أهدر دمه، جراء ما بلغه عنه من هجاء، وهذه القصيدة من أجمل ما اعتذر بها للرسول الكريم. والخليفة عمر قد حفظها لما فيها من صدق الإيمان، وحفظ من الشعر ما كان له علاقة بمدح الرسول وكان يشع بالجمال الروحي والحس الإسلامي العميق.

1- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج 10 ، ص ص 378-379 .

- الطبري : تاريخ الطبري ، ج4، ص 322 .

2- ابن هشام: سيرة النبي ρ ، ج 4 ، ص 46 وما بعدها .

3- أبو عبد الله سيد بن كسروي بن حسن : موسوعة آثار الصحابة ، ج1 ، ص 328 .

ويروى: أن « عمر بن الخطاب ركب راحلة له وهو محرم، فتدلت فجعلت تقدم رجلا وتؤخر أخرى، فقال عمر:

[البسيط]

كَأَنَّ رَاكِبَهَا عُصْنٌ بِمَرْوَحَةٍ إِذَا تَدَلَّتْ بِهِ أَوْ شَارِبٌ تَمَلُّ

ثم قال: الله أكبر ، الله أكبر «³.

لقد كانت المواقف التي تمثل فيها الخليفة عمر بالشعر، تستدعي ذلك منه، لإثارة حكمة ولفت الانتباه، والتذكير بالحدث التاريخي الذي يتضمنه ذلك الشعر الذي يستحضره، لأنه يرى في ذلك دلالة تاريخية تعبر عن موقف كان له الأثر الواضح في التجربة الشعرية العربية، وهذا ما يبين لنا قوة حفظه للشعر، واستحضاره واستظهاره حال التمثل به .

المواقف التي سمع فيها الخليفة عمر الشعر وصدق صاحبه:

إن المتأمل في الشعر الذي استمع إليه الخليفة عمر، يدرك أنه كان يعبر عن قضية سياسية، أو يثبت فكراً معيناً، أو يوجه المتلقي إلى ما ينبغي سلوكه والاعتداء به ، وفي هذا كله دلالة على أن مواقف عمر من الشعر تأكيد لما دعا إليه الله ورسوله .

وللخليفة عمر بعض المواقف سمع فيها الشعر، وصدق صاحبه نظراً لما استوعبه وفهم ما قيل له، من ذلك ما روي عن ابن عمر قال: « ما سمعت عمر بن الخطاب يقول لشيء قط " إني لأظن كذا وكذا " إلا كما يظن، بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل، فقال له: " أخطأ ظني أو أنك على دينك في الجاهلية أو لقد كنت كاهنهم "، [قال] : وما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم، قال عمر: " أعزم عليك إلا أخبرتني "، قال: كنت كاهنهم في الجاهلية ، قال: " فما أعجبك ما جاءتك به جنيتك " ؟ ، قال: بينا أنا يوماً في شرف جاءتني أعرف فيها الفزع، قالت:

[الرجز]

أَلَمْ تَرَ الْجُنَّ وَإِبِلَا سَهَا وَبَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسَهَا

وَلِحُقُوقِهَا بِالْقَلَاصِ وَأَحْلَاسَهَا

قال عمر: " صدق " .

[قال] : بين أنا نائم عند آهتهم إذ جاء رحل بعجل فذبحه ، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه يقول: يا حليح ، أمر نجيح رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله ، فوثب القوم ، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى كذلك الثانية، والثالثة، فقامت فما نشبت أن قيل: هذا نبي «¹ . يظهر أن الخليفة عمر يتذوق الشعر ويفهم معانيه ، ويصدق قائله حتى ولو كان كاهنا، وله علاقة بجني شاعر .

ومما سمع من شعر فصدق صاحبه، « ما روي عن الشعبي عن السائب قال: ربما قعد على باب ابن مسعود رجال من قريش، فإذا فاء الفيء ، قال عمر: " قوموا فما بقي فهو للشيطان " ، ثم لا يمر على أحد إلا أقامه ، قال: ثم بينا هو كذلك، إذ قيل: هذا مولى بني الحسحاس يقول الشعر، فدعاه فقال: " كيف كنت قلت ؟ " ، فقال:

وَدَّعْ سُلَيْمِي إِنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

قال: " حسبك صدقت ، صدقت " «² .

وعن أبي كبشة: « إني لأرجز في عرض الحائط وأنا أقول:

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلَا دَبْرٍ
فَاغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَجْرٌ

قال: فما راعني إلا وهو خلف ظهري ، فقال: " أقسمت هل علمت بمكاني ؟ " قلت: لا ، والله يا أمير المؤمنين ما علمت بمكانك ، قال: " وأنا أقسم لأحملنك " «¹ .

1- أبو عبد الله سيد بن كسروي بن حسن: موسوعة آثار الصحابة ، ج1 ، ص ص 243- 244 .

2- المرجع نفسه ، ج1 ، ص ص 326- 327 .

1- أبو عبد الله سيد بن كسروي بن حسن: موسوعة آثار الصحابة ، ج1 ، ص 161 .

* أي مهزولة مقروحة .

2- المرجع نفسه ، ج1 ، ص 243 .

** هذا البيت هو من معلقة طرفة بن العبد، يتقدم ثلاثة أبيات، حدد فيها طرفة مبادئه التي يعيش لأجلها، فقال:

فمنهن سَبَقِي العاذلاتِ بشرية كُفَيْتِ، متى ما تُغَلِّ بالماء تُزِيدُ
وَكُرِّي - إذا نادَى المِضَافُ - مُحَبَّبًا كَسِيْدِ العَضَا، نَبَّهْتُهُ المِثْوَرِدُ
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ، والدَّجْنُ مُعْجَبٌ، بِبَهْكَتِهِ تَحْتِ الحِيَاءِ المَعْمَدِ .

- أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني: شرح المعلقات السبع، تحقيق ودراسة: محمد عبد القادر أحمد، القاهرة، توزيع مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده ، 1407هـ 1987م . ص ص 195- 196 .

وعن محمد بن سيرين قال: « سأل عمر رجلا عن إبله ، فذكر عجفا ودبرا* فقال عمر : " إني لأحسبها ضخاما سمانا " ، فمر عليه عمر ، وهو في إبله يحدها ويقول: [الرجز]

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصِ عُمَرُ
مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلَا دَبْرٍ
فَاغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَجْرًا .

فقال عمر: " ما هذا ؟ " قال: أمير المؤمنين سألني عن إبلي ، فأخبرته عنها فزعم أنه يحسبها ضخاما سمانا، وهي كما ترى قال: " فيإني أمير المؤمنين عمر، ائتني في مكان كذا وكذا، فأتاه ، فأمر بها فقبضت ، وأعطاه مكانها من إبل الصدقة «² .

ومما هو ظاهر أن الخليفة عمر كان لا يروي ولا يسمع من الشعر إلا أعفه، وذلك بحكم تكوينه النفسي والتزامه لحدود الإسلام، لهذا نراه حين « أنشده رجل قول طرفة: [الطويل]

قَلُولًا ثَلَاثَةٌ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى
وَجَدَّكَ لَمْ أَحْعَلْ مَتَى قَامَ عُودِي**

فقال عمر: لولا أن أسير في سبيل الله، وأضع جبهي لله، وأجالس أقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التمر، لا أبالي أن أكون قد مت «³ .

لقد أدرك الخليفة عمر ما يرمي إليه طرفة في شعره، « فلولا حيي ثلاث خصال من لذة الفتى الكريم، لم أبالي متى مت..إحدى تلك الخلال: أني أسبق العواذل بشرب شربة من الخمر كميت اللون، قبل انتباه العواذل، والثانية: عطفي إذا ناداني الملجأ إلي والخائف من عدوه مستغيثا إياي...فأعطف في إغاثته، والخصلة الثالثة: أقصر يوم الغيم بالتمتع بامرأة ناعمة حسنة الخلق، تحت بيت مرفوع بالعمد «¹ .

فعبير الخليفة عمر عن عدم استساغته « هذه المبادئ، واعتبرها منافية للنظرة الإسلامية للوجود، وللأخلاق الإسلامية التي يجب تكريسها في سلوك الناس»² .

لهذا نجده يعلق على هذه الخصال التي كان طرفة يعيش لأجلها، « فقابلها بخصال ثلاث يحبها هو، وهذه هي: السير في سبيل الله ، والصلاة له ، ومجالسة أهل الأدب المنتقي، وهنا نشعر أن عمر أمين

3- الجاحظ : البيان والتبيين ، ج 2 ، ص 326 .

1- الزوزني : شرح المعلقات السبع ، هامش ص ص 196- 197 .

2- عبد العزيز جسوس : نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 57 .

3- عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 70 .

4- الطبري : تاريخ الطبري ، ج 4 ، ص 220 .

مع نفسه ودينه ، فهو ينكر من القيم الجاهلية ما يتعارض والدين، ويحاول أن يُبدلها ويُجِلُّ محلها قيمًا مستوحاة من الإسلام»³.

وفي رأي الخليفة عمر ما ينم عن حرصه المستمر، في مراقبة الشعر الذي يتعلق به الرواة في عصره، دون النظر إلى ما يحمل من مخلفات فكرية تعلق بها الشعراء الجاهليين ، تتنافى والمبادئ الإسلامية ، لهذا كانت حكمته البالغة أن يجد مخرجًا سليماً ليقابل به ما تعلق به طرفة .

ويروى أن عمر خرج حاجاً، « فبينما هو يسير إذ لحق راكباً يقول:

مَا سَأَسْنَا مِثْلَكَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ
أَبْرَ بِالْأَقْصَى وَلَا بِالْأَضْحَابِ

بعَدَ النَّبِيِّ صَاحِبَ الْكِتَابِ

فخنسه عمر بمحصرة معه، و قال: فأين أبو بكر ! »⁴.

وهذا يبين أن الخليفة عمر كان يتذوق الشعر، ويفهم معانيه، ويدرك مراميهِ وأغراضه، ومقاصد الشعراء. ولهذا نجد الشاعر بأبي بكر الصديق الخليفة الأول الذي ساس المسلمين بالعدل ، كأنه رفض أن يثنى عليه و يمدح قبله .

المواقف التي أُعجب فيها الخليفة عمرؓ بالشعر:

روي « أن عبد الرحمن بن عوف كان في سفر، وكان رباح بن مغترف يغنيه، فأدركه عمر فقال: ما هذا يا عبد الرحمن ؟ ، فقال: نقطع به سفرنا، فقال عمر: إن كنت لا بد فاعلا فخذ: [الطويل]

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَالطَّرَادِ الْمَذَاهِبِ
لِعَمْرَةَ وَحَشًّا غَيْرَ مَوْقِفِ رَاكِبِ

تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ
بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَظَنَّتْ بِحَاجِبِ»¹.

« فعمر ؓ لا يرى بأساً أن يتغنى بهذا الغزل الرقيق الذي لا مجانة فيه ولا فحش »².

1- نقلا عن: وليد قصاب : شخصيات إسلامية في الأدب والنقد ، ص 24 .

- أمالي البيهقي ، ص 101 .

2- وليد قصاب : شخصيات إسلامية في الأدب والنقد ، ص 25 .

3- أبو عبد الله سيد بن كسروي بن حسن : موسوعة آثار الصحابة ، ج 1 ، ص 530 .

4- ابن رشيقي: العمدة ، ج1، ص 47.

5- ابن عبد ربه: العقد الفريد ، ج 5 ، ص 281 .

وفي هذا السياق روي عن ابن شهاب قال : « كان عمر يأمر برواية قصيدة لبيد بن ربيعة التي يقول

[الرمل]

فيها:

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَقَلٌ وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَبِّي وَعَجَلٌ
أَحْمَدُ اللَّهِ فَلَا نَدَّ لَهُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلٌ
مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَظَلُّ³.

وهذه الأبيات فيها موعظة ، والخليفة كان يرويهها ليعظ بها نفسه .

[الوافر]

و أنشد عمر بن الخطاب قول زهير:

فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءٌ⁴.

فعقب ابن عبد ربه على إعجاب الخليفة عمر بمعنى البيت، فقال: « فجعل عمر يعجب بمقاطع الحقوق وتفصيلها، وإنما أراد: مقطع الحقوق يمين أو حكومة أو بينة »⁵. وقال ابن رشيقي: « وسمي زهير "قاضي الشعراء" بهذا البيت، يقول: لا يقطع الحق إلا الأداء، أو النفار- وهو الحكومة- أو الجلاء- وهو العذر الواضح- ويروي "يمين أو نفار" وهذه الثلاث على الحقيقة هي مقاطع الحق كما قال، على أنه جاهلي، وقد وكَّدها الإسلام»¹، فتعجب عمر من معنى البيت، الذي « يشير إلى الصدق والدقة والإيجاز وهي من صفات الشعر»²، وأعجب عمر بالنظر الثاقب لزهير من خلال تحديده لمقاطع الحقوق التي جاء بها الإسلام، على « اعتبار لتحديد خطة للفصل بين الناس في منازعاتهم تعتمد على البينة والشهود، وهي المبادئ التي جعلت عمر بن الخطاب مضرب المثل في العدل والإنصاف »³.

[البسيط]

وفي الاتجاه نفسه، « أنشد عمر قول عبدة بن الطيب:

والعيشُ شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميلٌ

1- ابن رشيقي : العمدة ، ج1، ص 47.

2- صالح عطية صالح : نظرات في النقد الأدبي القديم ، ط 1، القاهرة ، مكتبة الآداب ، 1424 هـ 2003م ، ص 17.

3- عبد العزيز جسوس : نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 59 .

4- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 5 ، ص 281 .

5- الجاحظ : البيان والنبين ، ج1، ص ص 53- 54 .

6- أبو عبد الله سيد بن كسروي بن حسن : موسوعة آثار الصحابة ، ج 1، ص 366 .

7- المرجع نفسه، ج1، ص 391 .

فقال: على هذا بنيت الدنيا»⁴.

«ومنهم سحيم عبد بني الحسحاس قال له عمرؓ وأنشد قصيدته التي أولهاك : [الطويل]

عميرة ودع إن تجهزت غادياً كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

لو كان شعرك كله مثل هذا لأجزتك... والحكاية مروية عن عمرؓ في غير هذا الموضوع... لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك»⁵. وهذا يدل على إعجاب الخليفة عمر وتذوقه لشعر سحيم .

وفي رواية عن أبي حصين قال: « قال عمر بن الخطاب: لله در الذي يقول: [الطويل]

عميرة ودع إن تجهزت غادياً كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً»⁶.

وعن ابن عباس: « قال عمر بن الخطاب: ما في شعر العرب أحكم من قول العبديين : [الطويل]

لقد عَزَّتِ الدنيا رجالاً فأصَبَحُوا بمنزلة ما بَعَدَهَا مُتَحَوَّل

فَسَاخَطُ أمرٍ لا يبدلُ غيره وراضٍ بأمرٍ غيره سَيَبْدَلُ

وبالغ أمرٍ كان يأملُ دُونَهُ ومختلجٌ من دونه ما كان يأملُ»⁷.

وروى الجاحظ أن الخليفة عمر بن الخطاب « أنشدوه قصيدة أبي قيس بن الأسلت التي على العين

وهو ساكت ، فلما انتهى المنشد إلى قوله: [السرير]

الكَيْسُ والقُوَّةُ خيرٌ من آلِ إشفاقٍ والفَهْمَةُ والهاع* .

...جعل عمر يردد البيت ويتعجب منه»¹. وفي هذا دعوة صريحة إلى الحكمة والقوة في مواضعها .

وكان ؓ يحب سماع الشعر ، « وكان أحب الشعر إلى نفس عمر شعر زهير بن أبي سلمى لما فيه

من حكمة وموعظة ودعوة للخير والخلق الرفيع ، وتحري الصدق ومجانبة الغلو والإسراف في المديح

والمهجاء، وتلك الشمائل، يجبها عمر»².

*إشفاق : الخوف ، الفهمه : العي والحصر ، والهاع: الجبان .

1- الجاحظ : البيان والتبيين ، ج1 ، ص 151 .

2- يحيى الجبوري : الإسلام والشعر ، ص85 .

3- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص 291 .

4- المصدر نفسه ، ج5 ، ص 291 .

ولعل هذا ما دعا عمر إلى الإعجاب بشمائل هرم بن سنان من خلال ما سمعه من شعر زهير بن أبي سلمى ، وفي ذلك توجيه صريح إلى عامة المسلمين وخاصتهم بضرورة الارتباط بهذه الأخلاق .
وفي هذا قال ابن عباس: « قال لي عمر بن الخطاب: أنشدني قول زهير، فأنشدته قوله في هرم بن سنان بن حارثة حيث يقول:

قَوْمٌ أَبُوهُمْ سِنَانٌ تَسْبِيهُمُ طابوا وطابَ مِنَ الْأَفْلاذِ ما وَلَدُوا
لَوْ كانَ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَوْلِهِمْ أوِ مَجْدِهِمْ فَعَدُوا
جِنَّ إِذا فَرَعُوا إِنْسٌ إِذا أَمِنُوا مُرَزُّونٌ بِهاليلٍ إِذا اِخْتَشَدُوا
مُحْسَدُونَ عَلى ما كانَ مِنْ نَعَمٍ لا يَنْزِعُ اللهُ مِنْهُمَ ما لَهُ حُسَدُوا

فقال عمر : ما كان أحب إلي لو كان هذا الشعر في أهل بيتي رسول الله ﷺ»³.

فعقب ابن عبد ربه على قول عمر ع، قائلا: « أنظر إلى ضنانة عمر بالشعر، كيف لم ير أحدا يستحق مثل هذا المدح إلا أهل بيت محمد - عليه الصلاة والسلام-»⁴.

والخليفة عمر في هذا الموقف، يريد أن يطابق شرف معنى الأبيات بعلو شرف منزلة أهل بيت رسول الله ﷺ، وهو إعجاب ينم عن إدراك شاعرية الأبيات ، وتفضيل أهل بيت رسول الله ﷺ لأنهم « أهل

لذلك ، وتلك أوصاف توافق خصالهم وشمائلهم»¹.

وهكذا فإن الخليفة عمر لم يكن إعجابه إلا بشعر الحكمة، ودلالة عمق معناه وصوابه، لهذا كان لا يفوته شيء مما يعرض عليه من جميل القول .

المواقف التي تأثر فيها الخليفة عمر ع عند سماعه الشعر :

1- يحيى الجبوري : الإسلام والشعر ، ص 86 .

2- أبو عبد الله سيد بن كسروي بن حسن : موسوعة آثار الصحابة ، ج 1 ، ص 255 .

* يقال : انتفخ سحره و امتلأ سحره إذا انتفخت أوداجه من شدة الغضب .

** قوله بالسرارة : هي يفتح السين : اسم لجملة مواضع كسرة مجبلة و غيرها : والمراد أراد قومه ومنازلهم .

لقد كان الخليفة عمر يحب سماع الشعر، ويتمعن في معانيه ويعجب بدلالاتها ويتأثر تأثراً شديداً إلى حد البكاء ، « من ذلك كان عمر بن الخطاب τ ، جالسا ذات يوم فقال : " أيكم يحفظ أبيات أبي اللحام التغلبي ؟ " ، فلم يجبه أحد بشيء ، فلما كان بعد أتاه ابن عباس فأنشده أبيات أبي اللحام :

[الطويل]

خليليّ رُدَّاني إلى الدَّهرِ إنني أرى الدَّهرَ قد أفنى القرون الأوائل
 كأنَّ المنايا قد سقطتْ بي سَطْوَةً و أَلقتْ إلى قبرِ عَلِيٍّ الجَنَادِلَا
 ولستُ بأبقي من ملوكِ نُخرموا أصابهُم دهرٌ يصيبُ المقاتِلَا
 أبعدُ ابن قحطانٍ أُرَجِّي سلامةً لِنفسي أو أُلغى لذلك أملا

فبكى عمر ، ومكث جمعا يستنشد ابن عباس هذه الأبيات ².

ويروى عن عمر أنه كان كثير الميل إلى سماع الشعر، وكان يستنشد الشعراء ويسمع إليهم، فجاء في "جمهرة أشعار العرب"، عن ابن عباس قال: « وفد سواد بن قارب على عمر بن الخطاب τ فسلم عليه ، فرد عليه السلام ، فقال عمر: يا سواد! قال: لبيك يا أمير المؤمنين! قال: ما بقي من كهانتك! فغضب وامتلاً سحره * ثم قال: يا أمير المؤمنين ما أظنك استقبلت بهذا الكلام غيري، فلما رأى عمر الكراهية في وجهه قال: يا سواد! إن الذي كنا عليه من عبادة الأوثان أعظم من كهانتك ، فحدثني بحديث كنت أشتهي أن أسمع منك! قال: نعم يا أمير المؤمنين ! بينما أنا في إبلي بالسرارة* وكان لي نجي من الجن إذا أتاني في ليلة ، وأنا كالنائم ، فركضني برجله ثم قال : قم يا سواد فقد ظهر بتهمته نبي يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم فقلت : تنح عني ، فإني ناعس! فولى عني وهو يقول: [الرجز]

عَجِبْتُ لِلجِنِّ وَتَبَكَارِهَا وَشَدَّهَا العيسَ بأَكْوَارِهَا
 تَهوي إلى مَكَّةَ تَبغي الهدى ، ما مُؤمِنُو الجِنِّ كَكُفَّارِهَا
 فارحلُ إلى الصَّفْوَةِ من هاشِمٍ بَيِّنَ رَوَائِبِهَا وَأَحْجَارِهَا

ثم لما كان في الليلة الثانية أتاني فقال مثل ذلك القول ... ثم أتاني في الليلة الثالثة ، فقال مثل ذلك، فقلت : إني ناعس ، فولى عني و هو يقول:

[الرجز]

عَجِبْتُ لِلجِنِّ وَإِيجاسِهَا وَشَدَّهَا العيسَ بِأَحْلاسِهَا *
 تَهوي إلى مَكَّةَ تَبغي الهدى ما مُؤمِنُو الجِنِّ كَأَرْجاسِهَا

فأرحلُ إلى الصَّفْوَةِ من هاشِمٍ واسمُ بِعَيْنِكَ إلى راسِهَا

فقال سواد: فلما أصبحت يا أمير المؤمنين أرسلت لناقة من إبلي، فشددت عليها وأتيت النبي ρ،

فأسلمت وبايعت وأنشأت أقول:

أَتَانِي بِجَيِّ بَعْدَ هَدْيٍ وَرَقْدَةٍ، ولم يكُ فيما قد عَهَدْتُ بِكَاذِبٍ
ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ، أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ
فَشَمَّرْتُ عَنْ ذَيْلِي الْإِزَارَ ، وَأرَقَلْتُ بي الدَّعْلَبُ الْوَجْنَاءُ عَيْرَ السَّبَّاسِبِ**
فَأشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ، وَأَنْتَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ
وَأَتَاكَ أَدْنَى الْمُرْسَلِي وَسِيلَةً إلى الله، يا ابنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطَايِبِ
فَمُرِنِي بِمَا أَحْبَبْتَ ، يا خَيْرَ مُرْسَلٍ وإن كان فيما قلتُ شَيْبُ الدَّوَائِبِ
وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا دُوَّ شَفَاعَةَ سِوَاكَ، بِمَعْنِي عَنْ سِوَادِ بْنِ قَارِبٍ «¹.

إدًا، فالخليفة عمر يعرف سواد بن قارب بصفته شاعرا، وفي الجاهلية صاحب نجي من الجن شاعر، لهذا طلب أن يُسمعه ما كان يشتهي أن يسمعه، فأخبر سواد عمر بما قاله له نجيه في منامه عن بعثة النبي ρ، وهو ما يدل على أن عمر يجب سماع حديث الشعراء وأخبارهم، حتى ولو كانوا من الجن .

وعن أبي بكر قال: « وقف أعرابي على عمر فقال:

يا عمر الخيرِ جزيتِ الحنَّةَ جَهَّزْ بِنِيَاتِي وَأَكْسُهُنَّ

أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَتَفْعَلَنَّهُ

قال عمر : " فإن لم أفعل يكون ماذا ؟ " قال :

أُقْسِمُ أَنِي سَوْفَ أَمْضِيَنَّهُ

قال : " فإن أمضيتَ يكون ماذا ؟ " قال :

والله على حالي لَتُسْأَلَنَّهُ

يومَ تَكُونُ الْمَسَلَاتُ ثَمَّ وَالوَاقِفُ الْمَسْئُولُ بَيْنَهُنَّ

*الأحلاس جمع حلس : وهو كساء تجلل به الدابة تحت البردعة .

** أرقلت : أسرعت ، والدغلب و الوجناء : الناقة القوية الشديدة

1- القرشي : جمهرة أشعار العرب ، ص ص 46-47 .

إِمَّا إِلَى نَارٍ وَإِمَّا إِلَى جَنَّةٍ

قال: فبكى عمر حتى أخضلت لحيته بدموعه، وقال لغلّامه: " أعطه قميصي هذا لذلك اليوم، والله لا أملك قميصا غيره " ¹.

ومن مواقفه التي تأثر فيها عند سماعه الشعر: « يروى أن قوما أتوا عمر بن الخطاب، فقالوا يا أمير المؤمنين إنا لنا إماما شابا إذا صلى لا يقوم من مجلسه حتى يتغنى بقصيدة ، قال عمر: " فامضوا بنا إليه، فإننا إذا دعوناه يظن بنا أنا قد غضبنا أمره " فقاموا حتى أتوه ، ففرعوا إليه ، فخرج الشاب ، فقال: يا أمير المؤمنين ما الذي جاء بك ؟ قال " أبلغني أمر ساءني " قال: فأني أعتب عليك يا أمير المؤمنين ، ما الذي بلغك ؟ قال: " بلغني أنك تغني " قال: فإنها موعظة أعظ بها نفسي، فقال عمر: " قل: إن كان كلامك حسن قلت معك ، وإن كان فيحاً نُحيتك عنه " فقال: [الرمل]

وفؤادي	كُلَّمَا	عَتَبْتُهُ	عَادَ فِي اللِّذَاتِ	يَبْغِي نَصِي
لا أراه	الدَّهْرَ	إِلَّا	لَاهِيًّا	فِي تَمَادِيهِ
يا قرين	السُّوءِ	ما هذا	الصَّبَا	فَنِي العَمْرِ
كذَا	بِاللَّعِبِ	وشباب	بَانَ	مِنِّي
ومَضَى	ما أُرَجَى	بعده	إِلَّا	القَنَا
طبق	الشَّيْبِ	عليّ	مَطْلِي	فِي جَمِيلٍ
لَا	وَلَا	فِي	أَدَبٍ	نَفْسٍ
لَا	كَانَتِ	وَلَا	كَانَ	الهُوَى
إِتَّقِي	اللَّهَ	وَخَافِي	وَارْهِي	

فبكى عمر، ثم قال: " هكذا فاليعن كل من غنى " قال عمر: وأنا أقول:

نَفْسٌ لَا كَانَتِ وَلَا كَانَ الْهُوَى رَابِضِي وَخَافِي وَارْهِي ¹.

يستنتج من هذا النص، أن مواقف الخليفة عمر ومبادئه موافقة لمعاني الآيات، وهذا يتحلى في إعجابه بما ورد عن الشاعر من التغني بهذه الموعظة، وتأثره الشديد بهذه الحكم الدالة عن قوة الإيمان

1- أبو عبد الله سيد بن كسروي بن حسن : موسوعة آثار الصحبة ، ج1، ص ص 201- 202 .

1- أبو عبد الله سيد بن كسروي بن حسن : موسوعة آثار الصحبة ، ج1، ص 187 .

2- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 24 .

3- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 5 ، ص 281 .

4- الراغب الإصبهاني : محاضرات الأدباء ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، د . ت . ج 1، ص 80 .

وصدق المشاعر. وقد أدرك الخليفة عمر، أن ما بلغه عن الشاب إنما هي موعظة خلقية يعظ بها نفسه، لذا بكى ودعا إلى التغيي بمثل هذا الشعر. ويفهم من هذا أن عمر بذوقه الفني والجمالي ، وحسه الأخلاقي ومسؤوليته الدينية، حرص كل الحرص على أن يوجه الشعراء إلى الالتزام في الشعر بما حث عليه الرسول ﷺ، ووجه إليه الشعراء، باعتبار " الشعر كلام ، فحسنه حسن وقبيحه قبيح "2.

المواقف التي استجاب فيها الخليفة عمر لطلب الشعراء تأثرا بشعرهم :

تعددت المواقف النظرية للخليفة عمر من الشعر فقال : « الشعر جزل من كلام العرب، يسكن به القيظ ، وتطفأ به النائرة ، ويتبلغ به القوم في ناديمهم، ويعطى به السائل »3 . وقال : « نعم الهدية للرجل الشريف الأبيات يقدمها بين يدي الحاجة، يستعطف بها الكريم، ويستنزل بها اللئيم »4 .

هذا الموقف النظري أتبعه الخليفة عمر، بمواقف تطبيقية مع الشعراء الذين وصله شعرهم، وكانت تنعكس في أشعارهم بعض حاجاتهم، وقضاياهم المثارة في الشعر. فما كان من الخليفة عمر إلا أن نظر في أشعار الشعراء، واستجاب لطلبهم، لأنه يقدر الكلمة الشريفة ويتذوقها ويتأثر لها . لهذا فإن ما أثير عن الخليفة عمر أثناء قيامه بأعباء الخلافة من صفات خلقية وإنسانية ، تتماشى مع مسؤولياته، أنه كان حازما جادا، شديد الحرص على حماية أعراض المسلمين، وأمواهم وأنفسهم؛ حيث كان شديد الاهتمام لما يسمع من شعر، وما يأتيه من رسائل في (قصائد) شعرية تكشف له عن اهتمام رعيته بعدله وإنصافه ، فكانوا يكتبون له ويوردونه بالأخبار عن أحوال الناس . فوجد في الشعر معينا للتشريع، وإصدار الأحكام الفقهية، في القضايا التي تعرض عليه في بعض معضلات المسلمين، فيضع الحل المناسب لما هو مطلوب منه .

من ذلك ما روي عن أبي الوليد المكي قال: « أقبل رجل أعرج إلى عمر وهو يقود ناقه تضلع، فوقف عليه وقال:

وَإِنَّكَ مَسْتَرَعِي وَإِنَّا رَعِيَّةٌ
لِذِي يَوْمٍ شَرُّ شَرِّهِ بِشَرَارِهِ
وَإِنَّكَ مَدْعُو بِسِيمَاكَ يَا عُمَرُ
قَدْ حَمَلْتِكَ الْيَوْمَ أَنْقَالَهَا مُضْرُ

فقال عمر: " لا حول و لا قوة إلا بالله "، وشكا الرجل ضلع ناقته ، فقبضها عمر وحمله على جمل

وزوده وقال: " أين تريد؟ " قال: أريد أمًا لي لم أراها منذ زمان ، فزاده «¹.

وفي المنحى نفسه « عن ابن سيرين أنه ألقى إلى عمر كتاب فيه:

[الوافر]

ألاً أبلغ أبا حفصٍ رسولاً فِدَى لكَ من أخي ثقة ازارِ
قَلَائِصُنَا هَدَاكَ اللهُ إِنَّا شَعَلْنَا عَنْكُمْ زَمَنَ الحِصَارِ
فَمَا قُلُوصٌ وَجَدْنَا مُعَقَّلَاتٍ فَمَا سَلَعٌ بِمِخْتَلَفِ التُّجَارِ
قَلَائِصٌ مِنْ بَنِي حُشَمِ بْنِ بَكْرٍ وَأَسْلَمَ أَوْ جُهِينَةَ أَوْ عَقَارِ
يُعَقِّلُهُنَّ جَعْدَةَ مِنْ سُلَيْمٍ مَعِيدًا يَبْتَغِي سَقَطَ العَدَارِ
يُعَقِّلُهُنَّ أَيْضَ شَيْظُمِيِّ وَيَسَّ مَعْقِلَ الدَّوْدِ الظُّوَارِ*

فأرسل عمر إلى جعدة فضربه مائة معقولا ، ونهاه أن يدخل على المغيبات ، ولم يضربه حتى أقر...
وأخرجه من المدينة إلى الشام ، فكلم فيه فأذن له فرجع ولم يدخل المدينة ، فكلم فيه فأذن له بعد في
أن يجمع ، ثم يخرج ، وكان عمر إذا رآه يوم الجمعة يتوعده إن عاد ، ويقول له: " يا فاسق " فقال جعدة:

[الوافر]

أَكَلْتُ الدَّهْرَ جَعْدَةً مُسْتَحِقُّ أبا حفصٍ لشتيمٍ أَوْ وَعِيدِ
فَمَا أَنَا بِالْبَرِيِّءِ بَرَاءَةٌ عَذْر وَلَا بِالْخَالِعِ الرَّسَنِ الشَّرِيدِ

فأذن له مرتين في الجمعة «¹.

1- البلاذري: أنساب الأشراف ، ج 10 ، ص 332 .

* الشيطان: الطويل والطلق الوجه . المعجم الوسيط .

الدود: القطيع من النوق، والظئار: هو أن تعطف الناقة على ولدي غيرها . المعجم الوسيط .

1- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج 10، ص ص335- 336 .

2- المصدر نفسه ، ج 10، ص 337.

* هذه الكلمة، قصيدة ذكر فيها أسماء أشخاص، قال البلاذري: «وكان فيهم أبو بكره فقال له: إني لم آل لك شيئا، فقال: أخوك على بيت المال وعشور الأبله فهو يعطيك المال تتجر فيه، فأخذ منه عشرة آلاف، و يقال قاسمه فأخذ شطر ماله، قال: والحجاج الذي ذكره: الحجاج بن عتيك الثقفي، وكان على الفورات، وجزءه بن معاوية عم الأحنف وكان على سرق وبشر بن المختفر، وكان على جند يسابور، والنافعان: نفيح أبو بكره، ونافع بن الحارث بن كلدة أخوه، وابن غلاب: خالد بن الحارث من بني دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وكان على بيت المال بأصبهان، وعاصم بن قيس بن الصلت كان على مناذر، و لذي في السوق سمرة بن جندب كان على سوق الأهواز، والنعمان بن عدي بن نضلة - ويقال نضيلة - بن عبد العزيز بن حرثان أحد بني عدي بن كعب، كان على كور دجلة ، وهو الذي يقول :

[الطويل]

من مبلغ الحسناء أن خليلها بميسان يسقى من زجاج وحتتم

وروي « عن يزيد بن عياض بن جعدة عن عبد الله بن أبي بكر قال : سمع عمر - رضي الله تعالى عنه - رجلا ينشد:

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ شَرِّ مَعْقَلٍ إِذَا مَعْقَلٌ رَاحَ الْبَقِيعَ مُرَجَّلاً
فَأرسل إليه عمر : " جز شعرك فجزه " وكان جميلاً حسن الشعر «².

إضافة إلى هذا « روى المدائني عن علي بن حماد وسحيم بن حفص وغيرهما، قالوا: قال أبو المختار يزيد بن قيس بن الصعق: كلمة* رفع فيها على عمال الأهواز وغيرهم إلى عمر بن الخطاب ، وهي:

أَبْلَعُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً وَأَنْتَ أَمِيرُ اللَّهِ فِينَا وَمَنْ يَكُنْ
فَلَا تَدْعُنْ أَهْلَ الرِّسَالِ وَالْقُرَى فَأَرْسَلْ إِلَى الْحِجَاجِ فَاعْرِفْ حِسَابَهُ
وَلَا تَنْسِينَ النَّافِعِينَ كِلَيْهِمَا وَمَا عَاصِمٌ مِنْهَا بِصَفْرِ عِيَابِهِ
وَأَرْسَلْ إِلَى النِّعْمَانِ فَاعْرِفْ حِسَابَهُ وَشِبْلًا فَسَلِّهُ الْمَالَ وَابْنَ مُحَرَّشٍ
فَقَاسِمُهُمْ نَفْسِي فِدَاؤُكَ إِنَّهُمْ وَلَا تَدْعُونِي لِلشَّهَادَةِ إِنِّي
نَوَّوْبٌ إِذَا آبَاوَا وَنَعَزُوا إِذَا عَزَاوَا

فَقَاسِمُ عَمْرٍ هُوَ لَأَنَّ الْقَوْمَ فَأَخَذَ شَطْرَ أَمْوَالِهِمْ حَتَّى أَخَذَ نَعْلًا وَتَرَكَ نَعْلًا «¹.

وقد كتبنا هذا الخبر والشعر فيما تقدم من أخبار عمر بن الخطاب وصهر بني غزوان مجاشع بن مسعود السلمي كانت عنده ابنة عتبة بن غزوان، وكان على صدقات البصرة وشبل بن معبد الجلي ثم الأحمسي كان على قبض المغامم وابن محرش أبو مرثم الحنفي كان على رامهرمز ، وكان جزء على الفرات» .

- المصدر نفسه ، ج 10، ص ص 385-386 .

1- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج10، ص ص 385-386 .

*"أبو شجرة: هو عمر بن عبد العزى وأمه لخنساء ، وقال الطبري: اسمه سليم بن عبد العزى".

الواضح من هذه القصيدة وما تحمله من معاني وأفكار ، فإنها قد زادت الخليفة عمر فطنة، وأدرك أنها رسالة تبصرة ، ساعدته على إقامة الحق والعدل بين الرعية، وحكم الخليفة عمر الفقهي النابع من هذه الرسالة دليل قاطع على صرامته في محاسبة المسؤولين في حياته السياسية .

موقف الخليفة عمرؓ من شعر المرتدين:

عاش المسلمون بعد وفاة الرسول ﷺ ، مرحلة صعبة هزت كيان المسلمين ، في ردة بعض ضعاف الإيمان وكما هو معروف عن أبي بكرؓ أنه اتخذ موقفا في حريهم ، وكان مما زاد في اشتعال نار الردة نار الشعر، وكان أبو شجرة من الذين ارتدوا . فجاء في الكامل « قال أبو العباس: إن أبا شجرة* كان من فتاك العرب... فأتى عمر بن الخطاب - رحمه الله- يستحمله، فقال عمر : ومن أنت ؟ فقال: أنا أبو شجرة السلمي، فقال له عمر: أي عدي نفسه ألس القائل حيث ارتددت: [الكامل]

وَرَوَيْتُ رُحْمِي مِنْ كَتِيْبَةِ خَالِدٍ وَإِنِّي لِأَرْجُو بَعْدَ أَنْ أُعْمَرَ**

وعارضتها شهباء تخطئ بالقنا ترى البيض في حافاتها والسنورا

ثم انحنى عليه عمر بالدرة فسعى إلى ناقته فحل عقالها وأقبلها حرة بني سليم بأحث السير من الدرة»² . فعمر ما زال في تلك اللحظة التي لقي فيها أبا شجرة يتذكر المحنة التي عان منها الخليفة أبو بكر، وكان عمر على علم بالشعر الذي وصله من أبي شجرة ، وينظر إلى هذا الشعر على أساس أنه شعر الفتنة الذي كان يدعو من خلاله إلى حرب أبي بكر الصديق ، وتفريق روابط المسلمين ، وتوقيف إقامة الشعائر، « ويروى أنه كان يرمي المسلمين يوم الردة فلا يغني شيئا فجعل يقول : [الرجز] ما إن رمي عنهم لمعبول فلا صريح اليوم إلا المصقول»¹ .

**«ويروى أن أعمرا بكسر الميم ومعناه أن أفعل ذلك بكتيبة عمر».

- المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، ج1 ، ص 229 .

2- المصدر نفسه ، ج1 ، ص 229 .

1- المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، ج1 ، ص 229 .

*المشوذ:العمامة،.وغيك مني: أي غيابك ما أطوله مني .

-أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، طبعة دار الكتب المصرية ، ج1 ، ص 58 .

2- وليد قصاب: النقد الأدبي في كتاب الأغاني ، ج1، ص 58 .

3- المرجع نفسه ، ج1 ، ص 658 . الهامش رقم 3 .

موقف الخليفة عمر من شعر بر الوالدين:

أ- يوجد في الأثر الأدبي بعض المواقف الأدبية لعمر من الشعراء، وذلك لما وصله من أشعار، فنزل من خلالها عند رغبة أصحابها؛ حيث وجهوا فيها لوما إلى عمر وطلبوا منه أن ينظر في أمر أبنائهم، من ذلك: «كان لأمية بن حرثان* ولد اسمه كلاب، هاجر إلى البصرة في خلافة عمرؓ فقال أمية: [الوافر]

سَأَسْتَعْدِي عَلَى الْفَارُوقِ رَبًّا لَهُ عَمَدُ الْحَجِيجِ إِلَى سُبَاقِ
إِنَّ الْفَارُوقَ لَمْ يَزِدْ كِلَابًا عَلَى شَيْخَيْنِ هَامُهُمَا زَوَاقِي

فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري بإشخاص كلاب، فما شعر أمية إلا به يقرع الباب»².

وفي رواية البيهقي: «لما وجه عمر بن الخطابؓ، الجيش إلى اليرموك قام إليه أمية بن الأسكر الكناني فقال: يا أمير المؤمنين هذا اليوم من أيامي لولا كبر سني فقام إليه ابنه كلاب وكان عابدا زاهدا فقال: لكني يا أمير المؤمنين أبيع الله نفسي وأبيع دنياي بأحرتي، فتعلق به أبوه وكان في ظل نخل له وقال: لا تدع أباك وأمك شيخين ضعيفين ربيك صغيرا إذا احتاجا إليك تركتهما، فقال: نعم، أتركهما لما خير لي، فخرج غازيا بعد أن أرضى أباه فأبطأ وكان أبوه في ظل نخل له وإذا حمامة تدعو فرحها فرآها الشيخ فبكى فرأته العجوز يبكي فبكت فأنشأ يقول: [الوافر]

لمن شيخانٍ قد نشدا كلابا كتاب الله إن ذكر الكتابا
أُنَادِيهِ وَيَعْرِضُ لِي حَنِينُ فلا وأبي كلاب ما أصابا
تَرَكْتَ أَبَاكَ مُرْعِشُ يَدَاهُ وأمك ما تُسِيغُ لَهَا شَرَابَا
فَإِنَّ أَبَاكَ حِينَ تَرَكْتَ شَيْخُ يُطَارِدُ أَيْنَمَا شُرْبًا جَدَابَا
إِذَا رُثِعْنَ إِزْقَالًا سَرَاعَا أُنْزِنَ بِكُلِّ رَابِيَةٍ تُرَابَا
طَوِيلًا شَوْقُهُ يَلِيلِكَ فَرْدَا على حُزْنٍ وَلَا يَرْجُو الْإِيَابَا
إِذَا غَنَّتْ حَمَامَةٌ بَطْنَ وَجْ عَلَى بِيضَاتِهَا دُكْرًا كِلَابَا

- ابن رشيقي: العمدة، ج1، (هامش) ص 49.

2- المصدر نفسه، ج 1، ص 49

لهذا لما استدعت ضرورة حاجة الأب حرثان أن يكون ابنه كلاب إلى جانبه ليرعى حياته ، قضى الخليفة عمر ٣٤، بمعيار فقهي، فاستلهم منه حكما شرعيا، استوحاه واستند فيه إلى القرآن العظيم، قدم من خلاله واجب الإحسان إلى الوالدين، كما قضى بإسقاط الجهاد على كلاب وألزمه رعاية والده، وهذا التشريع العمري سببه شعر حرثان الذي وصل إليه، فتذوقه عمر ذوقا فنيا فرق له .

ب- وفي صورة وموقف مماثل روى صاحب الأغاني قال: « هاجر شيبان بن المخبل* السعدي، وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس، فجزع عليه المخبل جزعا شديدا، وكان قد أسن وضعف فافتقر إلى ابنه فافتقده، فلم يملك الصبر عنه فكاد أن يغلب على عقله، فعمد إلى إبله وسائر ماله فعرضه لبيعه ويلحق بابنه، وكان به ضنينا، فمنعه علقمة بن هوذة بن مالك، وأعطاه مالا وفرسا، وقال أنا أكلم أمير المؤمنين عمر في رد ابنك، فإن فعل غنمت مالك وأقمت في قومك، وإن أبي استبقيت ما أعطيتك ولحقت به، وخلفت إبلك لعيالك، ثم مضى إلى عمر- رضوان الله عليه- فأخبر خبر المخبل وجزعه على ابنه وأنشده قوله:

[الطويل]

أَيَهْلِكُنِي شَيْبَانُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ	لَقَلْبِي مِنْ خَوْفِ الْفِرَاقِ وَجَيْبُ
شَيْبَانُ مَا أَدْرَاكَ كَلِّ لَيْلَةٍ	غَبَقْتِكَ فِيهَا وَالْغَبُوقُ حَيْبُ
عَبَقْتِكَ عَظْمَاهَا يَنَامًا أَوْ أَنْبَرَى	بِرِزْقِكَ بَرِاقِ الْمُتُونِ أَرَيْبُ
أَشْيِبَانُ إِنْ تَأْبَى الْجِيُوشُ نَجِدُهُمْ	قَاسُونَ أَيَامَا لَهَنَ خَطُوبُ
وَلَا هُمْ إِلَّا الْبَزُّ أَوْ كُلُّ سَابِحٍ	عَلَيْهِ فَتَى شَاكِي السَّلَاحِ بَجَيْبُ

*«المخبل المجنون وبه سمي المخبل الشاعر، قاله أبو عمرو اسمه ربيعة بن مالك وهو من بني شماس بن لأي بن أنف الناقة، وهاجر وابنه إلى البصرة وولده كثير بالأحساء وهم شعراء ، وكان المخبل هجا الزرقان بن بدر وذكر أخته خليدة ثم مر بها بعد حين وقد أصابه كسر وهو لا يعرفها قآوته وجبرت كسره » .

- ابن قتيبة: الشعر والشعراء ، ص 273 .

يَدُودُونَ جند الهرمزان كأنما	دُودُونَ أُوْرَادِ الْكِلَابِ تَلُوبُ
فَإِيَّ حَنْتَ ظَهْرِي خَطُوبٌ تَتَابَعْتُ	فَمَشَى ضَعِيفٌ فِي الرَّحَالِ دَبِيبُ
إِذَا قَالَ صَحْبِي : يَا رَبِّعَ الْأَتْرَى	أَرَى الشَّخْصَ كَالشَّخْصَيْنِ وَهُوَ قَرِيبُ
وَيُخْبِرُنِي شَيْبَانُ أَنْ لَنْ يُعَفَّنِي	تَعَقَّ إِذَا فَارَقْتَنِي وَخُوبُ

فلا تدخلنَّ الدهرَ قبرك حُوبَةً يقومُ بها يوماً عليك حَسِيبٌ

قال: فلما أنشد عمر بن الخطاب هذه الأبيات بكى ورق له ، فكتب إلى سعد يأمره أن يقفل شيبان بن المخبل ويرده على أبيه، فلما ورد الكتاب عليه أعلم شيبان ورده، فسأله الإغضاء عنه، وقال: لا تحرمني الجهاد، فقال له: إنها عزمة من عمر، ولا خير لك في عصيانه وعقوق شيخك فانصرف إليه، ولم يزل عنده حتى مات عنده¹.

وبتشابهه وتكرار الموقف اتضح أن القضاء العمري كان واحداً، نتيجة تأثر عمر بالشعر، وهو الحرص على بر الوالدين، وإسقاط الغزو عن الأبناء وإلزامهم برعاية آبائهم عند كبرهم وإعالتهم . والموقف الأدبي العمري في النصين تحكّم فيه المعيار الفقهي النابع من التشريع الإسلامي، المستند إلى القرآن العظيم، كما أشرنا في النص السابق. وهو الأمر الذي يوضح ويؤكد بأن الخليفة عمر اتجه بالشعر اتجاهها جديداً، ففصله عن ماضيه الجاهلي، وربطه بحاضره الإسلامي، وهو ما يبين أن من مهام الفن الشعري عند عمر هو استنباط الأحكام الشرعية منه، إلى جانب التعبير عن مكونات خوارج النفس، وعمّا يعيشه الإنسان في الحياة .

موقف الخليفة عمر بن الخطاب مما سمعه من شعر من النساء :

إن الدارس لمواقف الخليفة عمر من الشعر والشعراء، يدرك أن هناك ذوقاً جمالياً وأخلاقياً لعمر في تقصي الأخبار الشعرية، إذ كان على دراية بالمشهد الشعري من خلال الاستماع والتمثل والإعجاب به، ولعل هذا لم يمنع الخليفة عمر من الاستماع للشواعر ممن كن لهن موهبة وتجربة بالأداء الشعري . وقد ثبت من خلال ما جاء في المصادر أن للخليفة عمر مواقف من شعر الشواعر العرييات؛ حيث

كان يهتم بشعرهن إيجاباً وسلباً، فمن ذلك « قال عمر بن الخطاب π للخنساء: أخبريني بأفضل

بيت قلتيه في أحيك فقالت:

وَكُنْتُ أَعِيرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مَنْ بَكَى فَأَنْتَ عَلَى مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ شَاغِلَةٌ¹.

1- أبو الفرج الإصهاني : الأغاني ، طبعة دار الكتب المصرية ، ج13 ، ص ص 190 - 191 - 192 ..

1- الأبيشي : المستطرف في كل فن مستظرف ، ج2 ، ص 307 .

2- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 214 .

3- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ص 110 - 111.

فعمر حين طلب من الخنساء أن تنشده أفضل ما قالت في أخيها من شعر، يعكس علم عمر بشعرها لاسيما في أخيها صخر، ولعل بكاءها ذكره بأخيه زيد بن الخطاب ، الذي « استشهد يوم مُسَيْلِمَةَ »²، لهذا أراد أن يخفف من حزنه على أخيه، فحاول أن يعرف مبلغ تأثر الخنساء لفقد أخيها، فطلب منها أن تحبسه بأفضل بيت قالت فيه، وهذه نظرة جمالية لشعرها، لأن عمر يعرف شعرها في أخيها ومبلغ الأثر الذي تركه في الخنساء، ولهذا ظلت قريحتها تعبر عن الأسى والحزن الذين لازماها جراء هذا الفقد الجلل .

وهذا موقف آخر في هذا السياق؛ حيث يروى « أن عمر بينما هو يطوف سمع امرأة تقول:

[الطويل]

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَاسْوَدَّ جَانِبُهُ وَأَرْقَنِي أَنْ لَا خَلِيلَ الْأَعْيُهُ
فَلَوْلَا حَذَارُ اللَّهِ لِأَشْيَاءٍ مِثْلُهُ لَزَحْرَحَ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَانِبُهُ

وقال عمر: مالك؟ قالت: غزيت زوجي منذ أشهر وقد اشتقت إليه، قال: أردت سوءا؟ قالت: معاذ الله، قال: فاملكي نفسك، فإنما هو البريد إليه، فبعث إليه ثم دخل إلى زوجها، فخفضت رأسها واستحييت، قال: فإن الله لا يستحي من الحق، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر، وإلا فأربعة أشهر، فكتب عمر أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر»³.

فالخليفة عمر قد فهم حقوق الزوجة على زوجها في المعاشرة، من خلال ما رددته هذه المرأة من شعر، والدافع الحقيقي إلى قولها هذا، هو غياب الزوج عنها، لهذا أراد الخليفة عمر أن يفهم من هذه المرأة مدة صبرها على زوجها، فحددت له أن مدة صبر المرأة على غياب الزوج بين ثلاثة أو أربعة أشهر، فزادته هذه المرأة فطنة وفهما للخليفة، لهذا شرع وقضى " أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر" وهذا حكم فقهي تشريعي سببه ما سمع من المرأة من شعر.

وهناك موقف في شكوى امرأة؛ حيث يروى « سمع عمر امرأة في الطواف تقول:

[الطويل]

فَمِنْهُنَّ مَنْ تُسْقَى بِعَذْبِ مُبَرَّدٍ نُقَّاحٍ فَتَلْكُمُ عِنْدَ ذَلِكَ قَرَّتِ
وَمِنْهُنَّ مَنْ تُسْقَى بِأَخْضَرِ آجِنٍ أَجَاجٍ وَلَوْلَا خَشْيَةُ اللَّهِ قَرَّتِ

فعلم عمر - رضوا الله عليه - ما تشكو، فوجهه إلى زوجها، فوجده متغير الفم، فخيره بين خمسمائة درهم، أو جارية من الفيء، على أن يطلقها، فأختار خمسمائة درهم¹.
 إن موقف الخليفة عمر موقف تشريعي؛ حيث قضى بعدم إرغام الزوجة بقبول ما تشكو منه، لهذا خير الزوج في التعويض على أن يطلق زوجته، وعمر بصفته مسؤولاً عن الرعية قضى بين الزوجين بالطلاق، وتحمل دفع التعويض للزوج بالتخير وهذا حكم فقهي .

وتعددت مواقف عمر من شعر النساء وشكايتهن من أزواجهن، فجاء في السياق نفسه؛ حيث قال شهاب الدين الإبيشي في "باب فضحاء النساء وحكايتهن": « وقيل: جاءت امرأة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب τ ، فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، فقال لها: نعم الرجل زوجك، وكان في مجلسه رجل يسمى كعباً، فقال: يا أمير المؤمنين إن هذه المرأة تشكو زوجها في أمر مباحته إياها عن فراشه، فقال له: كما فهمت كلامها أحكم بينهما، فقال كعب: علي بزوجه، فأحضر، فقال له: إن هذه المرأة تشكوك، قال: أي أمر الطعام أم شراب، قال: بل في أمر مباحتك إياها عن فراشك، فأنشأت المرأة تقول:

يا أيها القاضي الحكيم أنشدُهُ ألهى خليلي عن فراشي مسجدهُ
 نهاره وليلته لا يرقدهُ فلست في أمر النساء أحمدُهُ

فأنشأ الزوج يقول:

زهدني في فراشها و في الحلل أبي امرؤ أذهلني ما قد نزل
 في سورة النمل و في السبع الطول و في كتاب الله تحويفٌ يجل

فقال له القاضي:

إن لها عليك حقاً لم يزل في أربع نصيبها عن عقل
 فعاطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال: إن الله تعالى أحل لك من النساء مثني وثلاث ورباع، أفلك أيام بلياليهن ولها يوم وليلة، فقال عمر τ : لا أدري من أيكم أتعجب أم من كلامها أم من حكمك بينهما؟ اذهب فقد وليتك

1- أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني: كنايات الأدباء و إشارات البلغاء ، تحقيق : محمود شاكر القطان ، د.م ، الهيئة المصرية للكتاب، د.م ، 2003م ، ص 398 .

البصرة¹ .

إن الخليفة عمر قضى بما يناسب الموقف، فقد استمع إلى المرأة في عرض شكواها عليه، وفهم مما تشكو منه، ولكنه أراد أن توضح أمرها أكثر، إلا أن القاضي كعب تدخل وأراد أن يفهم الخليفة عمر فحوى شكوى المرأة، فطلب منه عمر أن يقضي بين الزوجين، وعند المحاكمة عرضت المرأة حكايتها مع زوجها في أسلوب شاعري مهذب، وحاول زوجها أن يبرر أمر زهده في زوجته بأسلوب شاعري مؤثر، إلا أن القاضي رفض عذر الزوج، وبين له حق زوجته عليه انطلاقاً مما شرعه الله، لهذا تعجب عمر من أسلوب سير المحاكمة بين الزوجين بأسلوب شاعري، فأعجب بأسلوب طلب المرأة حقها الشرعي من زوجها، وأعجب بحكم القاضي الذي أثبت فيه حق الزوجة، فما كان من عمر إلا أن رضي بحكم القاضي كعب، ومن خلال قضائه ولاءه عمر قضاء البصرة لأنه رأى فيه الرجل المناسب الذي يمكنه تسيير أمور الرعية بحكمة وحنكة وروية، والحكم في أمر المرأة فقهي تشريعي .

3- موقف الخليفة عثمان بن عفان من الشعر والشعراء:

1- الأبيهي : المستطرف في كل فن مستظرف ، ج 1، ص 56 .

يعد عثمان بن عفان (ت35هـ665م)، ثالث الخلفاء الراشدين، و« كانت خلافته - رضي الله تعالى عنه- اثنتي عشرة سنة إلا ثمانية أيام »¹، (23- 35هـ644 - 656م)، وفي عهده عرف المسلمون أول محنة في تسيير شؤون الحكم، انتهت بقتله .

وكانت الحياة الاجتماعية في عهده يعمها الرخاء، « وكان عثمان في نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل في القريب والبعيد، فسلك عماله وكثير من أهل عصره طريقته، وتأسوا به في فعله »².

وكأن هذه الصورة الاجتماعية هي التي وضعت في نظر بعض الباحثين والنقاد والدارسين المهتمين بالأدب والنقد، أنه لم يكن يهتم بالشعر والشعراء، كباقي الخلفاء الراشدين.

ولعل رأيهم هذا يتكئ على ما أثر عن أحد السادة التابعين، الذين اهتموا بمسار الخلفاء الراشدين، في مجال اهتمامهم بالشعر والشعراء؛ حيث استثنى عثمان بن عفان ولم يذكر معهم، فقال سعيد بن المسيب (ت94هـ712م): « كان أبو بكر شاعرا وعمر شاعرا وعلي أشعر الثلاثة »³.

هذا الرأي من دون شك أدى ببعض النقاد إلى تسجيل رأيهم فيما يخص موقف الخليفة عثمان من الشعر والشعراء، فذهب محمد يحيى الجبوري إلى القول: « لم يعرف عثمان بن عفان π ، بإقباله على الشعر، ولم تسجل له مواقف أو أحكام نقدية، مثل مواقف عمر بن الخطاب وأحكامه، ويبدو أنه لم يكن ليستنشد أحدا من الشعراء، حتى أن الرواية التي تذكر تقريبه لأبي زيد الطائي الشاعر المعمر (عاش خمسين ومائة سنة)، لم تذكر أن عثمان استنشده شعرا بل إن أبا زيد دخل على عثمان يوما- وكان يقربه- وعنده المهاجرون والأنصار فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها »⁴.

أما نايف معروف فقد قال: « بينما لانجد في سيرة عثمان π ما يشير ويدني مجلسه إلى محبته للشعر أو تقريبه للشعراء، إذ كان على حذر شديد منهم، وبخاصة إذا كان الشاعر عبدا »⁵.

1- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي : مروج الذهب و معادن الجوهر ، دقق فهارسه ووضعها وضبطها : يوسف أسعد داغر ، ط 6 ، بيروت ، لبنان ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، 1404هـ1984م . ج 2 ، ص 331 .

2- الصدر نفسه ، ج 2 ، ص 332 .

3- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 5 ، ص 283 .

4- يحيى الجبوري : الإسلام والشعر ، ص 108 .

5- نايف معروف : الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، ص 188 .

وهذا الرأي يقترب من رأي يحيى الجبوري كثيرا ويؤيده . إلا أن هذين الرأيين في الحقيقة لم يبرهننا بدقة على ما ذهبنا إليه صاحباهما: (يحيى الجبوري، ونايف معروف)، وذلك أن ما استشهدنا به كدليلين ينفيان به موقف عثمان من الشعر والشعراء ، غير كافيين ، لأن الدليلين المحتج بهما ربما كانا في مواقف خاصة بالخليفة عثمان بن عفان، ولعل يحيى الجبوري في آخر نصه ، في قوله: " فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها " يناقض أوله في قوله: " لم يعرف عثمان بن عفان بإقباله على الشعر، ولم تسجل له مواقف أو أحكام نقدية". لأن ما لدينا من نصوص يثبت عكس الرأيين، كما لا يمكننا أن نتصور أن الصحابي عثمان بن عفان أطول الخلفاء عمرا ، وأطولهم مدة في الخلافة ، فقاربت مدة خلافته اثنتي عشرة (12) سنة ، ولم تكن له علاقة بالشعر والشعراء ؟ إلا إذا كانت هناك بعض الأحداث بعد مقتل عثمان لم تسمح برواية شعره وما تمثل به ، وذلك لأن الساسة الأمويين حاصروا الخلافة فأخذوها قهرا وعنوة ، فاهتموا بالشعر والشعراء فيما يخدم دولتهم، وسخروا كل الوسائل المادية والسياسية لخدمة مصلحة سياسيتهم، فكان لديهم ما يشغلهم عن كتابة ورواية آثاره الأدبية وروايتها، كما هي، ومنها الشعر . ومن هذا، فإن شاعرية عثمان بن عفان لا جدال فيها، وهو ما أنصفه به القدماء الذين أظهروا فصاحته وبلاغته ومكانته البيانية بين الخلفاء الراشدين في مجال اهتمامه بالشعر ، فقد « أخرج عن الشعبي قال: كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة »¹.

وأما فيما يخص روايته للشعر، فإن ما وقفنا عليه في المصادر من شعر منسوب إلى الخليفة عثمان، يدل دلالة قطعية على علاقته بالشعر، ويؤكد هذا ما جاء في رواية " تاريخ الطبري"؛ حيث « روي عن هشام بن عروة ، قال: كان عثمان أروى للبيت والبيتين والثلاثة إلى الخمسة »².

يستنتج من هذا النص الذي رواه الطبري، أن الخليفة عثمان كان قليل رواية الشعر، فكان يروي البيت والبيتين والثلاثة والخمسة. وربما نأخذ هذا النص للطبري على أساس تعاطي عثمان الشعر وقوله. لأن هذه النصوص الموثقة تعطي صورة واضحة على أن الخليفة عثمان لم يغيب الشعر عن ذهنه . وبالتالي يمكننا طرح السؤال الآتي: ما هي صورة موقف الخلية عثمان بن عفان من الشعر والشعراء؟

1- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 142 .

2- الطبري : تاريخ الطبري، ج 4 ، ص 280.

يؤيد هذا الطرح كون أن بعض مصادر الأدب والنقد، روت أشعارا تنسب إلى الصحابي عثمان، وتؤكد أنه تمثل بالشعر، واستنشد بعض الشعراء في مجلسه، وتروي له مواقف من بعض الشعراء .

المواقف التي قال فيها الخليفة عثمان بن عفان الشعر:

نسبت إليه بعض المصادر شعرا يعبر فيه عن محتته، ويدل على أنه كان يصبر لمتاعب الدنيا

متعففا في طلب لذاتها، من ذلك ما روى له ابن رشيقي فقال: « ومن شعر عثمان:τ [الكامل]

غَنَى النَّفْسِ يُعْنِي النَّفْسَ حَتَّى يَكْفِيهَا وَإِنْ عَضَّهَا حَتَّى يَضْرِبَهَا الْفَقْرُ
وما عُسْرَةٌ، فاصْبِرْ لَهَا إِنْ لَقَيْتَهَا بكائية إلا سَيَبْعُهَا يُسْرُ¹.

ومما روى له أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر [807هـ] في هذا المجال، قال: « قال أمير المؤمنين عثمان

:τ [البسيط]

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَهَا مِنْ الْحَرَامِ وَيَقَى الْإِثْمَ وَالْعَارُ
تَبَقَى عَوَاقِبِ سَوْءٍ مَوْءٍ مَعَّيْتَهَا لَاحِيزٍ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا نَارُ².

وفي حبه للصلاة قال المرزباني [ت384هـ]: « وكان يقول إذا جاء الأذان: [مشطور الرجز]

يا مَرِحَبًا بِالْقَائِلِينَ عَدْلًا وبالصَّلَاةِ مَرِحَبًا وَأَهْلًا³.

وقد روى له القرشي في موضوع: "الفظ المختلف ومجاز المعنى " فجاء لفظ شعر عثمان يقارب لفظ

القرآن أو يوافقه، « فقال عثمان بن عفان:τ [الطويل]

واعلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَصَنِيْعِهِ صَنِيْعَةً وَلَا يَحْفَى عَلَى اللَّهِ مُلْحِدُ

الملحد: المائل، قال الله عز وجل: أ⁴ □ □ □ □ أي يميلون⁴.

وقد نسب إليه قول الشعر من ذلك لما توفي الرسول ρ، تأثر لفقده جميع المسلمين، وكل أبكاه في

شعر، وقد روي عن عثمان بن عفان أنه رثى الرسول ρ، مثله مثل باقي الصحابة، فتأثر لفقده، وقد

1- ابن رشيقي: العمدة، ج1، ص ص 28- 29 .

2- ابن الأحمر: نثر الجمان في من نظمني وإياه الزمان، ص 43 .

- وينظر: المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص 347 -

3- المرزباني: معجم الشعراء، ص ص 119- 120 .

4- القرشي: جبهة أشعار العرب، ص 37 .

دل على ذلك ما جاء في "جمهرة أشعار العرب"، في هذا السياق، قال المفضل(ت171هـ): « وقال عثمان بن عفان τ يرثي الرسول ρ : [المتقارب]

فيا عين ابكي ولا تسأمي، وحقق البكا على السيّد¹.

إلا أن محمد مصطفى هدارة ارتاب في هذا البيت فقال: « كما نسبت إليه قصيدة في رثاء الرسول، ولكن لا أعتقد صحة نسبة هذا الشعر، إذ كان τ ، غير معروف بمعالجة أساليب البيان³. »
فهذا القول يشير إلى القصيدة ولم يذكرها، لكن هدارة أحال إلى المصدر وهو "جمهرة أشعار العرب" وقد وجدنا فيه بيتا واحدا وهو المذكور سابقا، كما أن القرشي روى عن المفضل، وكلاهما لم يشر إلى كلمة قصيدة بل ذكر البيت فقط، وقد تكون باقي الأبيات إما مبثوثة في مصادر أخرى، أو تكون قد ضاعت ولم تصل إلينا، لكنني أحسب أن هذا البيت لعثمان τ ، وبالتالي فالقصيدة له كذلك. لأن وفاة الرسول ρ ، موقف جليل وأثره عميق، وعلى أقل تقدير أن عثمان وهو من أقرب المسلمين إلى الرسول مصاهرة ومصاحبة وقرابة، فكيف يسمع ويرى كل الصحابة، والصحابة الشعراء منهم، يؤبنون الرسول ρ ، وهو لا يقول شيئا ولا يتأثر لذلك؟ .

من المواقف الأدبية التي تمثل الخليفة فيها عثمان τ بالشعر:

لقد كان للخلافات والأحداث السياسية التي وقعت في عهد الخليفة عثمان، سواء على مستوى المدينة عاصمة الخلافة، أو خارجها، أثرها البالغ والسيئ في نفسيته، إذ كان يتعامل مع الأزمة بحكمة، وظهرت بكل وضوح مواقفه سواء أثناء مراسلاته للصحابة أو ولايته، أو لقاءه بهم، أو من خلال ما كان يأتيه من مراسلات من ولايته، فكان يدعو إلى تجنب الفتنة والخلافات، وكثيرا ما كان يستعين بالصحابة أهل المدينة ويستشيرهم في القضايا التي تعرض عليه، وخاصة ما كان يأتيه من قضايا الكوفة، وكان في كل ما يذكره حول هذه القضايا في خطبه ومراسلاته يتمل فيه بالشعر. من ذلك ما جاء في "تاريخ الطبري"، « وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة بإسنادهما، قالوا: قدم سعيد بن العاص في سنة سبع من إمارة عثمان... الكوفة... فأرسل سعيد إلى وجوه الناس من

1- القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص 37.

2- محمد مصطفى هدارة: الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 121.

أهل الأيام والقادسية، فقال: أنتم وجوه من وراءكم، والوجه ينبئ عن الجسد، فأبلغونا حاجة ذي الحاجة وخله ذي الخلعة، وأدخل معهم من يحتمل من اللواحق والروادف، وخلص بالقراء والمتسمتين في سمه، فكأنما كانت الكوفة يبسا شملته نار، فانقطع إلى ذلك الضرب ضربهم، وفشت القالة والإذاعة . فكتب سعيد إلى عثمان بذلك، فنادى منادي عثمان: الصلاة جماعة! فاجتمعوا، فأخبرهم بالذي كتب به سعيد، وبالذي كتب به إليه فيهم، وبالذي جاءه من القالة والإذاعة، فقالوا: أصبت فلا تسعفهم في ذلك، ولا تطعمهم فيما ليسوا له بأهل، فإنه إذا نحض في الأمور من ليس لها بأهل لم يحتملها وأفسدها . فقال عثمان: يا أهل المدينة استعدوا واستمسكوا، فقد دبت إليكم الفتنة، ونزل. فأوى إلى منزله، وتمثل مثله ومثل هذا الضرب الذين شرعوا في الخلاف: [الكامل]

أبني عُيَيْدٌ قَدْ أَتَى أَشْيَاعَكُمْ عَنْكُمْ مَقَالَتَكُمْ وَشِعْرَ الشَّاعِرِ
فَإِذَا أَتَتْكُمْ هَذِهِ فَتَلَبَّسُوا إِنَّ الرَّمَاخَ بِصِيرَةٍ بِالْحَاسِرِ¹.

فإن الاستشهاد بالشعر يعكس إحساس وشعور عثمان بن عفان بتفشي الفتنة التي عصفت به. وعلى ما يبدو فإن أغلب الحن كانت تأتيه من بالكوفة، وفي هذا الصدد قال الطبري: « كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن أبي غسان سكن بن عبد الرحمن بن حبيش، قال: اجتمع نفر من أهل الكوفة، فعملوا في عزل الوليد، فانتدب أبو زينب بن عوف وأبو مورع بن فلان الأسدي للشهادة عليه، فغشوا الوليد وأكبوا عليه، فبينما هم معه يوماً في البيت وله امرأتان في المخدع، بينهما وبين القوم ستر، إحداهما بنت ذي الخمار، والأخرى بنت أبي عقيل، فنام الوليد، وتفرق القوم عنه، وثبت أبو زينب وأبو مورع، فتناول أحدهما خاتمه ثم خرجا فاستيقظ الوليد وامرأته عند رأسه، فلم ير خاتمه، فسألها عنه فلم يجد عندهما منه علم... فطلبهما فلم يقدر عليهما، وكان وجههما إلى المدينة، فقدمتا على عثمان، ومعهما نفر ممن يعرف عثمان، ممن قد عزل الوليد عن الأعمال، فقالوا له، فقال من يشهد؟ قالوا: أبو زينب وأبو مورع... فبعث إليه، فلما دخل على عثمان رآهما، فقال متمثلاً:

[البيسط]

مَا إِنَّ خَشِيْتُ عَلَى أَمْرِ خَلُوتُ بِهِ فَلَمْ أَحْفَاكَ عَلَى أُمَّثَلْهَا حَارِ

فحلف له الوليد وأخبره خبرهم، فقال: نقيم الحدود ويؤء شاهد الزور بالنار، فاصبر يا أخي! فأمر

1- الطبري: تاريخ الطبري، ج4، ص ص 278-279-280 .

سعيد بن العاص فجلده»¹.

ومما جاء عن تمثل الخليفة عثمان بالشعر، مارواه الطبري؛ حيث قال: «أصيب عبد الرحمن حين تبدل أهل الكوفة في إمارة عثمان لاستعماله من كان ارتد استصلاحاً لهم، فلم يصلحهم ذلك، وزادهم فساداً أن سادهم من طلب الدنيا، وعضّلوا بعثمان حتى جعل يتمثل: [الطويل]

وكنْتُ وعمراً كالمسَمَّنِ كَلْبُهُ فَخَدَّشَهُ أنيَابُهُ وَأظْفَرُهُ»².

ومن المواقف التي دفعت الخليفة عثمان إلى التمثل بالشعر، ما رواه ابن عبد ربه؛ حيث قال: «قال زيد بن ثابت: رأيت علياً مضطجعاً في المسجد، فقلت: أبا الحسن، إن الناس يرون أنك لو شئت رددت الناس عن عثمان. فجلس، ثم قال: والله ما أمرتهم بشيء ولا دخلت في شيء من شأنهم. قال: فأتيت عثمان فأخبرته، فقال: [المتقارب]

وحرق قيسٌ عليَ البلا دِ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ أَجْدَمًا³.

وفي الموقف نفسه وجه الخليفة عثمان إلى علي بن أبي طالب خطاباً طالباً منه العون، وتمثل في خطابه بالشعر، وذلك حين اشتدت به الحنة، فقال ابن رشيقي: «كتب عثمان بن عفان إلى علي بن أبي طالب -رحمة الله عليهما- لما أحيط به"أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزبي* وبلغ الحزام الطيبين وتجاوز الأمر بي قدرة وطمع في من لا يدفع عن نفسه: [الطويل]

فإن كنتُ مأكولاً فكُنْ أنتَ آكِلِي وإلَّا فأدرُكُنِي ولما أُمزَّق"»⁴.

1- الطبري: تاريخ الطبري، ج4، ص 276.

2- المصدر نفسه، ج 4، ص 158.

3- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص 299.

*قوله: جاوز الماء الزبي: فالزبية مصيدة الأسد ولا تتخذ إلا في قلة أو رابية أو هضبة.

- المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج1، ص ص 11-12.

4- ابن رشيقي: العمدة، ج1، ص 212. وصفحة 40.

**جاء في الشعر والشعراء: الممزق «هو من بكره واسمه شاس بن نحار وسمي الممزق لقوله: [الطويل]

فإن كنتُ مأكولاً فكُنْ أنتَ آكِلِي وإلَّا فأدرُكُنِي ولما أُمزَّق

وهو جاهلي قلم وإنما يقول هذا لبعض ملوك الخيرة قال:

= وناجية عدت من عند ماجد إلى واجد من غير سخط مُفَرَّق

وقال ابن رشيقي معقبا على هذه الرسالة: إن « البيت الذي قد تضمنته الرسالة من شعر الممزق*»
العبيدي يقوله لعمرو بن هند في قصيدة مشهورة وبها سمي الممزق، واسمه شاس بن نهار، وخطب عثمان
عليا يعاتبه وهو مطروق فقال له: ما بالك لا تقول؟ فقال علي: إن قلت اعتددت عليك بمثل ما
اعتددت به علي فلدغك عتابي، وعقدي ألا أفعل - وإن كنت عاتبا - إلا ما تحب¹.

ففي كلام الخليفة عثمان ما يدل على حكمته البالغة، من خلال إشارته إلى علي بن أبي طالب بأن
الحننة التي يمر بها قد مزقته، ولم يجد لها مخرجا، فذكر بمحنة الممزق العبيدي، ليعلم مبلغ شدة الأزمة.

وعن أمر الخليفة عثمان مع علي بن أبي طالب في ما يخص تفشي الأزمة، كان اعتقاد عثمان وظنه
أن لعلي دور فيها، لذا كان دائم المراسلة إليه، ليطلب منه مساعدته بشتى الوسائل، من ذلك: « قال
عبد الله بن عباس: أرسل إلي عثمان، فقال لي: أكفني ابن عمك، فقلت: إن ابن عمي ليس بالرجل
يرى له، ولكنه يرى لنفسه، فأرسلني إليه بما أحببت، قال: قل له فليخرج إلى ماله بالينبع فلا أغتم به
ولا يغتم بي، فأتيت عليا فأخبرته. ما اتخذني عثمان إلا ناصحا. ثم أنشد قائلا: [الطويل]

فكيف به أئني أداوي جراحه فيدوي فلا ملّ الدواء ولا الداء

أما والله إنه ليختبر القوم، فأتيت عثمان، فحدثته الحديث كله إلا البيت الذي أنشده، وقوله: إنه

ليختبر القوم. فأنشد عثمان: [الطويل]

فكيف به أئني أداوي جراحه فيدوي فلا ملّ الدواء ولا الداء

...قال: فخرج علي إلى ينبع، فكتب إليه عثمان حين اشتد الأمر... [الطويل]

=
تبلغني من لا يدنس عرضه بغدر لا يرك ولديه تعلقي
تروح وتغدو ما يحل وضينها إليك آبن ماء المزن وآبن مُحْرَقِي
أحقا أبيت للعن أن ابن برتنا على غير إجرام بريقي مُشْرِقِي
فإن كنت مأكولا فكن خير أكل وإلا أذكرني ولما أمْرَقِي
فأنت عميد الناس مهما نقل نقل ومهما تضع من باطل لا يُحْمَقِي
أكلفتني أدواء قوم تركتهم فإلا تداركي من البحر أغْرَقِي
فإن يعمنوا أشأم الناس خلافا عليهم وإن يتهموا مستحقي الحرب أغْرَقِي.»

- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 257.

1- ابن رشيقي: العمدة، ج 1، ص 212.

فإِنَّكَ لَمْ تَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبِكَ مِثْلُ مُعَلَّبٍ

فأقبل إلي على أي أمر بك أحببت، وكن لي أم علي، صديقا كنت أم عدوا»¹.

جاء في "تاريخ الطبري": « وأما الواقدي فإنه زعم أن عبد الله بن محمد حدثه ، عن أبيه ، قال: لما كانت سنة أربع وثلاثين كتب أصحاب رسول الله ﷺ ، بعضهم إلى بعض أن أقدموا، فإن كنتم تريدون الجهاد فالجهاد عندنا، وكثر الناس على عثمان، ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد . وأصحاب رسول الله ﷺ ، يرون ويسمعون، ليس فيهم أحد ينهي ولا يذب إلا نفي... فقام مروان بن الحكم، فقال: إن شئتم حكمنا والله بيننا وبينكم السيف ، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر: [الطويل]

فَرَشْنَا لَكُمْ أَعْرَاضَنَا فَنَبَتْ بِكُمْ مَعَارِسُكُمْ تَبْنُونَ فِي دِمَنِ الثَّرَى

فقال عثمان: اسكت لاسكت، دعني وأصحابي، ما منطقتك هذا ! ألم أتقدم إليك ألا تنطق ! فسكت مروان ، ونزل عثمان»².

فهذا الرفض الذي بدا من عثمان ومواجهته لمروان ، يدل على أن الخليفة قد فهم القصد من مروان وما رمى إليه بما تمثل به من شعر. لأنه أدرك المغزى من حضور الصحابة إلى المدينة ، ورفض مواجهة مروان للحاضرين ، وذلك تجنباً للفتنة التي أحاطت به من جميع الجهات .

ومن المواقف التي سمع فيها عثمان الشعر ، ما قاله الطبري : « كتب إلي السري عن سيف عن محمد وطلحة وعطية، قالوا:...ولما استقل عثمان رجز الحادي :

قَد عَلِمْتَ ضَوَامِرُ الْمُطَيِّ وَضَامِرَاتُ عَوَجِ الْقَيْسِيِّ
أَنَّ الْأَمِيرَ بَعْدَهُ عَلِيٌّ وَفِي الزُّبَيْرِ خَلْفٌ رَضِيٌّ
وطلحة الحامي لها وليُّ

فقال كعب وهو يسير خلف عثمان ، الأمير والله بعده صاحب البغلة ، وأشار إلى معاوية»³.

كما كان للخليفة عثمان مجلسا يحضره الصحابة الفقهاء ، والصحابة الشعراء، والتابعين، وكان يسمع لهم، ويستنشدهم، ومن المواقف التي استنشد فيها الخليفة عثمان بن عفان الشعراء، ما رواه

1- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج4 ، ص ص 309- 310 .

2- الطبري : تاريخ الطبري ، ج4 ، ص ص 337- 338- 339 .

3- المصدر نفسه ، ج4 ، ص ص 342- 343 .

صاحب " طبقات فحول الشعراء " ، فقال: « أخبرنا أبو الغراف قال: كان أبو زيد الطائي من زوار الملوك، وملوك العجم خاصة، وكان عالما بسيرهم، وكان عثمان بن عفان يقربه على ذلك ويدينه ويديني مجلسه، وكان نصرانيا. فحضر ذات يوم عثمان وعنده المهاجرون والأنصار، فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها، فالتفت عثمان إلى أبي زيد فقال: يا أبا تبع المسيح، أسمعنا قولك، فقد أنبتت انك تجيد فانشده [قصيدته التي يقول فيها] :

مَنْ مُبْلِغٌ قَوْمِي النَّائِبِينَ إِذَا شَحَطُوا أَنْ الْفُؤَادَ إِلَيْهِمْ شَيْقُ وَلِعٌ*

ووصف فيها الأسد ، فقال عثمان : تا الله تفتأ تذكر الأسد ما حييت! والله لأحسبك جباناً هذاناً**! فقال: كلا يا أمير المؤمنين، ولكني رأيت منه منظرا وشهدت منه مشهدا، لا يبرح ذكره يتجدد ويتردد في قلبي»¹.

فمن خلال هذا النص تأكد أن عثمان بن عفان استنشد أبا زيد الشعر، مقتفيا في ذلك أثر رسول ٩، وعمر بن الخطاب، في السماع للشعراء، إلا أن محمد هدارة ينفى أن يكون عثمان قد استنشده، فلست أدري أي رواية اعتمدها لينفي استنشاد عثمان لأبي زيد .

ومن الشعراء الذين كانوا على صلة وعلاقة وطيدة بالخليفة عثمان، الشاعر الصحابي النابغة الجعدي، فروى ابن سلام قال: « دخل النابغة على عثمان بن عفان، فقال: استودعك الله يا أمير المؤمنين وقرأ عليك السلام. قال: لمه ؟ قال: أنكرت نفسي، فأردت أن أخرج إلى إبلي فأشرب من ألبانها وأشمت من شيخ البادية . وذكر بلده . فقال: يا أبا ليلى: أما علمت أن التعرب بعد الهجرة لا يصلح؟ قال: لا ، والله ما علمت ، وما كنت لأخرج حتى أستأذنك، فأذن له ، وضرب له أجلا»². فالرواة لم يرووا أن الخليفة عثمان استنشد النابغة الشعر، رغم معرفته الكبيرة بشاعريته، لكن العلاقة وطيدة بينهما؛ حيث يتجلى اهتمام الخليفة بالشاعر وتقريبه إلى مجلسه، مما لا ينفي صحبة الخليفة للشعراء .

* شحطوا : بعدوا ، وشيق : مشتاق .

**الهدان : الأحمق الثقيل .

1- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص 593 - 594 .

2 - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 127 .

وهكذا يتجلى لنا أن موقف الخليفة الثالث عثمان بن عفان من الشعر والشعراء موقف إيجابي، فكان يقول الشعر وإن كان مقلا، وتمثل به في مواقف سياسية ، مثله مثل صاحبيه: أبوبكر الصديق، وعمر بن الخطاب، ويبدو أن الثقافة الأدبية للصحابة تقوم أساسا على حفظ الشعر العربي وروايته والتمثل به .

4-موقف الخليفة علي بن أبي طالب من الشعر والشعراء

إن علي بن أبي طالب (23 ق هـ 40 هـ)، رابع الخلفاء الراشدين (35هـ-40هـ)، عرف بشجاعته وفروسيته من خلال المشاهد التي شهدها مع الرسول ﷺ، بدءاً من نزول الوحي ومواجهة مشركي مكة، إلى التخطيط للهجرة والنوم في مكانه، إلى غزواته بعد الهجرة، دامت خلافته خمس سنوات من ذي الحجة سنة 35هـ إلى رمضان سنة 40هـ، لم يعرف فيها الاستقرار، الأمر الذي دفعه إلى نقل عاصمة الخلافة إلى الكوفة، « وقد كانت الأحداث التي وقعت في خلافته أحداثاً عظيمة جعلته في كفاح دائم وحروب مستمرة . فخرجت عليه عائشة أم المؤمنين ع بالبصرة ومعها طلحة والزبير، ومعركة الجمل مشهورة، ثم استمرت الحروب بينه وبين معاوية بن أبي سفيان سجالاتاً ومنها موقعة صفين، ثم كان التحكيم الذي قبله علي عليه كره منه، وخذع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري فيه ¹ .

كل هذه الأحداث واجهها الخليفة علي بن أبي طالب بالسيف، وواجهها بالخطابة والشعر، فظهرت مقدرته على معالجة أساليب البيان، وقد فرضت عليه الظروف السياسية التي أحاطت به ، أن يكون أكثر الصحابة قولاً للشعر، والتمثل به . كما كانت له مواقف من الشعراء ، وسنوضح مواقفه الشعرية من خلال المناسبات الزمانية والمكانية التي فرضتها الأحداث، وذلك بعد أن نبين موقف علماء الشعر القدماء مما نسب إليه من شعر، وموقف النقاد المعاصرين من ديوانه الشعري .

موقف علماء الشعر القدماء من شعر الخليفة علي بن أبي طالب:

كثيرة هي المصادر التي روت شعراً للخليفة علي بن أبي طالب؛ حيث نجد شعره مبثوثاً في مصدر "السيرة النبوية" لابن إسحاق، وفي "أنساب الأشراف" للبلاذري ، وفي "العقد الفريد" لابن عبد ربه ، و"العمدة" لابن رشيق، و " نثر الجمال في من نظمنا وإياه الزمان " لابن الأحمر . ويعد ابن إسحاق رائد العلماء الذين اهتموا بشعر الخليفة علي، روى له أشعاراً في " السيرة النبوية " إلا أن ابن هشام في

1- الإمام علي بن أبي طالب: الديوان، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الهدى للطباعة للنشر والتوزيع، أم البواقي، عين اميلية، 1989م، ص6 .

2- ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ص 340 .

كتابه " سيرة النبي 9 "، التي تعد تَهذيباً " للسيرة النبوية " لابن إسحق ، كان « يورد الشعر الذي أورده ابن إسحق كاملاً لا يخرم منه بيتاً، ثم يذكر أنها منحولة »² .

وقد دقق ابن هشام في أشعار الإمام علي التي رواها ابن إسحق ، وارتاب فيها، وعَقَّبَ على كل ما ذكره ، وقد استعمل ابن هشام في تعقيباته عدة عبارات تدل على ارتيابه ، فذكر في العبارة الأولى: « سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز، فقالوا... فلا ندرى أهو قائله أو غيره »¹ . وقال في العبارة الثانية: « ولم أر أحداً يعرفها ولا نقيضتها »² ، وذكر في العبارة الثالثة: « ولم أر أحداً يعرفها لعللي »³ ، وفي العبارة الرابعة قال: « وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعللي »⁴ .

ومهما تعددت صيغ العبارات المستعملة في التحقيق من شعر علي بن أبي طالب، إلا أنها ذات دلالة واحدة، مفادها أنه يقر بانتحال الشعر المنسوب لعللي، وهذا هو دأبه في منهجه الذي سلكه مع بعض الشعر المنسوب إلى الصحابة الخلفاء، والصحابة الشعراء - رضوان الله عليهم-؛ حيث أثار الارتياب حول بعض أشعارهم، وفي هذا الصدد فقد ارتاب ابن هشام فيما روى ابن إسحق أثناء بناء مسجد الرسول 9، بالمدينة قال: « ارتجز علي بن أبي طالب 11، يومئذ: [الرجز]

لَا يَسْتَوِي مَنْ يُعَمِّرُ الْمَسْجِدَ يدأب فيها نَائِمًا وَقَاعِدًا

وَمَنْ يَرَى غَيْرَ الْعُبَارِ حَائِدًا

قال ابن هشام: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز ، فقالوا: بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجزه، فلا يُدْرَى أهو قائله أم غيره »⁵ .

1- ابن هشام : سيرة النبي 9، ج 2 ، ص 115 .

2- المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 373 .

3- المصدر نفسه ، ج 3، ص 154 ، وص 200 .

4- المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 242 .

5- المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 115 .

*نقيضتها قصيدة الحرث بن هشام بن المغيرة ، أجاب علي بن أبي طالب في تسعة عشر بيتاً على الوزن والقافية نفسيهما ، ومطلعها :

تغنى بقتلى يوم بدر تتبعوا كرام المساعي من غلام ومن كهل

- المصدر نفسه ، ج 2 ص ص 274 - 275

وهذه صورة أخرى في موضوع: " ذكر ما قيل من شعر في يوم بدر"؛ حيث ارتاب ابن هشام في قصيدة نسبت إلى علي بن أبي طالب ، « قال ابن إسحق: وقال علي بن أبي طالب في يوم بدر. وقال ابن هشام: ولم أر أحدا من أهل العلم يعرفها ولا نقيضتها*، إنما كتبناها لأنه يقال: إن عمرو ابن عبد الله بن جذعان قتل يوم بدر، ولم يذكره ابن إسحق في القتلى، وذكر في هذا الشعر.

[والقصيدة من تسعة عشر بيتا] منها :

[الطويل]

بلاءَ عزيزٍ ذي اقتدارٍ وذي فضلٍ	ألم تر أنّ الله أبلى رسوله
فلاقوا هواناً من أسارٍ ومن قتلٍ	بما أنزل الكفار دار مذلّة
وكان رسولُ الله أرسل بالعدلِ	فأمسى رسولُ الله قد عزّ نصره
مُبيّنة آياته لذوي العُقلِ	فجاء بفرقانٍ من الله مُنزلٍ
فأمسوا بحمدِ الله مجتمعي الشمّلِ	فأمن أقوامٌ بذاك وأيقنوا
فزادهم ذو الفرش خبلاً على خبلٍ	وأنكر أقوامٌ فزاعَت قلوبُهُم
وقوماً غضاباً فعلُهُم أحسنُ الفعلِ	وأمكن منهم يوم بدرٍ رسوله
وقد حاذثوها بالجلاءِ وبالصقلِ	بأيديهم يبطشُ خفافٌ عصوا بها
صريعاً ومن ذي بُعدةٍ منهم كهلٍ	فكم تركوا من ناشئ ذي حميّة
تجوّد بإسبالِ الرشاشِ وبالوئيلِ	تبيّت عيونُ النائحِ عليهم
وشيبةً تنعاه وتنعى أبا جهلٍ	نوائح تنعى عُتبة العيّ وابنة
مُسلّبةً حرّى مُبيّنة الثُكلِ	وذا الرجلِ تنعى وابنَ جذعانٍ فيهم
ذوو نجداتٍ في الحروبِ وفي الخلِ	ثوى منهم في بئرِ بدرٍ عصابة
وللعيّ أسبابٌ مُرمّقة الوصلِ	دعا العيّ منهم من دعا فأجابهُ
عن الشُعْبِ والعُدوانِ في أشعلِ الشُعْلِ» ¹ .	فأضحوا لدى دارِ الجحيمِ بمعزلِ

1- ابن هشام : سيرة النبي ، 9، ج2 ص ص 372 - 373 - 374 .

- وينظر : الإمام علي بن أبي طالب : الديوان ، ص 114 .

* المهامة : جمع مهمة وهو الفقر . والمدهمة : الشديدة الشواء .

وصورة ثالثة وفي موضوع: " ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد" نفى ابن هشام أبياتا نسبت لعلي،
« قال ابن إسحق: قال علي بن أبي طالب ﷺ : وقال ابن هشام: فقال: قال رجل من المسلمين يوم
أحد غير علي،" فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر" و" لم أر أحدا منهم يعرفها لعلي ﷺ": [الكامل]

لَأَهْمَ إِنَّ الْحَرِثَ بْنَ الصَّمَّةِ كَانَ وَفِيًّا وَبِنَا ذَا ذِمَّةَ
أَقْبَلَ فِي مَهَامِهِ مُهَمَّةَ كَلِيلَةِ ظَلْمَاءَ مُدْهَمَّةَ*
بَيْنَ سَيُوفٍ وَرِمَاحٍ جَمَّةَ يَبْغِي رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا ثَمَّةَ¹.

ومما ارتاب فيه ابن هشام كذلك ، ما رواه ابن إسحق قال: « وقال علي بن أبي طالب
-رضوان الله عليه- يذكر جلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف »².

وعقب ابن هشام قائلا: « قالها رجل من المسلمين غير علي بن أبي طالب-رضوان الله عليه-
فيما" ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحدا منهم يعرفها لعلي- رضوان الله عليه"- [المتقارب]

عَرَفْتُ وَمَنْ يَعْتَدِلُ يَعْرِفُ وَأَيَقِنْتُ حَقًّا وَلَمْ أَصْدَفِ*
عَنِ الْكَلِيمِ الْحَكِيمِ اللَّائِءِ مِنْ لَدَى اللَّهِ ذِي الرَّأْفَةِ الْأَرْأَفِ
رِسَائِلَ تُدْرَسُ فِي الْمُؤْمِنِينَ بَهْنٌ اصْطَفَى أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى
فَأَصْبَحَ أَحْمَدُ فِينَا عَزِيْرًا عَزِيْرَ الْمَقَامَةِ وَالْمَوْقِفِ
فِيهَا أَيْهَا الْمُؤَعِدُوهُ سَفَاهًا وَلَمْ يَأْتِ جَوْرًا وَلَمْ يَعْغُفِ
أَلَسْتُمْ تَخَافُونَ أَدْنَى الْعَذَابِ وَمَا آمَنَ اللَّهُ كَالْأَخْوَفِ
وَأَنْ تُصْرَعُوا تَحْتَ أَسْيَافِهِ كَمَصْرَعِ كَعْبِ أَبِي الْأَشْرَفِ
غَدَاةَ رَأَى اللَّهُ طُعْيَانَهُ وَأَعْرَضَ كَالْجَمَلِ الْأَجْنَفِ
فَأَنْزَلَ جَبْرِيْلُ فِي قَتْلِهِ بِوَحْيٍ إِلَى عَبْدِهِ مُلْطَفِ
فَدَسَّ الرَّسُولُ رَسُولًا لَهُ أَبْيَضَ ذِي هَبِيَّةٍ مُرْهَفِ

1- ابن هشام : سيرة النبي 9، ج 3 ، ص 154 .

2- المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 200.

* لم أصدف : لم أعرض

** أذرع : موضع بالشام .

3- المصدر نفسه ج 3 ، ص 200-201-202.

فباتت عيونٌ له مُعُولَاتٌ متى يَنْعُ كعبٌ لها تَدْرِفِ
 وقلنا لأحمدَ دَرْنَا قليلاً فإنَّا مِنَ النَّوْحِ لمْ نَشْتَفِ
 فَخَلَاهُمْ ثُمَّ قَالَ: اظْعِنُوا دُحُورًا على رَعْمِ الأَنْفِ
 وأجلى النضيرِ إلى غُرْبِيَّةِ وكانوا بِدَارِ ذوي زُخْرِفِ
 إلى أَذْرَعَاتِ رُدَائِي وَهُمْ على كل ذي دبر أَعَجَفِ**»³.

وفي قضية قتل عمرو بن عبد ود من طرف علي، قال ابن إسحق: « قال علي بن أبي طالب

-رضوان الله عليه- في ذلك [الكامل]

نَصَرَ الحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِي*
 فَصَدَرْتُ حِينَ تَرَكْتُهُ مُتَّجِدِّلاً كَالجُدْعِ بَيْنَ دَكَادِكِ وَرَوَائِي**
 وَعَقَفْتُ عَنْ أَثَوَابِهِ وَلَوْ أَنِّي كُنْتُ المَقْطَرُ بِنِّي أَثَوَابِي***
 لِاتْحَسِبَنَّ اللهُ خَاذِلَ دِينِهِ وَنَبِيَّهُ يَا مَعْشَرَ الأَحْزَابِ

وقال ابن هشام عن الأبيات: « وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي [بن أبي طالب] »¹.

فهذه صورة بالغة الأهمية في نقد ابن هشام لابن إسحق في روايته لشعر علي بن أبي طالب. ولكن بعض هذه الأشعار المنسوبة لعلي والتي ارتاب فيها ابن هشام، ذكرت في بعض المصادر دون ارتياب، وهذا النص فيه أثر من أثار البطولة والشجاعة والقوة وهو ما يدل على أنه لعلي بن أبي طالب، فشاعريته لا تعبر إلا على ما اتصف به علي، من الشد والحزم والدفاع عن الإسلام ومواجهة المشركين.

*الحجارة أراد بها الأصنام والأنصاب التي كان أهل الشرك ينصبونها ويعبدونها ويدجون لها .

**متجدلاً : لاصقا واقعا على الجدالة وهي بزنة سحابة الأرض ، ويقول: جدلته فنجدل . والجدع : ا راد به جدع النخلة ، والدكادك : جمع دكدك

وهو الرمل اللين ، والروابي : جمع رابية وهي ما ارتفع وعلا وأشرف من الأرض .

*** المقطر : اسم مفعول من قولهم : فطرت الفارس إذا ألقته على أحد فطر به (أي جنسه) .

ابن هشام : سيرة النبي 9، ج3 ، الحقق : هامش ص242 .

1- المصدر نفسه ، ج3 ، ص242.

- وينظر : الإمام علي بن أبي طالب : الديوان ، ص ص32- 33 .

- وينظر : ابن إسحق : السيرة النبوية ، ج2، ص ص 401- 402 .

2- نايف معروف : الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، ص 193 .

ومهما كان أمر الاختلاف في الارتياح الذي أثير حول مانسب إلى علي بن أبي طالب من شعر، فإن هذا الجدل لا يقلل من ذوقه الفني وبراعته البيانية، كما «لا يقلل من شاعريته المتمثلة فيما رجحت نسبته إليه، ولا يقدم ولا يؤخر في إمامته اللغوية والأدبية، فهو أفصح العرب بعد رسول الله 9، ولكن يبدو للباحث أن الشعر لم يكن غاية عنده، كما أن سيرته السياسية وما رافقها من أحداث حسام لم تكن لتسمح له بالالتفات إلى صناعة الشعر وروايته، واصطياد المعاني الجميلة واختيار القوافي الرنانة المؤثرة»².

موقف النقاد المعاصرين من ديوان الخليفة علي بن أبي طالب

لقد نسب إلى علي بن أبي طالب ديوان* شعر، والمشهور عن هذا الديوان أن الذي قام بصنعه الشريف المرتضى (ت436هـ)، «وقد كان أول من زعم هذا الزعم، السيد مستقيم زادة أحد مؤلفي الأترك، وكذلك ذهب كيما هوار، وقد زعم بعض الكاتبين أن واضعه هو الشريف الرضي، جامع "نهج البلاغة" إلا أن شعر الشريف الرضي أقوى، وأسلوبه أكثر إشراقاً، أما الديوان المنسوب فضعيف الصنعة، ركيك السبك، وأهني العبارة، لا يرقى إلى كلام الإمام علي بن أبي طالب»¹. الذي عرف عنه المقدرة الخطابية وقوة الفصاحة ونصاعة البيان.

ومما يلاحظ على الديوان الذي اعتمده: كمية الشعر المنسوب إليه، إذ جاء جامعا لـ 1382 بيتا، منظمًا في ثلاث مائة وخمس وخمسين (355) قطعة شعرية وقصيدة، وفيه البيت والبيتين، وجاءت أطول قصيدة في الديوان البائية المسماة "القصيدة الزينية" من ستة وستين بيتا، من بحر الكامل، «وهي من أبلغ المواعظ والنصائح، ومطلعها:

صَرَمَتْ حِبَالَكَ بَعْدَ وَصْلِكَ زَيْنَبَ وَالذَّهْرُ فِيهِ تَصْرُمٌ وَتَقْلُبُ»².

ويذهب يحيى الجبوري إلى أن هذه القصيدة، «من نظم صالح عبد القدوس المقتول أيام المهدي

سنة 167هـ»³.

* اعتمدنا في هذا البحث: ديوان الإمام علي بن أبي طالب المذكور سابقا في هامش الصفحة 89.

1- يحيى الجبوري: الإسلام والشعر، ص ص 125-126.

2- الإمام علي بن أبي طالب: الديوان، ص 49.

3- يحيى الجبوري: الإسلام والشعر، ص 126.

كما يلاحظ كثرة بحور الشعر التي نظم فيها الخليفة علي شعره، وهي حسب الأهمية والأكثر ورودا في الديوان: الطويل، الوافر، البسيط، الكامل، الرجز، المتقارب .
والبحور التي كانت أقل حظا في الديوان هي: السريع، الرمل، الخفيف، المنسرح، أما الهزج فقد نظم فيه ثمانية (8) أبيات فقط.

وقد نظمت قوافي الديوان على جميع حروف المباني، باستثناء ثلاثة حروف: التاء المثلثة، والحاء المعجمة، والشين المعجمة، مما يوحي أن الخليفة علي في عداد الشعراء الصحابة المحترفين للشعر، وأعتقد أنه كما قال عبد المنعم خفاجي: « قد يكون أكثر ما نسب لعلي من الشعر منتحلا، لأن الإمام -كرم الله وجهه- لم يفرغ للشعر ولم يعيش من أجله، ولكي يكون شاعرا، وليس بمعقول أن يكف لبيد عن الشعر، ويخوض فيه مثل الإمام علي-كرم الله وجهه- إلى هذا الحد الذي يصوره لنا الديوان المنسوب إليه . هذا وأكثر ما ينسب للإمام تصح نسبته لغيره »¹.

وفي هذا الصدد قال خير الدين الزركلي إن: « ما يرويه أصحاب الأقباص من شعره، ما جمعه، وسموه ديوان علي بن أبي طالب، فمعظمه أو كله مدسوس عليه »².

وهذا ما يؤكد لنا النظرة الموضوعية إلى الديوان، الذي لم يسلم من فحص وتمحيص المحققين والدارسين، لأن المتفحص للديوان يجد فيه اختلاف المستوى وتباين ما فيه من الشعر بين القوة والضعف والركاكة ، مما يبين بُعد قصائد الديوان ومحافاتها لروح العصر .

لكن ما هي الأسباب التي أدت بمن صنع الديوان أن ينسبه للخليفة علي بن أبي طالب ؟
للإجابة عن هذا السؤال يمكن القول: قد تكون الدوافع على ما يبدو في تلك الفترة التي صنع فيها الديوان لا تخرج عن كونها دوافع متعددة، منها: ما هو سياسي، وما هو ديني، وما هو أدبي. وذلك ليؤرخوا للأحداث التي عاصرها الخليفة علي ، وليكون الديوان ترجمان العصر، كما أنه « قد ظن الذين نسبوا إلى الإمام ما لم يقل، أنهم يحسنون صنعا ويرفعون من قدر علي، كما نسبوا إليه أمورا كثيرة هي في عداد الأساطير من نسيج الخرافة... وأن ذلك الصنع ليسيئ كثيرا إلى الإسلام والمسلمين، وإلى

1- الإمام علي بن أبي طالب : الديوان ، ص 20 .

2- الزركلي : سير أعلام النبلاء ، ص 295 .

3- يحيى الجبوري : الإسلام والشعر ، ص 126 .

شخصية الإمام، ولئن كان خليفة المسلمين منزّه عن الشعر، وأوهام الشعراء وأهواءهم، خير له وللدّين من أن يحسب في عداد الشعراء، إلا أن نزعة التقرب إلى العوام، بدغدغة أوهامهم . تأبى إلا أن تحرك الأكاذيب والأباطيل حول آل البيت، وتحملهم ما هم بريئون منه، ومن تلك الأباطيل الكاذبة نسبة الديوان إلى علي بن أبي طالب Ψ »³.

ومن موقف العلماء بالشعر والنقاد من ديوانه وشعره، يمكن أن نوضح موقفه من الشعر والشعراء . لقد اتضح أن الخليفة علي بن أبي طالب لم يكن من الشعراء المحترفين الذين كانوا يهجون المشركين، ولكنه من دون شك أنه كان يقول الشعر، فيروى أنه قيل له إبان المعركة بين المسلمين وقريش: « اهج عنا القوم الذين يهجوننا فقال: إن أذن لي رسول الله فعلت ، فقالوا: يارسول الله ائذن له، فقال الرسول: " إن عليا ليس عنده ما يراد في ذلك منه " أو قال: " ليس في ذلك هنالك "»¹.

ودلالة قول من طلب من الخليفة علي أن يهجو المشركين، أنه عرف عنه قول الشعر، وكون الرسول Θ ، رأى أن عليا ليس عنده ما يراد في ذلك منه " أو "ليس في ذلك هنالك" فهذا لا ينفي الشاعرية عن علي Ψ إنما يخص هنا شعر الهجاء ، الذي يريده الرسول Θ ، وأن الذي تثبته المصادر، أن « لعلي شاعرية، وكان يقول الأبيات والمقطوعات تدعوها المناسبة أو يجيش بها صدره، ولكن لم تكن تلك الشاعرية منصرفة إلى الشعر بحيث تؤلف ديوانا»².

وقد روى البلاذري في شاعرية علي، عن الشعبي قال: «كان أبو بكر شاعرا، وكان عمر شاعرا، وكان علي أشعر الثلاثة»³.

وفي رواية أخرى عن الشعبي قال:«كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة»⁴.

1- ابن عبد البر : الاستيعاب ، ج1 ، ص 341 .

2- يحيى الجبوري : الإسلام و الشعر ، ص 127.

3- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج2 ، ص 358 .

4- المصدر نفسه ، ج2 ، ص 382.

وعلى هذا الأساس، فإن مواقف علي بن أبي طالب من الشعر والشعراء لا تختلف عن مواقف الخلفاء الراشدين، الذين سبقوه إلى قيادة زمام أمر المسلمين، فهو يقدر الشعر، وينظمه، ويتمثل به، ويسمع إلى الشعراء ينشدونه بين يديه ويثيب عليه، كما كانت له آراء في الشعر والشعراء.

من ذلك أنه روي عنه أنه قال شعرا بين يدي الرسول ﷺ، فعن جابر بن عبد الله، قال: «سمعت

علياً ﷺ ينشد ورسول الله ﷺ، يسمع:

[البسيط]

أَنَا أَخُو الْمُصْطَفَى لَا شَكَّ فِي نَسَبِي مَعَهُ رُبِّيْتُ وَسَبَطَاهُ هُمَا وَوَلَدِي
جَدِّي وَجَدُّ رَسُولِ اللَّهِ مُنْفَرِدٌ وَقَاطِمٌ زَوْجِي لَا قَوْلَ ذِي فَنَدٍ
صَدَّقْتُهُ وَجَمِيعُ النَّاسِ فِي بَهْمٍ مِنْ الضَّلَالَةِ وَالْإِشْرَاكِ وَالنَّكَدِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ الْبِرُّ بِالْعَبْدِ وَالْبَاقِي بِلَا أَمَدٍ

فقال ﷺ: "صدقت يا علي" ¹.

وتعددت المواقف التي دعت علي بن أبي طالب إلى قول الشعر، فقد قال الشعبي: «كان علي أشجع الناس تقر له العرب بذلك، قتل يوم بدر الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. وأعان عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب على شيبه بن ربيعة، ثم حمل على الكتيبة مصمما وحده وهو يقول: [الرجز]

لَنْ يَأْكُلُوا الْعَتَرَ بِيْطِنِ مَكَّةَ مِنْ يَعْدهَا حَتَّى تَكُونَ الدَّكَّةُ *» ².

ومن المواقف التي قال فيها علي بن أبي طالب الشعر، ما رواه المرزبان، قال: «ويروى له شعر كثير منه قوله في يوم خيبر، لما خرج مرحب يقول:

[مشطور الرجز]

قَدْ عَلِمْتُ خَبِيرٌ أَيْ مَرْحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجْرَبٌ

[مشطور الرجز]

فقال علي:

1- أبو عبد الله محمد بن سلامة القطاعي: دستور معالم الحكم و مآثور مكارم الشيم من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه-، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ت. ص 203.

- وينظر الإمام علي بن أبي طالب: الديوان، ص 152.
*العترة: ما كان أهل الجاهلية يذبحونه لأهنتهم، والدكة: التدافع والتزاحم.
ورواية البيت عند الإمام علي بن أبي طالب: الديوان، ص 72.

لن تأكلوا التمر بظهر مكة من بعدها حتى تكون البركة.

2- البلاذري: أنساب الأشراف، ج 2، ص 363.

3- المرزباني: معجم الشعراء، ص 168.

أنا الذي سَمَتني أمِّي حَيْدَرَةٌ كَلَيْثٍ غَاباتٍ كَرِيهِ الْمُنْظَرَةَ³.

ومن المواقف التي هزت علي Ψ ودفعته لقول الشعر، هي انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فكان علي واحدا من الصحابة الذين تأثروا لفقده ، فرثاه بشعر معبرا عن حزنه العميق، فقال البلاذري: « وقال علي بن أبي طالب شعرا كتبنا منه أبياتا و هي:

أَلَا طَرَقَ النَّاعِي بَلِيلٌ فَرَاعِنِي وَأَرْفَيْ لِمَا اسْتَقَلَّ مُنَادِيَا
فَقَلْتُ لَهُ: لِمَا رَأَيْتُ الَّذِي أَتَى لِعَیْرِ رَسُولِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ نَاعِيَا
فَوَاللَّهِ لَا أُنْسَاكَ أَحْمَدُ مَا مَشَتْ بِي الْعَيْسُ أَوْ جَاوَزَتْ فِي الْأَرْضِ وَادِيَا
وَكُنْتُ مَتَى أَهْبَطُ مِنَ الْأَرْضِ تَلْعَةً أَرَى أَثْرًا مِنْهُ جَدِيدًا وَعَافِيَا
جَوَادٌ تَشْطَى الْخَيْلُ عَنْهُ كَأَنَّمَا يَرِيئُ بِهِ لَيْثًا عَلَيْهِنَّ ضَارِيَا
لَيْتَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ خَيْلٌ كَثِيرَةٌ تَثِيرُ غَبَارًا كَالضَّبَابَةِ عَالِيَا¹.

ومما قاله من شعر بعد وفاة الرسول ﷺ متأثرا، فكان شديد البكاء والحزن عليه؛ حيث « كان علي ابن أبي طالب ﷺ يغدو ويروح إلى قبر رسول الله ﷺ بعد وفاته ويبكي تفجيعا ثم يقول: يا رسول الله ما أحسن الصبر إلا عنك ، وأقبح البكاء إلا عليك . ثم يقول:

[السريع]

مَا غَاضَ دَمْعِي عِنْدَ نَازِلَةٍ إِلَّا جَعَلْتُكَ لِلْبُكََا سَبِيَا
وَإِذَا ذَكَرْتُكَ مَيِّتًا سَفَحَتْ مِنِّي الْجَفُونَ فِفَاضًا وَأُنْسَكَبَا

ثم يمرغ وجهه في التراب ويبكي ويندب ويذكر ما حل به بعده. ويقول في ذلك:

[البسيط]

مَاذَا عَلِيٌّ مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدٍ أَلَّا يَشَمَّ مَدَى الزَّمَانِ عَوَالِيَا
صَبَّبْتُ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا صَبَّبَتْ عَلَيَّ الْأَيَّامِ عُذْنَ لِيَالِيَا².

ولما بويع علي Ψ يوم الجمعة لخمس يقين من ذي الحجة فخطب... و لما فرغ من خطبته وهو على المنبر قال المصريون:

[الرجز]

1- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج2 ، ص 276.

- وينظر: لإمام علي بن أبي طالب : اليوان، ص 153.

2- القطاعي: دستور معالم الحكم و مأثور مكارم الشيم (من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه)، ص ص 198- 199.

- وينظر الإمام علي بن أبي طالب : الديوان ، ص 152 .

خُذْهَا...وَاحْذَرُ أَبَا حَسَنٍ إِنَّا نَمُرُّ الْأَمَرَ إِمْرَارَ الرَّسَنِ

وإنما الشعر:

* خدّها إليك واحذرًا أبا حسن *¹

[الرجز]

فقال علي مجيبا:

إِنِّي عَجَزْتُ عَجْزَةً مَا أَعْتَذِرُ سَوْفَ أَكَيْسُ بَعْدَهَا وَأَسْتَمِرُّ

[الرجز]

ولما أراد علي الذهاب إلى بيته قالت السبئية:

خُذْهَا إِلَيْكَ وَاحْذَرًا أَبَا حَسَنٍ إِنَّا نَمُرُّ الْأَمَرَ إِمْرَارَ الرَّسَنِ
صَوْلَةً أَقْوَامَ كَأَسْدَادِ السَّفَنِ بِمَشْرِفِيَّاتِ كَعُدْرَانِ اللَّبَنِ
وَنَطْعَنِ الْمَلِكِ بِلَيْنِ كَالشُّطْنِ حَتَّى يُمَرَّنَ عَلَيَّ غَيْرَ عَنَنْ

فقال علي وذكر تركهم العسكر والكينونة على عدة ما منوا حين غمزوهم ورجعوا إليهم، فلم

[الرجز]

يستطيعوا أن يمتنعوا حتى ...

إِنِّي عَجَزْتُ عَجْزَةً لَا أَعْتَذِرُ سَوْفَ أَكَيْسُ بَعْدَهَا وَأَسْتَمِرُّ
أَرْفَعُ مِنْ ذَيْلِي مَا كُنْتُ أَجْرُ وَأَجْمَعُ الْأَمَرَ الشَّتِيَّتِ الْمُنْتَشِرِ
إِنْ لَمْ يُشَاغِبْنِي الْعَجُولُ الْمُنْتَصِرُ أَوْ يَتْرُكُونِي وَالسَّلَاحُ يَبْتَدِرُ»¹.

ثم توالى الأحداث ونوائب الدهر على علي بن أبي طالب ، وذلك بعد أن تولى الخلافة فوَقعت أحداث كثيرة ، كانت له فيها مواقف، من ذلك موقعه الجمل ، لما إلتحَمَ الفريقان « وأشدت وقع الحديد على الحديد ... جاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تنكب اليوم رأس

[الرجز]

محمد، وردد إليه الراية ، فدعا به ورد عليه الراية وقال:

أَطْعَنَهُمْ طَعَنَ أَبِيكَ تَحْمَدُ لَأَخِيرَ فِي الْحَرْبِ إِذَا لَمْ تُوقَدْ
بِالْمَشْرِفِيِّ وَالْقَنَا الْمَسْرَدِ»².

1- الطبري : تاريخ الطبري ، ج 4 ، ص 436 - 437 .

2- المسعودي : مروج الذهب ، ج 2 ، ص 367 .

3- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج 3 ص 31 .

- ينظر : الإمام علي بن أبي طالب : الديوان ، ص 93 .

- وينظر: المسعودي : مروج الذهب ، ج 2. ص 369 .

وفي وقعة الجمل « خرج علي Ψ من المدينة في سبعمائة من الأنصار وورد الريدة ، فقدم عليه المثنى بن مخزبة العيدي ، فأخبره بأمر طلحة والزبير وبقتل حكيم بن جبلة العيدي في من قتل من عبد القيس وغيرهم من ربيعة ، فقال U : [الرجز]

يا لهفَ أُمَاهُ على الربيعةِ ربيعة السامعةُ المطيعةُ
قد سَبَقْتَنِي بهم الوقيعَةُ دَعَا حَكِيمٌ دَعْوَةً سَمِيعةُ
نالَ بها المنزلةَ الرَّفِيعَةَ³ .

ومن شعر علي بن أبي طالب وكان مجوداً- مقاله يوم صفين يذكر همدان ونصرهم إياه: [الطويل]

ولما رأيتُ الخيلَ ترجُمُ بالقنا نَوَاصِيهَا حمُرُ النحورِ دَوَامِي
وأعرضَ نَقَعُ في السماءِ وكأنه عجاجُهُ دَجَنِ مَلْبَسِ بِقَتَامِ
ونادى ابنُ هندٍ في الكلاعِ وحميرِ وكندةٍ في لحمٍ وحي جَدَامِ
تيممت هَمْدَانَ الذين همُّ همُّ فجاوِني من خيلِ همدانِ عصبه
فلو كنت بوابًا على بابِ جنَّةٍ فحاضوا لظَّاهَا واستَطَاروا شرارها
وكانوا لدى الهيجاءِ كَشْرَبِ مُدَامِ لقلتُ لهمدانَ: ادخلوا بِسَلَامِ¹ .

[الطويل]

ومن قول علي - كرم الله وجهه - بصفين:
لمنْ رايَةٌ سَوْدَاءِ يُخْفِقُ ظِلُّهَا إذا قِيلَ قَدِّمَهَا حُضَيْنِ تَقَدِّمًا
يُقَدِّمَهَا في الصَّفِّ حتى يُزِيرَهَا حِيَاضَ المنايا تَقَطَّرُ السَّمَّ وَالِدَمًا
جَزَى اللهُ عَنِّي والجزءِ بِكَفِّهِ رِبيعةٌ خَيْرًا ما أَعَفَّ وَأَكْرَمًا² .

1- ابن رشيقي : العمدة ، ج 1 ، ص 29.

- وينظر : الإمام علي بن أبي طالب: الديوان ، ص ص 128 - 129.

2- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 5 ، ص 283 .

- وينظر : الإمام علي بن أبي طالب: الديوان ، ص ص 127 - 128.

3- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج 2 ، ص ص 393 - 394 .

- وينظر : الإمام علي بن أبي طالب : الديوان ، ص 68 .

4- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج 3 ، ص 77 .

- وينظر: الإمام علي بن أبي طالب : الديوان : ص 109 .

ومن مواقفه الشعرية ما روي عن ابن سيرين قال: « ارتد قوم بالكوفة فقتلهم علي U ثم أحرقهم وقال :

لما رأيتُ الأمرَ أمراً مُنكراً جردتُ سَيْفِي ودعوتُ قَنبراً
ثم احتفرتُ حفراً وَحُفراً وقنبرُ يحطُّمُ حطماً مُنكراً
أحرقْتُ بالنيرانِ منْ قد كَفَرَا³.

و«قال علي: حين جد في النهوض نحو معاوية يوم صفين أيضاً:

أصبحتَ عني يابن هند غافلاً إني لرام منكم الكواهِلاً
بالحقِّ والحقُّ يزيلُ الباطِلاً هذا لك العام وعاماً قابلاً⁴.

ومن مواقفه الشعرية كذلك، ما كان في وقعة النهروان بين بغداد وواسط في سنة 658م؛ حيث « أتى علي المدائن وقد قدمها قيس بن سعد بن عبادة ، وكان علي قدمه إليها، ثم أتى علي النهرا فبعث إلى الخوارج أن أسلموا لنا قتلة ابن خباب ورسولي والنسوة لأقتلهم، ثم أنا تارككم إلى فراغي من أهل المغرب، فلعل الله يقبل بقلوبكم ويردكم إلى ما هو خير لكم وأملك بكم. فبعثوا إليه أنه ليس بيننا وبينك إلا السيف، إلا أن تقر بالكفر وتوب كما تبنا فقال علي: أبعده جهادي مع رسول الله ﷺ، وإيماني أشهد على نفسي بالكفر؟، ل ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ [سورة الأنعام الآية 56]، ثم قال:

يا شاهدا لله عليّ فاشهد آمنْتُ بالله ولي أحمَدِ
مَنْ شكَّ في الله فإني مُهْتَدٍ¹.

وفي موقف آخر، عن عوانة: « أن عليا كتب إلى قيس بن سعد وهو عامله على أذربيجان: أما بعد: فاستعمل علي عمك عبد الله بن شبيل الأحمسي، وأقبل فإنه قد اجتمع ملاً المسلمين

1- البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص144.

وينظر: الإمام علي بن أبي طالب: الديوان، ص58، لأن في الرجز تغيير جاء على هذا النحو:

يا شاهد الله علي فاشهد أني علي دين النبي أحمد
من شك في الدين فاني مهتدي يا رب فاجعل في الجنان موردي.

وحسنت طاعتهم، وانقادت لي جماعتهم ولا يكن لك عرجة ولا لبث، فإننا جادون مغذون، ونحن شاخصون إلى المحلين، ولم أؤخر المسير إلا انتظاراً لقدمك علينا إن شاء الله والسلام .
... قال عمرو بن العاص: حين بلغه ما عليه علي من الشخوص إلى الشام، وأن أهل الكوفة قد انقادوا له:
[الرجز]

لأَتَحَسَّبِي يَاعَلِيَّ غَافِلًا لأُورِدَنَّ الكُوفَةَ القَبَائِلًا
ستين ألقاً فارساً وراجلاً

فقال علي: [الرجز]

لأُبَلِّغَنَّ العاصِي بن العاصِي ستين ألقاً عاقدي التَّوَّاصِي

مستحقين حلق الدّلاص¹ .

ولما ضرب ابن ملجم علي بن أبي طالب، « عن محمد بن سيرين قال: قال علي U للمرادي:

[الوافر]

أريدُ حباءهُ ويريدُ قَتْلِي عذيرك من خليلك من مراد² .

[المتقارب]

و« قال علي بن أبي طالب U:

فَبَارَ أُبُوحَكِّمَ فِي الوَعَى هناك ، وأُسْرَتَهُ الأُرْدُلُونَ

البوار الهلاك ، قال الله عز وجل : أأ □ □ □ □ [سورة إبراهيم: الآية 28] ³ .

المواقف التي تمثل فيها الخليفة علي بن أبي طالب بالشعر :

ومن المواقف التي دعت علي بن أبي طالب إلى التمثل بالشعر، موقعة الحمل حين التقى مع

الصحابييين طلحة والزبير وجها لوجه للقتال ، فخرج الزبير لقتال علي ثم رجع، حينئذ « نادى علي U

1- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج 3 ، ص 238 .

- وينظر الإمام علي بن أبي طالب : الديوان، ص 89 .

2- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج 3 ، ص 261 .

3- القرشي : جمهرة أشعار العرب ، ص 24 .

4- المسعودي : مروج الذهب ، ج 2 ، ص ص 364-365 .

طلحة حين رجع الزبير: يا أبا محمد، ما الذي أخرجك؟ قال الطلب بدم عثمان، قال علي: قتل الله أولانا بدم عثمان، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: " اللهم وال من ولاه وعاد من عادته " وأنت أول من بايعني ثم نكثت، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَنْ نَمُوتَ فِي سُبُلٍ﴾ [سورة الفتح: الآية 10]. فقال: استغفر الله، ثم رجع، فقال مروان بن الحكم: رجع الزبير ويرجع طلحة ما أبالي ريمته ههنا أم ههنا، فرماه في أكحله فقتله، فقال بعد الوقعة في موضعه في قنطرة قره، فوقف عليه، فقال: إن الله وإن إليه راجعون، والله لقد كنت كارها لهذا، أنت والله كما قال القائل: [الطويل]

فَنِّي كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ
كَأَنَّ الثَّرِيًّا عُلِّقَتْ فِي يَمِينِهِ وَفِي خَدِّهِ الشَّعْرَى، وَفِي الْآخِرِ الْبَدْرُ»⁴.

ويروى أنه قد «خرج قوم في خلافة علي في سفر، فقتل بعضهم، فلما رجعوا طالبهم U به،

وأمر شريحا في النظر فيه، فحكم بإقامة البيعة، فقال علي U متمثلا: [البيسط]

أُورِدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمَلٌ مَا هَكَذَا تَوْرُدُ يَا سَعْدُ الْإِبِلُ*

أراد أنه قصر ولم يستقص، كما قصر صاحب الإبل عند إيرادها»¹.

« وحكي أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: أتى علي U بالوليد بن عقبة أسيرا يوم الجمل، فلما رآه أنشأ

يقول: [الوافر]

هُنَيْدَةُ قَدْ حَلَلَتْ بَدَارِ قَوْمِ هُمُ الْأَعْدَاءُ وَالْأَكْبَادُ سُودُ

هُمُ إِنْ يَظْفَرُوا بِي يَقْتُلُونِي وَإِنْ أَظْفَرَ فَلَيْسَ لَهُمْ نُخْلُودُ

فقال الوليد: أنشدك يا أمير المؤمنين في دمي فحلي عنه»².

* «الملك للمالك بن زيد مناة بن تميم، وقد رأى أخاه سعدا أورد إليه إبله، ولم يحسن القيامة عليها، فتمثل بذلك، أي: سعد مشتمل بكسائه نائم غير مشتمر للسقي، فسار ممثلا للرجل يقصر في الأمور ويؤثر الراحة على المشقة».

- أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني: كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، ص 321

1- المصدر نفسه، ص 321.

2- المصدر نفسه، ص 326.

3- المصدر نفسه، ص 330.

وروي «عن الأصمعي قال: أخذ عليؑ قوما في سرق، فحسبهم، فجاء رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين إني كنت معهم، وقد تبت، فأمر بجده، وقال متمثلاً:

[البسيط]

وَمُدْخِلِ رَأْسَهُ لَمْ يَدْعُهُ أَحَدٌ بَيْنَ الْقَرِينِينَ حَتَّى لَزَّهَ الْقَرْنُ³.

ومن المواقف التي تمثل فيها بالشعر، وقعة صفين، وذلك لما قتل عمار بن ياسر، «حرض عليؑ الناس، وقال لربيعة: أنتم درعي ورحي، فانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى أكثر من ذلك، من ربيعة وغيرهم، قد جاؤوا بأنفسهم لله عز وجل، وعلي أمامهم على البغلة الشهباء وهو يقول: [الرجز]

مَنْ أَيُّ يَوْمِي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرُ أَيُّوْمَ لَمْ يُقَدَّرْ أَمْ يَوْمَ قُدِّرَ

وحمل وحملوا معه حملة رجل واحد، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتفض، واهمدوا كل ما أتوا عليه، حتى أتوا إلى قبة معاوية، وعلي لا يمر بفارس إلا قده وهو يقول:

[الرجز]

أَضْرِبْهُمْ وَلَا أَرَى مَعَاوِيَةَ الْأَخْزَرَ الْعَيْنَ الْعَظِيمَ الْحَاوِيَةَ

تَهْوِي بِهِ فِي النَّارِ أُمُّ هَاوِيَةَ¹.

وعقب المسعودي قال: «وقيل: إن هذا الشعر لبديل بن ورقاء. قاله في ذلك اليوم»².

ومما تمثل به ما روي: «أهدى رجل من عمال علي إلى الحسن والحسينؑ هدية، وترك ابن الحنفية، فخطأ* على كتف ابن الحنفية ثم تمثل:

[الوافر]

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْحِيْبِنَا³.

ويروي: «كان عليؑ كثير ما يتمثل:

[الرجز]

تِلْكَمُ قَرِيْشٌ تَمْنَانِي لِيَتَّقِلْنِي فَلَا وَرَبِّكَ مَا بَرُّوْا وَمَا ظَفَرُوْا

فَإِنْ هَلَكْتُ فَهَنْ ذَمَّتِي لَهُمْ بَدَاتِ وَدَقِيْنَ لَا يَعْفُو لَهَا أَثْرُ

وكان يكثر من ذكر هذين البيتين:

[الرجز]

1- المسعودي: مروج الذهب، ج 2، ص 386.

2- الصدر نفسه، ج 2، ص 386

*خطأ: ضرب بيد مبسوطة. القاموس.

3- البلاذري: أنساب الأشراف، ج 2، ص 396.

4- المسعودي: مروج الذهب ج 2، ص 417-418.

- وينظر: الإمام علي بن أبي طالب: الديوان، ص 107.

أشدُّ حياز يمك للموتِ فإنَّ الموتَ لاقيكَا
ولَا تجزع من الموتِ إذا حلَّ بَوَادِيكَا.

وسمعا منه في الوقت الذي قتل فيه، فإنه قد خرج إلى المسجد، وقد عسر عليه فتح باب داره، وكان من جدوع النخل، فاقتلعه وجعله ناحية، وانحل إزاره، فشد وجعل ينشد هذين البيتين المتقدمين⁴.

أما في حروبه مع أهل النهروان، « فحل رجل من الخوارج على أصحاب عليؑ فخرج فيهم، وجعل يغشى كل ناحية، يرتجز قائلا:

أضربهم و لو أرى عليًّا ألبسته أبيضَ مشرفيًّا

فخرج إليه عليؑ وهو يقول:

يا أيهدا المتبغي عليًّا إني أراك جاهلاً شقيًّا
قد كنت عن كفاحه غنيًّا هلم فأبرزها هنا إليًّا

وحمل عليؑ فقتله.

ثم خرج منهم آخر، فحمل على الناس، ففتك فيهم، وجعل يكر عليهم، وهو يقول:

أضربهم و لو أرى أبا حسن ألبسته بصارمي ثوب غبر

فخرج إليه عليؑ وهو يقول:

يا أيهدا المتبغي أبا حسن إليك فأنظر أينا يلقي العبر

وحمل عليه علي وشكه بالرمح و ترك الرمح فيه، فانصرف علي وهو يقول: لقد رأيت أبا حسن

فرايت ما تكره¹.

المواقف التي سمع فيها الخليفة علي بن أبي طالب الشعر:

1- المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص ص 405-406.

- وينظر: الإمام علي بن أبي طالب، الديوان، ص 154.

* أمي: أقصدي.

** الأحواز: جمع حوز وهي الجهات، والأعلام: لجيل.

ومن المواقف التي سمع فيها علي بن أبي طالب الشعر، ما رواه صاحب الأغاني، قال... « قال: محمد بن يزيد بن سنان قال: حدثني جدي سنان بن يزيد قال: كنت مع مولاي جرير بن سهم التميمي وهو يسير أمام علي بن أبي طالب Ψ ويقول:

يا فرسي سيري وأمِّي الشَّامَا وخَلْفِي الأَحْوَالِ والأَعْمَامَا*
 وَقَطْعِي الأَجْوَازَ والأَعْلَامَا وَقَاتِلِي مَنْ خَالَفَ الإِمَامَا**
 إني لأرُجُو إنْ لَقِينَا العَامَا جَمَعَ بِنِي أُمِيَةِ الطَّغَامَا
 أنْ نَقْتُلَ العاصِي والهُمَامَا وأنْ نُزِيلَ مِنْ رِجَالِ هَامَا

فلما انتهى إلى مدائن كسرى، وقف علي Ψ ووقفنا، فتمثل مولاي قول الأسود يعفر: [البسيط]

جرت الرياح على مكان ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
 فقال له علي Ψ : فلم لم تقل كما قال الله عز وجل: $\text{أَبِي بِي تَر} \square \square \square \square \square \square \square \square \square \square$ تي
 تي $\square \square \square \square \square \square \square \square \square \square$ [سورة الدخان: الآيات

25-28]، ثم قال: يا ابن أخي، إن هؤلاء كفروا بالنعمة، فحلت بهم النعمة، فإياكم وكفر النعمة فتحل بكم النعمة ¹.

ومن المواقف التي سمع فيها علي بن أبي طالب الشعر وأثاب صاحبه عليه، « يروي أن أعرابيا وقف على علي بن أبي طالب Ψ ، فقال: إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك، فقال له علي: خط حاجتك في الأرض، فإني أرى الضر عليك فكتب الأعرابي على الأرض " إني فقير"، فقال علي: يا فاجر، ادفع إليه حلتي الفلانية، فلما أخذها مثل بين يديه، فقال:

كسَوْتِي حُلَّةً تُبْلَى محاسنها فسوفَ أكسوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَا حُلَلَا
 إنَّ الشَّاءَ ليحيى ذكر صاحبه كالغَيْثِ يُحْيِي نداءَ السَّهْلِ والجُبَلَا
 لا تزهدي الدهر في عُرفٍ بدأت به فكلُّ عبدٍ سيُجزى بالذي فعَلَا

1- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج 13، ص 18 .

2- ابن رشيقي: العمدة، ج 1، ص ص 24-25 .

فقال علي: يا قنبر أعطه خميس ديناراً، أما الحلة فلمسألتك، وأما الدنانير فلأدبك، سمعت رسول الله يقول: " انزلوا الناس منازلهم " ².

فلقد اعتلى هذا الرجل منزلة عالية عند علي بن أبي طالب وذلك بسبب شعره ، فتذوقه وقدره أحسن تقدير، وكافأه بجائزتين: الأولى: مادية تمثلت في الحلة والدنانير، والثانية: جائزة معنوية، وهي شهادته على حسن خلق الشاعر، وهذا في حد ذاته يعتبر مدحا وثناء للشاعر من الخليفة علي .

وبعد، فقد اتضح أن علي بن أبي طالب مثله مثل باقي الصحابة في موقفه من الشعر، فكان موقفه إيجابياً من الشعر والشعراء، فتبث عنه أنه قال الشعر قبل وبعد خلافته، وسمع للشعراء ، واستحسن أشعارهم وأجازهم في مواقف مختلفة ، وتمثل به، ونهى عنه في بعض المواقف ، وقد أدت مواجهة لمعاوية وعمرو بن العاص في صفين دوراً كبيراً في المواجهة الشعرية بينهم .

وفي الأخير، وعلى الرغم مما أحاط ديوان علي من شكوك، سواء تعلق الأمر بآراء القدماء واختلاف المحدثين، إلا أن هذا لا يدع مجالاً على الإطلاق لنسف الشاعرية عن الخليفة علي، ذلك أن المصادر القديمة تؤكد أن علياً كان يستمع للشعر فيستحسن بعضه، ويستبيح بعضه الآخر، وكان يقول الشعر في المواقف التي تطلب ذلك حشداً للهمم، وبعث الشجاعة في النفوس والإقدام.

ولكن مشروع الخليفة علي لم يكن اهتمامه منصباً حول الشعر، لهذا لم يعن بالصناعة الشعرية من حيث جماليته وصياغته ، لذا ظهر بعض الضعف على شاعريته ، وهذا ليس لضعف في لغته وعبارته، وإنما من حيث كون الشعر لا يشكل بؤرة اهتمامه وتطلعاته، وعليه فإنه لا يمكن بأية حال من الأحوال الطعن في شاعريته، وإنما إحقاقاً للحق أن علياً يمتلك ذوقاً جميلاً، وأذناً موسيقية وقدرة فائقة على قول الشعر، ولكن لاعتبارات كثيرة لم تكن توجهاته منصبية حول الشعر .

الفصل الثاني

شعر الصحابة بين البعد الفكري والفني

شعر الصحابة بين البعد الفكري والفني

إن الذي لا جدال فيه، أنه لما اشتد الصراع بين الرسول والمشركين في مكة، و«أخذ الإسلام في التغلغل بين القبائل استشاطت قريش غيظاً، وناصبت الرسول العداء، ووقف عمه أبو طالب، يصارح قريشا بأن بني هاشم لن يسلموه، وهاجر الرسول إلى المدينة فأوى إلى ركن شديد من الأنصار»¹، وكانت المدينة قبل مقدم الرسول ﷺ، إليها أشعر القرى^{2*}، فالتف حوله شعراؤها: عبد الله بن رواحة (ت8هـ) وحسان بن ثابت (ت50هـ) وكعب بن مالك (ت54هـ)، وكان شعراء الأنصار قبل وصول الإسلام إليهم، يتبارون بالشعر مع شاعري الأوس: قيس بن الخطيم (ت620م) وأبو قيس بن الأسلت (ت؟) .

لهذا نجد الصحابة الشعراء الأوائل الذين ناصروا الرسول ﷺ، بسيو فهم وألسنتهم، كانوا من محترفي الشعر، وتظهر احترافيتهم للشعر في عصر ما قبل الإسلام، من خلال تلك المعارك بين قبيلتي الأوس والخزرج، والتي كانت تتبعها المعارك اللسانية بين شعراء القبيلتين . وهذا ما يبين بأن الصحابة الشعراء احترفوا قبل إسلامهم فن الهجاء والمديح والفخر وفن النقائض، الذي ظهرت بوادره الأولى في العصر الجاهلي على ألسنتهم .

ومن هنا كانت لهؤلاء الصحابة الشعراء الذين احتضنوا الدعوة الإسلامية دراية وإلمامة واسعة ، وخبرة بالموروث الشعري الجاهلي .

وأثناء مواجهتهم لشعراء الكفار كان لهم رصيد وافر، وكم غير قليل من الألفاظ والعبارات والصور، وظفوها في معجمهم الشعري الإسلامي، مما سهل لهم مهمة الدفاع عن الرسول ﷺ، ودعوته .

وبالعودة إلى دواوين شعراء الدعوة : حسان وابن رواحة وكعب ، نلاحظ أن احترافيتهم للشعر في عصر ما قبل الإسلام تعكس روح الاقتتال والصراع القبلي والفني بين الأوس والخزرج؛ حيث كانت الحروب بين هذين القبيلتين من أشهر حروب الجاهلية ، وقد خاض غمارها بعض فحول الشعراء من العرب واليهود ، فسجلوا أيامها وصورها وكانت لهم أيام حروب مشهورة ، منها: أيام سُمَيْر (بضم السين

1- محمد إبراهيم جمعة : حسان بن ثابت ، في سلسلة نوايغ الفكر، ط2 ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، رقم 34 ، 1971م، ص16.

* القرى خمس : المدينة ، ومكة ، واليمامة ، والطائف ، والبحرين .

2- ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، ج1، ص215 .

وفتح الميم وإسكان الياء) ، والسراة ، والربيع ، البقيع ، كعب ، فارح ، معبس ومضرس ، حاطب ، بعث¹ ، ويوم ذي قار² ، ومعلوم « أن حروب الأوس والخزرج كانت يشاركها حروب الشعر بين المتخاصمين ، خطوة خطوة ، وكانت معارك الشعراء لا تقل احتداما ونشاطا عن ميادين الحرب، حتى لتكاد تسمع منها صليل السيوف ، وترى التماع الأسنة ، وكان لجماعة من شعراء اليهود صلة بشعر النقائض أو مشاركة فيها وفي أيامها ، منهم : أوس بن دُيِّ القَرظي ، والسموأل بن عادي ، وأبو الزناد، وكعب بن الأشرف من بني النضير ، وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره في حروب الأوس والخزرج ، والربيع بن أبي الحقيق من قريظة ، كما كانت مشاركة في الحياة الشعرية عامة »³.

أما في الإسلام ، فإن النقلة الزمنية النوعية التي عاشها شعراء المدينة بمجيء الإسلام ، كان لها وجهها المشرق من الناحية الدينية والفكرية والفنية ، حيث أضفى الإسلام بظلاله على مختلف حياة العصر ، لهذا نجد شعراء المدينة لم يتوانوا في الانضواء تحت الإسلام ، فدخل عبد الله بن رواحة ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، في الإسلام وهم شعراء ، ولم يمنعهم الإسلام من قول الشعر ، فضمهم إليه واحتاج إلى خبرتهم الشعرية ، ودفعهم الرسول ﷺ بكل حرية إلى التعبير عن فكرهم الجديد، فكانوا كما قال عنهم ابن سلام : « أشعرهم حسان بن ثابت وهو كثير الشعر جيدة »⁴ ، وكان « كعب بن مالك شاعر مجيد »⁵ ، « وعبد الله بن رواحة عظيم القدر والمكانة عند رسول الله ﷺ »⁶ ، فابن سلام في أقواله هذه يصف شعر حسان بالكثرة والجودة ، « لما للكثرة من أثر في توجيه حكم العالم على الشاعر »⁷ ، والارتقاء به إلى مصاف كبار الشعراء ، لأن سيولة الشعر من سيولة القريحة⁸ ، ووصف كعب "بالشاعر المجيد"، وعبد الله بن رواحة بعظيم القدر والمكانة في الجاهلية الإسلام.

1- محمد طاهر درويش : حسان بن ثابت ، ط2، مصر ، دار المعارف ، 1976م ، ص 102 .

2- محمد التنوخي : المعجم المفصل في الأدب ، 1، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، 1413هـ/1993م ، ج 1 ، ص 215.

3- محمد طاهر درويش : حسان بن ثابت ، ص 114.

4- محمد التنوخي : المعجم المفصل في الأدب ، ج 1 ، ص 215 .

5- المرجع نفسه ، ج 1؛ ص 220 .

6- المرجع نفسه ، ج 1؛ ص 223.

7- أحمد الوردني : قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الوصول إلى القرن 7هـ/13م ، ج 1 ، بيروت ، لبنان ، دار الغرب الإسلامي ،

1424هـ/2004م ، ص 443 .

8- المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 444

معنى هذا، أن هذه الصفات بينت مقدرة هؤلاء الشعراء وقوة شعرهم في الإسلام، وفضل تقدمهم على غيرهم من الشعراء في زمانهم، من حيث خدمتهم للدعوة الإسلامية، وخوضهم المعارك بسيوفهم وألسنتهم، فزادت بذلك تجاربهم الفنية تنوعاً وتجدداً، وأضافوا بذلك لونا شعريا جديداً، وانتقلوا من شعر النقائص إلى الشعر الجدلي العميق، الذي جعل هدفه التغيير والتجديد في كل ألوان الحياة الجديدة .

وعلى هذا الأساس احترف شعراء الدعوة الهجاء والمدح والفخر والثناء ، ولكن احترافيتهم في الإسلام تختلف عن احترافيتهم في الجاهلية؛ من حيث بواعث الشعر والتصوير الدقيق لمعطياته ، الأمر الذي جعل رصيدهم الفني واللغوي يتغذى ويتجدد في الأسلوب والعبارات والمعاني والصور الجديدة ، من منبع الدعوة ، لذا كان مطلوباً من شعراء الرسول ﷺ الذين نزلت في حقهم آية [سورة الشعراء الآية 227] أن يجددوا ويطوروا فنهم الشعري وفق مقتضيات العصر وروحه ، لمواجهة شعراء المشركين .

ولما كان الحال يلزم شعراء الدعوة لدخول المعركة الكلامية للرد على شعراء المشركين ومواجهتهم ، فبماذا كان على الصحابة الشعراء أن يتسلحوا بما يجعل لشعرهم في المعركة الكلامية أثره العميق والمؤلم في نفسية المشركين؟ وما هو المنهج الذي كان عليهم أن ينهجوه لمقارعة شعراء قريش وحلفاءهم بالحجة والرد عليهم؟ .

للإجابة عن هذه الأسئلة يمكن القول: لقد تسلح الصحابة الشعراء لدخولهم المعركة الكلامية ، أولاً: بحبهم للقرآن الذي زاد في عزيمتهم، وأخرجهم من دائرة الشعراء المغضوب عليهم، وقوى إيمانهم في الدفاع عن الدين الجديد ، ثانياً: الترخيص لهم بقول الشعر في مواجهة شعراء المشركين.

أولاً: البعد الفكري لشعراء المدينة في مواجهة شعراء مكة ودفاعهم عن الرسول ﷺ ودعوته :

كان للرسول ﷺ دور فعال في توجيه الصحابة توجيهها استراتيجياً، في مواجهة قريش والرد على حملة شعرائها، الذين وقفوا ضد دعوته ، متكئاً على البعد الفكري والديني والفني في طريقة الدفاع عنه وعن خدمة الدعوة الإسلامية ، وخصوصاً الصحابة الشعراء ، وتظهر مقدرة الرسول ﷺ في هذا حين وصله هجاء الكفار له، وهو في عز بناء الدولة الإسلامية في المدينة ، حينها أدرك بعمق خطر الشعر الوثني، بعد انتصاره على قريش في غزوة بدر (2هـ)، لهذا نجد ﷺ لم يتوان في تجنيد أصحابه الشعراء بالمدينة،

لدفع هذا الخطر الجديد القادم من شعراء مكة وما جاورها، ومواجهتهم بمثل سلاحهم، فاتخذ موقفا سلبيا من شعرهم، ووقف موقفا حازما، عاقدا العزم على قطع دابر شعر الكفار وعزيمتهم ومكرهم، وتعتهم وجبروتهم، لأنه أدرك البعد الفكري الخطير لذلك الشعر وانتشاره بين القبائل، لذا رفع من همة أصحابه ، ومستوى قيمهم الدينية والفكرية ، واتجه إليهم بخطاب سياسي طالبا منهم نصرته ، فقال لأصحابه الشعراء: حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة «ما يمنع القوم الذين نصرنا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم" ؟ فقال حسان: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي " ؟ فقال: والله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين، فقال: " إيت أبا بكر، فإنه أعلم بأنسب القوم منك". فكان يمضي إلى أبي بكر ليقف على أنسابهم، فكان يقول له: كف عن فلانة وفلانة ، واذكر فلانة وفلانة ، فجعل حسان يهجوهم . فلما سمعت قريش شعر حسان قالوا: إن هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة، أو: من شعر ابن أبي قحافة»¹.

وفي هذا الصدد، روي عن « يزيد بن عياض بن جعدبة، أن النبي - صلى الله عليه -، لما قدم المدينة، تناولته قريش بالهجاء، فقال لعبد الله بن رواحة رد عني، فذهب في قديمهم وأولهم، فلم يصنع في الهجاء شيئا. فأمر كعب بن مالك ، فذكر الحرب ، كقوله:

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصْرَنَ بِحَطُونًا قُدْمًا، وَتُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

فلم يفعل في الهجاء ، فدعا حسان بن ثابت ، فقال " اهجهم ، واثت أبا بكر بخبرك " أي بمعايب القوم»².

وفي رواية عن « شعبة عن عدي بن ثابت الأنصاري: أنه سمع البراء بن عازب الأنصاري يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه - : اهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك»³.

وعن موقف حسان بن ثابت من شعراء المشركين، « قال ابن جعدبة في حديثه: وأخرج حسان لسانه

1- ابن عبد البر، (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق وتعليق : علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود ،

قدم له : محمد عبد المنعم البري وجمعة طاهر النجار ، ط1، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية، 1415هـ، 1995م، ج1، صص 400-401.

2- ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، ج1 ، ص 217

3- المصدر نفسه ، ج1، ص217.

حتى ضرب به على صدره وقال: والله يا رسول الله ، ما أُحِبُّ أن لي به مَقُولاً في العرب . فَصَبَّ على قريش منه شآبيبٌ شرٌّ، فقال رسول الله - صلى الله عليه-: اهجمهم ، " كأنك تَنْصَحُهُم بالنبل " ¹ . وهذا الموقف « يدل بوضوح على أن الرسول قد حقق رغبة الشاعر وهو راغب في تحقيقها، فأقامه ϕ شاعراً للنبوة، وأذن له في هجاء شعراء قريش، وبهذا أشبع حسان رغبته وأرضى نفسه وعقيدته ومجتمعه » ² .

وهو ما يؤكد أن الطلب الفني للرسول ϕ، وتوجيهاته الفكرية قد استجاب لها أصحابه الشعراء من أنصار ومهاجرين، فدخلوا بفنهم في معركة البيان بعزيمة قوية ، وهو ما يدل على أن الحرب ضد قريش أصبحت شاملة على جميع المستويات، فحدثت مواجهة قوية بين الطرفين، وظهرت يقظة ونهضة شعرية في مكة والمدينة، بعد أن كانت مكة قرية مسالمة قليلة الشعر والشعراء، وبعد مجيء الإسلام دخلت بزعمائها وشعرائها في مواجهة الرسول ϕ، والقرآن العظيم، فتشكلت المدرسة المكية النقدية، وأثناء المواجهة الحربية باللسان واللسان ضد شعراء المدينة، أصبحت بذلك مكة مدرسة شعرية، كثيرة الشعراء، قوية الشعرية، وقفت تدافع عن الوثنية وتهاجم الرسول ϕ، وما جاء به من دين جديد .

وفي الجانب الآخر، وقفت مدرسة المدينة ممثلة في شعراء الأنصار مع شعراء المهاجرين للدفاع عن الرسول ϕ، وعن الإسلام والمسلمين، ضد شعراء مدرسة مكة ونقادها المشركين، الذين أشهروا سلاح النقد والشعر في وجه الدعوة الإسلامية، وأعطيت قيادة مدرسة المدينة وحملة شعرائها لحسان ابن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك . يؤازرهم شعراء آخرون من المهاجرين والأنصار أمثال: طالب بن أبي طالب، وعلي بن أبي طالب، وخوات بن جبير الأنصاري، وعبد الله بن جحش، وعبد الله بن الحارث السهمي، وعثمان بن مظعون، كما أدت الشواعر المسلمات دوراً مهماً في هذه المعارك الشعرية، منهن: هند بنت أثاة، وصفية بنت عبد المطلب، ونعم بنت سعد .

وهكذا اتجهت المدرستان الشعريتان: مدرسة مكة ومدرسة المدينة نحو المواجهة الدينية والفكرية والفنية ، تتجادلان حول أفكار الإسلام، فشعراء " مكة " ومن الأهم يهاجمون النبي ϕ، وما جاء به، مدافعين عن معتقداتهم وتفكيرهم الوثني، وشعراء " المدينة " الأنصار والمهاجرين يدافعون عن النبي

1- ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، ج 1 ، ص 217.

2- محمد إبراهيم جمعة : حسان بن ثابت ، ص 54 .

Φ، ودينهم وأعراض المسلمين، واتجاههم الفكري الجديد، ويردون بكل قوة على ما يوجه إليهم من هجاء، وما يشن عليهم من حملات المشركين الشديدة .

وقد وقف إلى جانب حسان بن ثابت، كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، والشعراء المهاجرون، وكل أظهر موقفه السلبي من قريش وشعرائها، وكل أدلى بدلوه في الدفاع عن الإسلام والرسول Φ، بشجاعة عقلية وذكاء الفؤاد، ولكن الدور الأكبر كان لحسان بن ثابت ، وعن عبقرية وتفوق حسان وأصحابه في هذا المضمار، وفي انتصارهم الفني تتجلى الأسباب الموضوعية التي أدت بالرسول Φ إلى اختيار حسان لهذه المهمة الفنية للرد على المشركين، وهي كما قال منذر معاليقي: إن « اختيار الرسول Φ لحسان يعود لسببين : أولهما : أنه لم يجد بين قومه المهاجرين شاعرا فحلا ذرب اللسان كحسان لينوط به أمر مهاجاة المشركين، ثانيهما: أنه ليس بوسع الإنسان أن يتنكر لنفسه دفعة واحدة، وليس بوسع الشاعر أن يبلغ في هجاء قومه ما يبلغه الغريب عنهم، إضافة ما للعصبية القبلية من حافز طبيعي لإجادة الهجاء وإلى ما للمناسبة القوية التي قامت بين مكة ويثرب في الجاهلية »¹.

وهو ما يكشف لنا بكل وضوح عن « الحكمة النبوية البالغة في اختيار شاعر مؤمن برسالته وشاعريته، مرتكز على شعبية في مجتمعه، وخبرة في فنه، عرك الحياة في جاهليتها وإسلامها وبواديها وحواضرها، وتأثر شعره بالحياة الحضرية وبالاحتكاك بمن رحل إليهم من المناذرة والغساسنة، بل إن له تجربة فنية ناجحة في الهجاء الذي مارسه وتمرس به منذ لهج لسانه بالشعر »².

ويبقى أن هذا الانتصار الفني يؤكد نجاح مخططات منهج الرسول Φ، في حربه الشاملة ضد قريش وشعرائها وحلفائها ، على جميع المستويات والأبعاد الفكرية والاقتصادية والدينية والنقدية والفنية .

ثانيا: البعد الفني لشعراء المدينة في مواجهة شعراء مكة ودفاعهم عن الرسول Φ ودعوته :

إن الأداء الفني الذي سلكه شعراء الدعوة، قد ظهر بعد أن أخذت المدينة استقلالها التام عن المجتمع العربي ومكة ، وواجه شعراؤها قريشا وشعرائها، بقيادة حسان الذي استفاد ببعض المعطيات الخاصة ببعض سادة قريش ونسائهم من أبي بكر، لتسهيل مهمة مواجهتهم ، ويوضح لنا القرطبي مسلك التجربة الشعرية الجديدة لشعراء المدينة في هجاء قريش فقال: « قال ابن سيرين: وانتدب لهجو

1- منذر معاليقي : دراسات نقدية في الأدب الإسلامي ، ط1، طرابلس، لبنان، المؤسسة الحديث للكتاب، 2004م . ص 71 .

2- محمد إبراهيم جمعة : حسان بن ثابت ، ص 55 .

المشركين ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، فكان حسان وكعب بن مالك يعارضانهم بمثل قولهم في الوقائع والأيام والمآثر ، ويذكران مثالهم ، وكان عبد الله ابن رواحة يعيرهم بالكفر وعبادة مالا يسمع ولا ينفع ، فكان قوله يومئذ أهون القول عليهم ، وكان قول حسان وكعب أشد القول عليهم ، فلما أسلموا وفقهوا كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ¹ . إن دلالة معاني النص الفنية والنقدية - رغم صغره - دلالة قوية وعميقة ، وكما هو واضح فالمعاني تركز على أن الشعر الإسلامي عند انطلاقه كان يتكئ على الهجاء كخلفية فكرية وفنية ، هذا الهجاء الذي سلك به شعراء المدينة منهجا ذا اتجاهين فنيين : اتجاه فني جاهلي ، واتجاه فني إسلامي .

وكما يقول يوسف خليف : « اتجاه جاهلي يمثله حسان بن ثابت وكعب اللذان راحا يهجون قريشا بمعان جاهلية كانت تضيق بما قبل إسلامها ، فلما أسلمت بعد الفتح أصبحت هذه المعاني الجاهلية لا تؤذيها في شيء ، لأن الإسلام قضى على الكثير من مظاهر الحياة الجاهلية ، وغير كثير من قيمها الخلقية ومثلها العليا ، واتجاه إسلامي يمثله عبد الله بن رواحة الذي كان يهجو قريشا بالكفر والشرك والوثنية وعدم الاستجابة للدين الجديد ، وكان هذا الاتجاه لا يؤذي قريشا في جاهليتها لأنها تعتز بدينها القديم وتؤمن به ، فلما أسلمت أصبح هجاء ابن رواحة لها يذكرها بماضيها الوثني ، وموقفها العدائي من النبي ودينه » ² .

معنى هذا أن التغيير والتأثر بالفكر الإسلامي بدأ مبكرا في الشعر عند الشعراء الصحابة المحترفين ، من خلال ما ظهر من موضوعات ومعاني وأساليب إسلامية جديدة عند شعراء المدينة الذين سلكوا بالشعر مسلك الهجاء ، وبخاصة حسان بن ثابت وكعب بن مالك اللذين اتجاها في بداية الغزوات إلى هجاء المشركين بالأفكار والمعاني الجاهلية ، لأن هذا الاتجاه يعبر عن وجهة نظر الرسول (ﷺ) من خلال توجيهات أبي بكر ، الذي عرّف حسان وأطلعته على أحساب وأنساب القرشيين فردا فردا .

ولكن لماذا هجا حسان وكعب قريشا بالمعاني التي تتكئ على الأحساب والأنساب ؟ فمن الواضح كما ذهب شوقي ضيف : إلى أن « أسبابا مختلفة اجتمعت لتظل للهجاء عند حسان وكعب معانيه القديمة ، إذ كانت متمسكة من نفسيهما ، وكانت هي المعاني التي تؤذي نفوس أعداء

1- ابن عبد البر القرطبي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ج1 ، ص 402 .

2- يوسف خليف : في الشعر الأموي دراسة في البيئات ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت . ص 18 .

الإسلام من قريش، ولو أنهما هجياهم بكفرهم وعنادهم أو توعداهم النار لما كان لذلك وقع عليهم ، فهم لا يؤمنون بنار ولا ببعث ، وهم يفتخرون بكفرهم ويعتزون بأنهم متمسكون بدين آبائهم ، فكان طبيعياً أن يهجوهم حسان وكعب بما يعدونه حقاً هجاء، مما يتصل بالأنساب والأحساب، وبالوقائع والهزائم التي يصلحهم الرسول وأصحابه نيرانها... ولو أنهم عيروهم بعبادة الأصنام مثلاً لسخروا منهم لأنهم فعلاً يعبدونها ويتخذونها زلفى إلى ربهم، ويقدمون لها الأدعية والقرابين»¹.

وقد سلك شعراء الدعوة من خلال « المنهج الإسلامي آنذاك، في محاربة الشعراء المشركين والرد عليهم باللغة التي كانوا يفهمونها ، والأسلحة التي كانوا يتعاملون بها »².

والحقيقة التي يمكن أن نؤكد لها هي: لولا توجيهات الرسول (ﷺ)، ومرجعية أبي بكر، لما « كان تأثير منهج حسان وكعب بن مالك - رضي الله عنهم - في ذلك الحين قويا وواضحا، وقد أقام حسان T بهجائه الجاهلي الدنيا وأقعدا عليها ، لأن هجاءه كان يدور في محور العصبية القبلية الجاهلية »³.

وأما عبد الله بن رواحة فإذا وجدناه هجا قريشا بالمعاني الإسلامية، وتعمق فيها في شعره، فهذا يدل على أن ليس هناك انفصال أو تباعد بين الاتجاهين، إذ هما متداخلان، لأن في دواوين شعراء المدينة « هناك معان إسلامية في شعر حسان وكعب ، وهناك معان جاهلية في شعر ابن رواحة ، ومعنى هذا أن شعراء المدينة في عصر الدعوة بدءوا عملية المزج بين التيار الجاهلي الذي كان سائدا في المجتمع الأدبي في ذلك الوقت ، وبين التيار الإسلامي الجديد الذي أخذ يشق طريقه في ذلك المجتمع ، ومن خلال هذه العملية الفنية أخذ الشعر الإسلامي منذ هذا العصر طابعه الذي عرف به ، والذي يقوم على أساس المزج بين القديم والجديد »⁴. الشيء الذي يسر الأمر لشعراء الرسول (ﷺ) لما وقعت المواجهة ضد شعراء المشركين في السنة الثانية للهجرة في غزوة بدر؛ حيث وقف الصحابة شعراء المدينة إلى صف الرسول (ﷺ) بكل تمرس، فعززوا موقفه ، وخدموا الدعوة باحترافية سامية الشاعرية، من خلال مواجعتهم لشعراء الكفار واليهود : أبوعزة الجمحي، وهبيرة بن أبي وهب، وعبد الله بن الزبير، وأبوسفيان بن

1- شوقي ضيف : التطور والتحديد في الشعر الأموي ، ط6، القاهرة، دار المعارف، 1991م. ص 15 .

2- محمود حسن زيني : دراسات في أدب الدعوة الإسلامية، مكة المكرمة ، د . ن ، 1402 هـ .، ص 183 .

3- المرجع نفسه ، ص 184 .

4- يوسف خليف : في الشعر الأموي دراسة في البيئات ، ص 18 .

الحرث، وضرار بن الخطاب، وكعب بن الأشرف، وغيرهم من الشعراء الذين ناصبوا العداوة للرسول (ﷺ)، وكان لحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، الدور الفني الفعال في كل موقف وفي كل غزوة غزاها الرسول والمسلمون، فكانوا يردون على هجاء المشركين لهم، ودافعوا عنه (ﷺ)، وعن أعراض المسلمين، بقصائد خلدت تلك الغزوات والمواقف، فكان لهم بذلك الفضل في بلورة فن الشعر الجدلي في العصر الإسلامي، ونظرا لقوة شاعريتهم التي زادت في قوة الدعوة الإسلامية، وذيع صيتها بين القبائل في أرجاء الجزيرة العربية، دخل في الإسلام شعراء كبار: النابغة الجعدي، ولبيد بن ربيعة، وعباس بن مرداس، وكعب بن زهير، والزبير بن بدر، وعمرو بن الأهتم، وغيرهم من الشعراء الجاهليين الذين كان لهم فضل شرف الدخول في الإسلام وصحبة الرسول (ﷺ).

وكان شعراء الدعوة « قد واجهوا منذ البداية...عبء الاتصال المباشر بالقيم الجديدة وما تحمله من مظاهر التغيير في الأخلاق والسلوك والقيم الاجتماعية والروحية، كما كان عليهم أن يشاركوا مشاركة مباشرة في المعركة من جانبها الكلامي، ولم يكن من اليسير على شاعر قضى الجانب الأكبر من حياته في الجاهلية، كحسان بن ثابت مثلا أن يجد لنفسه أسلوبا جديدا من الشعر يحسن التعبير عن تلك القيم والقضايا الجديدة، ويحتفظ في الوقت نفسه بتلك الخصائص الفنية التي نمت وتطورت في ظل مجتمع مختلف في قيمه وقضياه»¹. لولا احترافيته للشعر ومعرفته بمسلكه .

واستطاع الصحابة الشعراء أن يعبروا عن مذهبهم الشعري الجديد بكل إيمان وصدق، فسخروا تجريرتهم الفنية للتعبير عن عقيدتهم الجديدة، وكانوا يمثلوا مرحلة الانتقال بكل مقوماتها الدينية والفكرية والفنية، التي يقول عنها عبد القادر القط: « والحق إن مرحلة الانتقال تلك كانت بالغة القصر إذا ما قيست إلى التحول الهائل الذي طرأ على الحياة العربية بعد الفتح الإسلامية، ويلاحظ الدارس أن الشعراء منذ السنوات الأولى للإسلام، قد بدأوا يتأثرون تأثرا واضحا بالمعاني الجديدة وبالأسلوب القرآني، مما يؤكد أن مواجهة الشاعر المخضرم للمجتمع الجديد كانت مواجهة سريعة، فرضت عليه إما التكيف السريع كحسان بن ثابت، أو الصمت التام كما تذكر الرواية عن لبيد، أو المضي على طريق الشعر الجاهلي إلا ما كان من تأثر يسير كالذي نراه عند الحطيئة»².

1- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي، القاهرة، دار المعارف، 1995م. ص ص 8-9 .

2- المرجع نفسه، ص 10 .

ولقد بدا واضحا عند شعراء صدر الإسلام بتمثلهم «في شعرهم المفاهيم الإسلامية والقيم الجديدة، لأن الإسلام كان ثورة غيرت كثيرا من نظم الجاهلية ومفاهيمها، وأقامت مثلا وقيم جديدة»¹. وفي هذا التمثل انعكس بكل جدية ووضوح احترافيتهم للشعر السياسي المتفرع عن الهجاء ، ولم ترو لنا مصادر الشعر ونقده أي عائق تمثل أمام شعراء الدعوة ، وحال بينهم وبين تحقيق أهدافهم الفنية في سرعة الرد على هجاء شعراء المشركين، والشعراء الذين وقفوا في صفهم ضد الرسول ﷺ ودعوته . الشيء الذي يؤكد بداية ظهور ملامح التجديد في القصيدة العربية وتطورها، من خلال تطلع شعراء الدعوة إلى « نوع جديد وهو الهجاء السياسي ، هجاء مر مقذع أليم ، كان بين شعراء النبي ، وشعراء قريش والأحزاب »².

وقد احترف الشعراء الصحابة « فن الشعر السياسي الصحيح ، لأن العرب في جاهليتهم عرفوا شيئا منه في منافراتهم ومفاحراتهم ، ولكنه كان ضئيلا ضعيفا الأثر لا يستند في كثرته إلى عقيدة صحيحة ، وربما قصد منه التكسب كما كان يفعل الأعشى والحطيئة »³.

وبعد فما هي سبل المسلك الفني لشعراء الدعوة في دفاعهم عن الدعوة الإسلامية ؟ .

1- بُعد المسلك الفني لحسان بن ثابت في مواجهة شعراء الكفار:

يعد حسان بن ثابت قائد الشعراء المدافعين عن الدعوة الإسلامية والمنافحين عن الرسول، « وشعره الذي قرضه في حياة النبي ﷺ في المناسبات الدينية الخالصة يمثل شعره الإسلامي ، ويعتبر بحق شعرا قويا حافلا بالروح والتأثير، وقد استعمل فيه الفنون الكلامية كلها من الفخر والهجاء والمدح والرثاء والغزل والوصف والحكم ، والرد على المناوئين وتعييرهم ، والانتصار للرسول ﷺ، والدفاع عن الدعوة الإسلامية والإسلام ، مما جعل شعره الإسلامي مجموعة حية تمثل تاريخ الإسلام ونموه في أيام انتصارات الإسلام الأولى، التي بدأت منذ الهجرة إلى المدينة المنورة »⁴.

وعلى هذا الأساس جاء المسلك الفني لشعر حسان بن ثابت يتكئ على هجائه لقريش وشعرائها

1- فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ط 1 ، د . م ، دار الفكر اللبناني ، 1990م ، ص 90 .

2- بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية والإسلام ، د . م ، دار مارون عبود ، 1979م ، ج 1 ، ص 265 .

3- المرجع نفسه ، ص 276 .

4- سعيد الأعظمي الندوي : شعراء الرسول ﷺ في ضوء الواقع والقريض ، قدم له : السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، أشرف عليه : محمد الرابع الحسيني الندوي ، ط 1 ، أبوظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، مكتبة الصفا ، 1430هـ 2009م ، ص 169 .

مقرونا بمدحه للرسول ﷺ. وحسان في موقفه من شعراء فريش، أنه كان في بادئ الأمر يتحرى هجاء قوم النبي ﷺ، ولما أمره انطلق لسانه في هجوهم، وكانت بداية هجاء حسان لقريش كما تقول رواية صاحب جمهرة العرب: «أتى حسان إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن أبا سفيان هجأك وأسعده على ذلك نوفل بن الحارث، وكفار قريش، أفتأذن لي أهجوهم يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: فكيف تصنع بي؟ فقال: أسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين! قال له: أهجوهم وروح القدس معك، واستعن بأي بكر فإنه علامة قريش بأنساب العرب»¹.

إن طريقة حسان في إجابة الرسول ﷺ، لا يدركها إلا محترف خبير بدروب الشعر ومسالك الهجاء، لهذا راح يتوغل في هجاء شعراء المشركين بهجاء غليظ شديد بدون لين.

والمتصفح لديوان حسان بن ثابت يجد أن شعره الإسلامي أغلبه في الهجاء. فهجا قريشا والقبائل والأفراد هجاء قويا، عبر من خلاله على مذهبه الشعري الجديد، فهجا هذيل²، وهجا بني سهم بن هصيص، وهجا بني الحماس، وبني عدي بن كعب³، وهجا ثقيفا⁴، وهجا خيبرا⁵، وبني العوام⁶، وبني أسد بن خزيم⁷، وبني المغيرة⁸، وهجا بني الحارث بن الخزرج⁹، وهجا في يوم أحد بني عبد الدار وكانوا حافظوا على لوائهم حتى قتلوا رجلا بعد رجل فصار اللواء إلى عبد لهم أسود يقال له: "صواب"¹⁰، وهجا عمرو بن العاص بن وائل وأمه النابغة امرأة من عنزة¹¹، وهجا صفوان بن أمية¹²، وهجا أبا سفيان بن الحرث بن

1- القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص 30.

2- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، وضعه وضبط الديوان وصححه: عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت. ص 109، ص 469، وص 477.

3- المصدر نفسه، ص 279.

4- المصدر نفسه، ص 394.

5- المصدر نفسه، ص 400.

6- المصدر نفسه، ص 292.

7- المصدر نفسه، ص 397.

8- المصدر نفسه، ص ص 456-457.

9- المصدر نفسه، ص 268.

10- المصدر نفسه، ص 115.

11- المصدر نفسه، ص 277.

12- المصدر نفسه، ص 109-108.

عبد المطلب¹، وهجا الحارث بن هشام بن المغيرة²، وعدي بن كعب، وقيس بن مخزوم³، وأبا البخترى بن هشام الأسدي⁴، وهجا أباسفيان بن حرب وزوجته هند بنت عتبة⁵، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري⁶، والحارث بن كعب المجاشعي وهم رهط النجاشي الشاعر⁷، وهجا أمية بن خلف الخزاعي⁸، والمغيرة بن شعبة⁹، وعتبة بن أبي وقاص¹⁰، وأبا جهل¹¹، وعبد الله بن الزبير¹²، والوليد بن المغيرة¹³، وطلحة بن أبي طلحة¹⁴، وغيرهم .

وفي خضم ثورة الهجاء التي أثارها حسان، نجد أن هجاءه لقريش هجاء مؤلم، « فهجاهم ونال منهم نيلا شديدا، وقد اتخذ لذلك أسلوبا سياسيا حكيما، كان يجعل فيه المهجو من خشارة قريش لا يرتفع له رأسا إلى الذؤابات من هاشم، كهجائه لأبي سفيان بن الحرث، فإنه في هجوه إياه يهجو ابن عم الرسول (ﷺ)، فما استقام أن يمعن في ذم والده الحرث فاقتصر على أن يجعله عبدا بين إخوته والد النبي وأعمامه، ثم عطف على أبي سفيان من جهة أمه وأم أبيه فهشمهما، وجعل أبا سفيان من بني هاشم كقذح الراكب من الرجل، فأخرجه من الدوحة الهاشمية التي ينتمي إليها الرسول »¹⁵. فقال

1- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ، ص ص 212 -213 -214 -215

2- المصدر نفسه ، ص 112-113-114 .

3- المصدر نفسه ، ص 208 .

4- المصدر نفسه ، ص 209 .

5- المصدر نفسه ، ص ص 210 -211- وص 282 -283 -284 .

6- المصدر نفسه ، ص 263 .

7- المصدر نفسه ، ص ص 266-267-268 .

8- المصدر نفسه ، ص 295 .

9- المصدر نفسه ، ص 329 .

10- المصدر نفسه ، ص 344 .

11- المصدر نفسه ، ص 397 .

12- المصدر نفسه ، ص 413 وص 454 .

13- المصدر نفسه ، ص 111 .

14- المصدر نفسه ، ص 459 .

15- بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية والإسلام ، ج 1 ، ص 27 .

[الوافر]

يهجو أبا سفيان بن الحرث

لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ ابْنَ هَاشِمٍ
وَمَا لَكَ فِيهِمْ مَحْتَدٌ يَعْرِفُونَهُ
وَإِنَّ سَنَامَ الْجَدِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
وَمَا وَلَدْتَ أَفْنَاءَ زُهْرَةَ مِنْكُمْ
وَلَسْتَ كَعَبَّاسٍ وَلَا كَابْنَ أُمِّهِ
وَأَنْتَ زَيْنٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ
وَإِنَّ أَمْرًا كَانَتْ سُمِّيَهُ أُمُّهُ
هُوَ الْغَصْنُ ذُو الْأَفْنَانِ لَا الْوَاحِدُ الْوَعْدُ
فَدُونَكَ فَالصَّقِ مِثْلَ مَا لَصِقَ الْقُرْدُ
بُنُو بِنْتِ مَخْزُومٍ وَوَالِدِكَ الْعَبْدُ
كَرِيمًا وَمَنْ يَتَّقِبَ عَجَائِزَكَ الْمَجْدُ
وَلَكِنْ هَجِيئٌ لَيْسَ يُورَى لَهُ زَنْدُ
كَمَا نَيْطُ خَلْفِ الرَّايِكِ الْقَدْحُ الْقُرْدُ
وَسَمْرَاءُ مَغْلُوبٌ إِذَا بُلِعَ الْجُهْدُ¹.

وهكذا « فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان قال: هذا الشعر لم يغب عنه ابن أبي قحافة »².

معنى هذا أن أبا سفيان أدرك أن ما وظيفه حسان بن ثابت من معلومات تخص قريشا في هذا الشعر ، كانت بتوجيه من أبي بكر، لأنه أعلم الناس بقريش واحدا واحدا. والهجاء كما هو واضح في النص، « انصب على الأحساب والأنساب ، فالمهجو هجين ، زعيم ، لا يمت بصلة عصبية إلى بني هاشم، لأن والدته أفسدت نقاوة الحسب والنسب ، وهذا اللون من الهجاء شديد الوطأة على القرشيين، صعب عليهم أن يتقبلوه »³.

ويتجه حسان بن ثابت الاتجاه نفسه في هجائه لأبي سفيان بن حرب وزوجته هند بنت عتبة ، التي مثلت بجث شهداء أحد ، ولاكت كبد الصحابي حمزة عم الرسول (ﷺ)، فقال فيهما قصيدة من اثني عشر

[الكامل]

بيننا: جاء فيها:

أَشْرَتْ لِكَاعٍ وَكَانَ عَادَتَهَا
لَعَنَ الْإِلَاهُ وَزَوْجَهَا مَعَهَا
لُؤْمٌ إِذَا أَشْرَتْ مَعَ الْكُفْرِ
هِنْدَ الْهُنُودِ طَوِيلَةَ الْبَطْرِ
أَخْرَجَتْ مُرْقِصَةً إِلَى أَحَدٍ
فِي الْقَوْمِ مُعِنَةً عَلَى بَكْرِ
وَعَصَاكَ إِسْتَكِ تَتَّقِينَ بِهِ
دَقَّ الْعُجَابَةِ عَارِي الْفُهْرِ

1- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص ص 212- 213- 214 .

2- المصدر نفسه ، ص 214 .

3- فايز ترحيبي : الإسلام والشعر ، ص 107 .

فَرِحَتْ عَجِيزَتُهَا ومَشْرُجُهَا مِنْ نَصَّهَا نَصًّا عَلَى الْقَهْرِ
 ونَسِيَتْ فاحِشَةً أَتَيْتِ بِهَا يَا هِنْدُ وَيَحْكُ سُبَّةَ الدَّهْرِ
 فَرَجَعَتْ صَاغِرَةً بِأَلَا تِرَةٍ مِمَّا ظَفِرَتْ بِهِ وَلَا وَثْرِ
 زَعَمَ الْوَلَائِدُ أَنَّهَا وَلَدَتْ وَلَدًا صَغِيرًا مِنْ عَهْرِ¹.

فالنص يكشف أن « هول الحادثة جعل حسان يقذع في هجائه ، لكن إقذاعه يستمد معانيه من مآثر الجاهلية ، فالمهجوة لكاع، لثيمة ، طويلة البظر، تأتي الفاحشة ، وتلد من عهر، وهذا النوع من الهجاء أشد إيلا ما من تعبير المشركين بالكفر، وعدم الإيمان بالله ورسوله² .

وفي السياق نفسه، قال حسان بن ثابت يهجو عبد الله بن الزبير، الذي كان يدعي النسب إلى

[الوافر]

قريش :

أَلَا إِنَّ ادَّعَاءَ بَنِي قُصَيِّ عَلَى مَنْ لَا يُنَاسِبُهُمْ حَرَامٌ
 فَإِنَّكَ وَادَّعَاءَ بَنِي قُصَيِّ لَكَالمِجْرَى وَلَيْسَ لَهُ لِحَامٌ
 فَلَا تَفْخَرْ فَإِنَّ بَنِي قُصَيِّ هُمُ الرَّأْسُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّنَامُ
 وَأَهْلُ الصَّيِّتِ وَالسَّوْرَاتِ قَدَمًا مُقَدَّمُهَا إِذَا نُسِبَ الْكِرَامُ
 هُمْ أَعْطُوا مَنَازِلَهَا قُرَيْشًا بِمَكَّةَ وَهِيَ لَيْسَ لَهَا نِظَامٌ
 فَلَا تَفْخَرْ بِقَوْمٍ لَسْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ قَبِيلَكَ الْمُهْجَرُ اللَّتَامُ
 إِذَا عُدَّ الْأَطَايِبُ مِنْ قُرَيْشٍ تَقَاعَدَكُمْ إِلَى الْمُخْرَاةِ حَامٌ
 قَسَامَةٌ أُمَّكُمْ إِنْ تَنَسَّبُوهَا إِلَى نَسَبٍ فَتَأْنِفُهُ الْكِرَامُ³.

وعن هذا الهجاء يرى فايز ترحيني : « إن هجاء حسان لابن الزبير هو هجاء جاهلي صرف، فهو يعيره بانتحال النسب ، ويغمزه من طرف والدته فيسله من قريش سلا قاسيا⁴ . وهو في حقيقة الأمر هجاء إسلامي من حيث الفكرة والمنطلق والهدف، فهو جديد وإن كان يعتمد على ضرب أصول

1- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص ص 282-283-284 .

2- فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 107 .

3- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص ص 455-456 .

4- فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 106 .

ابن الزبير، لأن هجاء حسان له مثله مثل هجائه لأبي سفيان بن حرب وزوجته هند، فهجاء حسان لهم جميعاً، هو كما يقول بطرس البستاني: « على مرارته صادقاً لا تكلف فيه ، لم يندفع الشاعر إليه حبا للتكسب والاستجداء ، بل ذوداً على دين يؤمن به وبرسوله ، وأملاً بالثواب في الدنيا الباقية ، فترى فيه ارتياحاً إلى حسن المصير ، لم يكن في عبّاد الأوثان من شعراء الجاهلية ، بل حمله إليهم الإسلام ، فأصبحوا وفي أنفسهم أمل كبير، يجاهدون في سبيل نبيهم ودينه ، لا بغية لهم غير الجنة التي وعدوا نعيمها »¹. وقال يهجو صفوان ابن أمية:

[الكامل]

مَنْ مُبْلَغٌ صَفْوَانَ أَنْ عَجُوزَهُ أَمَةٌ لِحَارِهِ مَعْمَرِ بْنِ حَبِيبِ
أَمَةٌ يُقَالُ مِنَ الْبِرَاجِمِ أَصْلُهَا نَسَبٌ مِنَ الْأَنْسَابِ غَيْرُ قَرِيبِ
سَائِلٌ بِحَنْبَلٍ إِنْ أَرَدْتَ بَيَانَهَا مَاذَا أَرَادَ بِحَزْيِهَا الْمُثْقُوبِ
لَوْلَا السَّفَارُ وَبُعْدُ حَزْقِ مَهْمَةٍ لَتَرَكْتُهَا نَحْبُو عَلَى الْعَرْقُوبِ².

[الوافر]

وقال يهجو الوليد بن المغيرة، ويجرده من النسب إلى قريش:

مَتَى تُنْسَبُ قُرَيْشٌ أَوْ تُحْصَلُ فَمَا لَكَ فِي أُرُومَتِهَا نِصَابُ
نَفْتِكَ بَنُو هُصَيْصٍ عَنْ أَبِيهَا لِحِشْعٍ حَيْثُ تُسْتَرْقَى الْعِيَابُ
وَأَنْتَ ابْنُ الْمَغِيرَةِ عَبْدٌ شَوْلٍ قَدْ أَنْدَبَ حَبْلَ عَاتِقِكَ الْوِطَابُ
إِذَا عُدَّ الْأَطَايِبُ مِنْ قُرَيْشٍ تَلَاقَتْ دُونَ نِسْبَتِكُمْ كِلَابُ
وَعِمْرَانَ ابْنَ مَخْرُومٍ فَدَعَهَا هُنَاكَ السَّرُّ وَالْحَسَبُ اللَّبَابُ³.

وهجا الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري الذي جاء إلى الرسول ﷺ، فأسلم، وبعث معه رجل من الأنصار إلى قومه ليسلموا فقتل الأنصاري، ولم يستطع الحارث حمايته، فقال حسان يهجو الحارث ابن عوف:

[الكامل]

يَا حَارِ مَنْ يَغْدِرُ بِدِمَّةِ جَارِهِ مِنْكُمْ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَغْدِرِ
إِنْ تَغْدِرُوا فَالْغَدْرُ مِنْكُمْ شِيمَةٌ وَالْغَدْرُ يَنْبُتُ فِي أَصُولِ السَّخْبَرِ

1- بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية والإسلام، ج 1، ص 277-278.

2- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص 108-109.

3- المصدر نفسه، ص 111-112.

وَأَمَانُهُ الْمَرِيَّ حَيْثُ لَقِيْتَهُ مِثْلُ الرُّجَاحَةِ صَدَعُهَا لَمْ يُجْبِرْ¹.

ولما « قال حسان هذه الأبيات جعل الحارث يعتذر، وبعث القاتل إبلا في دية الأنصاري فقبلها رسول الله ﷺ، ودفعتها إلى ورثته »².

وأما هجاء حسان بن ثابت للقبائل، فقد سلط هجاءه على القبائل التي آذت الرسول ﷺ، وغدرت برسله، فهجا قبيلة هذيل لغدرها بخبيب وعدم وفائها، ومما قاله فيها: [الوافر]

فَلَا وَاللَّهِ مَا تَدْرِي هُدَيْلٌ أَحْمَضُ مَاءٌ زَمَزَمَ أَمْ مَشُوبٌ
وَمَاهُكُمْ إِنْ اعْتَمَرُوا وَحَجُّوا مِنَ الْحَجْرَيْنِ وَالْمَسْعَى نَصِيبٌ
وَلَكِنَّ الرَّجِيعَ هُمْ مَحَلٌّ بِهِ اللَّؤْمُ الْمَيِّتِ وَالْعُيُوبُ
هُمْ غُرُوا بِذِمَّتِهِمْ خُبَيْبًا فَبَيْسَ الْعَهْدُ عَهْدُهُمْ الْكَذُوبُ³.

وقد « قال في يوم أحد يهجو بني عبد الدار، وكانوا حافظوا على لوائهم حتى قتلوا رجلا بعد

رجل، فصار اللواء إلى عبد لهم أسود يقال له : صواب: [الوافر]

فَعَزَّزْتُمْ بِاللَّوَاءِ وَشَرُّ فَخْرٍ لَوَاءٌ حِينَ رُدَّ إِلَى صُؤَابِ
جَعَلْتُمْ فخرَكُمْ فِيهِ لِعَبْدٍ مِنَ الْأُمِّ مَنْ يَطَا عَقَرَ الثَّرَابِ
حَسِبْتُمْ وَالسَّفِيهَ أَخُو ظُنُونٍ وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَمْرِ الصُّؤَابِ
بِأَنْ لِقَاءَنَا إِذْ حَانَ يَوْمٌ بِمَكَّةَ بَيِّعَكُمْ حُمَرُ الْعِيَابِ⁴.

إن شاعرية حسان أسقطت افتخار شعراء قريش بنصرهم وبحماية العبيد للأحرار . فكل هذه الصفات القبيحة، التي هجا بها حسان الأفراد والقبائل، تدل على أن الهجاء كان رد فعل على هجاء المشركين للرسول ﷺ، وكل من آزرهم من القبائل، فجاء الهجاء مقدعا مؤلما، منصبا على الأحساب والأنساب، واللؤم والخيانة، فالمهجوة لكاع وتلد من عهر، والمهجو زعيم لئيم، ينتحل النسب، وهي الصفات التي كانت تؤلم قريشا وشعراءها والقبائل، وهو الهجاء الذي كان يشفي غليل حسان بن ثابت،

1- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص ص 263-264 .

2- المصدر نفسه ، المحقق : هامش صفحة 263 .

3- المصدر نفسه ، ص ص 109-110 .

4- المصدر نفسه ، ص 115 .

وبرتاح له المسلمون، لأنه كان يطفئ نار هجاء المشركين للمسلمين .

أما المدح: فإننا نجد كذلك أن حسانا قد نهج في الدفاع عن الرسول ﷺ والمسلمين مذهب المدح، وفي هذا المذهب الشعري ، قد مدح الله سبحانه وتعالى¹ ، ومدح الرسول ﷺ² ، ومدح سعد بن زيد وهو من الأنصار³ ، ومدح أبابكر⁴ ، وعبد الله بن عباس⁵ ، ومطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي⁶ ، والزيير بن العوام⁷ ، كما اقترن مدح حسان بأغراض أخرى .

وهذا التطور في المنحنى الروحي لمدح حسان ، يدل على أن الشاعر غير عقيدة مدحه ويجرى فنه ، وهو ما يؤكد أن حسانا شاعر الإسلام غير شاعر المدينة وشاعر البلاط الغساني قبل الهجرة ، معنى هذا « أن حسانا ترك مدح الملوك والأمراء ، الغارقين في متارف الحضارة الفارسية والبيزنطية ممن كان يقصدتهم قبل إسلامه ، وما كان يفعم به من العطاء المادي العاجل عندهم ، واختار أن يبقى في يثرب ليناضل مع الرسول ﷺ بسلاحه الخاص آملا في الجزاء الآجل عند الله »⁸ .

والمتصفح لديوان حسان يجد أن مدائحه من الناحية الموضوعاتية، « تميزت بالصدق والإخلاص ، وقد مدح الرسول وخلفاءه ، وصحابته . وحواريه وفرسان المسلمين وشجعانهم، وأكثر مدحه للرسول ﷺ جاء متصلا بغيره من أغراض الشعر كالهجاء والرثاء والفخر، والرد على الوفود ، وكان حين يمدح تغلب عليه الصبغة الدينية ، والقوة الروحية ، فكان يستلهم السماء . ويذكر ما أتى به الرسول من الآيات البيئات، وما يحظى به من شريف الصفات »⁹ .

كما أن مدائح حسان جاءت وفق أسلوب إسلامي جديد ، وخاصة في مدح الرسول ﷺ، قال بطرس البستاني : « فلحسان في مدح النبي أسلوب غير الأسلوب الذي عهدناه في الجاهلية فهو لا

1- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص131 وما بعدها .

2- المصدر نفسه ، ص 59 .

3- المصدر نفسه ، ص 206 .

4- المصدر نفسه ، ص ص 352- 353 .

5- المصدر نفسه ، ص 412 .

6- المصدر نفسه ، ص 451 ..

7- المصدر نفسه ، ص ص 392- 393 .

8- صلاح عيد : المدائح النبوية في الشعر العربي من عصر النبوة حتى البصيري ، ط1، القاهرة ، مكتبة الآداب ، 1429هـ 2000م ، ص 70 .

9- محمد إبراهيم جمعة : حسان بن ثابت ، ص 50 .

يشبه محمدا بالأسد فعل كعب بن زهير ، ولا يمعن في وصف جوده وسخائه كمن يريد الاستجداء والتكسب من ممدوحه ، بل يعنى بوصف شمائله الغر ، ويلح في ذكر الرسالة والتصديق بها ، وذكر ما حمل الإسلام للعرب من نور وهداية ، وأمل بعد يأس ، ويعرض أحيانا بمن أنكر النبوة وكذب بها، فهو مديح جديد في نوعه وطريقته ، جديد في تعابيره وألفاظه ، جديد في النفحة الدينية العابقة منه، بيد أنه... لاتعدوه النظرة الجاهلية ، ولكنها فطرة صقلها الدين وجلاها الإيمان»¹.

ويظهر المسلك الفني لمديح حسان في القصيدة " الدالية " ، التي جاء مديحه فيها للرسول (ﷺ) مقرونا بمدحه لله سبحانه والتضرع إليه، وهي أقدم القصائد ذات المديح الديني الخاص، فقال حسان يمدح الرسول (ﷺ) :

أَعْرُ عَلَيْهِ لِلنَّبِوةِ خَاتَمٌ مِنْ اللّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ الإلهَ اسْمَ النَبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذْ قَالَ فِي الخَمْسِ المَوْذُنِ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَدَو العَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ
نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ والأَوْثَانِ فِي الأَرْضِ تُعْبَدُ
وَأَمْسَى سِرَاجًا مُنِيرًا وَهَادِيًا يَلُوحُ كَمَا لآخِ الصَّقِيلِ المَهْنَدُ
ذَوأنْذَرْنَا نَارًا وَيَشَرَّ جَنَّةً وَعَلَّمَنَا الإِسْلَامَ فَاللّهُ نَحْمَدُ

وقال حسان في القصيدة نفسها في شكر الله تعالى والثناء عليه :

وَأَنْتَ إِلهَ الخَلْقِ رَبِّي وَخَالِقِي بِذَلِكَ مَا عُمَّرْتُ فِي النَّاسِ أَشْهَدُ
تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ قَوْلِ مَنْ دَعَا سِوَاكَ إِلهًا أَنْتَ أَعْلَى وَأَجْمَدُ
لَكَ الخَلْقُ وَالتَّعْمَاءُ والأَمْرُ كُلُّهُ فَإِيَّاكَ نَسْتَهْدِي وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ².

ففي هذه الأبيات الخاصة بمدح الله تعالى، « اتخذ الألفاظ التي يرددها المؤمنون في صلواتهم وفي عبادتهم ، فاستعمل المديح دعاء لله خالقه يشهد بفضله ما عاش ، وليس سواه من خالق »³ . ويبدو أن موقف حسان من شعراء المشركين، دفعه إلى أن جعله « مشاركا بلسانه في الأحداث

1- بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية والإسلام ، ج 1 ، ص 278 .

2- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص ص 131- 132 .

3- سامي الدهان : المديح ، ط 5 ، في سلسلة فنون الأدب العربي ، القاهرة ، دار المعارف 1992م ، ص ص 39- 70 .

الإسلامية جميعاً، فما من مناسبة إسلامية إلا وكانت له صدارة القول... ولعل قصيدته التي قالها سنة ثمان للهجرة ، يتوعد فيها المشركين بفتح مكة ، كانت من أفضل قصائده التي تجمع بين أسلوب الجاهلية ومعانيها، وأسلوب الإسلام وقيمته¹. وهي " الهمزية " التي يقول فيها: [الوافر]

عَقَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءِ إِلَى عَذْرَاءَ مَنَزِلُهَا خَلَاءِ
دِيَارٍ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفْرٌ تُعَقِّيهَا الرَّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ².

فحسان في مطلع قصيدته، « ذهب مذهب الجاهليين في ابتدائه بالذكريات في شعر رصين العبارة،

ضخم اللفظ محدود الصورة، سريع اللمحة³. وجاء فيها مدح الرسول (ﷺ) مقرونا بالفخر بجبريل (ج):

وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِيْنَا وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَعُومُوا صَدُّوهُ فَعُلْتُمْ لِأَنْتُمْ وَلَا نَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتْهَا اللَّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ سَبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنُحَكِّمُ بِالْقَوَائِي مَنْ هَجَانَا وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدَّمَاءُ⁴.

وهذه القصيدة المشهورة « قيلت قبل فتح مكة، لأنها تعرضت لأبي سفيان بن الحارث بن عبد

المطلب بن هاشم ، الذي أسلم قبل فتح مكة، والرسول في طريقه إليها " بنيق العقاب " فيما بين مكة والمدينة⁵.

وعن هذه القصيدة يقول محمد إبراهيم جمعة: « القصيدة من الناحية الفنية تبدو ذات عنصرتين متغايرتين: عنصر جاهلي النزعة والصيغة، وآخر إسلامي الغرض والطابع، فما الذي جمع بين هذين اللونين المتباينين في قصيدة واحدة؟. أغلب الظن أن يكون ذلك من صنع، الرواة لا من جنوح الشاعر إلى الابتداء بنشوة نسيب مخمورة في موقف إسلامي روحي جليل، أو أن يكون حسان قد أنشد

1- فايز ترحيبي: الإسلام والشعر، ص 110.

2- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص ص 54-55.

3- محمد إبراهيم جمعة: حسان بن ثابت، ص 65.

4- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص 59 وما بعدها.

5- محمد إبراهيم جمعة: حسان بن ثابت، ص 64.

المقدمة في الجاهلية، ثم بنى عليها في الإسلام¹. وقد بُنيت القصيدة على النمط الجاهلي فبدأها الشاعر بذكر الأطلال، ثم الغزل والخمرة، حتى وصل إلى التنبؤ بفتح مكة، ثم مدح الرسول (ﷺ)، وافتخر بشجاعة المسلمين، وبالعون الإلهي، وخلص إلى هجاء أبي سفيان بن الحرث فقال له:

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نجب هواء
 بأن سبوقنا تركتك عبداً وعبد الدار سادتها الإماء
 هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
 أتتهجوه ولست له بكفء فشركما خيركما الفداء
 هجوت مباركاً براً حنيفاً أميناً الله شيمته الوفاء
 فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء².

والمتمعن في هذه الهمزية، يجد «أن المعاني الدينية بدأت تتسرب إلى القصيدة، وتكشف معالمها من خلالها. وتسود ظلالها من خلال ذلك السلوك الإسلامي، الذي يحيل من خلاله الشاعر تكسبه الموروث عبر العصر السابق لدى (أمراء الغساسنة) إلى احتساب للأجر من عند الله تعالى. وانتظار للثواب الأخروي. الأمر الذي دفعه إلى التضحية بأغلى ممتلكاته دفاعاً عن ممدوحه، وأملاً في نيل هذا الثواب من الله وحده»³. فقال:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء⁴.

والمديح في هذه القصيدة عبر عن التضحيات الكبرى التي قدمها الرسول (ﷺ)، من أجل الوصول بالدعوة إلى مبتغاهما، لهذا قدم حسان تضحية وقاء للرسول الذي قاد جهادا متواصلا، وتضحيات تهون في سبيل القضاء على الفكر الوثني، والوصول بالمجتمع إلى غاية ومبتغى الدين الجديد. وهذا المدح يمثل آخر مدائح حسان بن ثابت للرسول (ﷺ)، لأنه جاء في فتح مكة التي فتحت المجال أمام شعراء عام الوفود في (9هـ)، لملاقاة الرسول وإلقاء مدائحهم له في مجلسه.

1- محمد إبراهيم جمعة: حسان بن ثابت، ص 64.

2- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص 60-61.

3- عبد الله التطاوي: مداخل ومشكلات حول القصيدة العربية القديمة، ط2، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م، ص 22.

4- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص 62.

وَقَدْ وَرَدْنَا وَلَمْ نَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ حَتَّى شَرِينَا رَوَاءَ غَيْرِ تَصْرِيدِ
 مُسْتَعَصِمِينَ بِجِبِلِّ غَيْرٍ مُنْجَدِمٍ مُسْتَحْكِمٍ مِنْ حِبَالِ اللَّهِ تَمْدُودِ
 فِينَا الرَّسُولُ وَفِينَا الْحَقُّ نَتَّبِعُهُ حَتَّى الْمَمَاتِ وَنَصْرٌ غَيْرُ مَحْدُودِ
 مَاضٍ عَلَى الْهُوْلِ رَكَّابٌ لَمَّا قَطَعُوا إِذَا الْكُمَاهُ تَحَامُوا فِي الصَّنَادِيدِ
 وَافٍ وَمَاضٍ شَهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ بَدْرٌ أَنَارَ عَلَى كُلِّ الْأَمَاجِيدِ
 مُبَارَكٌ كَضِيَاءِ الْبَدْرِ صُورَتُهُ مَا قَالَ كَانَ قَضَاءً غَيْرَ مَرْدُودٍ¹.

ففي هذا النص « مديح عامر بالقيم الإسلامية الجديدة ، ومتصل بالحياة اتصالاً حميمياً، وهو بريء من النمطية والتكرار، فصورة الرسول هاهنا متميزة عن الممدوحين الآخرين في القصائد الأخرى، وهو مدح تشع فيه روح الاعتدال والبعد عن الغلو والإسراف . وهو بعدئذ عامر بروح الفخر، فحسان لا يمدح الرسول وحده بل يمدح المسلمين جميعاً - وهو أحدهم-، ولو شئت لقلت إنه يفخر بهم جميعاً، فالحدود بين المدح والفخر متداخلة كثيراً، ومتداخلة تداخلاً شديداً ، وصورة الرسول بارزة في هذا المدح وقد أحاطت بها صور المسلمين جميعاً، وليس يريد حسان من وراء مديحه سوى تمجيد الدين ومثليه والتبشير به² . وحسان في هذه المدحة «حشد مجموعة كبيرة من قيم المدح في مجال فني صغير، مما يجعلها ترم أمام أبصارنا سريعاً متلاحقة، فهناك: الجلد، والمضاء، والشجاعة ، والتقوى، والكرم، والحق، والوفاء ، فالمضاء مرة أخرى³ . وهي القيم المدحية الإسلامية الجديدة التي مجد بها الرسول ﷺ. والقصيدة كما نرى، « تمثل أنموذجاً لمديح حسان للرسول ﷺ في أول عهده به في موقعة بدر»⁴ .

وقد قال حسان يمدح الصحابي عبد الله بن عباس:

[الطويل]
 إِذَا قَالَ لَمْ يَشْرِكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ بِمُلْتَقَطَاتٍ لَاتَرَى فِيهَا فَصْلًا
 كَفَى وَشَقَى مَا فِي النَّفُوسِ فَلَمْ يَدَغْ لِدِي إِزِيَّةٍ فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا هَزْلًا
 سَمَوَتْ إِلَى الْعُلْيَا بِعَيْرٍ مَشَقَّةٍ فَنِلَتْ ذُرَاهَا لَا دَنْيًّا وَلَا وَعْلًا⁵.

1- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص ص 133- 134 .

2- وهب رومية : بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح أنموذجاً)، ص 303 .

3- صلاح عيد : المدائح النبوية في الشعر العربي من عصر النبوة حتى البصيري ، ص 71 .

4- المرجع نفسه ، ص 72 .

5- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص 412.

وقال يمدح مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي : [الطويل]

أَعْيَنِ أَلَا ابْنِي سَيِّدِ النَّاسِ وَاسْفَحِي بِدَمْعٍ فَإِنْ أَنْزَفْتِهِ فَاسْكَبِي الدَّمَا
وَبِكِّي عَظِيمَ الْمُشَعَّرِينَ وَرَبَّهَا عَلَى النَّاسِ مَعْرُوفٌ لَهُ مَا تَكَلَّمَا
وَلَوْ أَنَّ مَجْدًا أَخْلَدَ الدَّهْرَ وَاحِدًا مِنْ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطْعَمًا
أَجَزَتْ رَسُولَ اللَّهِ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا عِبَادَكَ مَا لِي مِلْبٌ وَأَحْرَمًا
فَلَوْ سَأَلْتُ عَنْهُ مَعَدُّ بِأَسْرِهَا وَقِحْطَانُ أَوْ بَاقِي بَقِيَّةِ جُرْمِهَا
لَقَالُوا هُوَ الْمُؤَيِّدُ بِخُفْرَةِ جَارِهِ وَذِمَّتِهِ يَوْمًا إِذَا مَا تَدَمَّمَا
فَمَا تَطَلَّعَ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فَوْقَهُمْ عَلَى مِثْلِهِ مِنْهُمْ أَعَزَّ وَأَكْرَمًا
إِبَاءً إِذَا يَأْبَى وَأَكْرَمَ شِيمَةً وَأَنْوَمَ عَنْ جَارٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمًا¹.

ومدح الصحابي الزبير بن العوام، حين « مر الزبير بن العوام بمجلس من أصحاب رسول الله ﷺ وحسان بن ثابت ينشداهم من شعره، وهم غير نشاط لما يسمعون منه، فجلس معهم الزبير فقال: مالي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة، فلقد كان يعرض لرسول الله ﷺ فيحسن استماعه،

وبجزل عليه ثوابه ولا يشتغل عنه بشيء ، فقال حسان: [الطويل]

أَقَامَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ وَهَدْيِهِ حَوَارِيَّهُ وَالْقَوْلُ بِالْفِعْلِ يُعَدُّ
أَقَامَ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَطَرِيقِهِ يُؤَالِي وَلِيَّ الْحَقِّ وَالْحَقُّ أَعْدَلُ
هُوَ الْفَارِسُ الْمَشْهُورُ وَالْبَطْلُ الَّذِي يَصُورُ إِذَا مَا كَانَ يَوْمَ مُحْجَلُ
إِذَا كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ حَشَّتْهَا بِأَبْيَضَ سَاقٍ إِلَى الْمَوْتِ يُرْفَلُ
فَمَا مِثْلُهُ فِيهِمْ وَلَا كَانَ قَبْلَهُ وَلَيْسَ يَكُونُ الدَّهْرُ مَادَامَ يَدْبُلُ
تَنَاوُكَ خَيْرٌ مِنْ فَعَالٍ مَعَاشِرٍ وَفِعْلُكَ يَا ابْنَ الْهَاشِمِيَّةِ أَفْضَلُ².

وهذه المدائح الإسلامية تختلف في الفكر والأسلوب عن مدائحه الجاهلية، فحسان تربطه بممدوحيه الرسول ﷺ والصحابة، روابط العقيدة الدينية ، والدفاع عن الإسلام، ولهذا نجده لم يجد عن منهجه الفني بعد وفاة الرسول، فهو التزام خاضع لمنهج فكري رسخ في عقل ووجدان حسان بن ثابت .

1- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص ص 450-451 .

2- المصدر نفسه ، ص ص 391-392-393 .

أما فخر حسان في الإسلام فهو من أقوى شعره ، ومرتبطة بغيره من الأغراض الشعرية ، فقصيدته "الميمية" التي يذكر فيها أصحاب اللواء بوم أحد ، يفتخر فيها ويعتز بفعاله وبصلته بملوك عصره ، ويفخر بخاله وأبيه ، ويهجو ابن الزبير ، ويندد بقريش التي فرت لوإذا يوم أحد ، وخلعت عنها لباس العقل والحلم ، وقد أثنى عليها ابن هشام فقال : « هذا أحسن ما قيل »¹ . فقال حسان : [الخفيف]

مَعَ النَّوْمِ بِالْعِشَاءِ الْهُمُومُ وَخَيَالٌ إِذَا تَعَوَّرَ النُّجُومُ
مِنْ حَبِيبٍ أَصَابَ قَلْبِكَ مِنْهُ سَقَمٌ فَهَوَ دَاخِلٌ مَكْتُومُ
يَالْقَوْمِ هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي وَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَوْمُ

وقال يفتخر بخاله وأبيه وبنفسه :

إِنَّ خَالِي خَطِيبٌ جَائِيَةَ الْجُو لِأَنَّ عِنْدَ النِّعْمَانِ حِينَ يَقُومُ
وَأَبِي فِي سُمِّيْحَةَ الْقَائِلِ الْقَا صِلُ يَوْمَ التَّقْتِ عَلَيْهِ الْخُصُومُ
وَأَنَا الصَّفْرُ عِنْدَ بَابِ ابْنِ سُلَيْمَى يَوْمَ نُعْمَانَ فِي الْكُبُولِ مُقِيمُ

وقال يهجو ابن الزبير وأصحاب اللواء :

تِلْكَ أفعالنا وفعلُ الزَّبَيْرِ خَامِلٌ فِي صَدِيقِهِ مَذْمُومُ
وَلِيَّ الْبَاسِ مِنْكُمْ إِذَا حَضَرْتُمْ أُسْرَةٌ مِنْ بَنِي قُصَيِّ صَمِيمُ
تِسْعَةٌ تَحْمِلُ اللَّوَاءَ وَطَارَتْ فِي رِعَاعٍ مِنَ الْقَنَا مَحْزُومُ
لَمْ يُؤْلُوا حَتَّى أُبِيدُوا جَمِيعًا فِي مَقَامٍ وَكُلُّهُمْ مَذْمُومُ
وَقَرِيشٌ تَلُودٌ مَنَا لِيُوَادَّا لَمْ يُقِيمُوا وَخَفَّ مِنْهَا الْخُلُومُ
لَمْ تُطَقِّ حَمَلُهُ الْعَوَاتِقُ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَحْمِلُ اللَّوَاءَ النُّجُومُ² .

أما مراثي حسان: فكان شاعر الدعوة « قد عاش مع المسلمين بعاطفته وروحه ، يسجل بالشعر أحداثهم ، ويكي فيه موتاهم وشهداءهم ، فرثى شهداء مؤتة أصحاب الرسول ، عبد الله بن رواحة ، وزيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، ورثى حمزة عم النبي بأكثر من مرثية ، كما رثى حبيب بن عدي وأصحابه حين غدرت بهم هذيل ، ويلقى الرسول ربه فيفحم المصاب الشعراء ويحاول حسان أن يرثيه ،

1- ابن هشام : سيرة النبي (ق) ، ج 3 ، ص 121 .

2- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص 429 وما بعدها .

فيغلبه الحزن»¹. وبكاه بكاء صادقا في قصائد ومقطوعات ، وكانت أصول قصيدة بكاه فيها من

خمس وأربعين (45) بيتا ، وبكاه في قصيدة من ثمانية وعشرين (28) بيتا ، قال فيها : [الكامل]

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا كُنَّ حِلْمًا مَاقِيهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ
جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعُدِ
وَجْهِي يَقِيكَ التَّرْبُ هَلْقِي لِيَتْنِي غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيْعِ الْعَرْفَدِ
بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيَّ الْمَهْتَدِي
فَطَلَلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّدًا مُتَلَدِّدًا يَا لِيَتْنِي لَمْ أُوَلَدْ².

ورثى الصحابة الخلفاء ، بمرثيات تعبر عن فجيعة فقدهم، فقال في مقتل الخليفة عمر [الطويل]

وَفَجَّعَنَا فَيُرُوزُ لَا دَرَّ دَرُّهُ بِأَبْيَضَ يَتْلُوا الْمِحْكَمَاتِ مُنِيبِ
رُؤُوفٍ عَلَى الْأَدْنَى غَلِيظٍ عَلَى الْعَدَا أَنَحِي ثِقَةٍ فِي النَّائِبَاتِ بَحِيْبِ
مَتَى مَا يُقَالُ لَا يَكْذِبُ الْقَوْلُ فِعْلُهُ سَرِيْعٍ إِلَى الْخَيْرَاتِ غَيْرِ قَطُوبِ³.

وقال في قتل الخليفة عثمان : [الكامل]

أَتَرَكْتُمْ غَزْوَ الدُّرُوبِ وَجُنُتُمْ لِقِتَالِ قَوْمٍ عِنْدَ قَبْرِ مُحَمَّدِ
وَكَانَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ عَشِيَّةً بُدُنٌ تُنَحَّرُ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ
فَأَبَاكَ أبا عمرو حُسْنِ بِلَائِهِ أَمْسَى مُقِيمًا فِي بَقِيْعِ الْعَرْفَدِ⁴.

ولم يتوقف حزن حسان عن بكائه للصحابة الخلفاء ، فما إن بدأت خلافة الخليفة الرابع علي بن أبي

طالب حتى اشتد الصراع السياسي بين الصحابة ، فقتل الخليفة شهيدا في المسجد ، فقال حسان في

رثائه : [الطويل]

أَبَا حَسَنٍ تَفْدِيكَ نَفْسِي وَمُهْجَتِي وَكُلَّ بَطِيءٍ فِي الْهَدَى وَمُسَارِعِ
أَيَّدَهُبَ مَدْحِي وَالْمَحْبِينَ ضَائِعًا وَمَا الْمَدْحُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ بِضَائِعِ
فَأَنْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَ إِذَا أَنْتَ رَائِعِ فَدَتَكَ نَفُوسُ الْقَوْمِ يَا خَيْرَ رَائِعِ

1- محمد إبراهيم جمعة : حسان بن ثابت ، ص52.

2- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص ص 150 - 151 - 152 .

3- المصدر نفسه ، ص ص 91 - 95 .

4- المصدر نفسه ، ص ص 154 - 155 .

بِخَاتَمِكَ الْمَيْمُونِ يَا خَيْرَ سَيِّدٍ وَيَا خَيْرَ شَارِثٍ ثُمَّ يَا خَيْرَ بَايِعٍ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيكَ خَيْرَ وِلَايَةٍ وَبَيَّنَّهَا فِي مُحْكَمَاتِ الشَّرَائِعِ¹.

وهذه المراثي كلها تدل على استمرار حسان في تعلقه بحب رسول الله ﷺ وصحابته، وهي تعبر عن التزام حسان بمنهجه الفكري الإسلامي ومسلكه الفتي الجديد ، الذي جاء مغايرا لمسلكه القديم.

1- نقلا عن : فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 117.

الأميني (عبد الحسين) : القدير في الكتاب والسنة والأدب ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1983م ، م2 ، ص 58 .

2- المسلك الفني لكعب بن مالك:

سلك كعب بن مالك موقفا فنيا في دفاعه عن الدعوة ، شأنه شأن صاحبيه حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، إذ « يعد من هؤلاء الشعراء القلائل الذين شاركوا في صنع الأحداث ، ومن حمل العبء الفني ، وحاولوا أن ينهضوا به ، فبدت في شعره آثار اللقاء بين القديم والجديد »¹.

وهو من الشعراء القدماء قبل الإسلام ، إلا أن شعره الجاهلي الذي يعكس تجربته الفنية القديمة لم يصل إلينا ، وقد علل سامي مكّي العاني محقق ديوانه سبب ضياع الشعر الجاهلي لكعب بن مالك ، فقال: « إن الكثير من شعره عدت عليه حوادث الدهر، وامتدت إليه يد الضياع والنسيان، وليس ثمة تعليل لضياع شعره، وكل ما يمكن أن يقال: إنه ضاع كما ضاع شعر كثير من شعراء الجاهلية والإسلام، فمن غير المعقول أن يكون ما بين أيدينا هو كل ما قاله من شعر، مع أنه واحد من ثلاثة شعراء اعتمد عليهم الإسلام في مراحل الأولى التي نازل فيها الشرك »².

وقد أكد سامي مكّي العاني شاعرية الصحابي كعب بقوة قبل الإسلام ، فقال: « فلا بد أنه قد انضم في جاهليته إلى شعراء قومه في الدفاع عن قبيلته ضد ما كان يوجه إليهم من هجاء الأوس لهم في حروبهم معهم . لأنني قد توصلت إلى أنه قال شعرا في جاهليته ولكنه لم يصل إلينا »³.

ويرى كل من غازي طليمات وعرفان الأشقر: « إنما المعقول أن ما نظمته في الجاهلية ضاع، كما ضاع شعر كثير لغيره من الشعراء ، أو أن كعبا نفسه أغفل شعره الجاهلي بعد أن أسلم ، لأنه يمثل مرحلة الشرك والضلالة من حياته ، وهو حريص على أن يكون شاعرا ملتزما ، نذر نفسه وسيفه وشعره لنصرة الإسلام والجهنم بالدعوة »⁴.

وما يقوي هذا الرأي ، ويؤكد شاعرية كعب بن مالك في الجاهلية ما ذكرته بعض مصادر السيرة ، بأن الرسول (ﷺ) كان يعرف كعب بن مالك قبل إسلامه على أنه " شاعر " ، فقد روى ابن إسحق في حديثه عن العقبة الثانية ، على لسان كعب بن مالك فقال: «...خرجنا نسأل عن سول الله (ﷺ) ، وكنا

1- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 15 .

2- كعب بن مالك الأنصاري: الديوان، دراسة وتحقيق: سامي مكّي العاني، ط2 ، بيروت ، لبنان، عالم الكتب، 1417هـ 1996م، ص 104

3- المصدر نفسه ، ص 241.

4- غازي طليمات وعرفان الأشقر : الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط1، دمشق ، دار الفكر ، 1428هـ 2007م. ص ص58- 59 .

لا نعرفه ولم نره قبل ذلك، فلقينا رجلا من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله ﷺ، فقال: هل تعرفونه؟ فقلنا: لا، قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قال: قلنا: نعم، قال: وقد كنا نعرف العباس، كان لا يزال يقدم علينا تاجرا، قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس، قال: دخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال: رسول الله ﷺ، هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك، قال: فو الله ما أنسى قول رسول الله ﷺ "الشاعر"، قال نعم¹.

ودلالة آخر النص تؤكد شهادة الرسول ﷺ أنه يعرف كعب بن مالك بصفته "شاعرا" قبل إسلامه، «ولكن يبدو أنه لم يكن معدودا من كبار الشعراء»². وهو عقبي بدري، «من أول المسلمين الذين أسلموا في يثرب قبل هجرة الرسول، ولم يكن فيها آنذاك أكثر من أربعين مسلما، وفي العقبة توجه كعب فبايع الرسول مع سبعين رجلا»³. و «أصبح كعب بعد الإسلام مؤمنا قويا الإيمان تقيا شديدا التقى، أثرا عند رسول الله، يحبه ويدعو له بالخير ويشجعه على قول الشعر، فصلته بالرسول قوية وهو قريب منه يسمع الحديث ويحفظه ويحدث به، لذلك فهو معدود من رواة الحديث»⁴. وقد روى عن الرسول ﷺ ثمانين (80) حديثا⁵.

والباحث في شعر كعب بن مالك، والمتصفح لديوانه الذي يحتوي على خمسمائة وثمانية وتسعين (598) بيتا، يجدها موزعة على خمس وسبعين بين قصيدة ومقطوعة وبيت واحد، وقال البيهقي والثلاثة أبيات، وأغلبها من النصوص الشعرية القصيرة، وأطول قصيدة في الديوان لا تزيد عن تسع وأربعين (49) بيتا، وأن سبعة وأربعين (47) قطعة في الديوان لا تتجاوز الواحدة منها ستة (06) أبيات، وأقصرها لاتفل عن أربعة أبيات.

وجاء شعر كعب بن مالك في ديوانه، موزع على البحور الطويلة الكثيرة المقاطع، وعزف عن

1- ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ج2، ص 48.

2- صلاح عيد: المدائح النبوية في الشعر العربي من عصر النبوة حتى البصيري، ص 72.

3- فايز ترحيني: الإسلام والشعر، ص 119.

4- المرجع نفسه، ص 119.

5- أبو محمد علي بن أحمد بن عبد الله بن سعيد بن حزم الظاهرة الأندلسي - رحمه الله تعالى - : أسماء الصحابة - رضي الله عنهم - وما لكل

واحد منهم من العدد ، تحقيق : مسعد عبد الصمد السعدني ، القاهرة ، مكتبة القرآن ، للطبع والنشر والتوزيع ، 1991م ، ص 27 .
القصيرة والمجزوءة ، وقد استخدم بحر الطويل اثنين وثلاثين (32) مرة ، والوافر إثنتى عشر (12) مرة ،
والكامل عشر (10) مرات ، والبسيط تسع (09) مرات ، والمتقارب ثمان (08) مرات ، والرجز ثلاث
(03) مرات ، والخفيف والمنسرح مرة (01) واحدة ، وهذا الشعر كله يعكس المرحلة الإسلامية .
وبالعودة إلى أشعار كعب بن مالك ، نجد «أنه اشترك في وقعة بدر الكبرى بين المدينة ومكة ،
واستمر كعب يناضل بسيفه مع الرسول ﷺ ، في غزواته وفي وصفه الدقيق لهذه الغزوات ما يؤكد مشاركته
الفعلية فيها»¹ . ويعد « كعب بن مالك من شعراء أصحاب الرسول ﷺ ، المعدودين ، وينبث شعره
الإسلامي الكثير في السيرة ، عقب كل الأحداث الكبيرة والصغيرة التي أثارت هذا الشعر وحركته ،
وخاصة في مرحلة دار الهجرة من حياة الرسول ، ويشكل كعب مع حسان وابن رواحة الثلاثي المشهور
للشعر الإسلامي الذي لازم الرسول ﷺ ، وأشاد به وناصح عن دعوته»² .
وأما الهجاء ، فالمتصفح لديوان كعب ، يجد شعره كله جاء في الهجاء والفخر والمدح والثناء ،
وأما الهجاء فـ« لم يكن هجاء ابن مالك مستقلا في قصيدة مفردة ، أو في قصائد معينة ، بل كان
متداخلا مع غيره من الأغراض التي طرقها الشاعر وأهمها المدح والفخر»³ .
ولم يكن هجاء كعب « بالكثرة التي وجدنا عليها فخره ، وقد كان يهجو المشركين بمثل قولهم
بالوقائع والأيام والمثالب ، ولكنه لم يخل أحيانا من التعيير بالكفر»⁴ .
ومما هو واضح ، فإن « الهجاء كالمديح والفخر ، يكون فرديا خاصا بشخص معين ، أو جماعيا ،
يشمل القبيلة والقوم والجماعة ، ولم ينصرف أكثر شعراء الجاهلية إلى تخصيص الهجاء في قصيدة
متكاملة مستقلة ، يقتصر فيها على موضوع الهجاء فقط ، بل كانوا يلمون به من قصائد تشمل الكثير
من الأغراض الشعرية . واستمر على ذلك من جاء بعدهم من شعراء صدر الإسلام ، ومنهم كعب
الذي يلاحظ على هجائه امتزاجه بالفخر والحماسة والمديح ، وقلما نعر على قصيدة هجائية مستقلة
في شعره»⁵ . وكذلك « ليس في ديوانه كله قصيدة خلصت لغرض ، أو تمحضت لفكرة . وطوال

1- صلاح عيد : المدائح النبوية في الشعر العربي من عصر النبوة حتى البصيري ، ص 73 .

2- المرجع نفسه ، ص 73 .

3- فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 124 .

4- كعب بن مالك : الديوان ، ص 83 .

5-المصدر نفسه ، ص 242 .

القصائد أشد تداخلا من قصارها ، فكلمتا طالت القصيدة ازداد التنوع ، وتعددت الأفكار ، والهجاء أحد الأغراض المتداخلة المتكاملة ، كأن شعره تدفق عاطفي ، لا يخضع لمنطق ، أو تداعيات نفسية ، لا ينتظمها سلك¹ . والواضح أن كعبا في هجائه شأنه شأن صاحبيه حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، لقد هجا القبائل والأفراد ، فهجا قريشا² ، وبني جعفر بن كلاب³ ، وهجا عبد الله بن الزبير⁴ ، وأبو عامر⁵ ، وهبيرة بن أبي وهب⁶ ، وابن العاص⁷ ، وأبوسفيان بن الحرث⁸ ، « وتأتي شهرة كعب الهجائية من زاوية تعيير المشركين بالمثلث والأيام والوقائع ، وكان ذلك أشد عليهم من وقع السنان . فكعب عرف اليد التي تؤلم قريشا فلواها وأمسك بها إمساك علم ومعرفة وقوة . وهو يعرف جيدا ما ينفر الجاهلي كنفض العهد ، وضعة النسب ، والجن بالإضافة إلى التعيير بالأيام⁹ .

ولما هجا كعب قريشا بالإعجاب والتكبر وانهمزاهم في الحرب قال :

[الوافر]
لَعَمْرُ أَيْكَمَا يَأْنِي لُؤْيٍ عَلَى زَهْوٍ لَدَيْكُمْ وَأَنْتِحَاءِ
لَمَّا حَمَتْ فَوَارِسُكُمْ بِيَدْرِ وَلَا صَبْرُوا بِهِ عِنْدَ اللَّقَاءِ
فَمَا ظَفَرَتْ فَوَارِسُكُمْ بِيَدْرِ وَمَارَجَعُوا إِلَيْكُمْ بِالسَّوَاءِ¹⁰ .

ولما أجاب هبيرة بن أبي وهب في أحد، قال هاجيا معيرا قريشا بـ« معاني الجبن والضعف...»

والتخلي عن اللواء في ساحة الحرب والتخاذل فيها:

[الطويل]
عَمِدْنَا إِلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ وَمَنْ يَطْرُ بِذِكْرِ اللِّوَاءِ فَهُوَ فِي الْحَمْدِ أَسْرَعُ
فَخَافُوا وَقَدْ أَعْطَوْا يَدَا وَتَخَادَلُوا أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَمْرُهُ وَهُوَ أَصْنَعُ¹¹ .

1- غازي طليمات وعرفان الأشقر : الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، ص 69.

2- كعب بن مالك : الديوان ، ص 161 .

3- المصدر نفسه ، ص 215 .

4- المصدر نفسه ، ص 151 .

5- المصدر نفسه ، ص 171 .

6- المصدر نفسه ، ص 180 .

7- المصدر نفسه ، ص 193 ، وص 202 .

8- المصدر نفسه ، ص 199 .

9- فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 124 .

10- كعب بن مالك : الديوان ، ص 145 .

11- المصدر نفسه ، ص 85.

وقال يعبر بني جعفر بن كلاب في يوم بئر معونة بنقض العهد:

[الوافر]

تَرَكْتُمْ جَارِكُمْ لِبَنِي سَلِيمٍ مَخَافَةَ حَرْهَمٍ عَجْرًا وَهُوِنًا
فَلَوْ حَبَلًا تَنَاوَلَ مِنْ عَقِيلٍ لَمَدَّ بِحَبْلِهَا حَبْلًا مَتِينًا
أَوْ الْقُرْطَاءِ مَا إِنْ أَسْلَمُوا وَقَدَّمَا مَا وَفُوا إِذْ لَا تُفُونًا¹.

وقال كعب يذكر إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف:

[الوافر]

لَقَدْ خُزِيَتْ بِغَدْرَتِهَا الْحُبُورُ كَذَاكَ الدَّهْرُ ذُو صَرْفٍ يَدُورُ
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبِّ عَزِيْزٍ أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيْرُ
وَقَدْ أُوتُوا مَعًا فَهَمًّا وَعِلْمًا وَجَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ النَّذِيْرُ
نَذِيرٌ صَادِقٌ أَدَّى كِتَابًا وَأَيَاتٍ مُّبِينَةً تُثَبِّرُ
فَقَالُوا: مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صَدَقٍ وَأَنْتَ بِمَنْكَرٍ مَنَا جَدِيْرُ
فَقَالَ: بَلَى لَقَدْ أَدَيْتَ حَقًّا يُصَدِّقُنِي بِهِ الْفَهْمُ الْحَبِيْرُ
فَمَنْ يَتَّبِعْهُ يُهْدَ لِكُلِّ رُشْدٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُجَزَّ الْكُفُورُ
فَلَمَّا أُشْرِبُوا غَدْرًا وَكُفْرًا وَحَادَ بِهِمْ عَنِ الْحَقِّ التَّنُفُورُ
أَرَى اللَّهَ النَّبِيَّ بَرَأِي صِدْقٍ وَكَانَ اللَّهُ يَحْكُمُ لَا يَجُورُ
فَأَيَّدَهُ اللَّهُ وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ نَصِيْرَهُ نَعْمَ النَّصِيْرُ
فَعُودِرَ مِنْهُمْ كَعْبٌ صَرِيْعًا فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّصِيْرُ².

كما « سلك كعب في هجائه للمشركين سبيل التهديد والوعيد، مما كان يبعث الخوف والرعب في نفوسهم، فيبادرون إلى الإسلام كما فعلت قبيلة دؤس³، بعد ما قال لهم حين أجمع عليه الصلاة والسلام المسير إلى الطائف:

[الوافر]

قَضِينَا مِنْ تَهَامَةَ كُلِّ رَيْبٍ وَخَيْرَ ثَمِّ أَجْمَعِنَا السَّيُوفَا
نُخْبِرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعَهُنَّ: دَوْسًا أَوْ تَقِيْعَا

1- كعب بن مالك : الديوان ، ص 215 .

2- المصدر نفسه ، ص ص 168-169 .

3- فايز ترحيبي : الإسلام والشعر ، ص 125 .

وننتزعُ العُرُوشَ ببطنِ وجِّ وتصبح دوركم منكم خُلُوفًا*
ويأتيكم لنا سرعان خيل يغادر خلفه جمعا كثيفًا
إذا نزلوا بساحتكم سمعتم لها مما أنأخ بها رَجِيْفًا¹.

وهجا عبد الله بن الزبيرى بالهجن والخزي ولؤم الطبع، فقال: [المتقارب]

سألتُ بك ابن الزبيرى فلم أنبأكَ في القوم إلا هَجِينًا
حيثما تُطيف بك المنديات مُقيمًا على اللؤم حينًا فَحِينًا².

فرغم أن المنهج الأساسي لكعب بن مالك في هجاء المشركين قبائل وأفراد، كان يتكئ على التعبير بالمناقب والأيام، إلا أنه كان يعيرهم أيضا بالكفر وعباد الأوثان، فقال يهجو أبا عامر**:[الوافر]

مَعَاذَ اللَّهِ من عَمَلٍ خَبِيثٍ كَسَعَيْكَ في العَشِيرَةِ عَبْدَ عَمْرٍو
فإما قلت لي شرفٌ ونخلٌ فَقَدِمًا بَعْتَ إيمانًا بِكُفْرٍ³.

وقال كعب مجيبا ضرار بن الخطاب في يوم بدر، هاجيا كبار زعماء المشركين: [الطويل]

عَجِبْتُ لأمرِ اللَّهِ واللَّهِ قَادِرٌ على ما أَرَادَ ، ليس لله قَاهِرٌ
قَضَى يومَ بدرٍ أن تلاقى معشرًا بغوا وسبيل البغي بالناس جَائِرٌ
فكَبَّ أبو جهل صريعًا لوجهه وعتبة غادرتَه وهو غَائِرٌ
وشيبة والتَّيْمِيَّ غَادِرُنَ في الوغى وما منهم إلا بذى العرش كَافِرٌ
فأَمْسُوا وقود النار في مستقرها وكل كفور في جهنم صَائِرٌ
تَلَطَّى عليهم وهي قد شُب حَمِيها بُزير الحديد والحجارة سَاجِرٌ⁴.

*وخ: موضع بالطائف، أو هو من أسمائها. وخلوف: يريد دورا تغيب عنها أهلها أو فارقها الرجال ولم يبق بها سوى النساء.

- كعب بن مالك: الديوان، المحقق: هامش صفحة 188.

1- المصدر نفسه، ص 188.

2- المصدر نفسه، ص 214.

**« أبو عامر هو عبد عمرو بن صيفي بن النعمان. وكان قد تهرب في الجاهلية ولبس المسوح حتى دعي بالراهب، وحين جمع أهل المدينة على الإسلام أبي إلا الكفر، والفراق لقومه فخرج إلى مكة ببضعة عشر رجلا مفارقا للإسلام فقال رسول الله: لا تقولوا الراهب ولكن قولوا الفاسق. وعند فتح مكة خرج إلى الطائف فلما أسلم أهلها التحق بالشام فمات هناك ».

- المصدر نفسه، المحقق: هامش صفحة 171.

3- المصدر نفسه، ص 171.

4- المصدر نفسه، ص 167.

ومع كل هذا الهجاء المؤلم الذي صبه كعب بن مالك على الأفراد والقبائل، يبقى أن « مما يميز هجاء كعب عفة ألفاظه، وبُعد معانيه عن الفحش والفجور، فقد كان له من قوة الإيمان، وصدق العقيدة، ما يعصمه من الانحدار إلى السباب والإقذاع . لكنه كان يسلك أحبانا سبيل السخرية والتهكم والتحقير والاستهزاء بالمهجو، وهذا الأسلوب أبلغ أساليب الهجاء، وسبيله أكثر إيلاما في نفس المهجو »¹.

وقد هجا كعب أبا سفيان الذي كان يجرى قريشا في غزوة السويق، فهو يهجو « بتصوير منازل قريش على فخامتها وعراقتها ، بما لا يزيد عن منزل دُوَيْبَةَ صغيرة أشبه بمنزل الثعلب »². فقال له:

[المنسرح]

تَلَهَّفُ أُمُّ الْمَسْبُوحِينَ عَلَى جَيْشِ ابْنِ حَرْبِ بِالْحَرَةِ الْقَشِيلِ
إِذْ يَطْرَحُونَ مِنْ سَنَمِ الْـ طَيْرِ تَرْقَى لِقِنَّةَ الْجَبَلِ
جَاؤُوا بِجَيْشٍ لَوْ قِيسَ مَبْرُكُهُ مَا كَانَ إِلَّا كَمُفْحَصِ الدَّئِلِ
عَارٍ مِنَ النَّصْرِ وَالثَّرَاءِ وَمِنْ أَبْطَالِ أَهْلِ الْبَطْحَاءِ وَالْأَسَلِ³.

أما المديح عند كعب بن مالك فهو « أقل من الفخر، وعلة القلة أن النبي (ﷺ) نهى الشعراء عن أن يمدحوه ، كما كانوا يمدحون الملوك ، لأن من يتقبل المدح كمن يتقبل الغلو ، أو يقر المادح على الكذب ، والممدوح على ادعاء العظمة والكبرياء ، والإسلام يرغب في التواضع والصدق »⁴. وكذلك الحال « كان موقف من جاء بعده من الخلفاء الراشدين ، فلم يعرف عن أحد منهم أنه كان يتخذ مجلسه ندوة للشعراء ، يتبارون في مدحه استزادة في عطائه - كما حصل فيما بعد- لذلك كان أغلب ما جاء من مديح كعب سياسيا فهو إلى جانب العاطفة الدينية التي تسيطر عليه ، كانت له أهداف سياسية ، آمن بها الشاعر ويريد لمبادئها الانتشار »⁵. لهذا نجد أن كل « الشعراء الملتزمون من أمثال كعب وحسان وابن رواحة ، أنهم لم يقلعوا عن المدح ، بل حولوه من مديح شخصي ، يراد به تعظيم

1- فايز ترحيبي : الإسلام والشعر ، ص 126.

2- المرجع نفسه ، ص 126 .

3- كعب بن مالك : الديوان ، ص 199.

4- غازي طليمات وعرفان الأشقر : الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، ص 66.

5- كعب بن مالك : الديوان ، ص 80 .

الممدوح إلى مديح سياسي أو ديني ، يرمي إلى إطراء النهج الذي ينتهجه الممدوح في الحكم والإدارة ، ويعظم العقيدة الجديدة التي تحارب الشرك والفواحش ، وتناهى بالتوحيد ومكارم الأخلاق ولهذا تغيرت معاني المدح بتغير القصد منه ، ودأب كعب وصاحبه على إبداع ضرب جديد من المدح ، يطري الفضائل الإسلامية ، ويمثلها في الأمور الحسية ، والقُدوة الحية التي يتهدى ببعديها الناس ، وهي شخصية النبي ﷺ¹ . وفي ديوان كعب العديد من المدائح النبوية منها قصيدة يجيب فيها ضرار بن الخطاب في يوم بدر فقال :

[الطويل]

« عَجِبْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا أَرَادَ ، لَيْسَ لِلَّهِ قَاهِرٌ
وَفِينَا رَسُولَ اللَّهِ وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ لَهُ مَعْقَلٌ مِنْهُمْ عَزِيزٌ وَنَاصِرٌ
شَهِدْنَا بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرٌ »².

وقال مادحا للرسول في القصيدة التي ذكر فيها إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف: [الوافر]

« نَذِيرٌ صَادِقٌ أَدَّى كِتَابًا وَأَيَاتٌ مُبِينَةٌ تُثَبِّرُ
فَقَالُوا : مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صَدَقٍ وَأَنْتَ بِمَنْكَرٍ مَنَّا جَدِيرٌ
فَقَالَ : بَلَى لَقَدْ أَدَيْتَ حَقًّا يُصَدِّقُنِي بِهِ الْفَهْمُ الْحَبِيرُ
فَمَنْ يَتَّبِعْهُ يُهْدَ لِكُلِّ رُشْدٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُجْزَ الْكُفُورُ
فَلَمَّا أَشْرَبُوا غَدْرًا وَكُفْرًا وَحَادَ بِهِمْ عَنِ الْحَقِّ التُّفُورُ
أَرَى اللَّهَ النَّبِيَّ بِرَأْيٍ صَدَقٍ وَكَانَ اللَّهُ يَحْكُمُ لَا يُجُورُ
فَأَيَّدَهُ اللَّهُ وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ نَصِيرَهُ نَعْمَ النَّصِيرُ »³.

والواضح من خلال هذه المدائح وما تحمل من صفات مدحية جديدة للممدوح ، يمكن تأكيد رأي وهب رومية الذي قال: بأنه قد « تغير مفهوم الشعر ووظيفته لدى كثير من الشعراء ، فلم يعد حرفة لكسب الرزق ، بل صار سلاحا لنشر الدعوة والذود عنها والتغني بانتصاراتها وإنه لفرق - أي فرق - بين مفهوم الشعر لدى شاعر كالحطيئة ومفهومه لدى شاعر " كعب بن مالك " ، ونستطيع أن

1- غازي طليمات وعرفان الأشقر : الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، ص 66.

2- كعب بن مالك : الديوان ، ص 166 .

3- المصدر نفسه ، ص 168-169 .

نزعم أن ديوان الشعر الإسلامي الجديد لم يحتفل بأمر احتفاله بتمجيد الدين وشهادته وانتصاراته وفتوحاته ، ولذا لم يكن هؤلاء الشعراء يمدحون إلا بمقدار ما يتصل هذا المدح بالدين ومثليه ¹ .

وأما **الفخر** عند كعب بن مالك فهو أبرز الفنون الشعرية في ديوانه ، وهو من وجهة نظر سامي مكّي العاني « على نوعين : فردي ذاتي يتحدث فيه عن فضائله ، ويبين ما يمتاز به من كريم الخصال ومحمود الصفات. وجماعي ، يوضح محاسن قومه ، ويجلي مآثرهم ويشيد بهم ، ويتحدث عن جماعة المسلمين الذين آمنوا بالدين الجديد » ² .

بينما فخر كعب في نظر غازي طليحات وعرفان الأشقر « يدور في ثلاث دوائر : صغرى ، ووسطى ، وكبرى . صغرى هذه الدوائر فخره الفردي بنفسه . ووسطاهن فخره القبلي بقومه ، وكبراهن فخره الديني بجماعة المسلمين . والفرديّ من فخره أقله ، والإسلامي أكثره . وعلة ذلك أن أثرته انطوت في إثارة ، وقبيلته ذابت في أمته . فالكيان الذي كان يعتز به أشد اعتزاز هو الأمة التي صنعها النبي ﷺ من قبائل العرب كافة » ³ .

ويبقى فخر كعب « من حيث الكثرة والقوة والجودة ، وهو في غالبية العظمى من النوع الجماعي ، لأن كعباً أذاب شخصه في المجموعة الإسلامية التي ارتضاها بديلاً من أسرته وعشيرته » ⁴ .

وعلى هذا الأساس ، « يستغرق الفخر من شعر كعب أكثره ، وقد تطور هذا الفن على يديه ، وأيدي إخوانه من الشعراء الإسلاميين تطوراً كبيراً ، يمكن أن نلمسه إذا استقصينا المآثر التي فخر بها هؤلاء الشعراء ، فلم يعد يفخر أحد منهم بإعلاء كلمة القبيلة ، أو رفع شأنها ، أو كسب المغنم ، وسبي الأعداء ، بل بنيل الشهادة في سبيل الله ، وتأييد الملائكة لهم في القتال وانتصار جند الله » ⁵ .

ويتجلى فخر كعب بالمسلمين وبهذه المآثر بما أجاب به ابن العاص وضرار بن الخطاب في يوم أحد بما فعله المسلمون يوم بدر :

[البسيط]

ويومٌ بدرٍ لقيناكم لنا مددٌ فيه مع النصر ميكالٌ وجبريلُ

1- وهب رومية : بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح أنموذجا) ، ص 66 .

2- كعب بن مالك : الديوان ، ص 71

3- غازي طليحات وعرفان الأشقر : الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، ص ص 287- 288 .

4- كعب بن مالك : الديوان ، ص 242.

5- المصدر نفسه ، ص ص 73- 74 .

إِنْ تَقْتُلُونَا فِدَيْنُ اللَّهِ فَطَرْتُنَا وَالْقَتْلُ فِي الْحَقِّ عِنْدَ اللَّهِ تَفْضِيلٌ¹.

وتتجلى بوضوح هذه المعاني في شعر كعب عندما يفخر بتأييد الله والملائكة لزعامه الرسول في يوم

بدر ، فقال :

[الوافر]

« وَرَدَّنَاهُ يُنُورِ اللَّهُ يَجْلُوا دُجَى الظُّلَمَاءِ عَنَّا وَالْغَطَاءِ
رسول الله يُقْدِمُنَا بِأَمْرٍ من أمر الله أَحْكَمَ بِالْقَضَاءِ
فَمَا ظَفَرَتْ فَوَارِسُكُمْ بِيَدِرٍ وما رجعوا إِلَيْكُمْ بِالسَّوَاءِ
فَلَاتَعْجَلْ أَبَا سَفِيَانَ وَارْتَقِبْ جِيَادَ الخَيْلِ تَطْلُعُ من كَدَاءِ
بنصر الله رُوحُ القُدسِ فِيهَا وميكَالَ فِيهَا طَيْبِ المِلاءِ² ».

ويظهر استمرار فخر كعب حين أجمع الرسول ﷺ المسير إلى الطائف ؛ حيث « راح كعب بن مالك يفخر بجماعة المسلمين، ويمهد للقتال تمهيدا إعلاميا، فيه من الحقائق فوق ما فيه من المفاخر، ومن التشريع مثل ما فيه من التهديد بيّن للعدو التفاف الجيش المؤمن حول قيادته، والأهداف السياسية والدينية للجهاد بأسلوب يؤثر الإنصاف على التجني . إن المعسكر المسلم مرصوص الصفوف، يصدع بأمر الله والنبي يرجو الخير لجميع البشر، فإن جنحت ثقيف للسلم انقلبت إلى حليف تقوى بالإسلام، ويقوى بها، وإن أصرت على الشرك والحرب فلتعلم أن المسلمين فرسان أشداء ، مفخرتهم الأولى النصر أو الشهادة ، وشراء الجنة بالأرواح والأموال³ . فعبّر عن هذا الفخر قائلا:

[الوافر]

نُطِيعُ نَبِيَّنَا ، وَنُطِيعُ رَبَّنَا هو الرحمن ، كان بنا رُؤُوفًا
فإن تُلقوا إلينا السَّلمَ نَقْبَلُ ونجعلكم لنا عَضُدًا وَرِيفًا
وإن تابوا نجاهدكم، ونصبرُ ولا يَكُ أمرنا رعشًا ضَعِيفًا
بُجَالِدُ ما بقينا أو تُنَبِّوا إلى الإسلام إذعانا مُضِيفًا
نجاهد لا نبالي من لَقِينَا أهلكننا التَّلاذ أم الطَّرِيفًا⁴.

وقال كعب في يوم الخندق مصورا المشركين متحزبين متشبهين بشركهم وغيرهم، مفتخرا بأن الله

1- كعب بن مالك : الديوان ، ص 242.

2- المصدر نفسه ، ص 145 .

3- غازي طليمات وعرفان الأشقر : الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، ص ص 64- 65 .

4- كعب بن مالك : الديوان ، ص 189- 190 .

أعان المسلمين في حربهم على المشركين : [الطويل]

لقد عَلِمَ الأحزابُ حينَ تألبوا علينا وراموا ديننا ما تُودِعُ
أضاميئهم من قيس بن غيلان أصفقت وخندف لم يدروا بما هو واقع
يُدُّووننا عن ديننا وندوؤهم عن الكفر والرحمئ راءٍ وسامِعُ
وذلك حفظُ الله فينا وفضله علينا ومن لم يحفظ الله ضائعُ
هدانا لِدِينِ الحقِّ واختاره لنا ولله فوق الصانعين صنائعُ¹.

وقال كعب يجيب هبيرة بن أبي وهب في أحد؛ حيث نجده « لم يفخر بالمعاني والقيم الإسلامية وحسب ، بل افتخر أيضا بمآثر جاهلية أقرها الإسلام أو لم يتعرض لها بإكراه أو تحريم . من تلك المآثر الصبر في الحرب والثبات عند الشدائد ، وبأن قومه لا يرون القتال والقتل عيبا »². [الطويل]

فجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومُتَمَّعُ
فلما تلاقينا ودارت بنا الرّحى وليس الأمر حمه الله مدفع
ضربناهم حتى تركنا سراهم كأنهم بالقاع خُشِب مُصْرَعُ
ودارت رَحانًا واستدارت رحاهم وقد جعلوا كلَّ من الشّر يشبّع
ونحن أناس لا نرى القتل سبة على كلِّ من يحمي الدّمارَ ويمنع
وكنا شهاباً يتّقي الناس حرّة ويفرّج عنه من يليه ويُنفَعُ
شدّنا بحول الله والنصرُ شدّةً عليكم وأطرافُ الأسنّة شرّعُ³.

أما الرثاء في شعر كعب بن مالك فـ « هو الرجوع الحزين لمدحه ، فالفضائل التي كان يزيحها إلى الممدوح ، وهو حي ، كان ينثرها على قبره يعد أن يموت ، فلا يتغير من أفكاره وصوره إلا الإيقاع ، إذ بتحول شموخ الفرح والإعجاب والاستبشار إلى ترح وانتخاب وانكسار ، واستسلام لقضاء الله . يرثي الفقيده فيعدد مناقبه ، ويطري فضائله ما كان جاهليا تليدا ، وما كان إسلاميا طريفا فتمتزع الشجاعة بالشهادة، والكرم بالخير والإحسان، والوفاء للصديق بالأخوة في الله... ثم يحتّم الرثاء ببشرى تسري على

1- كعب بن مالك : الديوان ، ص 185 .

2- فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 122 .

3- كعب بن مالك : الديوان ، ص ص 182 - 183 - 184 .

أهل الراحل، إذ ينقله من الفانية إلى الباقية، ويسبغ عليه في دار الخلود رداءً من سندس، برفل به في جنة عدن»¹.

لقد رثى كعب الصحابة والرسول (ﷺ)، وقد دفعه التزامه الديني والفكري إلى أن يجعل الرثاء جزء من خدمة العقيدة، «أما الذين رثاهم في شعره، فكان على رأسهم الرسول (ﷺ)، وقد وصل إلينا منه ثلاث مقطوعات لم يزد مجموع أبياتها على سبعة عشر بيتا، وفي أغلب الظن أن تكون هذه المقطوعات من قصائد لم تصل إلينا منها سوى هذه الأبيات.

ورثى عثمان بأربعة وسبعين بيتا، وحمزة بن عبد المطلب بسبعة وخمسين بيتا، وقتلى مؤتة بتسعة عشر بيتا، وعبيدة بن الحارث بخمسة أبيات. وقد ترددت أسماء بعض الصحابة في ثنايا قصائد رثاهم بيت أو بيتين»².

ونظرا لتشعب كعب بمواصلته خدمة الدين الإسلامي باحترافية عالية، فقد أخضع غرض الرثاء لأفكاره الدينية بكل صدق وإيمان، ففي رثائه لأبطال الدعوة «كان ينقل فيه ما كان يقوله في المديح من عالم الأحياء إلى عالم الأموات، فهو يعدد خصال المرثي، ويسجل مناقبه، ولكنه أخضع رثاءه كما أخضع فنونه الأخرى إلى المقاييس الإسلامية، فقد تحدث بسيرة لم تكن تعرفها الجاهلية، فيها المجد والتقوى، والإسلام، وفيها الخير والبر والوفاء، وبهذه المآثر والمناقب الجديدة مثلا، كانت فاجعة الإسلام والمسلمين عند فقد رسول الله (ﷺ)، ولفقد هذه المآثر والمناقب كان يلح كعب على عينيه أن تبكيها رسول الله (ﷺ) بدمع منهمر»³. فقال في ذلك:

[المتقارب]

يا عينُ فابكي بدمع ذرى	لجَيْرِ البريةِ والمصطفى
وبكّي الرسولَ وحقّ البكاء	عليه لدى الحربِ عند اللقا
على خيرٍ من حملت ناقة	وأتقى البرية عند التقى
على سيّدٍ ماجدٍ جحفل	وخيّر الأنام وخيّر اللها
له حسبٌ فوق كل الأنا	م من هاشم ذلك المرثى ⁴ .

1- غازي طليحات وعرفان الأشقر: الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ص ص 71-72.

2- كعب بن مالك: الديوان، ص 99.

3- المصدر نفسه، ص 97.

4- المصدر نفسه، ص 147-148.

ويظهر أن «كعبا كثيرا ما كان يستغل رثاءه لصالح فكرته ، فيجعل منه صورة من صور الدعاية للدين، وبث الأفكار الإسلامية، فهو يمزج رثاءه بثواب الآخرة، والنعيم بجنان الخلد، وقيمة الاستشهاد في سبيل الله، وفي رثائه لقتلى المسلمين في أحد تبرز هذه المعاني واضحة»¹ فقال: [المتقارب]

وقتلاهم في جنان النعيم كرام المداخل والمخارج
بما صبروا تحت ظل اللواء لواء الرسول بذي الأضوج
غداة أجابت بأسياها جميعا بنو الأوس والخزرج
وأشياغ أحمد إذ شايعوا على الحق ذي النور والمنهج
كذلك حتى دعاهم مليكاً إلى جنة دوحة المؤلج
فكلُّهم مات حر البلاء على ملّة الله لم يخرج
كحَمْرَةَ لما وقي صادقا بذي هبة صارم سلجج².

ولما حلت الفاجعة بالمسلمين بقتل الخليفة عثمان بن عفان قال راثيا له : [الكامل]

يا للرجال للبك المخطوف ولدمعك المتفرق المنزوف
ويح لأمرّ قد أتاني رائع هدّ الجبال فأنقضت برجوف
قتل الخليفة كان أمراً مفضعا قامت لذاك بليّة التّخويف
قتل الإمام له النجوم خواضع والشمس له بازغة بكسوف³.

وهكذا تظهر عاطفة كعب الجياشة ، في بكائه على الرسول والصحابة ، معبرا عن الفاجعة التي حلت بالمسلمين ، وهو في كل ذلك يعكس مسلك التزامه بخدمة الدعوة وتعلقه بأبطالها .

1- كعب بن مالك : الديوان ، ص 102 .

2- المصدر نفسه ، ص ص 157 - 158 .

3- المصدر نفسه ، ص ص 190 - 191 .

(17) قطعة شعرية لا تتجاوز ستة (06) أبيات .

وجاء شعر عبد الله بن رواحة موزعا على بحور الشعر الطويلة والقصيرة، فقد استخدم بحر الطويل ثمانية (08) مرات، و بحر الوافر ستة (06) مرات ، و بحر الرجز ستة (06) مرات ، و بحر البسيط أربعة (04) مرات .

أما شعر عبد الله بن رواحة من الناحية الزمنية ، فقد جرى على قسمين : جاهلي نقائص قاله بالمدينة بين أفراد قبيلته الخزرج ينافح به عن نفسه ، مهاجما خصومه الأوس في معارك كلامية حادة مع قيس بن الخطيم . وإسلامي قاله دفاعا عن الدعوة الإسلامية، وقد كان التفريق بين القسمين يسيرا ذلك أن نصوص الديوان تتضمن إشارات متمثلة في ذكر اسم الإسلام أو المعنى أو الحادثة ، أو المكان الذي قيلت فيه .

موقف النقاد من شعره :

إن كمية شعر عبد الله بن رواحة كما يمثلها الديوان قليلة لا تعكس قيمة الشاعر الفنية ، ولكن في حقيقة الأمر ، فإن المصادر النقدية « تظهر أن العصور الإسلامية الأولى كانت تعرف كثيرا من أشعار الرجل ، حتى عده القرشي من أصحاب المذاهب ، فجعل المذهبة الأولى لحسان والثانية لابن رواحة . في حين رأى فيه ابن سلام الجمحي أحد الشعراء الثلاثة ، كما أن القرطبي ذكر له قصيدة في رثاء حمزة¹ ، وهذا ما يؤكد قيمة الشاعر الفنية في الإسلام .

ونجد حسن محمد باجودة محقق ديوان عبد الله بن رواحة يحاول تفسير قلة شعره ، فيرى أن « شعره الإسلامي الذي لصق به لم يكذب ينتسب لغيره ، فهو الشعر الذي يرتبط بأعمال إيجابية معينة قام بها ابن رواحة ، صاحب الدور البارز في صدر الإسلام ، وهناك أشعار ليس لابن رواحة في مناسباتها أدوار إيجابية بل اقتصر على الانفعال فالتعبير ، وهنا نجد ابن رواحة مظلوما في هذا المجال ، فنحن نظن أن لابن رواحة أشعارا من هذا القبيل لم يصلنا بعضها ، واختلط البعض الآخر بشعر المعاصرين له، وبالذات حسان بن ثابت، وكعب بن مالك² .

1- فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 135 .

وينظر : القرشي : جمهرة أشعار العرب ، ص ص 223- 224 .

وينظر : ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج 1 ، ص 223 وما بعدها .

2- عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي شاعر الرسول (ﷺ) : الديوان ، ص 4 .

ويضيف حسن محمد باجودة قائلاً: « ونحن نظن من ناحية أخرى أن ابن رواحة، بشأن شعره الملتزم لأعماله الإيجابية محظوظ، فقد وصلنا هذا الشعر في أحسن الصور الممكنة، ومن الأمثلة على ذلك شعره منذ توجهه إلى مؤتة حتى استشهاده، ونحن نعتقد أن هنالك العديد من الشعراء المعاصرين له الذين كانت لهم أمثال تلك الأنواع من الشعر، ومع ذلك هي لسوء الحظ لم تصلنا»¹.

وأما الكفراوي فيقول في مسألة شعر عبد الله بن رواحة: « ومن الأمور الجديرة بالتدبر ضياع شعره، فالقارئ لسيرة ابن هشام يرى أمراً عجيباً، يراه يروي عشرات القصائد والمقطوعات لحسان وكعب فإذا ما ذكر شيئاً لابن رواحة، وقلما يفعل أسرع فقال: وبعض الناس ينشدها لكعب بن مالك، ولا يكاد يترك له من الشعر بعد ذلك إلا بضع مقطوعة قصيرة، قال معظمها عند خروجه لحرب مؤتة التي استشهد فيها، وهي من الشعر الحماسي، يتشوق فيها إلى الموت في سبيل الله، فأين إذن تلك الأشعار التي استحق بها أن يوضع بجانب حسان وكعب في تاريخ الأدب؟»².

ولقد حاول الكفراوي تعليل ذلك فقال: «ولعل أقرب تفسير لذلك..نحى الرسول وخلفاؤه عن رواية شعره إبقاء على مودة قريش وتأليفاً لقلوب رجالها، وما يمنع الرسول من ذلك وهو الذي أغدق على قريش من غنائم حنين إغداقاً عظيماً، يتألف بذلك قلوبها، ويثبت به إيمانها. وهكذا أهمل معظم شعره في هذه المعركة حتى ضاع. ولم يبق منه إلا مقطوعات في غزوة مؤتة، وأخرى لا يتعرض فيها لقريش»³.
ونجد رأياً آخر في هذه المسألة لفائز ترحيني يحاول فيه تعليل ظاهرة قلة شعر عبد الله بن رواحة، فقال: « ولعل ذلك يعود إلى أن ابن رواحة كان يعبر قريشا بالكفر، وهذا الشيء كان هينا عليها قبل الإسلام، شديداً بعده. مما اضطر قريش إلى إهمال شعره فنسيه الناس قبل عصر التدوين. أو لأن عبد الله بن رواحة كان يتألم من قول الشعر مخافة أن يطله قوله تعالى: أ □ ج □ ه □، أو لأن شعر ابن رواحة كان ملتبساً بشعر كعب بن مالك...أو الذي مازال مبعثراً في أمات الكتب، فهو...لا تكاد تظهر فيه خصائصه الفنية، وتعدد الأغراض التي قال فيها الشعر»⁴.

1- عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي شاعر الرسول (ﷺ): الديوان، ص 4.

2- الكفراوي: تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وعصر بني أمية، ج 1، ص ص 44-45.

3- المرجع نفسه، ص 45.

4- فائز ترحيني: الإسلام والشعر، ص 135.

وتحدث سعيد الأعظمي الندوي على قلة شعر ابن رواحة فقال: « ولكن السبب الكبير في قلة شعره الإسلامي أنه شغل بخدمة الدعوة والمشاركة في الغزوات الإسلامية؛ حيث إنه لم يتمكن من التفرغ لقول الشعر والقريض، ولم يستطع أن يركز عليه تركيزاً كاملاً، غير أن ذلك لا يعني أن شعره ليس بقوي أو أنه لا يتبوأ مكانة شعرية ممتازة، بل الواقع أنه كان من شعراء الإسلام المعدودين المعروفين»¹.

إذاً، بقي أن نقول: إن عبد الله بن رواحة، قد سلك في مذهبه الشعري مسلك الاحتراف مثله مثل صاحبيه خدمة للدعوة، وأما شعره سواء الذي نشره حسن محمد باجودة في ديوانه « أو الذي مازال مبعثراً في أمات الكتب، فهو لا يتناسب مع أهمية الشاعر الإسلامية، وفيه جميعاً لا تكاد تظهر خصائصه الفنية وتعدد الأغراض التي قال فيها الشعر»². وإن كان الذي وصلنا من شعره قليل، وبخاصة شعره الذي هجا به قريشا، فتعود أسباب هذه القلة في شعره كما قال النقاد إلى اختلاطه بشعر معاصريه، أو إلى اهتمامه بخدنة الدعوة الإسلامية وإهماله لشعره، أو إهمال قريش لرواية شعره، فنسيه الناس ولم يصل إلى عصر التدوين.

وأما في الهجاء فقد اتخذ موقفاً سلبياً من شعراء المشركين، وهو مثل صاحبيه حسان ثابت وكعب ابن مالك، فقد هجا القبائل والأفراد، هجا بني عمرو بن مخزوم³، وهجا قريشا⁴، وهجا أباسفيان⁵.

أما قوله في هجاء بني عمرو بن مخزوم وغيرهم من آل هاشم:

فَجَبْرُونِي أَتَمَّانَ الْعَبَاءَ مَتَى	كُنْتُمْ بطاريق أو دَانَتْ لَكُمْ مُضَرُّ
بُحَالِدِ النَّاسَ عَنْ عَرْضِ فَنَاسِرُهُمْ	فِينَا النَّبِيُّ وَفِينَا تُنَزَّلُ السُّورُ
وَقَدْ عَلِمْتُمْ بِأَنَا لَيْسَ غَالِبِنَا	حِي مِنَ النَّاسِ إِنَّ عَزُّوا وَإِنْ كَثُرُوا
يَاهَاشِمَ الْخَيْرِ إِنَّ اللَّهَ فَضْلُكُمْ	عَلَى الْبَرِيَةِ فَضْلاً مَا لَهُ غَيْرُ
إِنِّي تَقَرَّرْتُ فِيكَ الْخَيْرَ أَعْرَفُهُ	فِرَاسَةً خَالَفْنَهُمْ فِي الَّذِي نَظَرُوا
وَلَوْ سَأَلْتُ أَوْ اسْتَنْصَرْتُ بَعْضَهُمْ	فِي جَلِّ أَمْرِكَ مَا آوُوا وَمَا نَصَرُوا

1- سعيد الأعظمي: شعراء الرسول (ق) في ضوء الواقع والقريض، ص 308.

2- فايز ترحيني: الإسلام والشعر، ص 136.

3- عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي شاعر الرسول (ق): الديوان، ص 93-94.

4- المصدر نفسه، ص 101-102.

5- المصدر نفسه، ص 104-105. وص 109.

وفضله على الفئة المؤمنة بالهداية إلى طريق الرشاد ، وهناك الإشارة إلى الصدقة والصلاة، وهناك الدعاء بإنزال السكينة على المؤمنين وتثبيت الأقدام ساعة اللقاء، واستعمال لفظة " الكفار"، وكذلك " البغي" و " الفتنة" بمعناها الإسلامي، ولا يخفى أن هذه المعاني جديدة على العرب، وأن التأثر فيها بالقرآن الكريم بين ¹.

وقال ابن سلام : « وقال عبد الله بن رواحة ، وهو آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ في عمرة القضاء، يقودها ، وقد اجتمع أهل مكة وعلمائهم ينظرون إليه وهو يقول* : [الرجز]

خَلُّوا بني الكفارِ عن سبيلِهِ خلوا فكلُّ الخيرِ مَعَ رَسولِهِ
نَحْنُ ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كما ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الهَامَ عن مَقِيلِهِ ويُذْهِلُ الخليلَ عن خَلِيلِهِ ².

فهذه الأبيات تعكس طريقة مسلك وأسلوب عبد الله بن رواحة في هجاء قريش؛ حيث كان « يعيرهم بالكفر وعبادة مالا يسمع ولا ينفع » ³. الواضح أن « في هذا الرجز ، يخاطب ابن رواحة " بني الكفار"، وليس في ذلك تعريض بالحاضرين فقط، بل والأموات من الآباء والأجداد، ويأمرهم أن يتركوا طريق النبي ﷺ خاليا منهم كي يملأه بالخير كل الخير، إنهم عريقو النسب في الكفر، أما هو فمؤمن بكل ما يوحى إلى النبي ﷺ، وهو يعلم يقينا أن الله حقا في قبول ما جاء به النبي ﷺ، لا

1- عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي شاعر الرسول ﷺ: الديوان ، ص ص 51- 52 .

*أما رواية الديوان ص ص 101- 102 . في هذه القضية تختلف روايته في لفظ بعض الأبيات مع بعض الزيادة ، فقال :

خلوا بني الكفار عن سبيلِهِ
خلوا فكل الخير في رسولِهِ
يارب إني مؤمنٌ بقبلِهِ
أعرفُ حق الله في قبولِهِ
نحن قتلناكم على تأويلِهِ
كما قتلناكم على تنزيلِهِ
ضربنا يُزيلُ الهامَ عن مَقِيلِهِ
ويذهل الخليلَ عن خَلِيلِهِ
إني شهيد أنه رسولُهُ .

2- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج 1 ، ص ص 224- 225 .

3- ابن عبد البر القرطبي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ج1، ص 402 .

وفي الإيغال المادي الساكن في الفعل الثالث¹. ويستمر الشاعر في إبراز دلالاته اللغوية، إذ في البيت الرابع « يقرر علمه اليقيني بالحشر ويوم الحساب ، ويأتي بالمصدر "وأعلم علما" ولا يخفي دوره التوكيدي ، ثم ينفي الظن عن هذا العلم "ليس بالظن" وكثير هي الآيات التي تتحدث عن البعث والنشور ، وقد كان ابن رواحة يتمثل ذلك الوقت الرهيب دائما² ».

ومن الجلي الواضح أن شعر عبد الله بن رواحة « الذي نسب إليه أو صح أنه له ، فهو ينضح بتأثره بالقرآن الكريم والقيم الإسلامية ، وتمثل إلى حد ما لتلك القيم والتعاليم ، ولو حفظ شعره جميعا فلربما ساعد على توضيح صورة الشعر في صدر الإسلام ، لما امتاز به من سهولة في اللفظ وشيوع المعاني الدينية ، ولكن رغم ذلك فابن رواحة يعد من شعراء الأنصار البارزين الذين ذبوا عن الرسول، ودافعوا عن الدين الإسلامي بلسانهم وسنانهم³ ».

والخلاصة :

- 1- جاءت الأغراض الشعرية التي خاض فيها حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ، المعركة الفنية ضد قريش والرد على شعرائها متداخلة ذات مضامين جديدة ، لا نجد قصيدة مستقلة بموضوع معين ، فتداخل الهجاء مع المدح والفخر ، وأحيانا تجمعهما قصيدة واحدة.
- 2- إن الأشعار الإسلامية لحسان وصاحبيه، كلها تعبر عن فكر جديد وتجربة فنية احترافية جديدة ، ومواقف أدبية جديدة ، فالهجاء عندهم تحركه نزعة إنسانية وفق منهج فكري جديد ، يهدف إلى تخليص المجتمع العربي من الوثنية والعبودية ، وتحرير الفكر الديني من قبضة سلطة القبيلة وزعامة المشيخة الأرستقراطية القرشية ، وتحرير مكة من عبادة الأصنام والأوثان التي أحاطتها بها قريش والقبائل العربية .
- 3- وأما مدائح حسان وكعب فهي نابعة من تصور إسلامي جديد لارتباطها بمدحه للرسول ﷺ، والتعلق بشخصيته ، فمدحا خلفاءه ، وصحابته وفرسان المسلمين، وهو ما يدل على تجديد مفهوم المدح وتطور عند حسان وكعب؛ حيث لم يقصدا به سؤال التكسب ، وقد عبرا بكل احترافية في فصائلهما المدحية الجديدة على أن مدائحهما الإسلامية تعكس مذهبهما الشعري الجديد .

1- نقلا عن : عبد الله بن محمد أبوداهش : شعراء حول الرسولﷺ، ص 37 .

- عبد الله بن محمد أبوداهش : الشعر في صحيح البخاري ومسلم ، ط1، أما ، مطبعة مازن ن 1441هـ 1994م ، ص 18 .

2- عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي شاعر الرسولﷺ: الديوان ، ص 45.

3- فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 140 .

الفصل الثالث

شعر الصحابة في الميزان الأخلاقي والفني

شعر الصحابة في الميزان الأخلاقي والفني

بعد توجيه الرسول ﷺ للشعراء، تبلورت في وجدانهم فكرة التزام الشعر بحدود الإسلام وخدمته، « وأدرك شعراء المسلمين من الأنصار والمهاجرين، أن مهمتهم هي الاعتقاد الكلي في أن مهمتهم في تلك الحياة الدفاع عن الإسلام والمسلمين، ومناصرة الحق ضد قوى الشر والظلم والبغي، كما أدركوا أن مهمتهم هي الشعور التابع من أعماق نفوسهم بأن دورهم في معركة الدعوة الإسلامية دور هام وحيوي. فلهذا اقتنعوا في قرارة أنفسهم أنهم جزء هام ورئيسي وحي في المجتمع الإسلامي، وأنهم عنصر خير في ذلك المجتمع، فأخذوا يركون المعاني الرفيعة للحق والخير، ويوقظون كذلك الأخيلة الخصبية الوضيئة للعقل والفكر والوجدان، ويعبرون بحقائق الدين ويذكرون ويبشرون بالأهداف الإسلامية النبيلة»¹.

لهذا نجد شعراء المدينة قد تجاوزوا مع هذه القيم والمثل، والأهداف الإسلامية النبيلة، وبدأت الحس الإسلامي يدب في نفوسهم قبل أن يدب في فئهم، فعرفوا الجرى السليم للعقيدة، وتشبعوا بلغة الإسلام الجديدة، فظهر كل ذلك من خلال توظيفهم للمعجم الإسلامي الجديد الذي جسّدوا أفكاره في شعرهم، وواجهوا به فنيا شعراء المعارضة، فبعد أن كان « المعجم الجاهلي مسيطرا على ذاكرة الشاعر لا تكاد تتجاوزه - أي ذاكرته- أو تجوز عليه، إلى أن يأتي المصدر الإسلامي مع انتشار الدين الجديد، وأقول نجم الجاهلية، ومع هذا المعجم يبدأ الشاعر المسلم يتوقف، وكأنما تنبه إلى ثنائية لا يستطيع إغفال جانب منها، فهناك تراث جاهلي كامن في أعماقه ولاوعيه لا يستطيع -بالطبع- أن يتخلص منه بين يوم وليلة، ولا يستطيع -أيضا- أن يتنكر له أو يرفع في وجهه راية التجاهل أو الرفض، وأمامه أيضا معجم إسلامي جديد بدأ يردد ألفاظه، ويتردد على صوره، ويستمد من معجمه ولا يستطيع -أيضا- إغفاله لأنه يمثل الجانب العقائدي الذي يشغل فكره بنفس العمق»².

وقد كان الرسول ﷺ، في دار الهجرة مدركا لأهمية الدعوة وصعوبتها، والتحدي الذي سيلاقيه من طرف المشركين، لهذا كان يتجه في نشر الدعوة بين المسلمين ومعهم الشعراء، وفق ما وجهه إليه القرآن العظيم³ □ □ □ □ □ بجزء [سورة النحل الآية 125].

1- محمود حسن زيني : دراسات في أدب الدعوة الإسلامية ، ص 181.

2- عبد الله التطاوي : حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، 1998م ، ص 5.

وقبل المواجهة الحربية بدأ يتبلور الموقف الفني الإسلامي للشعراء المسلمين، نتيجة لما كان يصلهم من شعر من طرف المشركين وحلفائهم، وأثناء الصراع « كان طبيعياً أن يسود المفهوم الإسلامي للشعر بين المسلمين، وأن يظل المفهوم الجاهلي على سيادته بين المشركين، وأن يصطرع المفهومان كما اصطرعت العقيدتان، وأن يرتبط مصير كل مفهوم منهما بعقيدته، فينتصر إذا انتصرت، وينهزم إذا انهزمت، وكان الموقف الأول للرسول ﷺ أن تَوَعَّدَ الشعراء المهاجمين للإسلام من شعراء المشركين »¹.

ولقد دخل الصحابة والشعراء معهم، بقيادة الرسول ﷺ، إلى معركة التبليغ، والإيمان يملأ قلوبهم، وكان التغيير الديني هدفهم، فكانوا أ □ □ □ □ □ □ □ □ [سورة الفتح الآية 29].

لكن السؤال الذي يمكن طرحه: ما هو المدى الذي بلغه الحس الإسلامي في شعر الصحابة الشعراء؟ وهل تخل الصحابة الشعراء عن تقاليد الشعر الجاهلية، أي منهجهم الشعري القديم؟.

إن هذا الطرح في حقيقة الأمر يعطينا صورة واضحة عن شعر الصحابة الشعراء - سواء السباقون للإسلام أم الذين تخلف إسلامهم إلى يوم الفتح-، بأنه يختلف باختلاف طبيعة المرحلة التي مروا بها، وإن كان كل من التأثير الديني والنضال السياسي قد لعبا دوراً كبيراً وأساسياً، في إعطاء صورة واضحة لطبيعة الحس الإسلامي لشعر كل مرحلة، وقد انعكس ذلك كله في شعر الهجاء والمدح والفخر والثناء والاعتذار والاستعطاف، الذي قيل أمام الرسول ﷺ. ويمكن توضيح هذا فيما يأتي:

1- شعر الصحابة في الميزان الأخلاقي:

لقد أدى الحس الأخلاقي الإسلامي عند الصحابة الشعراء إلى إدراكهم أهمية المرحلة التي يعيشونها، فهم بين عصرين : عصر جاهلي قديم حكم عليه بالفناء والذوبان، وعصر جديد بات واقعا معيشيا، وبالتالي فلا بد على الشعراء من تأكيده وطبعه بطابعهم الفني، ويبدوا من خلال كل الأحداث التي عاشها الشعراء مع الرسول ﷺ، وتجاوزوا معها نجد أن حسهم الديني قد مس شعرهم، وانتقل التزامهم العقائدي إلى التزامهم الفني، وهذا الالتزام « وجد سبيله على ألسنة فريق من الشعراء ممن آمنوا بالدعوة، وصدقوا رسول الله ﷺ وأزره، وحسن إسلامهم فسجلوا ملامح من التزامهم في سياق موضوعات تقليدية ورثوها من العصر السابق، بين ملامح مدح وهجاء، وثناء، وغيرها، وأخلصوا فنهم

1- عبد الحكيم حسان : التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، د.ت . ص 139.

في رسم صورة إسلامية جديدة للممدوح، خاصة إذا ما تعلق الموقف - مثلاً - بشخص رسول الله ﷺ، وكذلك كان الموقف من المهجويين من خصومه - عليه الصلاة والسلام-، من معسكر الشرك القابع في مكة، ثم كانت صورة المرثيين من قادة المسلمين في مسارات متجددة حول الاستشهاد وحركة الجهاد، إذ راح معسكر الشعراء المسلمين يطرح صوراً عديدة يمدحها المعجم الإسلامي الجديد، فعكس الشعراء في ثناياها ما أفادوه من معاني الآيات القرآنية، وما استوعبوه من الأحاديث النبوية الشريفة، وما انتهجوه من صور السلوك الإسلامي، وما قاموا عليه من أمر العبادات والشعائر المختلفة، ثم أضافوا إلى تلك الموضوعات صوراً ومواقف أخرى أصبحت أكثر استجابة لواقع الحياة الجديدة¹.

ومن الشعراء الذين تجسد الحس الإسلامي في شعرهم **النابعة الجعدي** (ت 670م)، "وكان يكنى أبا ليلي" وكانت له مواقف سياسية، واضحة، شارك في الفتوحات ووقف إلى جانب علي بن أبي طالب في صفين، ووقف إلى جانب عبد الله بن الزبير في خروجه على بني أمية. وحين «أتى رسول الله ﷺ أنشدته: [الطويل]

أتيتُ رسولَ الله إذ جاءَ بالهدى و يتلو كتابًا كالحجرِ نيرًا
بلغنا السماءَ مجددًا ومجدودنا وإنَّا لَنرَجُوا فوقَ ذلكَ مظهرًا

فقال رسول الله ﷺ: "إلى أين يا أبا ليلي"؟، فقال إلى الجنة، فقال رسول الله ﷺ: "إن شاء الله" وأنشدته:

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم تكنْ له بوادٍ تحمي صفوه أن يُكدرًا
(ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ له حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أضدرًا)².

فالشاعر عبر عن ترحيبه بالرسول ﷺ، من خلال توظيفه في البيت الأول مفردات إسلامية، جسدها تجسيدا يعكس إيمانه العميق وثقافته الجديدة، وفي الأبيات يفيض حسه الإسلامي؛ حيث اتخذ النابعة الجعدي قاموسه اللغوي من مفردات: رسول الله - الهدى - الكتاب - النور، فكانت مرجعيته اللغوية إسلامية المصدر، سواء دخلت بالأبيات إلى عالم المدح أو الفخر.

وأما قول رسول الله ﷺ "إلى أين يا أبا ليلي"؟، فقال إلى الجنة، فقال رسول الله ﷺ: "إن شاء الله"

1- عبد الله التطاوي: مداخل ومشكلات حول القصيدة العربية القديمة، ص 20.

2- ابن قتيبة: الشعر والشعراء. ص 181.

ف« واضح أن الرسول كان يلفته بطريق مهذبة إلى الاقتصاد في الفخر بالأحساب والأنساب »¹. وفي البيتين الأخيرين عبر النابغة عن موعظته وحكمته البالغة، التي لا تتعارض مع معاني وأهداف الدعوة الإسلامية، وقد « طرب لها الرسول، لأن الشاعر في البيت الأول دافع عن مشروعية القتال، وفي البيت الثاني أوضح أن الرسول هو الرأس المفكر وبدونه لا تغني الجنود شيئاً »². ويعد النابغة الجعدي « أحد الشعراء الذين استضاءوا بالإسلام وتعاليمه الروحية، وقد خرج يجاهد في سبيل الله ، وهو يتلوا القرآن آناء الليل وأطراف النهار، فكان طبيعياً أن يستلهمه في شعره ، وهو من هذه الناحية من خير الأمثلة على أثر الإسلام في شعر المخضرمين ومدى هذا الأثر »³. لقد كان لتأثير الإسلام في الشعراء دعوة لتجسيد الأفكار والمعاني التي جاء بها، فنجد المعاني والصور ذات الأبعاد الثقافية الإسلامية أصبحت معجماً جديداً للشعراء، فجسد النابغة الجعدي هذا المعجم في قصيدته "الميمية" فقال :

[المنسرح]

الحمدُ لله لا شريكَ له	مَنْ لم يُقْلَهَا فنفسه ظلماً
الموجُّ الليلَ في النهارِ وفي	الليلِ نهاراً يُفَرِّجُ الظُّلماً
الحافِضُ الرافعُ السماءِ على الـ	أرضٍ ولم يَبْنِ تحتها دِعْماً
الخالقُ البارئُ المصورُ في الكـ	أَرْحَامِ ماءٍ حتَّى يصيرَ دَمًا
من نطفةٍ قدَّها مُقدِّرها	ويخلقُ منها الأَبْشَارَ والنَّسَمَا
ثم عِظَامًا أقامها عَصَبٌ	ثُمَّتْ لَحْمًا كسَاه فَالتَّأَمَّا
ثم كَسَا الريشَ والعقائِقَ أبـ	شارًا وجلدًا تخاله أَدَمًا
والصوتَ واللونَ والمعاشَ والـ	أخلاقَ شتى وفرَّقَ الكَلَمَا ⁴ .

فالنابغة في القصيدة يحمده الله ويقر بوحدانيته ويجذر من لم يوحدته ، ثم بين عظمة الله، وأظن في ذكر إبداعه، فالله هو الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، وهو الذي رفع السماء بغير

1- الكفراوي : تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وعصر بني أمية ، ج 1 ، ص 54 ..

2- المرجع نفسه ، ص 54 .

3- شوقي ضيف : العصر الإسلامي ، ص 103 .

4- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 184 .

الصفة التي أضفها الله جل وعلا على نبيه محمد ﷺ واختصه بها، فقال تعالى: **أَتْخَذْتُمْ نَبِيَّكُمْ** **جَمِيعًا** **وَمِنْ** **بَيْنِ** **أَنْفُسِكُمْ** **وَمَا** **كُنْتُمْ** **بِعَالَمِينَ** [سورة الروم الآية 30]، وقال تعالى: **أَيُّ** **يَوْمٍ** **بَدَأْتُمْ** **بِحَدِيثِهِ** **إِنْ** **أَنْتُمْ** **رِجَالٌ** **لَا** **تَعْلَمُونَ** **وَأَنْتُمْ** **بِحَدِيثِهِ** **إِنْ** **أَنْتُمْ** **رِجَالٌ** **لَا** **تَعْلَمُونَ** [سورة الأنعام الآية 161]،

وأما صفة " أمين " فهي من الصفات الإلهية القرآنية التي اختص بها نبيه محمد: **قَالَ** **تَعَالَى** **عَلَى** **لِسَانِ** **نَبِيِّهِ** **مُوسَى** **: نَأْتِي** **بِالْحَقِّ** **وَالْحَقُّ** **يَكْفُرُ** **بِأَنْفُسِهِ** **وَأَنْتُمْ** **بِحَدِيثِهِ** **إِنْ** **أَنْتُمْ** **رِجَالٌ** **لَا** **تَعْلَمُونَ** [سورة الدخان الآية 18]،
 وخاطب الله تعالى البشرية على لسان نبيه محمد **أَأَمْرٌ** **أَلَمْ** **يَكُنْ** **مِنْ** **أَمْرِ** **اللَّهِ** **مَجْمُوعًا** **لِأَنْتُمْ** **وَأَنْتُمْ** **بِحَدِيثِهِ** **إِنْ** **أَنْتُمْ** **رِجَالٌ** **لَا** **تَعْلَمُونَ** [سورة الشعراء الآيات 107، 125، 143، 162، 178، 193].

أما " الوفاء " فهو من الصفات القرآنية التي ميز بها **أَأَمْرٌ** **أَلَمْ** **يَكُنْ** **مِنْ** **أَمْرِ** **اللَّهِ** **مَجْمُوعًا** **لِأَنْتُمْ** **وَأَنْتُمْ** **بِحَدِيثِهِ** **إِنْ** **أَنْتُمْ** **رِجَالٌ** **لَا** **تَعْلَمُونَ** **يَمِينِي** **أَنَّ** **الْإِنْسَانَ** **الْأَفْرَاقَ** **أَلَمْ** **يَكُنْ** **مِنْ** **أَمْرِ** **اللَّهِ** **مَجْمُوعًا** **لِأَنْتُمْ** **وَأَنْتُمْ** **بِحَدِيثِهِ** **إِنْ** **أَنْتُمْ** **رِجَالٌ** **لَا** **تَعْلَمُونَ** [سورة الرعد الآية 5]، وقال تعالى عنهم: **أَأَمْرٌ** **أَلَمْ** **يَكُنْ** **مِنْ** **أَمْرِ** **اللَّهِ** **مَجْمُوعًا** **لِأَنْتُمْ** **وَأَنْتُمْ** **بِحَدِيثِهِ** **إِنْ** **أَنْتُمْ** **رِجَالٌ** **لَا** **تَعْلَمُونَ** [سورة الإنسان الآية 7].

فهذه الصفات التي ذكرت في شعر حسان وخص بها الرسول ﷺ، ليعلم أبو سفيان أن هجاءه للرسول لا يضره، وأن مدحه له لا ينفعه، فإنه مذكور في القرآن العظيم ممدوح فيه بما أراد الله له ذلك. فوقف حسان في معركة الدفاع عن الدين الجديد، ونبيه ﷺ بحس إسلامي، يشهد له ما وظفه في مشهد المواجهة من قوة الأفكار، وجديد معانيها وبُعدها الفكري، وأثرها العميق في المهجويين من المشركين « وهذه المعاني الإسلامية الجديدة لم تكن لتوجد في صور الدفاع في شعر الهجاء الجاهلي، لكن حسان ابن ثابتؓ، ضمنها في شعره دفاعاً عن رسول الله ﷺ، وهو في معرض الهجاء الموجه للمشركين آنذاك، وهنا نجد الشاعر يفدي رسول الله ﷺ بروحه، وماله وعرضه وأهله، وهذا هو الشيء الجديد في الشعر الإسلامي، وبخاصة في معرض هجاء الخصوم، والدفاع عن صاحب الدعوة الإسلامية محمد

ﷺ¹. فتجسد هذا الحس الإسلامي في قول حسان حين أجاب أبا سفيان بن الحرث: [الطويل]

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
 فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدُهُ وَعَرَضِي لِعَرَضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ².

1- محمود حسن زيني : دراسات في أدب الدعوة الإسلامية، ص 281 .

2 - شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص 61 .

3- ابن رشيقي : العمدة ، ج 1 ، ص 45 .

وَلَا تَنَمَّحِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ
وَوَاضِحُ آيَاتٍ وَبَاقِي مَعَالِمٍ
بِمَا حُجَّرَاتُ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا
مُفَجَّعَةٌ قَدْ شَقَّهَا فَقْدُ أَحْمَدٍ
فَبُورِكْتَ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكْتَ
وَهَلْ عَدَلْتَ يَوْمًا رَزِيئُهُ هَالِكٍ
تَقَطَّعَ فِيهِ مَنْزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجِيدُوا عَنِ الْهَدَى
فَبِكِّي رَسُولَ اللَّهِ يَا عَيْنَ عِبْرَةٍ
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
بِمَا مَنَّبَرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ
وَرَبَّعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلَّى وَمَسْجِدُ
مِنَ اللَّهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
فَظَلَّتْ لِآلَاءِ الرَّسُولِ تُعَدُّ
بِلَادُ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمَسْدُودُ
رَزِيئَةٌ يَوْمَ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ
وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجِدُ
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
وَلَا أَعْرِفُنَاكَ الدَّهْرَ دَمْعَكَ يَجْمَدُ
وَلَا مِثْلُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ¹.

ففي هذه القصيدة يتجلى لنا صدق انفعال حسان في حزنه الشديد على وفاة الرسول ﷺ، فبكاه بألم وحرقة في لوحة ذات أبعاد جمالية منقطعة النظير، وقد « بدأ هذه اللوحة هنا بعرض جغرافي له قداسته من ذلك: الرسم والمعهد الديني بطيبة، وما كان من منبر الهادي ﷺ، وصعوده عليه، وما كان من المصلى والمسجد، والحجرات التي عاش فيها النبي ﷺ يتدارس القرآن، ويتلقى دستور المسلمين ويلقنهم إياه، فما كان لحسان أن يعرض الصورة إلا من خلال تلك المقومات الإسلامية التي رمز بها إلى العبادات وشعائر الدين، يوم أن كان يقوم عليها رسول الله ﷺ يبدأ البكاء على ما فقد السلمون² ».

1- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص 142 وما بعدها.

وينظر: ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ج4، ص 346 وما بعدها.

1- عبد الله التيطاوي: حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية، ص 1.

2- ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ج3، ص 291.

3- نقلا عن: كعب بن مالك: الديوان، ص 119.

- قيس بن الخطيم: الديوان، تحقيق: ناصر الدين الأسد، المدني القاهرة، ص 34.

4- نقلا عن: كعب بن مالك الديوان، ص 119-120.

- المفضل بن محمد بن يعلى الضبي: الفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط8، القاهرة، دار المعارف،

وما زاد في جمال هذه اللوحة ، ما وظفه الشاعر من مفردات تعكس في جوهرها البعد الروحي لحياة المسلمين ، وهي : الرسول- معهد- الآيات- المنير- الهادي- الحرمة- المصلى- المسجد- الحجرات- نور الله- قبر الرسول- النبي- الرشيد- الوحي- الهدى- الاستقامة- القيامة ، وهي مفردات ذات دلالات جديدة عبر الشاعر من خلالها على الروح الدينية والثقافية للعصر . وهي ألفاظ جديدة لم يألفها العربي من قبل ، بل أحدثها القرآن العظيم ، الذي أخذ منه الشاعر حسان معجمه .

أما من حيث تأثير وتعلق شعراء الإسلام بالموروث الجاهلي، فمن دون شك أن ثمة تأثيرات واضحة في شعرهم ، فلم يكونوا ليتخلصوا من ذلك في فترة وجيزة، وفي قصائد كعب بن مالك ما يدل على أن لشعره صلة بالموروث الشعري الجاهلي ، فكان يوظف بعض التعبيرات ذات المعاني الجاهلية ، ففي القصيدة "القافية" بعض المعاني ورد ذكرها في شعر الشعراء الجاهليين مثل قوله: [الطويل]

نَصِلُ السِّيفَ إِذَا قَصْرُنْ بِخَطُونَا قَدَمًا وَنَلْحَقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِي².

فالمعنى المذكور في قول قيس بن الخطيم :

إِذَا قَصْرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنُضَارِبُ³.

والمعنى نفسه المذكور في قول الأعشى بن شهاب التغلبي:

وَإِنْ قَصْرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ نُضَارِبُ⁴.

ومما قاله كعب حين أجمع الرسول - عليه الصلاة والسلام - المسير إلى الطائف : [الوافر]

فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنَّا أُلُوفًا¹.

1983م ، ص 207.

1- كعب بن مالك الديوان ، ص188.

- وينظر: ابن هشام :سيرة النبي 9، ج2، ص154.

2- نقلا عن: كعب بن مالك الأنصاري : الديوان ، ص120.

- قيس بن الخطيم: الديوان ، ص121.

3- نقلا عن : كعب بن مالك الأنصاري: الديوان، ص 119 .

- أبو العباس محمد بن يزيد الثعالبي الأزدي : الفاضل، دار الكتب المصرية، 1956م، ص12.

* القصيدة في الديوان من تسع وأربعين (49) بيتا ، ص180 وما بعدها .

4- ابن هشام :سيرة النبي 9، ج3، ص 89 .

نجد ما يشبه معنى الشطر الأول منه في شعر قيس بن الخطيم في قوله: [الوافر]

فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْنَا بُجَالِدُكُمْ كَأَنَا شَرِبَ خَمْرٍ².

فهذه صورة عن بعض المعاني التي كان الشعراء المسلمون قد وظفوا في أشعارهم، وهي من المعاني التي كانت متداولة في قاموس الشعراء، وهي مع ذلك تحمل بين طياتها بعض معاني الفخر الجاهلي، وكعب بن مالك واحد من الشعراء المخضرمين الذي كان ملما بهذا الموروث الشعري.

ولهذا كان رسول الله ﷺ، حريصا على توجيه الشعراء إلى المعاني الإسلامية، ليغرس فيهم الحس الإسلامي الجديد، ويغنيهم عن تعلقهم بالموروث الجاهلي، ومنهم كعب بن مالك، «فقد ثبت أن رسول الله ﷺ، كان يثقف له بعض شعره ويرشده إلى المعاني الإسلامية، وكان كعب يفتخر بهذا القول: ما أعان رسول الله ﷺ، أحدا في شعره غيري»³.

والرسول ﷺ، كان يسمع لشعرائه، وكان لا يرضى منهم التعلق بكل ماله دلالة وتقليد جاهلي، من ذلك أن كعب بن مالك قال قصيدته* " العينية " من ثمانية وأربعين بيتا (48) بيتا في غزوة أحد «يجيب هبيرة بن أبي وهب ومما قاله: [الطويل]

مَجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلِّ فَخْمَةٍ مُدْرَبَةٌ فِيهَا الْقَوَانِسُ تَلْسَعُ⁴.

قال ابن هشام: «وقد كان كعب بن مالك قد قال:

مَجَالِدُنَا عَنْ جِذْمِنَا كُلِّ فَخْمَةٍ

فقال رسول الله ﷺ: "أصلح أن نقول: مجالدنا عن ديننا"؟ قال كعب: نعم، فقال رسول الله ﷺ:

" فهو أحسن " فقال كعب: مجالدنا عن ديننا»¹.

1- ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ج3، ص ص 95-96.

2- عبد الجواد محمد المحض: الأحاديث النبوية عن الشعر والشعراء في مصادر الحديث والسيرة والأدب، الأزهر، دار المعرفة، 2002م، ص14.

3- كعب بن مالك: الديوان، ص119.

4- ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ج3، ص ص 289-290.

وينظر: كعب بن مالك: الديوان، ص ص 151-152-153.

فلاحظ أن النبي الكريم، يريد لشعر كعب أن ينصب في الدعوة الإسلامية وما تحمل من معاني، لذا « غير بعض ألفاظ النص لينسجم مع الأهداف العامة ، وكانت غايته من هذا التغيير أن الدفاع عن الجذم جاهلية ، بينما الدفاع عن الدين غاية إسلامية مطلوبة من صاحب هذا النص »². وكان الأمر « طبيعياً أن لا يرضى رسول الله ﷺ ، لكعب أن يجعل فخره بالنسب ، لأن ذلك من رواسب الجاهلية التي نهي عنها الإسلام ، ولأن الإسلام إنما شرع القتال للدفاع عن الفكرة والعقيدة ، لا الأصل والنسب »³.

وفي الفترة من غزوة أحد [3هـ 65م] إلى غزوة الخندق [5هـ 625م] نجد أن معاني الشعر عند كعب قد تطورت وارتقت إلى أعلى مستواها الفكري ، ودل هذا على تطور الهجاء ، وفق التجاوب السريع مع توجيهات الرسول ﷺ له إلى المعاني الإسلامية ، فقد قال كعب قصيدة من واحد وعشرين (21) بيتاً ، يجيب بها عبد الله بن الزبير عما قاله في يوم الخندق هاجياً قريشاً ، « قال ابن هشام: لما قال كعب بن مالك:

جاءتْ سخينةٌ كئيُّ ثُغَالِبِ رِيَّهَا فَلَيعْطَلِرُّ مُعَالِبِ الْعَلَابِ

قال رسول الله ﷺ: " لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا " »⁴.

فهذه هي المعاني التي كان صاحب الدعوة يريد لها من شعرائه أن يبلغوها إلى قريش، فبلغت معاني هذه القصيدة ومنها هذا البيت تحديداً ، مبلغا رضي عنه الله ورسوله ، ونال من خلاله الشاعر كعب فخر الشكر من عند الله ، وهذا يدل على أن شعراء المدينة قد فقهوا توجيهات الرسول ﷺ ودلالات أبعادها الفكرية والفنية ، فأصبحت تجارهم الفنية تبلغ مقصدها في نفيسة المشركين في أبلغ صورها. وهذا التطور الفني في القصيدة الموروثة، يعكس بكل تأكيد رغبة شعراء المدينة في تجديد قاموسهم الفكري، وترسيخ ثقافة فنية جديدة، وفق اتجاههم الديني الجديد، وهذا بفضل جهود الرسول ﷺ، الذي كان يلاحظ ويوجه الشعراء إلى ترك التشبث بالموروث الجاهلي وتقليده، وكان الشاعر الإسلامي يتجاوب مع ثقافة العصر تجاوبا قويا، « يسجل ما يستطيع من ملامح إيمانية بالدعوة من منطلق الإقناع بها من جانب، والخوف من عقاب الله من جانب آخر »¹.

1- عبد الله التطاوي : حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية ، ص 13.

2- ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ، ج 4 ، ص 149 .

هذه صورة عن الحس الإسلامي في شعر الصحابة الذين أسلموا بعد الهجرة وقبل الفتح، وتحسد في قصائد المدح والفخر والثناء، فظهر هذا الحس في فنهم بما يعكس ثقافة عصرهم الجديد .
ترى ما هي صورة الحس الإسلامي في شعر الصحابة الذين أسلموا بعد الفتح ؟

2- شعر الصحابة في الميزان الفني :

إن ثمة عدد كبير من الشعراء المخضرمين ممن أدركوا مبعث الرسول ﷺ ولم يدخلوا في الإسلام ، ولما وقف زعماء قريش ضد الرسول ورسالته ، اختار الشعراء البقاء في كنف الوثنية ، وتحت سلطة القبيلة، فوقف أبوسفيان بن الحرث، وأبوهبيرة بن وهب، وعبد الله بن الزبير، وأممية بن أبي الصلت الثقفي، وكعب بن زهير، وأنس بن زنيم وغيرهم، ضد الدعوة يهجون الرسول ﷺ والمسلمين، فأهدر الرسول دم عدد من الشعراء، وقاتل زعماء قريش، وبقي الصراع قائما إلى أن تم فتح مكة وتم نصر المسلمين، ولم يجد الشعراء مخرجا لأنفسهم، فتفرقوا هاربين في الأرض في كل وجه، ولما تم الأمر للرسول ﷺ، جاءت الشعراء تائبين معتذرين طالبين العفو والأمان، فأمنهم الرسول ﷺ، ودخلوا في الإسلام، ومدحوه وأثنوا عليه في قصائد اعتذاريه، بعض هذه القصائد أخذت شهرة رمزية تاريخية وهي قصيدة " البردة " لكعب بن زهير. وسخر الشعراء شعرهم لذكر ما يعرفونه عن الرسول ﷺ، من صفات حميدة، وأخلاق كريمة ، ووفاء وبر، وغير ذلك ، وعبروا عن حسن نية إسلامهم، إلا أن كعب بن زهير أسلم في (8 هـ) « لما قدم رسول ﷺ، من منصرفه من الطائف »² .

والمعروف أن الصحابة الشعراء الذين أسلموا قبل الفتح، أنهم لم تكن لهم صلة بالقرآن العظيم، وبالرسول ﷺ، إلا عن طريق العداوة لهما، وبالتالي لم يؤثر الإسلام في شعرهم، ولهذا عندما ننظر في شعرهم الذي قالوه بعد إسلامهم، -أي- بعد الفتح ، نجدهم مازالوا محافظين على التقاليد الشعرية الجاهلية، لأنهم حديثو العهد بالإسلام، ومع ذلك نجدهم قد وظفوا بعض المعاني الإسلامية القليلة في شعرهم، وهذا لا يدل على أنهم تتقنوا بالثقافة الإسلامية، وإنما توظيفهم للمعاني والمفردات الإسلامية، لا يعدو أن يكون إلا نتيجة لما كانوا يسمعون عن صفات الرسول ﷺ، من مودة ورحمة وبر ومغفرة وتسامح ووفاء بالعهد، وبعد أن تطورت نظرهم للإسلام، وأدركوا قضاياهم وتحسسوا ذلك في أشعارهم.

أ- وكان من الشعراء المعتذرين للرسول ﷺ، كعب بن زهير المزني (ت 645م)، و« فيما يتعلق بحسن إسلام كعب وصدق إيمانه ، فإن حاله في هذا كحال سائر الشعراء المخضرمين. فما وصلنا من

أخبارهم وما أثر عنهم من شعر، لا يقطع أبدا في هذه المسألة سلبا أو إيجابا. فحقيقة مواقفهم الإيمانية تظل قائمة في ضمائرهم وسائر نفوسهم، ومهما جهد الباحث فإنه لن يصل إلى رأي حاسم في هذا الموضوع، وإن كنا في هذا الخصوص نميل بإيجابية إلى شعراء النبي، وفي مقدمتهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وأصحاب المقطعات الذين اتصلوا بأحداث الإسلام اتصالا حميما، فأبلوا بلاءً حسنا في الذب عن الدين الجديد، بسيوفهم حيناً، وشعرهم أحيانا¹.

وقد أدرك أبناء زهير كعب وبجير الإسلام، « وأتى بجير النبي ﷺ فأسلم فكتب إليه كعب: [الطويل]

أَلَا أبلغَا عَيِّي بُجِيرًا رسالَةً فهل لك فيما قلت بالنعيف هل لكَا
سُقَيْتَ بكأسٍ عند آل محمدٍ فأهلك المأمونُ منها وَعَلَّكَا
فخالفت أسباب الهدى وتبعته على أيِّ شيءٍ وَيَبْ غَيْرِكَ دَلَّكَا

فبلغ رسول الله ﷺ شعره هذا فتوعده ونذر دمه، فكتب بجير إلى كعب يخبره بأن رسول الله ﷺ، قتل رجلا ممن كان يهجو، وأنه لم يبق من الشعراء الذين كانوا يؤذونه إلا ابن الزبير السهمي وهبيرة ابن أبي وهب المخزومي وقد هربا منه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فأقدم عليه، فإنه لا يقتل أحدا أتاه تائبا. وإن أنت لم تفعل فانج بنفسك، فلما ورد عليه الكتاب ضاقت عليه الأرض برحبها، وأرجف به من كان بحضرته من عدوه، فقال قصيدته التي أولها:

[البسط]

"بَأَنْتَ سَعَادُ فقلبي اليوم مَتَّبُولُ"

وفيها يقول :

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي والعفو عند رسول الله مَأْمُولُ

ثم أتى رسول الله ﷺ فوضع يده في يده، وأنشده شعره فقبل توبته وعفا عنه وكساه بردا².

1- حبيب يوسف مغنية : الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي (1هـ 40 هـ)، دراسة وصفية نقدية، ط1، بيروت، لبنان، دار ومكتبة الهلال، 1995م، صص 262-263.

1- ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ص 76.

2- ابن هشام : سيرة النبي ﷺ، ج 4، ص 152.

* جاء في كتاب "في الأدب الجاهلي": "على أن الأعوام الأخيرة أظهرت ديوانا لكعب عليه تعليقات ثعلب والأحول تنشره دار الكتب المصرية". ويبدو أن رأي طه حسين في شعر كعب كان مؤسسا على ما توفر لديه من المصادر، ولو ظهر الديوان في وقته لكان له رأي آخر.

- طه حسين : في الأدب الجاهلي، ط9، مصر، دار المعارف، 1968م، هامش صفحة، 291: .

3- المرجع نفسه، ص 291.

وقال ابن إسحق: « وثب عليه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، دعني وعدو الله أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: " دعه فإنه قد جاء تائباً نازعاً عما كان عليه " قال: فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار ولما صنع به صاحبه، وذلك لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير، فقال قصيدته التي قال، حين قدم على رسول الله ﷺ »².

وقبل بيان الحس الإسلامي في شعر كعب من عدمه، يمكن أن نشير إلى حقيقة قصته وقصيدته المذكورتين في النص . هل أن كعبا ارتحل قصيدته أمام الرسول ﷺ في مجلسه ؟ أم أنه قد نظمها بعد وصوله رسالة أخيه بجير التي يخبره فيها بأن الرسول ﷺ قد أهدر دمه وعليه أن يأتيه تائباً يعفو عنه ؟ يبدو أن أمر بداية قصة كعب وقصيدته ، تعود إلى يوم إسلام أخيه بجير وإلى الرسالتين المتبادلتين بينهما، وقد وقف طه حسين في كتابه: "الأدب الجاهلي" من قصة كعب والبردة موقفاً متحفظاً فقال : « وقصة كعب مع النبي معروفة... وإن كان دخل فيها النحل وعبث بها الرواة فيما نطن، فنحن نشك فيما يقال من أن كعباً عرض بالأنصار ثم مدحهم. كما أننا نقف موقفاً التحفظ من قصة البردة ، ولكننا على كل حال مدينون لهذه القصة بما نستطيع أن نُكَوِّنَ لأنفسنا من رأي في شعر كعب، فلم يكذب يبقى لكعب إلا "بانت سعاد" *على ما كثر من عبث الرواة بها وإضافتهم إليها»³.

أما فيما يخص رسالة بجير لكعب، وتعريض كعب بالرسول ﷺ، وموقفه من الإسلام، فإن لطفه حسين رأي في ذلك ، حيث يقول: « ولسنا نذكر بغيراً فلم يبق من شعره إلا أبيات، يقال: إنه رد بها على أخيه كعب حين لامه على إسلامه، ولكننا نرجح أن تكون هذه الأبيات منحولة، بل ربما كانت الأبيات التي تضاف إلى كعب نفسه وفيها تعريض بالنبي منحولة أيضاً. وأكبر الظن أن كعباً كان من أولئك الشعراء الذين جاهدوا النبي مع شعراء قريش والطائف فضاع هجاؤهم للنبي والمسلمين ولم يبق منه شيء »¹.

إذاً، ما يفسر قول طه حسين: "قصة كعب دخل فيها النحل وعبث بها الرواة كما عبثوا بقصيدته"، هو أن ما نخله الرواة في شعر كعب وموقفه، فقد أضاعه الرواة، وحالوا دون وصوله إلينا،

1- طه حسين : في الأدب الجاهلي ، ص 292 .

2- عبده بدوي : دراسات في النص الشعري عصر صدر الإسلام وبنو أمية، ص 32 .

لكن ربما حتى الرواة كان لهم كذلك دور في العبث برد فعل شعراء الرسول ﷺ، على رسالة كعب إلى أخيه بجير، التي لم يخفيها، ولم يخف الشعر الذي قيل في التعريض بالرسول ﷺ.

والأمر واضح، فمن غير المعقول أن تذكر المصادر أو تشير إلى كل ردود الفعل على الشعراء الذين عارضوا الدعوة وهجوا صاحبها، من طرف شعراء الدعوة: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وتغفل رد فعلهم على كعب بن زهير، اللهم إلا إذا كان للرواة دورا أساسيا في العبث كذلك بموقف شعراء الإسلام في ردودهم على كعب بن زهير.

أما فيما يخص مسألة كيفية إبداع كعب بن زهير "اللامية"، فإنه مهما قيل عن عبث الرواة بها، فيبقى موقفه لا يختلف عن موقف شعراء قريش، فكعب وقف كطرف معارض لإسلام أخيه بجير، وعرض بالرسول، لكنه لم يكن ينتظر منه موقفه بهدر دمه، وبالتالي فإنه من خلال انتماء كعب إلى الشعراء المحترفين وانتمائه إلى مدرسة أبيه زهير، التي تميل إلى تحكيك الشعر وتثقيفه، ومن خلال لغة "اللامية" ومعانيها وبنائها الفني، فإننا أميل إلى القول: كما قال عبده بدوي: «لا نميل إلى القول بأن الشاعر قد ارتحل قصيدته أو أبياتا أمام النبي ﷺ، ذلك لأن فيها إعدادا واحتشادا مسبقا، فقد كان مشغولا بالرسالة مع أخيه، ثم وجد نفسه طرفا مناوئا، ثم طرفا مطاردا، ثم ساعيا للسلام، فكأنه، نسخة جديدة من والده الذي كان داعية للسلام والاستقرار في الجاهلية، فما كان يقصد إليه هو سلامه مع نفسه»².

والقصيدة "بانة سعاد" التي أنشدها كعب للرسول ﷺ في مسجده في السنة (8هـ 629م)، قبل عام الوفود، تتركز على موضوع أساسي هو المدح والاعتذار للرسول ﷺ، كما تضمنتها موضوعات متعددة لا علاقة لها بالموضوع الرئيسي، وهي في بنائها الشكلي تسير على النهج الشعري القديم الجاهلي الموروث. وهي تتكون في موضوعها من ثلاثة أقسام:

أولها في الغزل بسعاد ووصفها.

والثاني في صفة الناقة.

والثالث في مدح النبي ﷺ والاعتذار له، أما المهاجرون فمدحهم من مدح الرسول ﷺ.

وتعد القصيدة اللامية تصويراً لمحاولة لـ « إعادة خلق لواقع حياتي عاشه الشاعر بوسائل فنية خاصة »¹. ذلك الواقع الحياتي الذي فشل فيه كعب أمام الرسول ﷺ، ولم يستطع أن يجسده في قصيدته، إذ لم يستطع أن يصور فيه تبرير موقفه بين يدي الرسول ﷺ تصويراً إبداعياً، لأن القصيدة في منظور النقاد مطبوعة بعدة طوابع مقلدة، سواء على مستوى الغزل أو على مستوى المدح، فأما تقليدها في الغزل، فيقول طه حسين: « مطبوعة بطابع أوس وزهير، فيها الاعتماد على الصور المادية، وفيها الأناة والعناية الفنية الظاهرة وأقرأ هذه القصيدة، فسترى في غزلها ووصفها ما تعودت أن ترى عند أوس وزهير من التشبيه المحقق والوصف المادي، وربما رأيت في الوصف تأثراً شديداً بأستاذ المدرسة الأول واقتداءً به في إيثار الألفاظ الضخمة الغريبة »².

وأما تقليد كعب في المدح فقد انتبه طه حسين ولفت نظرنا إلى أمر مهم، وهو تقليد كعب لصورة مدح النابغة واعتذاره للنعمان، ودور الرواة في نحلهم في اللامية، فقال: « فأما المدح ففيه هذه الصورة المادية أيضاً، ولكن النحل فيه كثير. وفيه ما يُدكر بمدح النابغة للنعمان بن المنذر واعتذاره إليه. ولو قد حُفظ شيء من شعر كعب لكان الدليل على تأثره بأبيه وبأوس أظهر وأنصح. ولكنه على كل حال واضح إن نظرت في القصيدة نظرة تفكير ولو قصيرة »³.

لكن لماذا كان كعب بن زهير مقلداً فنياً في قصيدته، رغم أن قصيدته مع الرسول ﷺ، أقوى، وأفضل، وأجمل فنياً وموضوعياً من قضية النابغة الذبياني مع النعمان بن المنذر؟ أثناء تتبعنا لقصيدته في موضوع المدح والاعتذار، الذي كنا نتصور أن كعباً قد يكون أبدع فيه، إبداعاً يتماشى مع التطور الحضاري الجديد للموضوع، ولكننا وجدناه مقلداً كما قلنا.

أما فيما يخص الموضوع الأساسي للامية، نجد كعباً « حين جاء مسلماً طالباً الأمان بين يدي رسول الله ﷺ، يعرض إيمانه بقدرة الله تعالى، وهو مازال في بداية عهده بالإسلام »²، فقال: [البسيط]

1- عبده بدوي: دراسات في النص الشعري عصر صدر الإسلام وبني أمية، 30.

2- طه حسن: في الأدب الجاهلي، ص 291.

3- المرجع نفسه، ص 292.

1- عبد الله التيطاوي: حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية، ص 23.

2- كعب بن زهير: الديوان، تحقيق وشرح: محمد وسف نجم، ط1، بيروت، دار صادر، 1415هـ/1995م، ص 89.

3- محمد محمد أبو موسى: قراءة في الأدب القديم، ط3، القاهرة، مكتبة وهبة، 2006م، ص 60.

فقلتُ خلُّوا طريقي لأبأ لكم فكلُّ ما قدَّر الرحمن مفعولٌ².

فكعب في هذا البيت يحاول إثارة المفاجأة ، فـ« ربط بين الموقفين هذا الرباط الواضح ، الذي نراه في الفاء ، وكلمة " قلت " المعطوفة على قالوا ، أي قالوا فقلت ، وقالوا الأولى هي مقالة الجاهلية ، وقالوا الثانية هي مقالة الإسلام : " فكل ما قدر الرحمن مفعول " ، والانتقال إلى هذا البيت كأنه انتقال من ظلمات الجحيم الذي أتقن كعب بيانه ، إلى حقيقة من أجل الإيمان ، وهي الاستسلام لرب العالمين . ونزع مقادة النفس الجاهلية»³ ، وهو ما دل على الإيمان الذي أدركه كعب بعد أن « اطلع على دين الله ، وسمع القرآن ، قبل أن يقبل على رسول الله ﷺ ، وأنه لم يقبل لحقن دمه ، وإنما أقبل ليعلم دخوله في دين الله ، وكلمة " فكل ما قدر الرحمن مفعول " لا تصدر إلا ممن عرفوا واستيقنوا ، وقد ذكروا أن " رجلا من الأنصار " ، فقال : يا رسول الله ، دعني وعدو الله أضرب عنقه ، فقال رسول الله ﷺ : " دعه فإنه قد جاء تائبا نازعا " والنازع يمكن أن يكون من نزع الجاهلية ، ومن نزع إلى الله ورسوله ، أي أقبل واشتاق . وقولنا ناقة نازع أي ذات حنين واشتياق »⁴ .

وبكل تأكيد فإن لمقولة بجير:- " فإن كانت لك في نفسك حاجة فأقدم عليه فإنه لا يقتل أحدا أتاه تائبا"- وقع حسن وأثر طيب في نفسية كعب ؛ حيث تأكد له أن التوبة كافية للعفو عنه ، والتوبة معناها: أن يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله . لهذا جاء عارضا مبررات اطمئنانه بين يدي الرسول ﷺ ، لأنه عرف أن من صفاته ﷺ ، الصدق في الوعد والعفو عند التوبة ، فقال:

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ⁵.

وهو اطمئنان لا يتعارض مع قوة رسول الله ﷺ بقوة الحق ، ويظهر أن كعبا في البيت « كرر كلمة "رسول الله" ، ووضع الظاهر موضع المضمرة ، ليؤكد إقراره بهذه الحقيقة ، وهو أنك رسول الله إلى عباده ، يعلمهم كيف يرجون رحمته ، ويأملون عفوهم ، ويخافون عذابه...لأنه لا يقول و" العفو عند رسول الله مأمول " ، إلا من عرف أن الله عفو ، والعفو عند رسول الله الذي يرجى عفوهم ، لا بد أن يكون عفوا مأمولا...وقول كعب " والعفو عند رسول الله مأمول " إشارة إلى قوله تعالى: أأ □ □ □ □

4- المرجع نفسه ، ص 60 .

5- كعب بن زهير : الديوان ، ص 89.

□ بر □ [سورة الأعراف الآية 199]... وقد قالوا : ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه أأ □ □ □ □ □ بر □ □ «¹.

والواضح أن كعباً أعطى خلاصة احترافيته في الشعر في هذه المدحة، لأن الأبيات التي خص بها مدح الرسول ﷺ وصحابته تعكس حساً إيمانياً عن توبة، فكما أن كعباً وفق في اختيار معانيه، فقد وفق في اختار مفرداته وحروف كلامه، فالمتأمل في قوله :

حَتَّىٰ وَضَعْتُ يَمِينِي لَا أَنَا زَعُهُ فِي كَفِّ ذِي نَقَمَاتٍ قَبِيلَهَا الْقَبِيلُ².

يظهر أن البعد الفكري والفني تجسده دلالات كلمات البيت، ففيه يجد الباحث، كما يقول محمد محمد أبو موسى : «كلمة "حتى" وكأنها نهاية رحلة من الرعب، وضعها كعب وانترع نفسه منها لما وضع يمينه في كف رسول الله ﷺ، وتأمل كلمة "وضعت يميني" ومعناها الانقياد، والاستسلام، واليمين فيها الذمة والعهد والأيمان وبادر بقوله : " لا أنا زعه " قبل ذكر الجار والمجرور (في كف) ليؤكد معنى الاستسلام، والسمع والطاعة، وهي حال واقعة موقعا حسنا، ثم قال: (في كف) ولم يقل في يمين، حتى لا يعدل يمين المختار - صلوات الله وسلامه عليه- بيمينه، وهذا من الأدب، ولأنه هو الذي انقاد واستسلم، ولأن الكف فيها معنى الروع، لأنها من الكف الذي هو الدرء، والدفع، وناسب أن يضيفها إلى "ذي نقمات"، والنقمات جمع نقمة، وهي من الانتقام، وقوله : " قيله القبيل" جملة بالغة الإيجاز، والتركيز، ومعناها أنه سيد مطاع لا يرد له قول، ولا يعقب على قوله، وكعب يوازي دائما بين التوكيد على النبوة، والرسالة من جهة، والقوة، والقدرة على المؤاخذة، والانتقام، والرهبة، والمخافة، لأن النبوة هدى ونور، وأيضا قوة تحمي هذا الهدى وهذا النور، ولا يفرط في قوته وقدرته على الكف والردع إلا من لا يستحق الحياة³.

ففي هذه الأبيات الثلاثة السابقة ما يوحي بأن الشاعر جاء إلى رسول الله ﷺ مؤمنا، صادق الإيمان. ولهذا يبدو أنه « في مديحه للنبي والمهاجرين يرق ويلين، ويستخدم ألفاظا وعبارات إسلامية

1- محمد محمد أبو موسى : قراءة في الأدب القديم، ص ص 63-64 .

2- كعب بن زهير : الديوان، ص 89 .

3- محمد محمد أبو موسى : قراءة في الأدب القديم، ص 72

جديدة ، وإن ظلت قيمه في جملتها قيم تقليدية تدور في أغلبها حول الشجاعة والصبر في ميدان القتال¹ ، فقال:

يمشون مشيَ الجمالِ يَعصِمُهُمْ ضرب إذا عرد السُّودُ التَّنابيلُ*
لايفرحونَ إذا نالَتْ رِماحُهُمْ قوما .. وليسوا مجازيَعًا إذا نيلُوا
لايقطعُ الطعنُ إلَّا في نُحُورِهِمْ ما إن لهم عن حِياضِ الموتِ تَهليلُ**

ومما لا جدال فيه فإن مدح الصحابة المهاجرين هو مدح للرسول ﷺ ، وذلك تبياناً لقيمتهم الدينية ، ودورهم في الإسلام ، فوصف شجاعتهم في المشي إلى الحروب في قامات مديدة ، وقوله: « إذا عرد السود التنايل " تعريضاً بالأنصار، وقوله: " لا يفرحون إذا نالت رماحهم قوما " وصف لهم بالرزانة ، والحكمة ، ورباطة الجأش ، وأنهم ليسوا خفافاً ، تطير أحلامهم عند الفوز ، أو تطيش سهامهم إذا ظهر عليهم عدوهم ، وقوله: " نالت رماحهم " فيه أيضاً مجاز عقلي ، لأنهم نالوا عدوهم ، برماحهم ، وفي مثل هذا المجاز تأكيد لقوة السبب ، وكأن الرماح نالت وحدها. وقوله: " لا يقطع الطعن إلا في نحورهم " كناية عن أنهم يستقبلون العدو ، ولا يهزمون ، ولا يفرون»².

فكعب في معانيه حاول أن يضيفي عليها أمام الرسول ﷺ ، بعض الصور ذات الدلالات الإسلامية ما يجعلها في ثوب جديد ، وكان الهدف منه هو أن يرضي الرسول ﷺ ، ويقنعه ، ويقنع من حوله من صحابته ، ويظهر لهم حسه الإيماني ليشبث لهم حسن نيته في مقدمه ، ويكونون شهداء على توبته. وتبدو بعض ملاحظات الدارسين حول مسألة التقليد والتجديد في " لامية " كعب بن زهير في موضعها، وهي نفس الملاحظة لاحظتها، حول « تفاوت درجات التقليد والتجديد- عند شعراء الاعتذار في تلك المرحلة-، تبعاً لعلاقتهم بالواقع الجديد من ناحية ، وطبيعة تكوينهم الشعري من ناحية أخرى ، ولهذا كان كعب بن زهير في لاميته ، أكثر شعراء المرحلة انقساماً بين ماضيه وحاضره،

1- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 15.

*عرد : حين ونكل، التنايل: ج تنبال: أي قصير.

**تهليل: انصراف أو هروب .

2- محمد محمد أبو موسى : قراءة في الأدب القلبي ، ص ص 88- 89 .

كما كان أكثرهم بماضيه استجابة للصور النابغية في الاعتذار، وحسبنا من تأثره بماضيه أن يشير إلى صاحب الدعوة **ق** «¹»، يقوله :

[البسيط]

لِذَاكَ أَهَيْبُ عِنْدِي إِذْ أُكَلِّمُهُ وَقِيلَ إِنَّكَ مَسْبُورٌ وَمَسْؤُولٌ
 مِنْ ضِيغَمٍ مِنْ ضِرَاءِ الْأَسَدِ مُخْدِرَةً بِيْطَنَ عَثَّرَ غِيْلٌ دُونَهُ غِيْلٌ
 يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْعَامِينَ غَيْشُهُمَا حَتْمٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعْفُورٌ خِرَازِيْلُ².

صحيح أن اسم الإشارة في البيت الأول "لذاك" يعود على الرسول **ق**، وتدل كلمة "أهيب" على بعد منزلته عند كعب ، وإذا تأملنا كلمة « "ضيغم" ، وإيثارها على كلمة أسد ، وملاحظة ما في ضيغم من صورة الضيغم، والعض، والقضم، وهذه الكلمة تحضر لك من الأسد أعنف ما فيه وأهواله، وهي حالة مضغه ، وضعمه فريسته ، ثم هي متناسبة مع سياق الصورة المليئة بخراذيل اللحم ، وكأن هذه الصورة من الخراذيل، والمغفور، ومطروح البر، والخلقان، والمأكول، كل ذلك خارج من لفظ ضيغم، وهذا من أدق مناسبات الألفاظ لسياقاتها»³.

ومثل هذه الصور لا تتلاءم مع صفات وخلق الرسول الكريم ، الذي يتميز بالعفو والتسامح ، وهو صاحب الدعوة ، حتى وإن كان هول الموقف يتطلب من كعب مثل هذه الصور.

فالشاعر في هذه الأبيات ، هو كما قال عبده بدوي : « يصف جلالة المقام، وهيبة المجلس، وهي حالة رعدة حقيقة ما لم يكن من النبي أمان بإذن من الله، كما يصفه في البيت الثاني بالمقدرة والتصميم وبعد ذلك يصف النبي بأن هيئته تفوق الهيبة من الأسد في غيله ، ثم يسترسل في الحديث عن الأسد ضراوة ، وقسوة ، واعتدادا ، ثم يصف الرسول بالسيف الهندي... من كل هذا نرى قصورا في رسم صورة النبي... ولعل وراء هذا أن الشعراء المخضرمين، يصابون دائما بما يشبه الزلزال في شعورهم، ولعل مما يشفع لهذا القصور عند كعب أن قضيته أساسا كانت طلب العفو، والدندنة حول هذه القصيدة ،

مع الإحساس الضاغط بالقلق ، وإهدار الدم »¹.

1- محمود عباس عبد الواحد : فن الاعتذار الشعري تاريخ واتجاهات ، د.م ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، 1412هـ 1991م، ص26.

2- كعب بن زهير: الديوان ، ص90.

3- محمد محمد أبو موسى : قراءة في الأدب القلبي، ص 76 .

وهي صورة واضحة تبين لنا توظيف كعب للموروث الجاهلي في معانيه الاعتذارية وصوره ومعجمه الشعري ، فعاد إلى شعراء البلاط الذين كانت المواقف السياسية تهددهم، فشبه نفسه بهم. وأما المديح فقد شكل في اعتذارية كعب بن زهير « عنصرها ما من عناصره، وموضوعا حيويًا، يتلاحم في نسيج القصيدة أو المقطوعة الاعتذارية تلاحمًا عضويًا مع بقية الموضوعات »². ولكن هل وفق كعب في مدحه للرسول ﷺ وإبرازه في قصيدته ، بصفته صاحب دعوة يستمد قوته وسلطته من الغيب ، أي من الله سبحانه وتعالى ؟

يبدو أن كعبًا أدرك أمره بأنه أمام صاحب دعوة دينية، عربي من قريش، لـ« هذا فقد كانت الاستجابة لواقعه الجديد ظاهرة في الأبيات التي مدح بها الدعوة وصاحبها وأتباعه »³. حيث يقول:

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنْدٌ مِنْ سَيْوْفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ
فِي عَصْبَةٍ مِنْ قَرِيشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِيَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُورُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كَشْفٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ
شُمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالٌ لِبُوسُهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ⁴

ويبدو من سرد كعب لقصيدته «أن النبي نفسه لم يبد اهتمامًا بالقسم الأكبر من القصيدة فاحتمل، صامتًا خمسين بيتًا أكثرها لا يمس الموضوع في شيء، إلا أن بلغ الشاعر مدح الرسول وعصيته »⁵. حينئذ « نظر رسول الله ﷺ، إلى من عنده من قريش كأنه يومي إليهم أن يسمعوا »⁶.

ولكن إشارة الرسول ﷺ إلى أصحابه تدل على أن يسمع من قول كعب، الصفات المدحية، ففي قول كعب: " إن الرسول لسيف " و " يستضاء به " و " مهند من سوف الله مسلول " فيه مدح للرسول بصفات جديدة، « فشبهه بالسيف، والسيف قوة، وحسم، وحماية ومنعة... وقد وصفه هنا بأنه

1- عبده بدوي : دراسات في النص الشعري عصر صدر الإسلام وبنو أمية ، 36 .

2- محمود عباس عبد الواحد : فن الاعتذار الشعري تاريخ واتجاهات ، ص 80 .

3- المرجع نفسه ، ص ص 26- 27 .

4- كعب بن زهير : الديوان ، ص ص 90- 91 .

5- فؤاد أفرام البستاني : كعب بن زهير، ط 6، سلسلة الروائع، بيروت، منشورات دار المشرق، رقم 32، 1982م، ص 100.

6- ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ص 85 .

يستضاء به، وهذا وصف نادر للسيف، وإنما هي إشارة إلى أنه يحمي الحق، ولا يقهر الضعيف، وإنما يقوى به الضعيف، ويعز به الدليل، والسيف الذي يستضاء به، هو الذي يكف الظلم، والظلمات، وفي هذا التشبيه، إشارة إلى أن دين الله الذي جاء به المختار إنما هو شرع، وحق، ونور، وهو أيضا قوة، تحمي وتدفع وتمنع¹.

وهذه الصور الجمالية التي مدح بها كعب الرسول "إن الرسول لسيف يستضاء به" دفعت ببعض الباحثين إلى الوقوف عند الرواية الثانية، وهي رواية ابن قتيبة: "إن الرسول لنور يستضاء به"²، ووازن بينهما، فيقول محمد محمد موسى « وقد وقفت عند هذه الرواة وأثرتها على رواية أخرى مشهورة، وهي: "إن الرسول لنور يستضاء به" لأني وجدت رواية السف تنشئ وتصنع وتبدع جديلة حسية من الحق، والقوة، في صورة السيف الذي يهتدى به، وأن جوهر هذا الدين هو الحق والقوة معا، وأن الضعف هدم لنصف هذا الدين، إذا لم يكن هدمًا للدين كله، لأن الضعف يطمع فيه أعداءه، الذين هم أعداء الله، والدين أمرنا بأن تكون لنا قوة ترهبهم، وأن هذا كالصوم، والصلاة والحج، وهكذا تكون كلمة "يستضاء به" هنا مؤسسة لمعنى شرف، وفي رواية "نور ستضاء به" هي مؤكدة للنور³.

وقوله "في عصبية" وصف فيه مدح لقريش، وصفة "شم العرانيين" كناية عن شرفهم وسيادتهم⁴. كما أنه لا يمكن إخفاء ما يظهر في "لامية" كعب بن زهير من تقليد للبعد التاريخي والنفسي، فقد كان كعب نفسه في واقع الأمر « بين بعدين من أبعاد التاريخ، أما أحدهما فهو ماضيه المثلث بالآثام، وأما الآخر فحاضره الإسلامي الجديد. وطبيعي أن تكون العلاقة بينهما عدائية، تنم في إطارها عمليات تجاذب وهدم وبناء، وبين هذين البعدين يأتي اعتذاره من آثام الماضي مثقلا بالهم والحيرة، موزعا بين مشاعر الرغبة والرغبة، ففي لامية كعب بن زهير تبدو آثام الماضي المقيت وأشباهه مأخوذة بروعة الحاضر وهيئته، فيثقل الأمر على الشاعر، ويرى نفسه في موقف تتداعى فيه سوءاته ومخازيه، وهو يواجه مقام النبوة، التي اجتراً على حرمتها، وتطاول على حماها المقدس، وهو موقف ما نظن كعبا أحسن

1- محمد محمد أبو موسى : قراءة في الأدب القديم، ص 82 .

2- ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ص 85 .

3- محمد محمد أبو موسى : قراءة في الأدب القديم، ص 83 .

4- المرجع نفسه، ص 87 .

تقديره ، قبل الوفادة على صاحب الدعوة، فقصاراه من وفادته أن يفتك رقبتك من الوعيد، وما جره عليه من هم وخوف، حتى ذهبت نفسه في تصور العواقب كل مذهب»¹ ، فقال :

يَسْعَى الوشاةُ بِجَنَبِهَا وَقَوْلُهُمْ إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلمَى لَمَقْتُولُ
فَقَلْتُ خَلُوا طَرِيقِي لَا أَبَا لَكُمْ فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
كُلُّ ابْنِ أُنثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَدْبَاءٌ مَحْمُولُ² .

فكان همُّ كعب من طرح صورة الوشاة في قصيدته أمام الرسول ﷺ، إلا دليلا قويا على شدة قلقه، وعمق اضطرابه ، لأنه لم يستطع « التخلص من تلك الهواجس، التي تصور له أنه مقتول لا محالة، حتى مضى يعزي نفسه بحتمية الموت المقدر على كل إنسان، ولذا فهو استعطف صاحب الدعوة بمنطق شعراء البلاط »³ . وهنا يغيب عن كعب مقدرته في الإبداع، لأنه لم يستطع أن يفصل بين صورة الموقفين، بين موقفه الجديد أمام الرسول ﷺ، وهو موقف يعطي صورة واضحة عن التغيير الجذري الذي وقع في المجتمع العربي سياسيا واجتماعا ودينيا وفكرا وفنيا ، والموقف الضعيف للنابغة أمام النعمان، وقد كان بإمكان النابغة أن يحتمي بقومه وقبيلته منه . فقد وجد كعب نفسه أمام الرسول ﷺ وحيدا، حتى أن أخيه بجير وقف ضده .

وهذا الأمر الذي أدى به إلى الوقوف في موقف رعب ، وهلع ، وفزع من ماضي الشرك الذي لم يستطع أن يتغلب عليه ، ومن خلال هذا يشير إلى وعيد النبي الكريم ، ووقعه في نفسه ، فقال :

لَقَدْ أَقَوْمٌ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْقَبِيلُ
لَظَلَّ يُرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، تَنْوِيلُ
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي لَا أَنْزَعُهُ فِي كَفِّ ذِي نَقَمَاتٍ قَبِيلُهُ الْقَبِيلُ⁴ .

وكعب بن زهير من الشعراء الذين سلكوا مسلك النابغة في الاستعطاف، فقال مستعظفا الرسول ﷺ:

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ

1- محمود عباس عبد الواحد : فن الاعتذار الشعري تاريخ واتجاهات ، ص71.

2- كعب بن زهير : الديوان ، ص 89 .

3- محمود عباس عبد الواحد : فن الاعتذار الشعري تاريخ واتجاهات ، ص71 .

4- كعب بن زهير : الديوان ، ص ص 89- 90 .

مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْ
لَا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ ، وَلَمْ
قُرْآنٍ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلٌ
أُذْنِبَ وَلَوْ كَثُرَتْ عَنِّي الْأَقَاوِيلُ¹.

فكعب يخاطب الرسول ﷺ، في مجلسه ويتودد إليه ليعفو عنه ، فالكلمات " أَنْبَيْتُ - أَوْعَدْتَنِي - العفو- مهلاً- هداك- نافلة القرآن- مواعيز- لا تأخذني بأقوال الوشاة، ولم أذنب ولو كثرت عني الأقاويل"، كلها لها دلالات جدلية في ضمير كعب في أمر الوعيد، وكيف يتخلص منه؟ وهل فعلا سيعفو عنه الرسول ﷺ؟، لأن في وعي كعب، أن « الإنباء بالوعيد غرض فيه استعظام، والتضرع بطلب التمهّل غرض فيه استعطاف، والدعاء غرض فيه تودد ، وطلب عدم المؤاخذة غرض فيه كل أغراض كعب »².

والواضح أن الصور التي استعطف بها كعب بن زهير الرسول ﷺ، هي من الموروث الجاهلي، وهي صور مأخوذة من "دالية" النابغة الذبياني في اعتذاره للنعمان، ويبدو أن الشاعر « لم يحد حذو النابغة في نهجه الاعتداري فحسب، بل تبعه في معانيه، وصوره التعبيرية كذلك، ويبدو لنا النسب الوثيق بينهما في المسلك الشعري »³، في قول النابغة:

أُنْبَيْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ
مَهْلًا ، فِدَاءَ لَكَ الْأَقْوَامِ كُلُّهُمْ وَمَا أَثَمَّرَ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَكْدٍ
لَا تَقْذِفَنِّي بِرُكْنٍ لَا كَفَاءَ لَهُ وَإِنْ تَأَثَّفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفْدِ⁴.

فاستحضر كعب بن زهير صورة تقليدية مما بقي من الصورة الجاهلية للوشاة ، التي بقيت متعلقة في خياله ، واستعرضها أمام الرسول ﷺ، هو تأكيد على أنه لم يستطع أن يسئل نفسه من رهبة الموقف، ومن ماضيه الآثم، ولم يحاول طي صفحته، فنجد في موقفه أمام الرسول، قد استعار صورة النابغة مع النعمان في استجابته للوشاة، وخلعها على نفسه، وهذا دليل على أن كعبا لم يستطع أن يفرق بين الموقف السياسي والموقف الديني، وكان متأثرا إلى حد بعيد بالنابغة الذبياني، في قوله:

لَا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ ، وَلَمْ
أُذْنِبَ وَلَوْ كَثُرَتْ عَنِّي الْأَقَاوِيلُ⁵.

1- النابغة الذبياني : الديوان، تحقيق وشرح : كرم البستاني ، دار صادر ، د . ت . ، ص 89.

2- محمد محمد أبو موسى : قراءة في الأدب القديم ، ص 67 .

3- محمود عباس عبد الواحد : فن الاعتذار الشعري تاريخ واتجاهات، ص 84 .

4- النابغة الذبياني : الديوان ، ص 30 .

5- المصدر نفسه، ص 20 .

وعلى هذا الأساس يتضح لنا، أن « كلا الشاعرين يصور عن موقف نفسي واحد أو متشابه ، وكلاهما يستعطف صاحب الوعد، خائفا من سوء العاقبة ، وكلاهما ينكر ما نسب إليه ، محتجا بكذب الناقل، وتآمر الوشاة »¹.

إلا أن الفرق واضح بين مسلكي الشاعرين؛ حيث جاء « مسلك النابغة في الإنكار، والإحالة على الخصوم والأعداء دالا على واقع ملموس ، وردت به الأخبار، أما مسلك كعب فيأتي دالا على واقع متخيل، إذ يستحضر صورة النابغة مع النعمان متمثلا بها في غير موضع، فحاشا لرسول الله ﷺ، أن يكون كأصحاب البلاط الذين يستمدون من بطانة السوء مصدر أخبارهم، فحديث الوشاة على لسان كعب هو بقية من جاهلية، كانت تستبد به، وهو يضع أقدامه على مشارف دين جديد ، وفيه - إلى ذلك- ابتدال فني في مواقع التمثيل بصور السابقين »² للعصر الإسلامي . وبالتالي فمن حيث المعجم الشعري عند كعب بن زهير في الألفاظ والمعاني، لا نلمس جديدا فيه .

وكما يقول فؤاد أفرام البستاني: « لأن الشاعر سار على الأسلوب المدحي المقرر في الجاهلية ، فلم يكلف نفسه على الغالب الابتكار والتفنن إلا في أمور أخذها من محيطه القريب فأنت لطيفة جميلة كوصف قلقه واضطرابه ، نقول ذلك لا في الأفكار العامة فحسب ، بل في ما تفرع عنها وفي ما أخذ به لشرحها من الأفكار الثانوية والصور التشبيهية »³.

وغياب الإبداع في لامية كعب، يعود بالأساس إلى تشبته بموروثه الفني، وانغماسه في استعاراته الجاهليته ، التي حالت بينه وبين عدم إطلاعه على المعاني الجديدة التي جاء بها الإسلام، والتي غذى بها روح العصر، إلا في القليل مما جاء في "لاميته"، كما أنه لم يكن لكعب حظ الاستفادة من معاني القرآن العظيم وأسلوبه، إذ لم يدرك كعب بأن الإسلام سيلحق تغييرا جذريا وسريعا في معاني الحياة، ولغتها وفنها، فسبقت الأحداث، فجاء مسرعا إلى الرسول ﷺ ملهوبا مضطربا شاعريا، تائها بين الرغبة والرغبة، عارضا الإيمان عليه، ومنتظرا أن يغفر له، وقد نال مراده ضعفين: العفو والبردة .

لهذا تحديدا « يكاد يغلب الظن أن صاحب الدعوة لم يتجاوز عن المعاني الجاهلية في "لامية" كعب

1- محمود عباس عبد الواحد : فن الاعتذار الشعري تاريخ واتجاهات ، ص 84 .

2- المرجع نفسه ، ص 84 . ص 85.

3- فؤاد أفرام البستاني : كعب بن زهير بانة سعاد ، ص 101 .

ابن زهير ، إلا ليقينه بأنه كلام شاعر، يحاول أن ينفلت من آثام الماضي إلى حاضر لم تشرق أنواره في النفس، وقد كانوا في الصدر الأول يتسامحون مع الشعراء- في تلك الفترة- مالا يتسامحون مع غيرهم ، وهو ضرب من تأليف القلوب الذي عرفوا به في تاريخ الدعوة الجديدة ، وعلى هذا يمكن أن تفسر مسألة " البردة " التي خلعتها النبي ﷺ على كعب ، حتى تسكن فرائضه التي كانت ترجف من هول الموقف ، وهو ينشد قصيدته ¹ .

وقد بدا لنا صدق موقف كعب الإيمانى واضحا في القصيدة ، بمعنى أنه عبر فعلا عن توبته وإيمانه بالدين الجديد ، ونزع ثوبه القديم الذي عارض به صاحب الدعوة ، مع غياب الحس الإسلامى الذي يعبر عن عدم فهم كعب للإسلام، وعدم إدراكه لأبعاده الروحية ودوره في الحياة ، فكعب لم يفتخر بالرسول ﷺ، ولم يعترف بخطئه ، ولم يُشدد بالإسلام . ألم يدرك كعب التغيير الذي أحدثه الإسلام في نفوس المسلمين ؟ كلا ، لهذا نحن أميل إلى ما قاله عنه زكي مبارك: « إن كعب بن زهير لم يقل لاميته وهو مأخوذ بعاطفة دينية قوية تسمو به إلى روح التصوف ، إنما هي قصيدة من قصائد المدح، يقولها الرجل حين يرجو أو خاف، وليست من المدائح النبوية في شيء...وهو من الشعر المحكم الرصين- وإن خلّت من قوة الروح - وتجري على التقاليد الأدبية لشعراء الجاهلية...وقد نظرت طويلا في هذه القصيدة فلم أر غير ما قررت ، فهي قصيدة جاهلية تغلب عليها قوة السبك، ولكنها تكاد تخلو من روح الدين ، ولا غرابة في ذلك، فإن كعب بن زهير لم يمدح الرسول إلا لينجو من الموت، ومن كان في مثل حاله لا ينتظر منه صدق الشاء » ² .

لكن ما هو هدف الرسول ﷺ، من تكريمه لكعب بن زهير بالبردة ؟ .

في حقيقة الأمر إن كعبا في موقفه أمام الرسول، « كان يطلب شيئا واحدا وهو " العفو " وقد أحس به في أول اللقاء ، وفي أثناء الإنشاد، ولكن يخيل إلي أن النبي كان يعالج موقفا اجتماعيا، ذلك لأن عددا كبيرا من الشعراء كانوا قد هجوه ، ثم دخلوا الإسلام، وقد أحس النبي تمزقهم بعد ذلك وخجلهم وندمهم، على نحو ما نعرف عند الكثيرين الذين يجيء في مقدمتهم "ابن الزبيرى" ، وكان أن أحب مصادرة الندم من خلال موقفه من الشاعر الذي هجا الرسول والرسالة وأخاه ، فحين وضع

1- محمود عباس عبد الواحد : فن الاعتذار الشعري تاريخ وإنجازات ، ص 85 .

2- زكي مبارك : المدائح النبوية في الأدب العربي ، ط1، بيروت، دار الجيل، 1412 هـ. 1992م. ص 15- 16 .

البردة على كتفي كعب ، كان يضعها في الوقت نفسه على أكتاف كل الشعراء النادمين، ويكون قد أسلمهم للعالم الجديد من غير النظر إلى الماضي والانشغال بما كان فيه ¹ .

معنى هذا، أن قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير، أرقى قصائده وأفضلها من حيث الموضوع ، لكننا نلاحظ أن كعبا لم يرق إلى هذا الموضوع، من حيث البناء الفني لموضوع قصيدته، لهذا نجد غياب الحس الإسلامي فيها، ولم يظهر في قصيدته الشعور الرقيق نحو الرسول ﷺ، فكان مقلدا لا مبدعا، فأكثر من استعارته لمواقف الشعراء الجاهليين، فقلد في الغزل زهيرا وأوسًا، كما قلد النابغة الذبياني في اعتذاره للنعمان، وغاب إبداعه في المعاني والألفاظ، وفي الصور الفنية، التي أضفاها على الممدوح؛ حيث بقي متشبثا بخياله الجاهلي. وكما قال البستاني: « نكاد نرى الرأي نفسه في غير اللامية مما أمكنا الاطلاع عليه من شعر كعب . فإن مدحه للأنصار تقليدي محض، بارز فيه التكلف...وأكثر ما تبقى جامد العاطفة، صلب، حتى ليمكننا القول: إن أضعف العناصر الشعرية في كعب كان الشعور. فلا غزل رقيق، ولا رثاء فاجع، ولا تمكّم لاذع، ولا فخر عاطفي، ولا شكوى أسيفة، ولا رهبة مؤلمة في التعبير عن قلقه واضطرابه تجاه وعيد النبي، وهو أخلص قسم في قصيدته، يتحقق ذلك من يقابل قوله هذا بأقوال النابغة في موقفه الاعتذاري من النعمان، فبينما يُظهر النابغة كل ما يمده به شعوره الرقيق من بوادر الحزن العميق، المقرون بالقلق المضطرب إلى الإخلاص الشديد، نرى كعبا يكاد لا يفسح لشعوره المجال حتى يختم عليه بالحكمة، فيسكن إلى أن " كل ما قدّر الرحمُ مفعولٌ " ² .

الحس الإسلامي في شعر كعب بن زهير والصحابة الذين أسلموا بعد هدر دمائهم :

ولكن هل بقي الحس الإسلامي غائبا في شعر كعب بن زهير بعد غيابه في مدح الرسول ﷺ؟

أ- بالعودة إلى ديوان كعب بن زهير، نجد أبرز قصائده في المدح ثلاث: لاميته في مدح الرسول ﷺ والمهاجرين من قريش، ورائيتان: إحداهما في مدح الأنصار ، والأخرى في مدح علي بن أبي طالب . ورغم غياب الإبداع في "لامية" كعب وفي "رائيته" في مدح الأنصار، إلا أنهما لقيتا شهرة واسعة في تاريخ الأدب العربي، وذلك لأهمية موضوعهما، وأن سبب التقليد في "لاميته" يعود أساسا لحدثة عهده بالإسلام، حيث لم يكن متشبعا بمبادئه وقيمه ومثله العليا، التي جددت بكل تأكيد الروح وعقل

1- عبده بدوي : دراسات في النص الشعري عصر صدر الإسلام وبنى أمية ، ص 34 .

2- فؤاد أفرام البستاني : كعب بن زهير بانت سعاد ، ص 102 .

الإنسان العربي، فكانت جاهلية كعب الموروثة مازالت راسخة في فكره بأسلوبها ومعانيها وصورها، فرغم وصية والده زهير له ولأخيه بجير الذي أسلم قبله، بأن يتبع النبي الذي سيبعث، نجد في لحظة تاريخية حاسمة يغيب وعي كعب ليرتبط بقوة قريش، ويكون واحدا من الشعراء المناصرين لها، وفي لحظة تاريخية يعود الوعي لكعب ليدرك بأنه أخطأ التقدير، وخسر ما كان عليه ألا يضيعه، ويجد نفسه بين أمرين: إما أن يدخل في الإسلام، أو يموت بالسيف أو يموت هاربا غريبا، كما مات شعراء قريش ومن والاهم، وفي لحظة انكسار جاهليته جاء إلى الرسول ﷺ، " تائبا نازعا " عما كان عليه، فاتحا قلبه للإسلام. « ومع مرور الزمن، وانطواء العصر الجاهلي خلف جدار التاريخ، أخذ كعب يتخلى عن مآثره الجاهلية، ويؤثر عليها القيم الإسلامية، وأوضح ما يوضح هذا الإيثار مدحه علي بن أبي طالب... فأطرى في علي خلقه الرفيع، واجتهاده في العبادات، واستكثاره من الصالحات، وغيرته على الإسلام وشدته على الكفر، وإيقاعه بأهل النفاق، وإصهاره لخير الخلق. ونذكر هنا أنه ختم مدحته بتفضيله عليا على سائر البشر بعد النبي ﷺ، لا لبنائه بابنته فاطمة، وحسب، بل لأن الله خصه بمناقب خالدة، آثره بها، ولم يؤثر بها أحدا من الصحابة، على ما عرفوا به من نبل وفضل¹. لهذا فـ« أشعار كعب بن زهير قد امتلأت بعد إسلامه بالمعاني الدينية والقيم الأخلاقية الإسلامية²».

ومن هنا تأتي قصيدة كعب المدحية للخليفة علي بن أبي طالب التي « كانت بنو أمية تنهى عن

[البسيط]

روايتها وإضافتها لشعره، فقال في مطلعها:

هل حبل رملة قبل البين مبتور؟ أم أنت بالحلم بعد الجهل معذور؟
ما يجمع الشوق إن دائر بنا شحطت ومثلها في تداني الدار مهجور

وقال فيها :

إنَّ عليًّا لميمونٌ نقيبته بالصالحات من الأفعال مشهورٌ
صهرُ النبي وخيرُ الناسِ مُفتخرًا فكلُّ من رامه بالفخرِ مَفخورٌ
صلى الطهورُ مع الأمي أولهم قبل المعاد وربُّ الناسِ مكفورٌ
مُقاومٌ لظغاةِ الشركِ يضرُّهم حتى استقاموا ودينُ الله منصورٌ

1- غازي طليمات وعرفان الأشقر: الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ص 91 .

2- بماء حسب الله : الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام (تاريخ وتذوق) ، ص 29 .

بالعدلِ قمتَ أميناً حين خالفه أهلُ الهوى وذوُّ الأهواءِ والزُّورِ
يا خيرَ من حملتُ نعلأً له قدمٌ بعد النبي لديه البغي مهجُورُ
أعطاك ربُّك فضلاً لا زوالَ له مِنْ أَيْنَ أتى له الأيامُ تغيُّرُ¹.

فما يلاحظ على هذه القصيدة هو افتتاحيتها الغزلية ، وهو تقليد فني قديم ، إلا أن في الأبيات التي مدح بها كعب بن زهير الخليفة علي بن أبي طالب ، نجد أنه قد أدرك قيم المدح الإسلامي التي غابت عنه في مدح الرسول ﷺ ، فمدح بها علي بن أبي طالب ، فالصفات التي ضمنها كعب في قصيدته تكاد تجعلها قصيدة صوفية . فاختيار كعب لمعجم قصيدته هذه المفردات: " الأفعال الصالحات - صهر النبي - خير الناس - صلى الطهور - مع الأمي - مقاوم طغاة - الشرك - ودين الله منصور - بالعدل قمت أميناً - أهل الهوى - وذوُّ الأهواء والزور - أعطاك ربك فضلاً لا زوال له " .

فمن الجلي أن هذه الألفاظ والجمل ذات دلالات إسلامية سامية، توحى بأن كعباً أدرك دلالتها بعد معرفة حقيقية بما جاء به القرآن العظيم فيما يخص الدعوة ، وهي تعكس حسه الإسلامي العميق من خلال حبه لله ولدينه ولرسوله ولعلي، وهي ألفاظ تكاد تجنح بدلالاتها إلى الصوفية بعمق، فقول كعب: " صلى الطهور مع الأمي " فإذا كان " الطهور " هو الإمام علي، فإن " الأمي " هو الرسول ﷺ، وأن مدح علي بن أبي طالب مقرون بمدح الرسول في هذه القصيدة له قيمة دينية ، ولا يعرف صفة " الأمي " ودلالاتها إلا من عرف القرآن العظيم ، وحفظ آياته ، وأدرك دلالاتها، فلفظ " الأمي " دل عليه قوله تعالى : أأ □ □ □ □ □ [سورة الأعراف الآية 157].

ودل عليه قوله تعالى: أُمُّ □ □ □ □ □ [سورة الأعراف الآية 158].

ومن خلال دلالة معاني الآيات ، أصبح للقصيدة مدلول استدراكي ، لأنه الشاعر استدرك بعض صفات النبي ﷺ فدعم بها معجمه الشعري في هذه القصيدة، التي مدحه بها علي بن أبي طالب، وكان عليه أن يمدحه بها في " لاميته "، وأن ذكر صفات الرسول ﷺ في هذه القصيدة ، مع صفات علي،

1- كعب بن زهير : الديوان ، ص 128 وما بعدها .

- وينظر: كعب بن زهير : الديوان، صنعه : أبي سعيد أحسن بن الحسين العسكري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: حنا نصر الحتي ، ط3، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1420 هـ 1999 م ، ص 184 وما بعدها .

دل على أن عليا امتداد للرسول وتابعا له في: أفعال الصالحات، والطهارة، وإقامة العدل، ومقاومة الشرك، والهوى، والأهواء، والزور، والبغي. لأن كعبا كان لا علم له بجهد الرسول ﷺ، وطريقته في نشر الدعوة، ومقاومة الشرك والهوى والأهواء والزور، إلا بعد أن عاش في كنف الإسلام، وعرف القرآن العظيم وفضله، وخالط الصحابة، وعرف القصد من الغزوات، وعرف معنى الهجرة التي هاجر إليها أخوه بجير، بالإضافة إلى معرفته فضائل التضحيات من أجل نشر الإسلام وقيمه العليا ومثله السامية . وعلى هذا الأساس، فإن « في تطور المدح من المعاني الجاهلية إلى المعاني الإسلامية، تتجلى حقيقتان: أولهما: أن كعبا في بداية عهده بالإسلام لم يكن على حظ عظيم من الإيمان، والثانية: أنه أصاب هذا الحظ العظيم بعد أن تفكر وتدبر، وناقش، وعاش، فأمن إيمان المعتقد لا المقلد، ومدح مدح المحب لا المتكسب»¹.

ب- أما شاعر قريش وكبير قادتها، وقريب النبي ﷺ، أبو سفيان بن الحرث (ت 20هـ/640م) الذي قاد شعراء مكة في هجاء الرسول ﷺ ومعارضة دعوته، وأتباعه بألسنة حداد، فإنه لما قرر الدخول في الإسلام عام الفتح، في السنة الثامنة للهجرة، بعد هداية الله له، وفد على رسول الله ﷺ، وكان سباقا إلى الاعتذار إليه، فاستقبله رغم ماضيه، وماضي شعره الجاهلي المليء بالآثام والضلالة، واستمع لاعتذاره وعفا عن تطاوله، مثله مثل كعب بن زهير وعبد الله بن الزبير، الذين حاولوا « أن يصلحوا بألسنتهم ما أفسدته في مقاومة الدعوة، وأن يتخففوا من جرائمهم بشعر يعتذرون فيه من صنيعهم في حق الإسلام»².

لقد روت لنا مصادر السيرة، وكتب النقد، المشاهد والأشعار كلها، التي قالها الشعراء المشركون في هجاء المسلمين والرسول ﷺ وصورت لنا عنف جاهليتهم.

ولما أنعم الله على أبي سفيان بن الحرث بالإسلام جاء معتذرا إلى الرسول ﷺ، صادق الإيمان والاعتذار، وفي هذا روى ابن إسحق قال: « وقد كان أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبد الله ابن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ أيضا بنيق العقاب، في ما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فيهما؛ فقالت: يا رسول الله، ابن عمك وابن عمك وصهرك. قال: " لا

1- غازي طليمات وعرفان الأشقر: الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ص 92.

2- محمود عباس عبد الواحد: فن الاعتذار الشعري تاريخ واتجاهات، ص 85.

حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال " قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بني له فقال: والله ليأذنين لي أو لأخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا وجوعا؛ فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ، رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما، وأنشده أبو سفيان بن الحرث قوله في إسلامه مما كان مضى منه، فقال: [الطويل]

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمِلُ رَايَةً لَتَعْلَبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
لَكَ الْمَدْلِجَ الْحَيْرَانَ أَظْلَمَ لَيْلُهُ فَهَذَا أَوْلَانِي حِينَ أُهْدَى وَأُهْتَدِي
هَدَانِي هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي وَنَالِي مَعَ اللَّهِ مِنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرِّدٍ
أَصْدُ وَأَنَاىَ جَاهِدًا عَنْ مُحَمَّدٍ وَأُدْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدٍ
هُم مَاهُمْ مِنْ لَمْ يَقُلْ بِبِوَاهُمْ وَإِنْ كَانَ ذَا رَأْيٍ يُلَمُّ وَيُقْتَدِ
أُرِيدُ لِأَرْضِيهِمْ وَلَسْتُ بِلَائِطٍ مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أُهْدَ فِي كُلِّ مَقْعَدِ
فَقُلْ: لِثَقِيفٍ لَا أُرِيدُ قِتَالَهَا وَقُلْ: لِثَقِيفٍ تَلَكَ غَيْرِي أَوْعَدِي
فَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِرًا وَمَا كَانَ عَنْ جَرَى لِسَانِي وَلَا يَدِي
قَبَائِلُ جَاءَتْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ نَزَائِعُ جَاءَتْ مِنْ سِهَامٍ وَسَرْدُدٍ¹.

والواقع أن أبا سفيان بن الحرث يتهالك ماضيه في نفسه أمام حاضره المتناسك، وهو يعتذر لصاحب الدعوة، وفي النص رغم حرارة الاعتذار «تقل - بشكل واضح - كثافة الحس الإسلامي في فترة بدا فيها الشاعر حديث العهد بالإسلام، بعد أن أسرف على نفسه من معاداته وهجائه، ولكنه تحول في سلوكه عما عرف عليه قبل الفتح، إذ يصور حيرته في الماضي في مقابل رشدته وهدايته التي يرصدها في حاضره، مع ما عرضه أيضا من طابع جهاده الديني في سبيل الله ودفاعه عن الرسول - عليه السلام - واعتزازه بأنه ينتسب إليه، متمنيا التنصل من كل ما نسب إليه في ماضيه المظلم، ومركزا مادته الشعرية حول محورين أساسيين، محمد ﷺ والهداية، على ما كرره من ألفاظ حول كل منها بين خيل محمد، وجهاده عن محمد، وانتسابه إلى محمد (وقد كان أخوه من الرضاعة)، ثم يهدى ويهتدي، وهداه هاد من الله، وفيما عدا المحورين تراه أمام حديث قبلي جاهلية مادته تماما»².

1- ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ج 4، ص ص 18 - 19 - 20.

2- عبد الله التطاوي: حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية، ص ص 26-27.

لكن غياب الحس الإسلامي في هذه القصيدة، يعود أساسا إلى أن أبا سفيان بن الحرث كان حديث عهد بالإسلام وقيمه، فكان حاله في بداية إسلامه كحال كعب بن زهير، فرغم القرابة التي تجمع بين أبي سفيان والرسول ﷺ إلا أنا نجد في قصيدته غياب الشعور الرقيق نحو الرسول ﷺ، وبديهي أن يكون سبب غياب هذا الشعور هو الجفاء الذي وقع فيه الشاعر وفرضه على نفسه، فأبعده عن حب أقرب الناس إليه وهو الرسول ﷺ.

لكن، رغم أن المدة الزمنية بين إسلام أبي سفيان وانتقال الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى، لم تكن مدة طويلة، حتى نجد أبا سفيان يقف موقفا حزينا، يعبر فيه عن شعوره العميق، عن المصيبة العظيمة التي حلت بالمسلمين في فقدهم للرسول ﷺ، « فبكاه كثيرا ورثاه فقال: [الوافر]

أرقتُ فباتَ ليلي لا يزولُ	وليلُ أخي المصيبة فيه طُولُ
وَأَسْعَدَنِي الْبُكَاءُ وَذَاكَ فِيمَا	أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلُ
لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ	عَشِيَّةٌ قِيلَ قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ
وَأَضَحَّتْ أَرْضُنَا مِمَّا عَرَاهَا	تَكَادُ بِنَا جَوَانِبُهَا تَمِيلُ
فَقَدْنَا الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فِينَا	يَرُوحُ بِهِ وَيَعْدُو جَبْرِيْلُ
وَذَاكَ أَحَقُّ مَا سَأَلْتُ عَلَيْهِ	نَفُوسُ النَّاسِ أَوْ كَرَبْتُ تَسِيلُ
نَبِيٌّ كَانَ يَجْلُو الشُّكَّ عَنَّا	بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا يَقُولُ
وَيَهْدِينَا فَلَا نُخْشَ ضَلَالًا	عَلَيْنَا وَالرَّسُولُ لَنَا دَلِيلُ
أَفَاطِمُ إِنْ جَزَعْتَ فَذَاكَ عَذْرُ	وَأِنْ لَمْ تَجْزِعِي ذَاكَ السَّبِيلُ
فَقَبْرُ أَبِيكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرِ	وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ» ¹ .

وهكذا نجد أبا سفيان بن الحرث يختار لمعجمه الشعري المفردات والعبارات الدقيقة، التي عبرت عن حزنه وحزن المسلمين الشديد، تعبيراً عن حس إسلامي قوي عميق. فقولته: فيما أصيب المسلمون- عظمت مصيبتنا وجلت- فقدنا الوحي والتنزيل- نبي يجلو الشك عنا- يهدينا فلا نخش ضلالا- الرسول لنا دليل- سيد الناس الرسول. فهذه المعاني كلها ذات دلالات إسلامية، تعبر عن حبه

1- محمد أحمد درنيقة: معجم أعلام شعراء المدح النبوي، قدم له وضبط أشعاره: ياسين الأيوبي، ط1، بيروت، لبنان، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، 1996م، ص 53.

للرسول، وتؤكد تفقهه أبي سفيان بن الحرث لقيم الدين الإسلامي ومثله العليا، وإدراكه لوظيفة الرسول ﷺ، التي بعثه الله من أجلها، كما تبين تطور مفهوم شعر المدح عنده، فالمعاني الإسلامية التي غابت عنه أثناء مدحه للرسول ﷺ والاعتذار له، استدركها في رثائه والبكاء عليه.

ج- أما الشاعر عبد الله بن الزبير فهو أحد شعراء قريش، وقاد شعراء المشركين في معارضته للدعوة الإسلامية، « وكان من أشد الناس على الرسول ﷺ، بلسانه ونفسه، فقبل هجرته ﷺ إلى يثرب كان يدخل الكعبة ليصلي، فلما دخل ذات يوم ليصلي كعادته قال أبو جهل: فمن يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته، فقام ابن الزبير فأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبي وانفتل النبي ﷺ من صلاته وقصد إلى عمه أبي طالب، فسأله عنه. من فعل هذا بك؟ قال: عبد الله بن الزبير، فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم، فلما رأوه قد أقبل جعلوا ينهضون، فقال أبوطالب: والله لئن قام رجل لجللته بسيفي، حتى دنا منهم وأخذ فرثا ودما فلطخ به وجوههم ولحاهم وانصرف وهو يغلظ لهم القول¹ ».

واستمر عبد الله بن الزبير على عداوته للرسول ﷺ إلى بعد هجرته إلى المدينة، وكان يهجو الرسول والمسلمين بشعره، وكان كل من حسان بن ثابت وكعب بن مالك شاعري النبي ﷺ، يردان عليه هجاءه، ولما تم فتح مكة في (8هـ)، فلم يجد ابن الزبير بدا إلا الهرب إلى نجران باليمن مع هبيرة ابن أبي وهب. ويروى أن سبب اعتذاره مارواه ابن إسحق؛ حيث قال: « رمى حسان ابن الزبير وهو بنجران ببيت واحد ما زاد عليه:

لَا تَعْدَمَنَّ رَجُلًا أَحَلَّكَ بُعْضُهُ
بَنَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَدًا لَيْمٍ

فلما بلغ ذلك ابن الزبير خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم وقال:

يَا رَسُولَ الْمَلِيكِ، إِنَّ لِسَانِي
إِذْ أَبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ النَّ
رَاتِقُ مَا فَتَّقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ
عَيِّي وَمَنْ مَالَ مَيْلُهُ مَثْبُورُ
ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ
آمَنَ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ لِرَبِّي

1- محمد أحمد درنيقة: معجم أعلام شعراء المدح النبوي، ص 204.

2- ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ج 4، ص 39.

إِنِّي عَنْكَ زَاحِرٌ ثُمَّ حَيًّا مِنْ لُؤْيِي وَكُلُّهُمْ مَعْرُورٌ².

هذا أول اعتذار قدمه ابن الزبيرى للرسول ﷺ، ومدحه به ، وبعد أن أسلم حسن إسلامه ، « وهو اعتذار يبدو فيه الصدق مع النفس، والصراحة في موقف الحق ويصدر فيه صاحبه عن يقين بأنه لا يخاطب ملك أو صاحب بلاط وإنما يخضع به لصاحب دعوة آمن بها قلبه وخشعت جوارحه¹ . فابن الزبيرى يحاول في هذا النص أن يتقرب بشاعريته من واقع جديد، وعلاقات جديدة، بمعاني جديدة في الاعتذار، ليتضح لنا في النهاية أننا « أمام نص يشير إلى مرحلة جديدة من مراحل الفن الشعري في الاعتذار، جديد في طبيعة المواقف الاعتذارية، جديد في الصدق الواقعي والنفسي، ثم هي جديدة كذلك في نظرة الحياة الإسلامية إلى الاعتذار على أنه فضيلة لا رذيلة ، وأنه قيمة لا سخيمة ورفعة لا خضوع ولا ذلة² .

إلا أن الاعتذار عند ابن الزبيرى يتطور فيتشبع بالروح الإسلامية، كما نجده يتكئ في اعتذاره على الاقتباس من المعجم الإسلامي، فيكون بذلك أكثر اطمئنانا لتقريبه إلى الرسول ﷺ، ودعوته بكل إخلاص، ويظهر هذا في اعتذاره الثانية " الميمية " ، « قال ابن إسحق: وقال عبد الله بن الزبيرى أيضا حين أسلم [رضي الله عنه]: -

[الكامل]

مَنَعَ الرَّقَادُ بِلَابِلٍ وَهُمُومٌ	والليلُ مُعْتَلِجُ الرَّوَاقِ بَيْمٌ
بِمَا أَتَانِي أَنَّ أَحْمَدَ لَأَمِنِي	فِيهِ فَبِتُّ كَأَنِّي مَحْمُومٌ
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلْتُ عَلَى أَوْصَالِهَا	عَيْرَانَةٌ سُرُحُ الْيَدَيْنِ غَشُومٌ
إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي	أَسَدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلَالِ أَهِيمٌ
أَيَّامَ تَأْمُرُنِي بِأَعْوَى خُطَّةٍ	سَهْمٌ وَتَأْمُرُنِي بِهَا مَحْزُومٌ
وَأَمْدُ سَبَابِ الرَّدَى وَيَقُودُنِي	أَمْرُ الْعَوَاةِ وَأَمْرُهُمْ مَشُومٌ
فَالْيَوْمَ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ	قَلْبِي وَمُخْطِئِي هَذِهِ مَحْزُومٌ
مَضَّتِ الْعَدَاوَةُ وَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا	وَدَعَتْ أَوَاصِرُ بَيْنَنَا وَحُلُومٌ
فَاعْفُرْ فِدَى لَكَ وَالذَّايِ كِلَاهُمَا	زَلِّي فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومٌ

1- محمود عباس عبد الواحد : فن الاعتذار الشعري تاريخ وإنجازات ، ص 24 .

2- المرجع نفسه ، ص 24 .

وعليكِ مِنْ عِلْمِ الْمَلِيكِ عِلَامَةٌ نُورٌ أَعْرُ وَخَاتَمٌ مَحْتَمُومٌ
 أَعْطَاكَ بَعْدَ مَحَبَّةٍ بُرْهَانُهُ شَرَفًا وَبُرْهَانُ الْإِلَهِ عَظِيمٌ
 وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنَّ دِينَكَ صَادِقٌ حَقٌّ وَأَنَّكَ فِي الْعِبَادِ جَسِيمٌ
 وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ مُصْطَفَى مُسْتَقْبَلٌ فِي الصَّالِحِينَ كَرِيمٌ
 قَرَّمُ عَلَا بُيَانُهُ مِنْ هَاشِمٍ فَرَعٌ تَمَكَّنَ فِي الدُّرَا وَأُرُومٌ¹.

لاشك ، فبعد تمنعنا في فكر الشاعر، في قصيدته اتضح لنا أننا « أمام شاعر يعتذر من ضلاله القديم، وجاهليته الآثمة ، فيلتزم في أدائه الشعري منهجا يستلهم حدوده ومعانيه من واقعه الإسلامي الجديد ، بعيدا عن التهويل والكذب، بريئا من التعسف والتصنع في التماس العذر ثم هو- إلى ذلك - يتجاوز شعراء البلاط ، في مسح أعطاف الملك أو الأمير بشكل كان يتجاوز حد القصد والاعتدال - غالبا- وذلك بأنه يعتذر إلى صاحب دعوة لا صاحب ملك وسلطان»².

وعلى هذا الأساس جاء النص جامعا بين: المعجم الإسلامي، والتقليد الجاهلي، فالنزعة الإسلامية الصادقة للشاعر نكتشفها من خلال قاموسه اللغوي الجديد، حيث اختار الشاعر مفرداته: أهيم، الغواة، إشارة إلى الآية: أ □ جم □ □ نم □ □ سم □ التي وصف بها الله شعراء المشركين، وابن الزبير يقر بذلك، بأنه كان واحدا منهم، بالإضافة إلى توظيفه للمفردات: آمن، النبي، فأغفر، راحم، مرحوم، الملك، النور، خاتم، الإله، عظيم، دينك، الصالحين، وكلها ألفاظ إسلامية تكشف عن تفقه ابن الزبيرى لدلالاتها قبل أن يوظفها في قصيدته الاعتذارية.

كما بدا تأثيره بحسان ابن ثابت واضح في بعض معانيه : فقال ابن الزبيرى:

فَاعْغُفِرْ فِدَى لَكَ وَالِدَايَ كِلَاهُمَا زَلَّيْ فِإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومٌ³.

فهو مأخوذ من قول حسان ابن ثابت في " هزيمته" : [الطويل]

فِإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ⁴.

1- ابن هشام : سيرة النبي 9 ، ج 4 ، ص ص39-40-41 .

2- محمود عباس عبد الواحد : فن الاعتذار الشعري تاريخ واتجاهات ، ص 25.

3- ابن هشام: سيرة النبي 9 ، ج 4 ، ص 40 .

4- شرح ديوان حسان ابن ثابت ، ص 62.

وأما قوله :

[الكامل]

وَعَلَيْكَ مِنْ سِمَةِ الْمَلِيكِ عِلَامَةٌ نُورٌ أَعْرُ وَخَاتَمٌ مَحْتَمُومٌ¹.

[الطويل]

فالمعنى مأخوذ من الإيقاع الإسلامي لحسان في "داليتة"، في قوله:

أَعْرُ عَلَيْهِ لِلنَّبِوةِ خَاتَمٌ مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ².

ولعل هذا التأثير الإسلامي، يدل على أن « شعر الاعتذار في صدر الإسلام، ربما تخلص من ماضيه، في أسبابه ودواعيه، وفي أفكاره ومعانيه، ولكن ظل مشدودا إلى صور النابغة في التعبير، غالبا وفي المعاني أحيانا »³.

[البيسط]

كما يبدو هذا التقليد الجاهلي واضحا في قول ابن الزبير

مِمَّا أَتَانِي أَنَّ أَحْمَدَ لَأَمِينِي فِيهِ فَبِتُّ كَأَنِّي مَحْمُومٌ⁴.

فهو إيقاع نابغي مشهور ومألوف في التعبير، وبخاصة في الربط بين إتيان خير الوعيد أو اللوم، وبين

[الطويل]

قوله (فبت كأني) وهو ظاهر في قول النابغة:

أَتَانِي أَبِيتِ اللَّعْنُ أَنْكَ لِمَتِّي وَتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأُنْصَبُ
فَبِتُّ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ فَرَشَنَ لِي هَرَأَسًا بِهِ يُعَلِّي فِرَاشِي وَيُقَشِّبُ⁵.

[الطويل]

وهو ظاهر في قول النابغة في "العينية" كذلك:

وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ
فَبِتُّ كَأَنَّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةٌ مِنَ الرَّقْشِ فِي أُنْيَاهَا السُّمُّ نَاقِعٌ⁶.

وهكذا فإن اعتذر ابن الزبير للرسول ﷺ ومدحه، يدل على ندمه وتكفيره عن ذنبه وماضيه،

وتغيير مذهبه الشعري، وصدقه في توبته، آملا أن يسلم نفسه من زمرة الشعراء الذين يتبعهم الغاوون .

1- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص 414.

2- المصدر نفسه ، ص 131 .

3- محمود عباس عبد الواحد : فن الاعتذار الشعري تاريخ وإنجازات، ص 25 .

4- ابن هشام : سيرة النبي 9، ج4، ص 40 .

5- النابغة الذبياني: الديوان ، ص 17.

6- المصدر نفسه ، ص ص 79- 80 .

* «أسيد بن أبي أناس بن زيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر بن مخممة بن عبد بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد كنانة الكناني الدئلي، ابن أخي سارية».

- العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة ، ج1، ص 230 .

د- وفي الموقف نفسه، نقف عند الشاعر أسيد* بن أبي أناس الذي أهدر النبي دمه، وتبرأ منه قومه « فبلغ أسيدا ذلك، فأتى الطائف، فأقام به، فلما كان عام الفتح خرج سارية بن زنيم إلى الطائف، فقال له: يا ابن أخي، اخرج إليه فإنه لا يقتل من أتاه، فخرج إليه فأسلم، ووضع يده في يده، فأمنه النبي، ومدح النبي بأبيات... ثم قال في آخرها فما صنع- رضي الله عنه- يوم بدر: يقول أسيد بن أبي أناس يخاطب قريشا بقوله:

[الكامل]

فِي كُلِّ جَمْعٍ غَايَةٌ أَخْرَأَكُمْ جِدْعٌ يُفُوقُ عَلَى الْمَذَاكِي الْقَرْحِ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ الَّذِي أَفْنَاكُمْ دَبْحًا وَقَتْلًا بُعْضُهُ لَمْ يَرِيحِ
لِلَّهِ دَرْكُكُمْ أَلْمًا تَذَكَّرُوا قَدْ ذَكَرَ الْحَرَّ الْكَرِيمَ وَيَسْتَحِي¹.

ه- أما أنس ابن زنيم الديلي (ت ؟) فقد جاء عنه في الإصابة: « أن عمرو بن سالم الخزاعي خرج في أربعين راكبا يستنصرون رسول الله على قريش... ثم قال: يا رسول الله، إن أنس بن زنيم هجاك، فأهدر رسول الله دمه، فبلغه ذلك، فقدم عليه معذرا، وأنشده أبياتا مدحه بها، وكلمه فيه نوفل بن معاوية الديلي فعفا عنه... ولما كان يوم الفتح أسلم أنس بن زنيم². وكما « قال ابن إسحق: قال أنس بن زنيم الديلي يعتذر إلى رسول الله مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي:

[الطويل]

أَنْتَ الَّذِي تُهْدِي مَعَدُّ بِأَمْرِهِ بَلِ اللَّهُ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ أَشْهَدِ
وَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَبْرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ
أَحْتَّ عَلَى خَيْرٍ وَأَسْمَعُ نَائِلًا إِذَا رَاحَ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ الْمُهَنْدِ
وَأَكْسَى لِيُرِدَ الْحَالَ قَبْلَ ابْتِدَالِهِ وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ الْمَتَحَرِّدِ
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَكَ مُدْرِكِي وَأَنَّ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخْدِ بِالْيَدِ
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَكَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ صِرْمٍ مُتْهِمِينَ ، وَمُنْجِدِ
تَعَلَّمْ بِأَنَّ الرَّكْبَ رَكْبَ عُوَيْمِرٍ هُمْ الْكَاذِبُونَ الْمُخْلِفُونَ كُلَّ مَوْعِدِ
وَتَبَّوْا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ هَجَوْنَهُ فَلَا حَمَلَتْ سَوَاطِي إِلَيَّ يَدِي

1- العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص 230 - 231.

2- المصدر نفسه، ج1، ص 271-272.

سَوَى أَنِّي قَدْ قَلْتُ: وَيْلٌ أَمْ فِتْيَةٍ
أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ
فَاتَّكَ قَدْ أَخْفَرْتَ إِنْ كُنْتَ سَاعِيًا
ذُؤَيْبٌ وَكُلثومٌ وَسَلَمَى تَتَابَعُوا
وَسَلَمَى وَسَلَمَى لَيْسَ حَيٌّ كَمِثْلِهِ
فِيَّيْ لَأَدِينَا فَتَفْتُ وَلَا دَمًا
أُصِيبُوا بِنَحْسٍ لَا يَطْلُقُ وَأَسْعُدِ
كِفَاءً فَعَزَّتْ عَبْرَتِي وَتَبَلَّدِي
بِعَبْدِ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنِهِ مَهْودِ
جَمِيعًا فَإِلَّا تَدْمَعِ الْعَيْزُ أَكْمَدِ
وَإِخْوَتُهُ وَهَلْ مُلُوكٌ كَأَعْبَدِ
هَرَقْتُ تَبَيَّنَ عَالَمَ الْحَقِّ وَاقْصِدِ¹.

فالشاعر أنس بن زُئيم في هذه القصيدة عبر عن شدة قلقه ، وخوفه من الرسول ﷺ ، لما أهدر دمه من جراء ما بلغه من هجاء له ، لكنه عبر عن اعتذاره بصدق ، وكشف عن حس إسلامي قوي فيه رقة الشعور ، وحبه للرسول ﷺ ، خاصة في البيت الثاني:

وَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا
أَبْرٌ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ

وكما قال محمد مصطفى هدارة: « إذا كان أسيد قد اصطنع في مدح للرسول ذلك الأسلوب البدوي العنيف الذي يصور الظفر عن طرق القتل والدماء، فإن أنس بن زُئيم كان موفقا في الاعتذار بأن التزم الموقف الأخلاقي الإسلام حتى قبل أن يسلم فلم يقدر في أعراض المسلمين ولا استباح دمهم في شعره ، ولكن كل ما فعله أنه رثى قتلى الكفار موجع القلب لأن قاتليهم لم يكونوا في درجتهم الاجتماعية، وهذا أمر كان يعتد به في الجاهلية »².

ومع هذا فالشاعر أنس بن زُئيم نجده في بعض ملامح قصيدته مثله مثل كعب بن زهير، الذي سلك منهج النابغة الذبياني في اعتذاره في قصيدته "العينية"، التي يظهر بعض معناها في قول أنس في البيت الثالث :

تَعَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي
وَأَنَّ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخَذِ بِالْيَدِ

فالشاعر يعبر عن خوفه من وعيد رسول الله ﷺ له، على أن الأرض قد ضاقت به ، وأن الرسول مدركه لآحالة . وصورة خوف الشاعر مستعارة من صورة خوف النابغة حالة وعيد أبي قابوس له ، في قوله :

1- ابن هشام : سيرة النبي ﷺ، ج 4، ص ص 46-47-48 .

2- محمد مصطفى هدارة : الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص 94 .

فَأَتَاكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ
خَطَّاطِيفُ حُجْرٍ فِي جِبَالٍ مَتِينَةٍ تُعَدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ ، نَوَازِعُ
وكذلك قوله :

مَا قُلْتُ مِنْ سَيِّئٍ مِمَّا أَتَيْتُ بِهِ إِذَا فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي

وهكذا نجد أنس بن زعيم الديلي « يمضي في اقتفاء أثر النابغة على مسلك التجرد، فهو يجرد معاني النابغة من صورها ومواقفها؛ ليجعلها ملائمة لموقفه المعتذر؛ فكلمة "الليل" في بيت لنابغة لا تصلح في موقف الديلي بين يدي صاحب الدعوة ، فانصرف عنها مكتفيا بالمعنى العام. ثم عمد الديلي إلى البيت الثاني عند النابغة ، فجرده من الصورة الفنية ، مكتفيا بالمعنى القريب في قوله: (وأن وعيدا منك كالأخذ باليد)¹.

والمعنى كما هو ظاهر في شطر البيت تقليدي جاهلي، استعاره أسيد في أول موقفه الإسلامي الجديد.

وفي الأخير نخلص إلى النتائج الآتية ؛ حيث وقفنا على بعدين اثنين من الناحية الشكلية للقصيدة العربية الإسلامية:

1- فالبعد الأول لشكل القصيدة يمثلته شعراء النبي ﷺ الذين شكلوا مدرسة المدينة ، وهم: حسان ابن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، والنابغة الجعدي، الذين تشبعوا بقيم الإسلام الجديدة، وجسدوا ذلك في قصائدهم ومقطوعاتهم الشعرية، على مستوى جميع الأغراض والموضوعات الشعرية، التي طرقتها، من هجاء وفخر ومدح وثناء، فأضافوا بذلك الجديد للقصيدة العربية الإسلامية، وغيروا في معانيها وصورها ومعجمها الدلالي، فأصبح القرآن العظيم وألفاظه الشريفة ومعاني آياته الحكيمة، وكلام الرسول ﷺ مصدر إلهامهم، وبذلك جاءت شاعريتهم في صورة إسلامية واقعية ، يغلب عليها رقة الشعور.

كما أنهم تخلصوا تدرجيا من تأثيرهم بالمعاني الجاهلية، التي بقت عالقة بأذهانهم، وغلب بذلك الحس الإسلامي على قصائدهم الإسلامية .

1- محمود عباس عبد الواحد : فن الاعتذار الشعري تاريخ وانحازات ، ص ص 153 - 154 ..

2- أما البعد الثاني لشكل القصيدة الصحابية، فيمثله شعراء مدرسة الموروث الجاهلي: وهم: كعب بن زهير، وأبوسفيان بن الحرث، وعبد الله بن الزبير، وأنس بن زيم، في قصائدهم التي قيلت في إسلامهم، واعتذروا من خلالها للرسول ﷺ، فجاءت قصائدهم محافظة في غرضها الشعري من مدح واعتذار واستعطاف، على مستواها الشكلي؛ حيث حافظوا على تقليد الموروث الجاهلي، فاتكثروا في معانيهم وصورهم الشعرية على ما استعاروه من معاني وصور النابغة الذبياني في اعتذاراته، وقد مس تقليدهم الموسيقى الشعرية، فجاءت قصائدهم على نفس البحور الشعرية التي نظم عليها النابغة اعتذارياته، مع ظهور إيمانهم الصادق الذي عبروا به عن توبتهم، وتوظيفهم لبعض المفردات الإسلامية في شعرهم، وهذا لا يعني أن ما وظف من مفردات إسلامية يدل على أنهم تشبعوا بالفكر القرآني وأسلوبه، وكلام الرسول ﷺ.

3- كما أن الصحابة الذين تخلف إسلامهم إلى عام الفتح، فبعد مرور الوقت اتضحت لهم تعاليم الإسلام ففقهوها وعرفوا القرآن العظيم، فوظفوا معانيه ومفرداته، وبعض المعاني ذات الدلالة الإسلامية في شعرهم، فعبروا بذلك عن حسهم الإسلامي الصحيح، وأظهروا شعورهم الرقيق، وقلت استعاراتهم من الموروث الجاهلي، فتطور بذلك مفهوم المدح والثناء عندهم.

الباب الثاني

موقف التابعين من الشعر والشعراء

الفصل الأول

- أولاً : مفهوم التابعي اصطلاحاً (الزمان والمكان) .
- ثانياً : مفهوم الشعر لدى التابعين .
- ثالثاً : موقف التابعين من الشعر والشعراء .
- رابعاً : شعر التابعين في الميزان الأخلاقي والفني .

أولا : مفهوم التابعي اصطلاحا (الزمان والمكان)

مفهوم التابعي اصطلاحاً (الزمان والمكان)

عطفًا عن حديثنا عن مفهوم الصحابي اصطلاحاً، ومن خلال معرفة مفهوم دلالة الصحابي حاولت أن أبين مفهوم الصحابة للشعر، ومعرفة موقفهم من الشعر والشعراء، لهذا رأيت أنه من الضروري أن أستهل حديثي عن موقف التابعين من الشعر والشعراء، بالحديث عن مفهوم التابعي اصطلاحاً، وهذا لكي يسهل لي الولوج إلى معرفة مفهوم الشعر لدى التابعين ومعرفة موقفهم من الشعر والشعراء، وهذا ما يمكن توضيحه فيما يأتي :

مفهوم التابعي اصطلاحاً :

جاء مفهوم التابعي اصطلاحاً في أقوال بعض علماء الحديث: « التابعي من صحب الصحابي »¹. وقال الحكم أبي عبد الله: « أطلق التابعي على من لقي الصحابي وروي عنه وإن لم صحبه »²، ودلالة هذا المفهوم هو - كما قال ابن الصلاح (ت 642هـ 1245م) -: « مشعر بأنه يكفي فيه أن يسمع من الصحابي أو يلقاه، وإن لم توجد الصحبة العرفية والاكتفاء بهذا بمجرد اللقاء والرؤية أقرب منه في الصحابي نظراً إلى مقتضى اللفظين معا »³. وفي هذا الفحوى توسع العلماء في المقصود بدلالة التابعي فقالوا: التابعي يدخل فيه أولاد المسلمين الذين لقوه قبل البلوغ، وقبل سن التمييز كمحمد بن أبي بكر τ فإنه ولد قبل وفاة النبي ﷺ ، بثلاثة أشهر⁴، « عند الشجرة وقت الإحرام بحجة الوداع... ولم يذكروا أنه أحضر عند النبي ﷺ ولا رآه »⁵، وهذا مذهب جمهور العلماء في تعريف التابعي .

وعلق ابن الصلاح على من ضيقوا مفهوم التابعي قائلاً: « اشترطوا مع اللقاء بالصحابي أن يكون التابعي مميزاً وفي سن من يحفظ من الصحابي الحديث، ولكن لم يقل بعضهم بهذا الرأي، وقالوا: من رأى أحداً من الصحابة فهو تابعي سواء كان مميزاً أولاً »⁶.

وحتى وإن اختلفت الآراء في مفهوم التابعي إلا أن أحسن ما قيل في تعريفه هو ما جاء في المعجم

1- ابن كثير : الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ص 142 .

2- ابن الصلاح : مقدمة ابن الصلاح، ص 173 .

3- ابن كثير : الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ص 143.

4- جابي زادة علي فهمي : من حسن الصحابة في شرح شعر الصحابة، ص 7 .

5- نبوي سراج : مع أئمة التابعين رجال خلف الرسول ﷺ ، دم، المكتبة التوفيقية، د.ت. ص 7 .

6- ابن الصلاح : مقدمة ابن الصلاح، ص 173 .

وهم كبار التابعين ، أمثال: شريح القاضي [42 ق هـ 87هـ]، وأبو مسلم الخولاني أدرك الجاهلية [ت62هـ]، والأحنف بن قيس [3 ق هـ 72هـ 691م]، وأما الجيل الثاني وهم صغار التابعين في السن، ومنهم: عبد الملك بن مروان (26- 86 هـ 643-705م)، وعروة بن الزبير [22- 94هـ]، وسعيد ابن المسيب [15-94هـ]، وعامر بن شرحبيل الشعبي [19-102هـ] ، والحسن البصري [ت110هـ 728م] ، ومحمد بن سيرين [33-110هـ] وغيرهم ممن أخذوا العلم عن كبار الصحابة العلماء، وبخاصة التابعين الشعراء الذين عاشوا بداية حياتهم في البادية، وعاشوا حياة شباهم في عهد معاوية بن أبي سفيان (ت60هـ 680م)، أمثال: الفرزدق (ت116هـ 641-733م) وجرير (ت116هـ 653-733م) والعجاج [ت97هـ] وعاشوا عصرهم الذهبي في عهد عبد الملك بن مروان (26- 86هـ 643-705م) الخليفة الأموي الخامس (65هـ 685م) .

ومما تجدر الإشارة إلى ذكره ؛ أن الحضارة الجديدة التي دخلت مكة والمدينة عن طريق الموالي بعد الفتوحات الإسلامية في عهد الصحابة ، قد لعبت دورا كبيرا في نمط الحياة والفكر وفي تكوين جيل جديد من التابعين ، فـ« في العصر الأموي ، قد نشأ جيل آخر لم تكن له صلة بالجاهلية ولا بالحياة القديمة إلا ما يروى من أخبارها ، أما صلته كلها بالحضارة الأجنبية التي دخلت كل شيء في حياته ، وهو جيل التابعين ، وكان خليطا من العرب والموالي ، وهم جماعة من الأجانب الذين سبوا في الفتوح هم وأبناؤهم، وكانوا كثيرا في المدينة منذ كانت الفتوح في عهد أبي بكر وعمر، وقد ترك الزبير بن العوام وحده منهم ألف عبد وأمة وكان غيره من الصحابة تكتظ بيوتهم بهم»¹.

ودلالة هذا أن مكان وجود التابعين مرتبط بمساحة الفتوحات الإسلامية التي وصلها الصحابة . إذ بفضل انتشار الصحابة في الأقاليم تكوّن جيل التابعين وظهر في زمن مبكر ، فكان منهم المخضرون الذين عاشوا في زمن الرسول ﷺ ولم يروه ، وكان للتابعين فضل حمل لواء نشر الإسلام والهداية ، وجاهدوا في الله مع الصحابة « ووعظوا الحكام ونصحوا الأمة وعلى أيدي أئمتهم ازدهرت العلوم الشرعية ، فمنهم الفقهاء والعلماء والقادة في مختلف المجالات وفي عهدهم تحققت أجداد الأمة الإسلامية فصارت مترامية الأطراف، كما أضافوا الكثير إلى ما أنجزه الصحابة الكرام»² ، حيث « وقف هؤلاء

1- شوقي ضيف : الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية ، ط5 ، دار المعارف ، 1992م، ص29 .

2- نبوي سراج : مع أئمة التابعين رجال خلف الرسول ﷺ، ص65 .

التابعون- أي الأئمة منهم- أعمارهم على حفظ السنة وتدوينها، تعلمها وتعليمها. فكانت مهمتهم تنقية السنة ونخلها نخلا، وتخريجها لفظاً لفظاً، ومن التابعين من قام بتدوين تاريخ الأمة وحفظه، كما ترجموا لرجالها، وسجلوا الأحداث التي يفتخر بها¹، المسلمون ومن هؤلاء الحسن البصري (ت110هـ/728م).

وقد كان للتابعين نشاط علمي واسع، حيث «عني المسلمون من العصر الأول بإفراد ما يتعلق بالسير والمغازي في كتب خاصة، فقد روي أن وهب بن منبه [34-110هـ] ألف كتاباً في المغازي، كما روي أن عروة بن الزبير بن العوام [23-94هـ] وهو من أشهر فقهاء المدينة ومحدثيها كان أقدم من ألف في سيرة رسول الله ومثله معاصره أبان بن عثمان [22-105هـ] فقد جمع له تلميذه عبد الرحمن ابن المغيرة [ت125هـ] كتابه في سيرة الرسول. كذلك روى أن ابن شهاب الزهري [51-125هـ] جمع كتاباً في المغازي، ومثله موسى بن عقبة [ت141هـ]»².

بالإضافة إلى هذا النشاط العلمي، ونظراً لاتساع الرقعة الجغرافية للإسلام في زمن التابعين، وبعد دخول الأعاجم للإسلام، ظهرت بعض البدع على أيدي الموالي وغيرهم مع بعضهم عادات توارثوها قد هدمها الإسلام، وحمل الولاة والأمراء مسؤوليتهم في ذلك فاستعان بعض الحكام بأئمة التابعين كي تستمر الأمة على ما تركها عليه رسول الله، لذلك قام التابعون بدور الوعاظ³، فوعظوا ونصحوا المسلمين، ووقفوا في وجه العبث بتعاليم الإسلام، فضربوا بذلك أروع الأمثلة في الجهاد بالسيف واللسان، فسجلوا آثارهم الجهادية ومفاخرهم في أشعارهم، كما شاركوا في تطور الحركة الفكرية والأدبية والنقدية من خلال مجالسهم التي كان يسمع فيها للشعراء وتصدر فيها الأحكام النقدية، وفي هذا المجال برع كثير من الشعراء والنقاد الذين ساروا على نهج الصحابة في موقفهم من الشعر والشعراء، فكان من التابعين الخلفاء والفقهاء والقضاة والشعراء، وكان لهم اهتمام كبيراً بالمجال الأدبي والنقدي. ولاتساع رقعة مساحة الإسلام في عهد التابعين، فإننا لم نتمكن من تقدير عدد التابعين وحصره، وأحسب أنه يعد بمئات الآلاف، وتتابع الفتوحات جعلت العدد في تزايد مذهل.

1- نبوي سراج: مع أئمة التابعين رجال خلف الرسول، ص 9، ص 12-13.

2- أحمد أمين: فجر الإسلام، ط 11، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، 1979م، ص 178.

3- نبوي سراج: مع أئمة التابعين رجال خلف الرسول، ص 9، ص 19.

وقد خلف جيل التابعين تراثا أدبيا شعرا ونقدا، كان له الأثر الأكبر في تاريخ تطور الحركة الفكرية والأدبية والنقدية في عصرهم، وبعد جيلهم .

وعن مدى أهمية الحركة الشعرية والنقدية في عصر التابعين، فقد كانت حركة قوية ، ويتضح هذا من خلال أماكن وبيئات التابعين الشعراء ، التي بقيت محصورة في البيئة العربية لدواعي سياسية ، خاصة في بداية الصرع السياسي، الذي كان قائما ضد الأمويين، لـ« أن الدولة الأموية التي اتخذت الطابع الملكي الوراثي ، شاعت فيها الحركة الشعرية شيوعا بارزا ، في ضوء الثراء الفاحش ، والأخذ بأسباب الحضارة، وفي ضوء الناقمين على الدولة من شيع وأحزاب معارضة ، ومتوافقة كالحزب الأموي، وفي ضوء الاتجاه العاطفي العذري ، أو المادي... فتحدثت المصادر عن "أماكن" أو مراكز أو بيئات متعددة نشط فيها الشعر بألوانه المختلفة. ولكن ثمة مؤثرات أو أسباب أسهمت في استمرار الشعر ونضجه، فاتجه الشعراء إلى خوض أغراض ومعان عديدة يعبرون فيها عن مواقفهم السياسية والعاطفية، وعن تأملاتهم في الكون ومظاهره ، وغير ذلك من الأغراض »¹.

وقد أصبحت كل من المدينة ومكة ونجد ، والعراق "البصرة والكوفة" ، والشام ومصر ، وفارس، وكل المدن التي نزل بها الصحابة واستقروا فيها مدن كبرى، ومراكز دينية وسياسية وأدبية قوية، وكان ممن أدى إلى تطور الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية فيها، ظهور التابعين الشعراء الذين احترفوا فن الشعر وتحزبوا ، ومن هؤلاء التابعين أولاد الصحابة، وغير أولاد الصحابة، وقد تنقل التابعون الشعراء بين هذه المدن لظروف سياسية إما مدح خليفة أو والي أو قائد جند ، أو موسم الحج، أو لاضطهاد من طرف الساسة الأمويين ، حيث كان التابعون الشعراء يتنقلون من مكان إلى آخر ، ويلتقون ويتسامرون وتنافسوا في مذاهبهم الشعرية ، ويوازنون بين الشعراء ، من خلال سماع أشعار بعضهم بعضا ، ونقدها ، وقد مثلوا تيارات دينية وفكرية وأفكارا سياسية حزبية ، عبرت عن ميولهم السياسية والقبلية ، وعكست رغباتهم في عطايا الخلفاء .

1- حسن البنداري : الشعر العربي في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي ، ط1، د.م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 2003م ، ص 80 .

ثانيا : مفهوم الشعر عند التابعين

مفهوم الشعر عند التابعين

مما هو جدير بالذكر، أنه إذا كان الصحابة هم من حددوا مفهوم الشعر مفهومًا فنيًا، بعد مفهوم الرسول ﷺ، وتجاوزوا برؤيتهم النقدية مفهوم العرب للشعر، حيث كان مفهوم العرب للشعر لم يتجاوز حدود الخرافة، فهل استطاع التابعون أن يضيفوا إلى النقد الأدبي رؤية جديدة في مفهوم الشعر، وأن يتجاوزوا ما رسمه الصحابة من حدود نقدية وفنية لمفهوم الشعر؟ وما هو دور وأثر التابعين في الفكر الأدبي والنقدي من خلال مفهومهم للشعر؟ من الجلي الواضح أن الثقافة الأدبية والنقدية لِسادة التابعين الخلفاء والعلماء والشعراء، ثقافة واسعة، تكونت لديهم نتيجة للتحصيل مما وصل إليهم من موروث عربي وإسلامي، فجمعوا في صدورهم بين الثقافة الأدبية والنقدية، ورواية الشعر ونقده، والأخبار والنسب، والفقه والتفسير ورواية الحديث.

وقد كان للصحابة دور فعال في نقل هذه الثقافات إلى عصر التابعين، ويعد الشعر واحداً من هذه الثقافات، التي نبغ فيه التابعون على مستويات عدة؛ من حيث الإنشاد، والرواية والنقد، والإبداع.

كما أن اهتمام التابعين وموقفهم من الشعر والشعراء موقف إيجابي، لا يقل أهمية عن اهتمام الصحابة والرسول ﷺ بالشعر والشعراء قبلهم؛ حيث سار التابعون على نهجهم، وكان من القضايا النقدية التي اشتغل عليها التابعون النقاد والشعراء مفهوم الشعر، ورغم التطور الفكري والفني الذي وصل إليه عصر التابعين، إلا أن التابعين النقاد والشعراء وقفوا على طرفي نقيض في مفهومهم للشعر.

لهذا فمن الأهمية طرح السؤال الآتي: ما هو مفهوم الشعر من منظور التابعين النقاد والشعراء؟ بعد تتبعنا للآثار النقدية للتابعين، تبين لنا أن أبا بكر محمد بن سيرين (ت 110هـ 799م)، فقيه المدينة، قد اهتم بالشعر رواية وإنشادا ونقداً، وكانت له اجتهادات تجديدية في مجال النقد، ذات أثر بالغ الأهمية؛ حيث وقف عند حد الشعر وبين مفهومه الجديد، بعد أن عرفه الصحابة وحددوا هويته.

ولهذا يعد ابن سيرين التابعي الوحيد، الذي عرف الشعر بمفهومه الجديد الذي يتماشى وروح العصر، فقال: « الشعر كلام عقده بالقوافي، فما حسن في الكلام حسن في الشعر، وكذلك ما قبح»¹.

وهو تعريف فني للشعر، وأول ما نلاحظه في هذا التعريف، هو تطور مفهوم الشعر على ما كان عليه في عهد الصحابة؛ حيث برز في الساحة الفكرية والأدبية والنقدية المصطلح العروضي القافية، وقد دل هذا على تطور النظرة الإسلامية للشعر، التي بدأت تأخذ شيئاً فشيئاً بعدا ذا طابع نقدي فني يعبر من

1- ابن رشيقي: العمدة، ج 1، ص 25.

خلاله عن إدراك لجماليات الشعر، وأسسها الفنية الإيقاعية أي العروضية، في عصر التابعين .
 والواضح أن قول ابن سيرين: " الشعر كلام عقد بالقوافي " دل على أن الكلام الشعري كلام فني،
 تتحكم فيه معايير النظم الفني التي جعلته يختلف عن سائر الكلام العربي، رغم أن اللغة العربية لغة
 شاعرية بطبيعتها، ولكن ابن سيرين نظر إلى الشعر " القصيدة " و " المقطوعة " نظرة فنية ، فلاحظ أن
 القافية تفنوا إثر كل بيت من خلال تحقيق التكرار وديمومته حتى نهاية النص الشعري ، فأدرك بذلك
 إيقاع البيت، وهو الوزن، لكنه لم يحدده، ولم يصفه، فاكتمى بما استنتجه من فهم لإيقاع موسيقى
 العروض المتكرر في القصيدة فحصره في القافية، وبالتالي فالقول: بأن " الشعر كلام عقد بالقوافي " دل
 على أن الكلام الشعري يتكون من: اللفظ + معنى + قافية، و (+وزن) وهو الإيقاع الذي أحقه بالقافية .
 ولكن ، اللفظ والمعنى في الشعر يختلفان عما هما عليه في سائر الكلام، وهما لا يظهر دورهما الجمالي
 في الشعر إلا إذا اقتربنا بالوزن وعقدا بالقافية، أي ارتبطا بها ارتباطا فنيا لا انفصام له، وعندئذ يقال هذه
 لغة شعر، ويكون الكلام الشعري كلاما فنيا يختلف عن سائر الكلام .

والقافية التي ركز عليها ابن سيرين كطرف في البناء الفني للشعر، هي إحدى الفكر النقدية التي لا
 يكون الشعر شعرا إلا من خلال مشاركتها في العملية الإبداعية الفنية في بناء القصيدة أو القطعة الشعرية،
 إلى جانب الوزن، وهو الأمر الذي أكده ابن رشيقي (390-456 هـ)، بعده، وعبر عنه قائلا: « القافية
 شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية »¹.
 وهذا الرأي يؤكد أن مصطلح القافية ظهر مبكرا، ولعله قديم * ، وهو أحد أسس النظرة الجديدة
 لمفهوم الشعر عند التابعين، والقافية واحدة من القضايا العروضية التي ظهرت فيما بعد وأخذت طابع

1- ابن رشيقي : العمدة ، ج 1 ، ص 128 .

* جاء في كتاب الصاحبي: «فإن قال قائل: فقد تواترت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية، وأن الخليل أول من تكلم في العروض، قيل له: نحن لا ننكر ذلك، بل نقول: إن هذين العليمين قد كانا قديما، وأنت عليهما الأيام وقلا في أيدي الناس، ثم جددهما الإمامان... وأما العروض فمن الدليل على أنه كان متعارفا معلوما اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا: (أو من قال منهم) إنه شعر. فقال الوليد بن المغيرة: منكرا عليهم، " لقد عرضت ما يقرؤه محمد على أقرء الشعر، هزجه ورجزه، وكذا وكذا... فلم (أره) يشبه شيئا من ذلك". أفيقول الوليد هذا وهو لا يعرف بجور الشعر؟ » .

- أبو الحسن محمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، حققه وقدم له: مصطفى الشوموي، بيروت، لبنان، مؤسسة أ.

بدران، للطباعة والنشر، 1382هـ-1963م، ص 38 .

الفن المستقل، كما هو الحال عند الخليل بن أحمد الفراهيدي* (ت170هـ)، والأخفش** (ت211هـ)، اللذان حاولا فيما بعد دراسة قضايا المصطلحات العروضية ومن بينها القافية .

وأما قول ابن سيرين: " فما حسن في الكلام حسن في الشعر وكذلك ما قبح " ، فجعل معياري الحسن والقبح اللذين هما من مقومات الكلام النثري مقياسا للشعر، الذي هو أيضا فيه الكلام الحسن وفيه الكلام القبيح، كما يقصد بقوله: " فما حسن في الكلام حسن في الشعر " فالمقصود بالكلام من دون شك هو النثر الفني، وهو كما يقول طه حسين، « النثر الذي يمكن أن يعد أدبا، والذي يمكن أن يقال: إنه فن، فيه مظهر من مظاهر الجمال، وفيه قصد إلى التأثير في النفس من أي ناحية من أحوالها. هو هذا الكلام الذي يعنى به صاحبه عناية خاصة ويتكلفه تكلفا خاصا، ويريد أن يأخذك بالنظر فيه والتعويل عليه، كما يعنى الشاعر بشعره ويحاول أن يؤثر به في نفسك¹ » من خلال اللغة في ألفاظها ومعانيها وتراكيبها، التي لا تتميز عن باقي الكلام إلا بالقافية التي تقيدها وفق الإيقاع الموسيقي الذي اختص به الشعر، وبالتالي فلا تظهر جماليات الشعر إلا من خلال تكرار القافية التي تضفي على الكلام خصوصية الشعر، إلى جانب الوزن، وحسن اختيار الألفاظ وبراعة تركيبها .

وقد أكد طه حسين هذه النظرة أثناء حديثه عن تعريفه للشعر، فقال: « إن العرب متفقون أيضا على أن الشعر لا يكون شعرا حتى يقيد بالقافية تقييدا ما ، فأما القدماء فكانوا يلتزمون القافية الواحدة والأرجوزة، ثم أخذ بعضهم يتحلل من هذه القافية في الرجز ثم في القصيدة، وافتنوا في ذلك افتنانا كثيرا .

* « أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد... أول من سمي في الإسلام بأحمد ، وأصله من الأزدي من فراهيد ، وكان يونس يقول : فرهودي مثل أردوسي ، وكان غاية في استخراج مسائل النحو، وتصحيح القياس ، وهو أول من استخراج العروض وخص به أشعار العرب ، وكان من الزهاد في الدنيا المنقطعين إلى العلم ، وكان شاعرا مقلا ، توفي الخليل بالبصرة سنة سبعين ومائة وعمره أربع وسبعون سنة ، وذكر له ابن النديم تسعة (9) مؤلفات من بينها كتاب العروض » .

- ا بن النديم: الفهرست، ص ص199-200 .

** «أبو الحسن سعيد بن مسعدة مولى لبني مجاشع بن دارم من مشهري نحوي البصرة ، أخذ عن سيبويه وهو أحد أصحابه ، وكان الأخفش أسن منه، ولقي من لقي سيبويه من العلماء والطريق إلى كتاب سيبويه الأخفش وذلك أن كتاب سيبويه لا يعلم أن أحدا قرأه عليه ولا قرأه سيبويه على أحد ، ولكنه لما مات قرأ الكتاب على الأخفش وكان ممن قرأ عليه أبو عمرو الجرمي، وأبو عثمان المازني وغيرهما، ومات الأخفش سنة إحدى عشرة ومائتين بعد الفراء ، قال البلخي في كتابه " فضائل خراسان " : أصله من خوارزم ويقال توفي سنة خمسة عشر ومائتين (215هـ) وروى الأخفش عن حماد ابن الزريقان وكان بصريا . [وذكر له ابن النديم ستة عشرة كتابا (16) منها] : كتاب العروض ، وكتاب معاني الشعر » .

- المصدر نفسه ، ص ص236-237 .

1- طه حسين : في الأدب الجاهلي ، ص 326 .

كما افتنوا في الوزن نفسه افتنانا كثيرا، فلا بد إذن من أن يكون لفظ الشعر مقيدا بالمقياس العروضي الموسيقي من ناحية، وبالقفائية من ناحية أخرى، ولكن الشعراء والأدباء لا يكتفون عادة بهذا المقدار من التقييد اللفظي، وإنما يريدون أن تكون للشعر لغة خاصة مختارة اللفظ اختيارا دقيقا، يمنحه روعة وجزالة أحيانا، ويمنحه رقة وعذوبة أحيانا أخرى، ويعصمه على كل حال من الابتذال . فلا بد إذن من أن يقيد الشعر بقيد ثالث هو الجودة الفنية للفظ الذي يتألف منه ¹.

والحقيقة التي تنكشف لنا هي أن جهد ابن سيرين لم يتوقف عند تحديده لمفهوم الشعر، بل كان حريصا على تعليم الشعر للناس، وتثقيفهم بثقافته النقدية الجديدة ليتضح لهم مفهوم الشعر، ومداره الفني الذي يتماشى مع العصر . فقد روي عنه : « أنشد ابن سيرين شعرا، فقال له بعض جلسائه مثلك يَنْشِدُ الشعر يا أبا بكر فقال: " وَيْلَكَ يَا لُكَّعَ وَهَلْ الشَّعْرُ إِلَّا كَلَامٌ لَا يَخَالِفُ سَائِرَ الْكَلَامِ إِلَّا فِي الْقَوَافِي فَحَسَنَهُ حَسَنٌ وَقَبِيحَهُ قَبِيحٌ " ². فالواضح في هذا النص النقدي أن ابن سيرين يرد على من يجادل في عدم جواز إنشاد الشعر، لهذا نراه يحاول أن يرفع من درجة الوعي النقدي لدى السائل قائلا له: " ويملك يا لُكَّعَ وَهَلْ الشَّعْرُ إِلَّا كَلَامٌ لَا يَخَالِفُ سَائِرَ الْكَلَامِ إِلَّا فِي الْقَوَافِي "، معنى هذا أن الشعر ثقافة من بين الثقافات التي وصلت إلى التابعين وهو من الفنون الكلامية، إذا تقييد بالقافية ينتقل من الكلام النثري إلى الكلام الشعري ، وبالتالي فالقفائية هي من الحدود الفاصلة بين الفن النثري والفن الشعري باعتبارهما كلاما جعلنا الحسن والقبح شركة بينهما .

وهذا ما أشار إليه أدونيس في حديثه عن الشعرية العربية في قوله: « إن القافية هي في المقام الأول خاصية إنشادية موسيقية . فمن شروطها ألا توضع لذاتها، وإنما يجب أن تكون جزءا عضويا في سياق البيت ، تتفق مع وزنه ومعناه . وهي إذن جوهرية وليست زيادة أو ملء فراغ ³ .

وعلى هذا فإن ابن سيرين يعطي بهذه النظرة النقدية بعدا ثقافيا وفكريا وأدبيا ونقديا وجماليا، لبلورة نظرية جديدة - لم يقف عندها العرب - ، من خلال إضافته إصطلاحا جديدا في تطوير مفهوم الشعر،

1- طه حسين : في الأدب الجاهلي ، ص 311 .

2- أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : أحمد البرادوني وإبراهيم اطفيش ، ط2 ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، 1384هـ 1964م، ج 13 ، ص 148 .

3- أدونيس : الشعرية العربية ، بيروت ، دار الآداب ، 1984م ، ص 13 .

الذي حدده قبله الرسول 9، ومن بعده الصحابة 17، وهي نظرة توحى بكل تأكيد بأن ابن سيرين كانت له تجربة و"خبرة" قوية وواسعة وعميقة مع حركة الشعر في عصره وقبل عصره وقبل قبل عصره ، هذه التجربة التي جعلته يتذوق الشعر ويفهم روحه ويحدد بعض فنياته "القافية"، التي ميزت الشعر عن سائر الكلام تمييزاً فنياً، وهي النظرة الاصطلاحية النقدية التي تطورت وتعمقت عند العالم الناقد البصري أبو الفرج قدامة* بن جعفر (ت 337هـ). في العصر العباسي ، في مفهومه** للشعر.

إذاً، من خلال هذه الرؤية النقدية يتضح لنا أن مفهوم الشعر عند النقاد التابعين هو عملية فنية تجري على لسان الشاعر تخضع لإيقاع موسيقي عروضي (قافية ووزن)، يُبلغ الشاعر من خلالها ما أراد من أقوال وأفكار في ألفاظ معبرة وأسلوب جميل، ومعاني ساحرة، ومن هذا المفهوم يمكن أن نسجل بكل ارتياح بأن الشعر كانت له مكانة فنية جديدة، وأن نقد الشعر لم يجمد، بل تطور وأخذ بعداً فنياً، من خلال ظهور مصطلح القافية كمصطلح نقدي في عهد التابعين، وهي قيمة نقدية جمالية جديدة مضافة ساعدت على تنامي الفكر النقدي العربي الإسلامي في عصر التابعين .

ولكن ، على ما يبدو أن للقافية مفهوماً ومدلولاً خاصاً في عرف الشعراء ، حيث توارث العرب مصطلح " القافية " ، وتواتر إطلاقها عند الشعراء على القصيدة، وأطلقوا على القصائد اسم القوافي ، وهو مفهوم قديم أطلقه الشعراء الصحابة " المخضرمون " وتوارثه عنهم الشعراء التابعون .

فقال حسان بن ثابت :

وَقَافِيَةٍ عَجَّتْ بِلَيْلِ رَزِينَةَ تَيْقَةَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ نُزُولُهَا¹.

وقال كعب بن زهير استجابة لطلب الحطيئة أن يذكره في شعره ليزيد في قيمته الفنية :

* هو أبو قدامة بن جعفر بن قدامة ، وكان جده نصرانياً وأسلم على يدي المكتفي بالله / وكان قدامة أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء ، ومن يشار إليهم في علم المنطق ، وكان أبوه جعفر ممن لا يُفكَّرُ فيه ولا علم عبده . وله من الكتب : كتاب نقد الشعر ، وكتاب السياسة ن وكتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام ، وكتاب ثنائة الجدل ، وكتاب جواهر الألفاظ ، وكتاب نقد النثر .
- ابن النديم : الفهرست ، ص ص 570- 571 .
**قال في تعريفه للشعر: « إنه قول موزون مقفى يدل على معنى ». فمن دون شك أن هذا المفهوم ينطلق من الخلفية الفكرية والفنية عند ابن سيرين .
- أبو الفرج قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، تحقيق وتعليق : محمد عبد المنعم خلفاخي ، ط1 ، القاهرة، المكتبة الأزهرية، 1426هـ 2006م، ص55 وما بعدها .
1- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص 388 .

فَمَنْ لِّلْقَوَائِي شَأْنُهَا مَنْ يَحْكُوهَا إِذَا مَا تَوَى كَعْبٌ وَفَوُزٌ حَرُولٌ¹.

ثم جاء بعدهم التابعي الفرزدق* (ت116هـ 640-733م) فقال يهجو بلحارث بن كعب: [البيسط]
إِن الْقَوَائِي لَنْ يَرْجِعَنَّ فَاسْتَمِعُوا إِذَا بَلَغَنَّ شِعَابَ الْعَوْرِ ذِي الْقُنَنِ².

إن المقصود في أقوال الشعراء بالقوافي و«القافية هنا القصيدة، والعرب تسمي البيت من الشعر قافية، ويسمون القصيدة كلها قافية»³، وأحسب أن التابعي الفرزدق وقبله الصحابة الشعراء أطلقوا "القافية" على القصيدة لأنها مقفأة، ولا أعتقد أنهم كانوا يجهلون القافية ودورها الفني في بناء القصيدة، وبخاصة في عصر التابعين (أي العصر الأموي) الذي تطورت فيه النظرة الفنية إلى الشعر.

هذا عن مفهوم الشعر من منظور فني تقني، الذي أسسه أحد التابعين النقاد، في القرن الأول الهجري، وما كان يجري من تصور للقافية في ذهن الشعراء الصحابة والتابعين، وهو المفهوم الذي أعطى صورة واضحة تدل قطعاً على تطور الجدل النقدي، الذي شارك فيه كل من له علاقة بالشعر والنقد في عصر التابعين.

وعلى هذا فقد تجلّى لنا أن مفهوم الشعر لم يقف عند نظرة النقاد فحسب، بل نجد أن للتابعين الشعراء نظرة خاصة للشعر، ولهم تصور آخر لمفهوم الشعر في عصرهم، حيث ارتبط مفهوم الشعر عند الشعراء بشياطين الشعر، وحافظ معتقد شياطين الشعراء على وجوده في عصر التابعين في القرن الأول الهجري، وهي النظرة التي كانت سائدة في العصر الجاهلي، والتي زالت بمجيء الإسلام في المدينة ومكة على أقل تقدير، وبأفول دولة الخلفاء الراشدين استيقظ في مخيلة التابعين الشعراء ما كان تاريخاً، فأصبح واقعاً فكرياً معيشياً، يتداول في الأسواق والمجالس الأدبية ويدافع عنه الشعراء، «ولعل الفرزدق أن يكون من أكثر الشعراء ترديداً له، ويقال: إن اسم شيطانه "عمرو" ويذكر أن الفرزدق حين يفتخر بشعره أنه

1- كعب بن زهير: الديوان، تحقيق: محمد يوسف نجم، ص82.

* «هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم. وكان جده صعصعة عظيم القدر في الجاهلية واشترى ثلاثين مؤودة... ثم أتى النبي وأسلم.. وإنما لقب بالفرزدق لغلظه وقصره شبه بالفتية التي تشرى النساء وهي الفرزقة وكنيته أبو فراس... وكان للفرزدق أخ يقال له الأخطل أسن منه وابنه محمد بن الأخطل كان توجه مع الفرزدق إلى الشام فمات بها ولا عقب له ورثاه الفرزدق» هجا جريراً والأخطل.

- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ت 315-316.

2- الفرزدق: الديوان، شرحه وضبطه نصوصه وقدم له: عمر فاروق الطباع، ط1، شركة الأرقام بن أبي الأرقام للطباعة والنشر والتوزيع، 1418هـ 1997م، ص693.

3- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، المحقق: هامش صفحة 388.

" أشعر خلق الله شيطاناً " ¹ . قال :

[البسيط]

كَأَنَّهَا الذَّهَبُ الْعِقْبَانُ خَبَّرَهَا لِسَانُ أَشْعَرِ أَهْلِ الْأَرْضِ شَيْطَانًا ² .

ويظهر كما يقول إحسان عباس: « إن الفرزدق تزحج عن هذا المعتقد حين تصور أن الذي ينفث

الشعر في فمه هو " إبليس " وابنه ، مع أن أحدا من الجاهليين لم يذكر أن رئيس الشياطين مصدرا

للإلهام ³ . يقول الفرزدق :

[الطويل]

وَإِنَّ ابْنَ إِبْلِيسِ وَ إِبْلِيسُ أَلْبَنَّا هُمُ بِعَذَابِ النَّاسِ كُلِّ غُلَامٍ

هُمَا تَقَالًا فِي فِيٍّ مِنْ فَمَوِيَّهِمَا عَلَى التَّابِحِ الْعَاوِي أَشَدُّ رِجَامٍ ⁴ .

ونجد هذا التصور نفسه عند « جرير » ^{**} [ت 116 هـ 653 - 733 م] ينافس الفرزدق في اعتقاده أن

الذي يلهمه هو إبليس فيقول:

[البسيط]

إِنِّي لِيُلْقِي عَلَيَّ الشَّعْرَ مَكْتَهَلًا مِنْ الشَّيَاطِينِ إِبْلِيسُ الْأَبَالِيسِ ⁵ .

إلا أن الفرزدق كان يقول: « شيطان جرير هو شيطاني إلا أنه من فمي أخبث، ويشير شاعر

1- إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 17 .

2- الفرزدق : الديوان ، ص 685 .

* رغم ما عرف عن استهتار الفرزدق إلا أنه هجا إبليس فجاء عنه في الديوان « دخل الفرزدق المرید فلقني رجلا من موالي باهلة يقال له حمام ، ومعه نحي من سعن يبيعه ، فسامه الفرزدق به ، فقال له حمام : أدفعه إليك ، وتب لي أعراض قومي ؟ ففعل ، ويهجو فقال يهجو إبليس : [الطويل]

ألم ترني عاهدت ربي وإنني
على قسم لا أشتم الجهر مسلما
أطعتك يا إبليس سبعين حجة
فررت إلى ربي ، وأيقنت أنني
حلفت على نفسي لأجتهدنھا
ألا طال ما قد بت يوضع ناقتي
لبين رتاح قائم ومقام
ولا خارجا من سوء كلام
فلما انتهى شبيبي وتم تمتمي
ملاق لأيام المنون حمامي
على حالها من صحة وسقام
أيو الجن إبليس بغير حطام .

- الفرزدق : الديوان ، ص ص 591 - 592 .

3- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 18 .

4- الفرزدق : الديوان ، ص ص 593 - 594 .

** « هو جرير بن عطية بن حذيفة ولقبه حذيفة الخطفي ... وهو من بني كليب بن يربوع وكان عطية أبو جرير مضعوبا وأم جرير أم قيس بنت معبد من بني كليب بن يربوع... ومات باليمامة وكان يكنى أبا حزره » . « شاعر أموي ولد في اليمامة ، امتاز بالهجاء لاسيما هجو خصميه الأخطل والفرزدق ، وقد كان كون معهما المثلث الأموي، له " ديوان " يتضمن الفنون التقليدية من ملح وهجاء وخر وغزل ورثاء . جمعه أبو جعفر بن حبيب » .

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 309 .

5- إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 18 .

يسميه الجاحظ أعشى سليم إلى أن شيطان المخبل* كان من أقوى الشياطين: [الطويل]

وَمَا كَانَ جَنِي الْفَرَزْدَقِ قُدُوَّةً وَمَا كَانَ فِيهِمْ مِثْلَ فَحْلِ الْمُخْبَلِ¹.

كما أن أبا النجم العجلي** (ت 120 هـ 747 م) الراجز، قد « ردد ذكر شيطان الشعر في قصة بينه

وبين العجاج*** [ت 97 هـ] فقال: [البيسط]

إِنِّي وَكُلُّ شَاعِرٍ مِنَ الْبَشَرِ شَيْطَانُهُ أَنْثَى وَشَيْطَانِي ذَكَرٌ².

فيبدو واضحا أن أبا النجم العجلي « إنما ذهب إلى تذكير شيطانه وتأنيث شيطان الآخر تمدحا بقوته

وفوزه على قرنه »³.

وهذا الاعتقاد الذي ساد عند التابعين الشعراء في مفهومهم للشعر، جاء نتيجة كونهم كانوا يتمثلون

في صورتهم الشخصية، صورة الشعراء الجاهليين الفحول، التي تدل على « أن كل شاعر فحل له شيطان

فحل، والشاعر غير الفحل يدعي من باب المفاخرة والمكاثرة أن شيطانه فحل أيضا »⁴.

ومن هنا تزداد الهوة اتساعا بين مفهوم الشعر باعتباره فنا له معايير عند النقاد، وباعتباره رؤية وتصورا

عند التابعين الشعراء، حيث يلف الغموض رؤية التابعين الشعراء: الفرزدق وجرير وأبي النجم العجلي،

* «المخبل الجنون وبه سمي المخبل الشاعر؛ قاله أبو عمرو اسمه ربيعة بن مالك وهو من بني شئمة بن لؤي بن أنف الناقة؛ وهاجر وابنه إلى البصرة، وولده كثير بالأحساء وهم شعراء، وكان المخبل هجا الزبرقان بن بدر وذكر أخته خليدة». « والمخبل شاعر فحل...وله شعر كثير جيد، وكان بمدح بني قريع ويذكر أيام سعد. وشعره كثير ».

- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 273.

- وينظر: ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج 1، ص ص 149-150.

1- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 18.

** أبو النجم العجلي (ت 120 هـ 747 م) «هو الفضل بن قدامة من عجل وكان ينزل بسوداء الكوفة في موضع يقال له: الفرك أقطعه إياه هشام

ابن عبد الملك راجز العجاج «شاعر من أكابر الرجاز. امتاز بالظرف وحسن الإنشاد. مدح الخلفاء الأمويين لاسيما عبد الملك وابنه هشام».

- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 405.

*** العجاج الراجز [ت 97 هـ] «هو عبد الله بن رؤبة بن بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكان يكنى أبا الشعثاء، والشعثاء ابنته، وكان لقي

أبا هريرة وسمع منه أحاديث... وإنما سمي العجاج لقوله:

[الرجز]

حَتَّى يَعْجُجَ عِنْدَهَا مَنْ عَجَّجَا.»

- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 397.

2- المصدر نفسه، ص 405.

3- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 18.

4- المرجع نفسه، ص ص 19-20.

في إصرارهم على أن الشعر من قول الشياطين على أفواه الشعراء، وليس من نتاج وعي وعواطف وأحاسيس الشعراء البشر، وعن هذه الرؤية الشعرية، يتضح تذهب الفرزدق وغيره في تعلقهم بشياطين الشعر والشعراء في الإبداع الفني الشعري، الذي ضرب فيه القرشي مثلاً، فقال: « ذكّر أن رجلاً أتى الفرزدق فقال: إني قلتُ شعراً فانظر، قال: أنشد، فقال: [البسيط]

وَمِنْهُمْ عَمْرُو الْمُحْمُودُ نَائِلُهُ كَأَنَّمَا رَأْسُهُ طَيْرٌ الْحَوَاتِيمِ

قال: فضحك الفرزدق ثم قال: يا ابن أخي! إن للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوير والآخر الهوجل، فمن انفرد به الهوير جاد شعره وصح كلامه، ومن انفرد به الهوجل فسد شعره، وأتخما قد اجتمعا لك في هذا البيت، فكان معك الهوير في أوله فأجدت، وخالطك الهوجل في آخره فأفسدت، وإن الشعر كان جملاً بطلاً عظيماً فنجح فجاء امرؤ القيس فأخذ رأسه، وعمرو بن كلثوم سنامه، وزهير كاهله، والأعشى والنابغة فخذه، وطرفة وليد كركته، ولم يبق إلا الذراع والبطن فتوزعناهما بيننا، فقال الجزار: يا هؤلاء! لم يبق إلا الفرث والدم، فأثروا لي به، فقلنا: هو لك، فأخذه ثم طبخه، ثم أكله ثم خربه، فشعرك هذا من خرة ذلك الجزار! فقال الفتى: فلا أقول بعده شعراً أبداً¹.

إن الرؤية النقدية التي يمكن إبرازها من خلال النص، تتكئ على فكرتين مهمتين: أولهما: كون أن مفهوم الشعر مازال إلى عهد الفرزدق تتحكم فيه شياطين الشعر، وأن لبعض الشعراء المذكورين شياطينهم التي تنفت على فوهم الشعر، وثانيهما: قرار الفرزدق الذي قضى به بأن عصر الفحول من الشعراء قد ولى ولم يبق إلا هو " أي الفرزدق " وبعض شعراء عصره، وهذا يظهر من خلال رمزية تشبيه الفرزدق للشعر بالجمال واقتسامه بين الشعراء، وقد عدَّ امرؤ القيس أول من أخذ رأس الجمال، وهذا ترتيب فني للشعراء، فجاء امرؤ القيس سابقاً للشعراء ومقدماً عليهم في الإبداع، لأنه أخذ رأس الجمال، ثم جاء الشعراء الفحول بعده تباعاً، وكل ما قيل بعدهم من شعر فهو من آثار "الجزار" الذي لم يصح له من قسمة الجمال إلا الفرث والدم اللذان استغنى عنهما الشعراء، ورمزية تقسيم الفرزدق هذه هي تقسيمه لمفهومه للإبداع الشعري وتوزيعه على سبعة شعراء، وبكل تأكيد فقد وضع الفرزدق مفهوماً فنياً لتوزيع الشعر بين الشعراء الجاهليين الفحول الذين رسموا البناء الفني للشعر العربي، وجعل لنفسه مكاناً بين بعض شعراء عصره، وختم الإبداع الشعري بنفسه في عصره. وأما الشعراء الذين جاءوا بعده فشعرهم من

1- القرشي: جهرة أشعار العرب، ص 54-55.

آثار الجزار، وكلهم نَحروا الشعر نَحرا ، وهذه هي نظرة الفرزدق للمبدعين الشعراء .
ومن جهة أخرى فقد علق القرشي على قول الفرزدق، رادا عليه مفهومه في تقديمه لامرئ القيس على الشعراء، فقال: « وقول الفرزدق: إن الشعر كان جملا فنحر، فجاء امرؤ القيس فأخذ رأسه، فهذا مثل ضربه، والسنام والكاهل أكثر نفعا من الرأس، إذا كان منحورا، ولو أنه ضرب المثل، وكان حيا، فأخذ رأسه لكان الرأس أفضل إذ لا بقاء للبدن إلا مع الرأس، وإنما أخذه ميتا »¹.
وقد دل هذا النقد الفني المهذب، على أن الفرزدق لو قسم الجمل حيا بين الشعراء لكانت القسمة قسمة فنية، وفيها يأخذ امرؤ القيس الجمل كله، وبالتالي يكون له فضل على الشعراء، ولكن إعطاء الفرزدق لامرئ القيس رأس الجمل ميتا لا تعطيه الأولوية في التقدم والأفضلية على الشعراء .
وأما الرمزية الفنية الخرافية في جعل الشياطين تقول الشعر على ألسنة الشعراء، فبكل تأكيد هي التي دفعت بإحسان عباس لمناقشة فرضية تعلق الشعراء العرب بشياطين الشعر والشعراء حينما تساءل في مقارنة جمالية نقدية دقيقة بين العرب واليونان ، قائلا: « لماذا اختار العرب للإلهام شياطين، بينما اختار الخيال اليوناني عالم ربات عذارى خفريات ؟ لتتذكر في هذا الصدد أن الآلهة الكبيرة عند وثني الجاهلية في عصر الشعر كانوا بنات أشهرهن: اللات والعزى ومناة* . وقد عرف العرب الكاهنات في مجتمعهم الجاهلي في عصر الشعر وما قبله، كما عرفوا الكهان . وعرفوا في عصور موغلة في القدم عدة ملكات .
وإذن فليس يعود العزوف عن الربات واختيار الشياطين إلى الفرق بين الطبيعة الصحراوية والطبيعة الخصبة، ولا إلى الفرق بين الذكر والأنثى، ولكن يبدو أن لذلك أسبابا أخرى تتعلق بمفهوم الشعر نفسه؛ فالشعر عند العرب ذو مفهوم دفاعي أو هجومي بالدرجة الأولى، إذ هو دفاع عن القبيلة أو هجوم على أعدائها »².

والواضح أن مفهوم الشعر في عصر التابعين في القرن الأول الهجري بهذه الصورة قد انشطر إلى مفهومين: أولهما: مفهوم فني جمالي جاء نتيجة تطور الوعي الفكر النقدي عند التابعين، وتبنى هذا

1 - القرشي : جهرة أشعار العرب ، ص56 .

*هي الآلهة التي ذكرها القرآن العظيم مخاطبا قريشا أثناء احتجاجهم للرسول ﷺ بما يعبدون ، وبين لهم بأنها آلهة غير موجودة أصلا وأبطل ادعاءهم فقال تعالى: ﴿بِجَزْمٍ بَدِئْتُهُمْ لَتَرْوِيَنَّ رَأْسَهُمْ ثُمَّ لَنَنْزِفَنَّ مِنْ أَلْفِ سَمَاءٍ مِمَّا يَعْظُمُونَ السَّمَاءَ كَمَا تَرْوِي السَّمَاءَ مِثْقَالَ عَرَقِ الْعَذَىٰ ذَرْوَاهُمْ فَأَسْرِفُوا فِي أَيَّامِ الْوَيْلِ﴾ [سورة النجم الآيات 19-23].

2- إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 22 .

قال: ذو الإبل الكثيرة؟ قال: نعم، قال: فما فعلت إبلك؟ قال: أذهبها النواذب وذعدعتها الحقوق، قال: ذلك خير سبلها. ثم قال: يا أبا الخطاب، من هذا الفتى؟ قال: ابني الفرزدق. وهو شاعر، قال: علمه القرآن، فإنه خير له من الشعر، فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه، وآلى ألا يحل قيده حتى يحفظ القرآن»¹.

إذًا، فبكل تأكيد فإن هذا النص الجميل المركز والقوي فكريا ونقديا، يعطينا الصورة الحقيقية عن تنشئة شخصية الفرزدق الشاعر، الذي يكون قد حفظ القرآن العظيم، أو قد حفظ منه ما تيسر له، وبكل تأكيد فإنه يكون قد فهم واستوعب وأدرك دلالات آيات الشعر والشعراء، وبالتالي فلا يوجد في فكر الفرزدق ما يعارض به فكرة القرآن العظيم في الشعر والشعراء، ولكن على ما يبدو أن الفرزدق أراد من خلال تعلقه بفكرة شياطين الشعر والشعراء التمرد على فكرة القرآن العظيم في الشعر والشعراء، وأن يكون من الشعراء الغاوين والهائمين في كل واد، لتكون لشاعريته طابع البداوة، والمرجعية الجاهلية لا التحضر.

أو لعل التابعين الشعراء ومنهم الفرزدق وجرير وأبا النجم العجلي، أرادوا لفكرة شياطين الشعر والشعراء الجاهليين التي بقيت آثارها راسخة في البادية؛ أن لا تموت في عقولهم وأفئدتهم، وأعطوها بعدا فنيا وجمالا ونقديا، وأرادوا لها أن تكون جزءا من ثقافتهم نحو الماضي العربي - أي العصر الجاهلي -، فتعلقوا بها، ورأوا أن يكون الجدل في هذه القضية النقدية دفع للإبداع، وإثارة للشاعرية، وسيولة للشعر، وتفاوت بين الشعراء في الإبداع في العصر الأموي، مما يوحى - كما قال أدونيس - : «بتأكيد الصلة الحية بين الماضي والحاضر»².

وقد يكون التزام التابعين الشعراء بهذه الثقافة النقدية ذات الرؤية العربية الجاهلية نتيجة للتعصب القبلي، الذي غاب عند الصحابة الشعراء في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، هو الذي دفع الفرزدق إلى التميز «بقوة في الطبع وخشونة في السلوك الاجتماعي واعتدادا بالحرية الفردية، وتمرد على السلطان وحرص على تقاليد البادية، وتشبث بمثلها الجاهلية، واستهتار بالقيم الخلقية والدينية التي أرسى دعائمها

1- المرزباني: معجم الشعراء، ص 538.

2- أدونيس: الشعرية العربية، ص 9.

الإسلام»¹.

كما أن هذا التمييز عند الفرزدق والشعراء «أخذ... صورة جاهلية شاعت في كثير من بيئات الخلافة الأموية في ظلال الحس الإحيائي العام الذي مثل لغة الحياة الأموية»².

وبهذا الموقف النقدي لمفهوم الشعر لدى التابعين النقاد والشعراء، أخذ مفهوم الشعر في عصر التابعين يعبر عن نظرة اجتماعية وفنية نقدية واعتقادية، وقد كان لظهور النزعة القبيلية وتعلق الشعراء بفكرة شياطين الشعر والشعراء والتمرد على السلطان دور أساسي في تغيير وظيفة الشعر، وبالتالي تلون مفهومه، فمال الشعراء في بداية الصراع السياسي إلى هجاء بني أمية، الذين أخذوا الحكم عنوة ودهاء، وبعد معارضة قوية وصراع سياسي مرير، وحروب دامية بين الأحزاب السياسية وبني أمية وشعرائهم، انتهى الأمر إلى ميل الشعراء بفنهم إلى رغبة مادية، فقصدوا القصر الأموي، بعد أن غيروا مفهوم الشعر ووظيفته، وتعلقوا بفكرة شياطين الشعر والشعراء، فمدحوا خلفاء بني أمية، وقد زادت أموال بني أمية إثارة للعصبية القبيلية في الشعراء والعرب، هذه العصبية التي غابت في عصر الرسول ﷺ، والخلفاء الراشدين، فمال الشعراء بالشعر إلى صوته الجاهلية، فتبادل الشعراء الهجاء، فهجا بعضهم بعضاً، مما أدى بهم إلى إحياء فن النقائص، ومدحوا بني أمية وتغيرت بذلك وظيفة الشعر من خدمة الدين الإسلامي ودولته في عهد الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين، إلى خدمة أغراض أحزاب سياسية تتصارع من أجل انتزاع الحكم والانفراد بالسلطة في العصر الأموي، وبذلك انتقل الشعراء بفنهم إلى تغيير مفهوم الشعر ومواضيع أغراضه، وتحديد مظاهر مجتمعهم الجديد، الذي يعبر بكل المقاييس عن حياتهم الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية الفنية والنقدية؛ في ظل حياة عصر جديد خضع في نهاية الأمر لسلطان بني أمية، الذين تعاونوا مع شياطين الشعر والشعراء على توجيه الشعر والشعراء حسب رأي الفرزدق وجرير وأبا النجم العلي، كيفما أرادوا وإلى أين أرادوا، وقالوا الشعر على ألسنتهم، ولولا أسبقية العصر الجاهلي في ظهور الشعر والشعراء لقلنا: إن الفضل في ذلك يعود للعصر الأموي نظراً للقبضة السياسية الأموية في توجيه الشعر والشعراء.

1- يوسف خليف : في الشعر الأموي دراسة في البيئات ، ص 76

2- مي يوسف خليف : أبعاد الالتزام في القصيدة الأموية ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، 1998م ، ص 15 .

ثالثا : موقف التابعين من الشعر والشعراء

موقف التابعين من الشعر والشعراء

بعدما بينت موقف الصحابة الإيجابي من الشعر والشعراء، فإن الحديث عن موقف التابعين من الشعر والشعراء، هو حديث عن حلقة أساسية من موقف الإسلام من الشعر والشعراء، المتمثل في موقف الصحابة- رضي الله عنهم- ، وموقف الرسول ﷺ، وموقف القرآن العظيم، وذلك لأن جيل التابعين يعد امتدادا طبيعيا لجيل الصحابة، الذين عاش التابعون في كنفهم وتأثروا بهم دينيا وفكريا وأديبا. وعند تتبعنا للأثر الأدبي " الشعري" و " النقدي" للتابعين من خلال مصادر ومراجع الشعر ونقده، وجدت أن للتابعين موقف إيجابي من الشعر والشعراء، وأثر كبير في الإبداع الشعري ونقده، ودور فعال في تطور الحركة الفكرية والأدبية والنقدية في عصرهم .

وعلى هذا الأساس فمن هم التابعون الذين يمكن أن يعتد بمواقفهم من الشعر والشعراء ؟ .

وما هي مواقف التابعين الأدبية والفكرية والسياسية من الشعر والشعراء؟.

إن التابعين الذين يمكن أن يعتد بمواقفهم من الشعر والشعراء هم الجيل الذي عاش مع الصحابة، وأخذ عنهم علوم عصرهم، وعاش معهم كل الأحداث السياسية والوقائع التي أحدثها الإسلام في مكة والمدينة وما بينهما، وفي البلاد المفتوحة، وسجلوا هذه الأحداث والوقائع وتطوراتها في أشعارهم . وهؤلاء التابعين الذين كان لهم دور أساسي وأثر في أحداث عصرهم، وسجلوا مواقفهم الأدبية من تلك الأحداث في شعرهم، هم: التابعون الخلفاء والعلماء الفقهاء والنقاد والنحاة والشعراء ، لأن اهتمام التابعين بالشعر أمر طبيعي وواضح لا جدال فيه ، لأنهم عاشوا في كنف الصحابة، ورأوا اهتمامهم بلغة العرب نظمها ونشرها، في حلقات دروسهم ومواعظهم، ورأوا كيف كان الصحابي ابن عباس يوظف الشعر العربي في بيان دلالة ألفاظ القرآن العظيم وتفسيره، ليبلغ معانيه إلى المسلمين، ونقل جلة الصحابة إلى التابعين اهتمام الرسول ﷺ، بالشعر، باعتباره فنا عربيا استعان به من خلال شعرائه في نشر الدعوة وخدمة الإسلام، وكيف كان يستمع إلى الشعراء ويجازيهم .

كما عايش التابعون ورأوا المواقف الإيجابية للصحابة الخلفاء من الشعر والشعراء، كما رأوا كذلك

مواقفهم السلبية من الشعر والشعراء المداحين والهجائيين أمثال: الخطيئة والنجاشي وغيرهما .

كل هذا دفع بجيل التابعين إلى أن ينظروا إلى الشعر بنفس منظار الصحابة، فحافظوا على

استمراريته باعتباره فنا عربيا، فسجلوا فيه أحداث وقضايا عصرهم، مدحا وفخرا وهجاء وغزلا ورتاء، وقد

ذكر عدد من النقاد القدماء الموقف الإيجابي للتابعين من الشعر والشعراء، الذين أخذوا بمذهب الصحابة تجاه الشعر، فدل على هذا قول ابن رشيقي لمسييلي: « وقد قال الشعر كثير من الخلفاء الراشدين والجللة من الصحابة والتابعين والفقهاء المشهورين »¹.

وقد أكد هذا الموقف ابن الأحمر فقال: « ومن الدليل أيضا على ذلك أن الخلفاء الراشدين الأربعة، وهم: أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين وعلي أبو السبطين - عليهم السلام - ، قالوا الشعر، وقاله أيضا جملة من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم والصلاح »²، ومعنى هذا أن التابعين والفقهاء وأهل العلم والصلاح قالوا الشعر وفق منهج الصحابة .

دور الساسة الأمويين في ظهور موقف التابعين من الشعر والشعراء وأثرهم في عصرهم :

في هذا الأمر يمكننا أن نتساءل، كيف ظهر موقف التابعين من الشعر والشعراء؟ وما هي الظروف والأسباب التي أدت إلى تميز التابعين في موقفهم الأدبي والفكري؟ .

فما لا جدال فيه، فقد ظل الصحابة مسخرين كل جهودهم في نشر الإسلام وتعاليمه، وتبليغ القرآن العظيم وحديث الرسول ﷺ، ودرس التفسير والفقه وتكوين جيل التابعين ومدارسه أينما حلوا، عن طريق الفتوحات سواء في عهد أبي بكر أو في عهد عمر أو في عهد عثمان بن عفان، وكان التابعون يقتدون بالصحابة « في مدحهم للنبي ﷺ، وفي الأخذ بطريقتهم في ذلك، لأن سائر الناس إنما تبع لهم في الشعر، وفي التعلق بالرسول ﷺ، والذود عنه، فهم أرباب الفصاحة والإيمان معا »³. وبقي الأمر مستقرا على هذا المنهج إلى أن حل بالمسلمين فتنة مقتل عثمان (ت35هـ 656م) الخليفة الراشدي الثالث (23هـ 644م)، وفي تلك الظروف العصيبة بويع الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب، وكانت الفتنة قد تمكنت من الصحابة، وقد أدى ذلك إلى انقسام المسلمون فيها إزاء علي بن أبي طالب أثناء بيعته إلى ثلاثة أقسام، وفي ظل هذا الانقسام وقعت المواجهة بين الصحابة، وانشغلوا بأمر لم يكن في حساباتهم، ووجدوا أنفسهم بين المطالبين بالقصاص من قتلة الخليفة عثمان، وبين من هو راغب في الاستيلاء على السلطة

1- ابن رشيقي: العمدة، ج1، ص27.

2- ابن الأحمر: نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان، ص42.

3- محمد الحافظ الروسي: شعر الصحابة من خلال كتاب "منح المدح لابن سيد الناس" دراسة في النسبة والتوثيق، في بحوث الندوة العلمية الدولية التي نظمتها مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء بمدينة طنجة، يومي الأربعاء والخميس (25-26 صفر 1431هـ) (10-11 فبراير 2010م)، إدارة: مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، سلسلة: ندوات ومحاضرات (3)، مج1، ص257.

لاسترجاع مجد ضاع، وهو ما يعطي صورة واضحة عن ظهور بذور المعارضة السياسية إلى العلن، وبروز الخلافات التي سوف ينجم عنها الانشقاق السياسي والتمرد على الخليفة، وفي ذروة هذا الخلاف السياسي بين الصحابة ظهر موقف الشعراء من هذه الأحداث، بين المطالبين بدم الخليفة عثمان متهمين الخليفة علي بالتخاذل والسكوت عن قتل عثمان، وبين المدافعين عن علي والهاشميين مبرئين موقفه من دم عثمان، الأمر الذي أدى إلى أول المواجهة القتالية بين المسلمين، في موقعة الجمل بالبصرة سنة (36هـ 656م)، التي قتل فيها الصحابييان طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وهما بجانب زوج النبي ﷺ عائشة، وانتصر فيها الخليفة علي بن أبي طالب، واستمر الصراع في العراق، واستمر النزاع بين المسلمين على السلطة .

وفي موقف مفصلي لعبت السياسة في تحولاتها الكبرى دورا كبيرا في تكوين جيل التابعين سياسيا، وذلك بعد انتقال الخليفة علي بن أبي طالب من المدينة إلى الكوفة واتخاذها حاضرة لخلافته، بعد خروجه إلى البصرة في (36هـ)، « حيث ذهب إلى حرب الخارجين عليه»¹. في معركة الجمل، ثم معركة صفين (37هـ 657م) ضد معاوية (ت 60هـ 680م)، الذي أعلن مواجهة الخليفة والخروج على طاعته، وقد تركت معركتي: الجمل وصفين، أثرا شعريا قويا، يعكس مدى عمق انقسام المسلمين وتشكل الصراع السياسي، والمواجهة الحربية بين العراق والشام؛ حيث « ظل معاوية بالشام الذي كان يتولى إمارتها منذ أيام عثمان، واتخذ دمشق قاعدة له يدير منها حربه ضد علي»².

وبعد صراع حربي وسياسي مريرين بين الخليفة علي ومعاوية، وبعد حيلة سياسة التحكيم التي أدارها عمرو بن العاص (ت 43هـ 664م) ممثل معاوية ضد أبي موسى الأشعري (ت 44هـ 665م) ممثل الخليفة علي بن أبي طالب بعد صفين، استمر الصراع إلى أن قتل الخليفة علي بن أبي طالب في سنة (40هـ 661م)، ثم استمر الصراع بين الخليفة الحسن* بن علي (3-51هـ 624-671م) ومعاوية، إلى

1- شوقي ضيف: العصر الإسلامي، ص 154 .

2- يوسف خليف: في الشعر الأموي دراسة في البيئات، ص 87 .

* توفي الحسن π بالمدينة مسموما، سمته زوجته جَعْدَةَ بنت الأشعث بن قيس، دس إليها يزيد بن معاوية أن تسمه فيتزوجها، فلما مات الحسن بعث إلى يزيد تسألته الوفاء بما وعدها، فقال لها: لم نرضك للحسن أفترضك لنفسنا؟... وجهد به أخوه أن يخبره بمن سقاه فلم يخبره، وقال: الله أشد نقمة إن كان الذي أظن، وإلا فلا يقتل بي والله بريء». .

- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 162 .

أن تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية لحقن دماء المسلمين، « وأرسل إلى معاوية يطلب الصلح، فقدم عليه بالمداخن عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة، من قبل معاوية وصالحاه على ما أورد ¹ .

وقد أدى هذا الموقف إلى ردود أفعال قوية من خلال اهتمام التابعين بالشعر، ودخولهم المعترك السياسي، مما أدى إلى « ظهور الأحزاب السياسية المعارضة للحكم الأموي، وبخاصة في الحجاز والعراق، وفي مقدمة هذه الأحزاب الشيعة والخوارج والزيريون، وأما الشام فقد كان أقل الأقطار الإسلامية اضطراباً وأكثرها تأييداً للأمويين، بفضل السياسة الأموية التي انتهجها معاوية في استمالة هذا القطر منذ ولايته زمن الراشدين، ولقد كانت الشام منطلق السياسة الأموية ومعقل حريهم ومركز دولتهم ² . وانضوى تحت هذه الأحزاب شعراء شباب يمثلون الجيل الثاني للتابعين، وهم الذين عاشوا وعاصروا أغلب الصحابة، ومنهم الشعراء أبناء الصحابة، فـ« كان لكل حزب شعراؤه الذين يعبرون عن أهدافه ومفهومه للحكم وحقه فيه، ويهاجمون خصومه ويشككون في حقهم ويحطون من شأنهم ويرموهم بالمروق عن الدين ³ » .

وظهرت الأحزاب المناهضة للأمويين، معلنة مبادئها السياسية ونظرتها لشؤون حكم المسلمين، « وكان أول هذه الأحزاب ظهوراً على مسرح الحياة السياسية حزب الشيعة * المناصر لعلي بن أبي طالب، وهو حزب ظهر في أعقاب مصرع عثمان، بل ربما من قبل مصرعه في أثناء الفتنة التي ثارت حوله . وتدور النظرية السياسية لهذا الحزب حول أحقية أبناء علي بالخلافة . فالخلافة الإسلامية من حقهم وحدهم لأنهم ورثة البيت النبوي ⁴ . ومن أشهر شعراء حزب الشيعة الكميّ بن زيد الأسدي (680-

1- محمد إبراهيم جمعة : جريز ، ص 6 .

2- الفرزدق : الديوان ، مقدمة المحقق ، ص 11 .

3- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 272 .

* الشيعة هم المتمسكون بنظرية الوراثة، وأصحابها بنو هاشم ومؤيديهم الذين يؤمن بحقهم الصريح في الخلافة، لأنهم من آل بيت النبي، وليس أحد أولى منهم، بزعامة المسلمين بعده . ومن أشهر فرق الشيعة : " الكيسائية "، وهي من غلاة الشيعة، و" الزيدية "، وهي من فرقها المعتدلة، وأعظم شعراء " الزيدية "، الكميّ بن زيد الأسدي صاحب " الهاشميات "، وهي مجموعة قصائد في الذود عن مبادئ هذه العقيدة. والشعراء المادحون آل البيت في هذا العصر كثيرون، منهم: الفرزدق، وأبو الأسود الدؤلي، وابن مفرغ الحميري . ومن فرق الشيعة الكثيرة الموجودة اليوم: الإثنا عشرية، والإسماعيلية، والنصرية .

- الفرزدق: الديوان، مقدمة المحقق، ص 13 .

- وينظر : محمد التوبجي: المعجم المفصل في الأدب، ج 2، ص 578 .

4- يوسف خليف : في الشعر الأموي دراسة في البيئات، ص 56 .

744م) صاحب " الهاشميات " . ولم يلبث الصراع السياسي طويلا حتى أعلن الخوارج مبادئهم السياسية التي « أظهرت حزب الخوارج * الذي تمرد في أول الأمر على علي بن أبي طالب في أعقاب حادثة التحكيم . ثم وجه تمرده بعد ذلك ضد الأمويين حين رأى الأمر يفلت من علي وبنيه ويستقر في بني أمية . وهو حزب تقوم نظريته السياسية على أساس أن الخلافة حق للمسلمين جميعا لا فرق بين عربي وعجمي . ولا بين حر وعبد . فامسلمون جميعا سواء . ومن حق أي مسلم أن يتولى خلافة المسلمين مادام كفتا لها . والأمر بين المسلمين شوري يختارون من بينهم من يروونه كفتا لها »¹ . وكان من أبرز شعراء الخوارج: عمران بن حطان(ت نحو 703م) والظرماع بن حكيم الطائي(ت نحو 723م).

وكان معاوية بن أبي سفيان يدرك كل هذه المواقف السياسية الحزبية المعارضة، التي كانت تواجهه بقوة، بما في ذلك مواقف الشعراء التي كانت تعكس موقفهم التهكمي والتحدي لمعاوية وللأمويين، فكان كل شاعر إذا تعرض لهجاء معاوية إلا وبدأ هجاءه بأبي سفيان(ت31هـ 652م) صخر بن حرب ابن أمية، الذي تزعم قريشا وعارض الرسول ﷺ، ووقف في وجه الدعوة، وتأخر إسلامه إلى عام الفتح، كما كانت الشعراء تتعرض بالهجاء إلى هند بنت عتبة(ت14م 635م) أم معاوية، ويهجون معاوية بالهجاء الذي يُذكره بالتاريخ المؤلم لأبويه، وكان عبد الرحمن بن حسان بن ثابت يتغزل برملة ابنة معاوية، وهجا عبد الرحمن بن الحكم ففضحه²، فهذا الهجاء السياسي وهذا الغزل السياسي، يسلب من معاوية (ت60هـ) وابنه يزيد (25-64هـ 645-683م) كل معاني الفخر والاعتداد بالنفس والمرجعية التاريخية في السابق للانسلاخ من الجاهلية، والمؤازرة للإسلام .

وعلى هذا الأساس كان الحزبان القويان الشيعة والخوارج ، كفيلا أن يدعموا المعارضة في المدينة

*«الخوارج أول فرقة إسلامية أعلنت انشقاقها بعد معركة صفين التي جرت بين علي ومعاوية ، فقد خرجت فئة من رجال علي على لقبوله التحكيم، ورفعوا شعار " لا حكم إلا لله " فتجمع حولهم رجال من البادية وبعض القبائل كبنو تميم . فحاربهم علي وكسر شوكتهم ، لكنهم استطاعوا أن يتفرقوا ويزدادوا عنفا . وقاوموا الدولة الأموية ، وتحصنوا بمواقع محصنة في الجزيرة والعراق . ثم إنهم تفرقوا شيئا أهمها : الميكنوية ، والأزارقة والنجدات ، والصفرية ، والإباضية ، واشتهروا بالتشدد في العبادة ، كفروا من يعارضهم ، أو من لم يحارب معهم و لو كان منهم ، وجوزوا التقية في القول والعمل ، وأوجبوا الدفاع عن عقيدتهم حتى الموت في سبيلها... وبرز منهم شعراء شجعان عبروا عن أفكارهم...ولذلك أطلق لفظ" الخوارج " على كل أديب أو فنان لا يجب التقيد بالأساليب المعروفة المتداولة . ومن شعرائهم عمران بن حطان ، والظمام .»

- محمد التونجي : المعجم المفصل في الأدب ، ج1، ص ص 417 - 418 .

1- يوسف خليف : في الشعر الأموي دراسة في البيئات ، ص 56 .

2- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج5 ، ص ص 321 - 322 - 323 .

التي لم تكن في شكل حزب، وإنما كان لها موقف رفض للحكم الأموي باسم صحابة المدينة أنصارا ومهاجرين، وكان « أهل مكة والحجاز جميعا أخذوا ينقمون على الأمويين نقلهم عاصمة الدولة الإسلامية إلى دمشق في الشام، حتى إذا ولي الأمر يزيد بن معاوية رأينا المدينة تثور عليه »¹.

واستمرت الحياة السياسية لمعاوية على هذا المنوال إلى سنة (56هـ) لما دعا معاوية الناس إلى بيعه ابنه يزيد، الذي سيكون أول خليفة أموي سفياني تابعي، فدعا بايع الناس ليزيد بن معاوية غير الحسن بن علي وابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عباس².

وهذا ما يؤكد بأن كثيرا من الصحابة وأبناء الصحابة ظلوا معارضين لمعاوية مدة حكمه، و« امتعضوا؛ حيث رأوا معاوية يأخذ بنظام الحكم السياسي فيجعل الخلافة وراثية في بيته، وأنكروا عليه أن يعهد إلى ابنه يزيد بالخلافة من بعده »³.

وبقيت المعارضة السياسية قوية شديدة، قائمة ضد بني أمية ومعاوية، لأنه « أخذ البيعة لابنه يزيد بالإغراء والوعيد، ونقل عاصمته الإسلامية من المدينة إلى دمشق، وكان هذا التطور في الوضع السياسي سببا في إثارة روح الجاهلية من جديد، وعودة العصبية القديمة بين أحياء العرب ولاسيما القيسية واليمينية »⁴، وبازدياد شدة الصراع العربي اشتد خوف معاوية من هذه المعارضة على مصير الخلافة وابنه يزيد، لذا لما حضر الموت معاوية سنة (60هـ) أوصى ابنه يزيدا قائلا: «... وانظر أهل العراق، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل، فإن عزل عامل أحب إلي من أن تشهر عليك مائة ألف سيف... وإني لست أخاف من قريش إلا من ثلاثة: حسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير »⁵.

وبعد وفاة معاوية « وفي أثناء خلافة يزيد بن معاوية، وفي أعقاب مصرع الحسين بن علي، ظهر حزب الزبيريين الذي دعا إليه عبد الله بن الزبير بعد أن امتنع عن بيعه يزيد، وهو حزب ظهر في الحجاز، ولكن نشاطه امتد إلى العراق وإلى البصرة بالذات، التي اتخذ منها مركزا لنشاطه، وتقوم النظرية السياسية

1- شوقي ضيف: العصر الإسلامي، ص 189.

2- الطبري: تاريخ الطبري، ج 5، ص 303.

3- يوسف خليف: في الشعر الأموي دراسة في البيئات، ص 104.

4- الفرزدق: الديوان، مقدمة المحقق، ص 6.

5- الطبري: تاريخ الطبري، ج 5، ص 323.

لهذا الحزب على أساس أن الخلافة ليست من حق بني هاشم وحدهم كما ينادي الشيعة، ولا من حق جماعة المسلمين كلهم كما ينادي الخوارج، ولكنها من حق قريش بالذات، والأمر فيها شورى بين المسلمين يختارون لها من قريش من يرتضون خلافته¹. على أن هناك من يرى بأن حزب الزبيريين قد بدأ بالظهور قبل عهد معاوية²، وكان « من الشعراء الذين اتصلوا برجال هذا الحزب ابن قيس الرقيات [ت نحو 705م]، الذي التحق بمصعب بن الزبير وأكثر من مديحه، ونال من الأمويين بغزله السياسي الذي تعرض فيه لأم البنين زوج الوليد بن عبد الملك، على أن ابن قيس الرقيات لم يكشف في شعره عن ملامح بيئية في سياسة الحزب الزبيرى، ولم يكن داعية صريحاً لمعتقدهم السياسي³ ».

ولكن الموقف والصراع الأدبي الذي كان بين الشعراء، كان أساسه صراعا سياسيا، وكان ينطلق من ألسنة الشعراء في العواصم التي تركز فيها الصحابة في بادئ الأمر وكونوا فيها جيل التابعين، فكان الشعراء يوجهون موقفهم إلى الشام بدمشق العاصمة الأموية؛ حيث يوجد خلفاء بني أمية وشعراءهم . ولو نظرنا إلى بيئة الشام من الناحية الشاعرية قبل وأثناء نقل العاصمة الأموية إلى دمشق، لوجدناها لم تكن بيئة شاعرة بخلاف باقي البيئات: المدينة ومكة، والعراق بخاصة، وهذا أمر طبيعي، لأن قلة الحركة الشعرية في الشام تعود كما يقول شوقي ضيف: إلى « أن العرب الذين كانوا في الشام قديما، كان أكثرهم إن لم يكن كلهم من القحطانية، وكان لهذا تأثير على هذه البيئة من حيث شاعريتها، فإن من يستعرض نصوص العصر الأموي لا يكاد يجد للشام نشاط يذكر من حيث الشعر، وأكبر الظن أن هذا يرجع إلى أن السكان هناك كان أكثرهم يمنيين اصطنعوا العربية الشمالية اصطناعا، فلم تؤهلهم لقول الشعر ونظمه، ولذلك لا نجد لهم شعراء مشهورين في هذا العصر سوى عدي بن الرقاع العاملي. وفرق بعيد جدا بين نشاط الشعر في العراق ونشاطه في بيئة الشام، ففي العراق نستطيع أن نعد أسماء شعراء ممتازين بالعشرات، فصحف الشعر تتلى في كل مكان، أما في الشام فلا يكاد يظهر على المسرح شاعر ممتاز سوى عدي بن الرقاع، ومع ذلك فهو لا يعد شيئا بالقياس إلى فحول العراق من مثل: جرير والفرزدق والأخطل وذو الرمة والكميت وهلم جرا ... وأكثر ما كان يقال فيها من شعر كان يُقد عليها

1- يوسف خليف: في الشعر الأموي دراسة في البيئات، ص 57.

2- المرجع نفسه، ص 87.

3- الفرزدق: الديوان، مقدمة المحقق، ص 12.

من الخارج»¹.

لهذا سعى بنو أمية لتكوين حزب لمواجهة الأحزاب الأموية ودفع شبح المعارضة، لأن دولتهم « ظلت تعاني من الفتن والثورات الداخلية، التي أشعلتها الأحزاب المعارضة لها في أرجاء متفرقة منها: الشيعة والخوارج والزيريون، فرأت أنها في حاجة إلى دعاية ضخمة تحيط بها حكمها، وتؤيد بها سياستها وتشهرها في وجوه خصومها السياسيين الذين كانت لهم أيضا وسائلهم الإعلامية التي تروج لنظرياتهم السياسية المختلفة، ولم يكن أمامهم من وسيلة للدعاية مثل الشعر»².

وبالتالي فما كان إلا أن « وقف " شعراء الدولة لأُموية " في العصر الأموي - إلى جانب الجيوش المقاتلة - يدافعون عنها، ويؤكدون حقها السياسي أمام شعراء الأحزاب المعارضة، ونجح الأمويون في أن يؤلفوا حولهم حزبا سياسيا يدافع عن نظريتهم السياسية، ويؤكد حقهم في الخلافة أمام شعراء الأحزاب المعارضة، وهو ما يصح أن نطلق عليه الحزب الأموي»³.

وثمة عوامل سياسية سبقت الساسة الأمويون في تكوينهم لحزب سياسي، وساعدت على دفع المعارضة على الاستمرار في المواجهة، وهي: **أولاً:** دهاء معاوية في استمالة التابعين الشعراء إلى قصره، إذ « منذ أن اعتلى معاوية عرش الخلافة واتخذ من دمشق حاضرة الدولة الأموية الجديدة أصبحت دمشق منطقة جذب لكثير من الشعراء، الذين تراءت لهم فرصة ذهبية لتحقيق آمالهم في الشهرة والثراء، والتف الشعراء حول القصر»⁴، فتحقق بذلك لمعاوية ما أراد. **ثانياً:** تشجيع الساسة الأمويون لزرع المال في بطون شعراء المعارضة، ثم اتجهوا إلى تشجيع الشعر في أفئدة الشعراء وفي الاتجاه الذي خدم دولة بني أمية، فتنفونوا بذلك في إغداق الأموال والجوائز على الشعراء والمغنين، كما تفنن الشعراء والمغنين في الأوزان والقوافي. **ثالثاً:** إثارة العصبية القبلية بين البدو وزرعها بين الشعراء، فتميعت الجهود السياسية في لمّ شمل المعارضة وتوجيهها لمواجهة بني أمية. « وقد ساعدت سياسة معاوية على إحياء العصبية الجاهلية من مرقدها، لأنه كان يرى استقرار ملكه وثبات عرشه ثمرة من ثمرات الخلافات بين القبائل

1- شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص 47.

2- يوسف خليف: في الشعر الأموي دراسة في البيئات، ص 87.

3- المرجع نفسه، ص 88..

4- المرجع نفسه، ص 88.

العربية . وقد نجح في ذلك نجاحا ظاهرا، فكان أن عادت الخلافات بين القبائل العربية جزعة، وكان الشاعر والسياف عدتي هذه الخلافات ، والأداتين العاملتين فيها ¹. رابعا : كَفُّ بني أمية عن تشجيع العلم، والدور الذي كان يقوم به الصحابة من تدريس الفقه والتفسير والحديث ، فأغفل بنو أمية كل هذا لأنهم رأوا في استمرار تكوين العلماء والفقهاء هو تكوين منْ يثور عليهم ويُجرِّمهم في تغيير مجرى الخلافة ، فأغلق الأمويون هذا الباب، وأغدقوا الأموال على فتنة الشعر والشعراء، وكما قال أحمد أمين: « ولما كانت دمشق مركز الخلافة في عهد الدولة الأموية فكان طبيعيا أن يقصدها، العلماء من كل صقع، ولكن خلفاء بني أمية لم يشجعوا الحركة العلمية، إنما شجعوا الشعر والخطابة وفنون الأدب، فكانت الحركات العلمية الأخرى تنمو من نفسها، وأهم هذه الحركات العلمية الحركة الدينية ² .

ومن هنا نجد الساسة الأمويين وبخاصة معاوية، قد خلقوا لسياستهم ولخلفائهم من بعدهم هالة من الاطمئنان، عاشوا في ظلها برهة من الزمن، فكان بنو أمية حريصين كل الحرص على أن يقضوا للشعراء وللعلماء حوائجهم ويغدقون الأموال عليهم من أجل قصيدة مدح في معاوية أو بني أمية ، أو فتوى تحرم أو تجرم الحديث فيما مضى من عهد بني أمية .

وتحت ضربات سيف سياسة الدولة الأموية، وبحكمة ذكية فيها من المكر والخبث والدهاء، لما « توحس معاوية خيفة من أهل الحجاز...أغرق الحجاز في بحر من الذهب، حتى يصرف أهله عن التفكير في السياسة، ويحول بينهم وبين المشاركة فيها . وانحالت الأموال على أهل الحجاز وتدفقت العطايا ملء أيديهم ، ونجحت خطة معاوية ، وسال "بحر الذهب " في مدن الحجاز...حيث استقرت المعارضة وعلى شواطئ " بحر الذهب " الذي أجراه بنو أمية في مدن الحجاز عاش الحجازيون ينمون ثراءهم الطارف ، وثراءهم التليد الذي ورثوه عن آبائهم تجار العصر الجاهلي، الذين أتاح لهم وضع إقليمهم الجغرافي والديني أن يكونوا سادة المال في ذلك العصر ، والمتحكمين في أزمة التجارة ³ .

وهكذا استطاع معاوية أن يحدث شرخا كبيرا في الحياة السياسية الجديدة للصحابة والتابعين ، في

عهد بني أمية ، واستمر على مذهبه بعده ابنه يزيد وبعده الخلفاء المروانيين .

1- عبد الحكيم حسان : التصوف في الشعر العربي نشأته ونظوره حتى آخر القرن الثالث الهجري ، ص 145 .

2- يوسف خليف : في الشعر الأموي دراسة في البيئات ، ص 60 . 8.

3- أجد أمين : فخر الإسلام ، ص 189 .

وفي ظل الصراع الأدبي والفكري والسياسي بين شعراء الأحزاب، تغيرت الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتغيرت أهواء وأطماع الشعراء والساسة الأمويون، وتغيرت نظرة التابعين الشباب للحياة والفن، ونهض الحجاز نهضة غيرت مجرى الإبداع الفني والحياة، « فنهض فن الغناء في الحجاز على يد الرقيق من الموالي - أمثال: معبد، وابن سريج، وسائب خاسر، وابن مسجح، وجميلة، وعزة الميلاد، وسلامة، وحبابة، وما أدخله هؤلاء من ألحان الروم والفرس، نتيجة ما أصاب أهل الحجاز من الغنى والثروة، وما نجم عن ذلك من ميل إلى حياة الدعة واللهو - يد في الاهتمام بالشعر الغنائي، وبخاصة ما تناول منه عواطف الحب، ومعاني الغزل . وكاد شعراء الحجاز من أمثال عبد الرحمن بن حسان، والأحوص، وعمر بن أبي ربيعة ، والعرجي يقصرون منظومهم على هذا الوزن »¹.

والذي زاد في إغراق الشعراء في العراق في هذا المجرى الشعري والنهوض به، « اهتمام الرواة والنقاد به، فأقبل الشعراء على قرائحهم يشحذونها ليكسبوا شعرهم الرواج فاشتدت روح المنافسة بينهم، وقد مثلت سوق " المرید " في البصرة ، و " الكناسة " في الكوفة ، دوراً مهمّاً في هذه المنافسة بين الشعراء وأذكت وطيس التسابق بينهم »².

وفي خلافة يزيد بن معاوية وابن ميسون الخليفة الأموي الثاني (25 - 64 هـ 645 - 683م) والخليفة التابعي الأول (60 هـ 680م) ، كان الصراع والمكر والدهاء السياسي قد وصل في خلافاته ذروته ، وفي عهده قتل الحسين بن علي في (61 هـ 680م) بكريلاء³ ، « وفي سنة ثلاث وستين بلغه أن أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه فأرسل إليهم جيشاً كثيفاً وأمرهم بقتالهم، ثم المسير إلى مكة لقتال ابن الزبير، فجاؤوا وكانت وقعة الحرة* على باب طيبة... قتل فيها خلق من الصحابة ٧٧، ونهبت المدينة، وافترض فيها ألف عذراء »⁴. « ولما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل - مع شربه الخمر وإتيانه المنكرات -

1- الفرزدق : الديوان ، مقدمة المحقق : ص 17- 18 .

2- المصدر نفسه ، مقدمة المحقق : ص 18 .

3- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 162 .

* « عدد المقتولين بالحرة من قريش والأنصار ثلاثمائة وستة من الرجال » .

- المصدر نفسه ، ص 165 .

4- المصدر نفسه ، ص 164 .

اشتد عليه الناس، وخرج عليه غير واحد»¹، وكان قد قرَّب إليه الشاعر الأخطل (ت710م) فحرضه على هجاء الأنصار، وأكثر من مدحه، ولازمه، فكانت مدة خلافته قصيرة لاهية عابثة .

إذاً ، فهذه صورة ناطقة عن الصراع السياسي في عهد الخلفاء الأمويين السفينيين، الذين أخذوا سلطة الخلافة الراشدية بالقوة والمكر والدهاء، وانحرفوا بها إلى الحكم الملكي، وغيروا مجرى الشعر الذي رسمه له الرسول ﷺ، وفرضه الصحابة بقوة الجهاد والنضال السياسي والحرب البيانية المستميتة ضد قريش، وحددوا مفهومه وجعلوا وظيفته في خدمة الدين والدولة، وانتهت مدة خلافة السفينيين بالعنف والقهر والقتل والاعتصاب ونهب الثروات، وتوجيه حركة الشعر ونقده، وجعلوا الشعر والشعراء في خدمة ملكهم وسياستهم التي فرضها معاوية بالقوة والقهر والترغيب والترهيب وسيولة المال .

ويبدو أن كثيرا من الشعر الذي خدم السياسة الأموية، قد « ضاع لأمرين: أحدهما: ضياع بعض مصادره المهمة، وثانيهما: إعراض علماء اللغة ورواة الأشعار من أهل العراق عن الاحتجاج به »².

وكان الصراع السياسي بين الشعراء وخلفاء بني أمية يتجدد باستمرار كلما انتقل الحكم من خليفة إلى آخر، ومعلوم أن الشعر والنقد تطورا وانتعشا بانتقال الحكم إلى بني مروان، وكما هو « معروف أن الدولة الأموية عرفت مرحلتين للتأسيس: الأولى: مع معاوية بن أبي سفيان، والثانية: مع عبد الملك بن مروان، إن شئت فقل: مرحلة بني أمية ومرحلة بني مروان، على أن مرحلة بني مروان يمكن تقسيمها إلى الفترة الممتدة ما بين مرج راهط* حين تولى الخلافة مروان بن الحكم**، وعام الجماعة (73هـ) حين خلا الجو لعبد الملك بن مروان بقتل عبد الله بن الزبير، ثم الفترة التي تلي عام الجماعة والتي تمتد حتى

1- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 164 .

2- محمد أمين المؤدب: الإتياع والابتداع في الشعر الأموي القصيدة المادحة أمودجا، ط1، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، في سلسلة الأطاريح الجامعية (3)، 1432هـ 2002م، ص ص 30-31 .

* « موقع في سوريا شمالي دمشق انتصر فيه مروان بن الحكم على القيسيين 684م » .

- المنجد في اللغة والأعلام ط28، بيروت ن لبنان، دار المشرق، 196م، ص 528 .

** « مروان بن الحكم (2-65هـ 623-685م) الخليفة الأموي الرابع (64هـ 683م) به انتقلت الخلافة من السفينيين إلى المروانيين . دافع عن

عثمان واشترك في معركة الحمل . انتصر على القيسيين أنصار ابن الزبير في معركة مرج راهط شمالي دمشق، واستولى على مصر . ضبط المقاييس

والموازين مات بالطاعون في دمشق » .

- المرجع نفسه، ص 530 .

نُهاية الدولة الأموية»¹.

ولما انتقل حكم الخلافة إلى الأمويين المروانيين، وفي عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الخامس (26-86هـ / 646-705م) والخليفة التابعي الثالث (65هـ / 685م) بعد الخليفة معاوية* بن يزيد، حيث يعد عبد الملك بن مروان أكثر خلفاء بني أمية اهتماما بالشعر والشعراء، فنشط الشعر والنقد على السواء في مجلسه، وبانتقال الخلافة إليه كانت مدرسة التابعين الشعرية قد نضجت واكتملت وأخذت مسارها المميز، وفي عهده استمر جليا الموقف الإيجابي من الشعر والشعراء للسلطة الأموية خلفاء وأمراء وقادة، وذلك لما أبانوا عن رغبتهم في تقريب الشعراء إليهم أكثر فأكثر، فظهر البعد الاستراتيجي لهذا الموقف في خدمة دولة بني أمية؛ حيث «رحل الشعراء إليهم، وتزاحموا على قصور ولأتمهم وأشادوا بهم ومدحهم كي ينالوا عطاياهم ويحظوا بجوائزهم، فكان لبني أمية في كل بيت شعراء يتنافسون في الإشادة بهم وحسبنا أن نذكر منهم الأخطل الذي عرف بأنه شاعر بني أمية، فقد اصطفاه يزيد بن معاوية طوال خلافته، ثم قربه عبد الملك ابن مروان...ومن شعراء بني أمية بالأمصار المختلفة: أعشى بني تغلب بالجزيرة، وعدي بن الرقاع العاملي بالشام، وجريز والفرزدق بالبصرة، وعبد الله الأسدي بالكوفة والأحوص بالمدينة»².

وفي عهد الخلفاء المروانيين، ابتداء من عهد عبد الملك بن مروان، اتخذ الشعراء منحى آخر بالشعر لما قرَّهم الخلفاء إليهم، فزادت «الحركة الشعرية شيوعا بارزا، في ضوء الثراء الفاحش والأخذ بأسباب الحضارة»³. فكان الخليفة عبد الملك بن مروان يقرب إليه الشعراء، ويعقد مجالس للشعر ونقده، ونفس المنحى نحاه الخلفاء بعده: سليمان بن عبد الملك (ت 99هـ / 717م)، وعمر بن عبد العزيز (ت 101هـ

1- محمد أمين المؤدب: الإتياع والابتداع في الشعر الأموي القصيدة المادحة أمودجا، ص 28.

* «معاوية بن يزيد بن معاوية، أبو عبد الرحمن - يقال له: أبو يزيد، ويقال أبو ليلى - استخلف بعهد من أبيه في ربيع الأول سنة أربع وستين، وكان شابا صالحا، ولما استخلف كان مريضا، فاستمر مريضا إلى أن مات، ولم يخرج إلى الباب، ولا فعل شيئا من الأمور، ولا صلى بالناس، وكانت خلافته أربعين يوما، وقيل: شهرين، وقيل: ثلاثة أشهر، ومات إحدى وعشرون سنة، وقيل: عشرون سنة، ولما احتضر قيل له: ألا تستخلف؟ قال: ما أصبت من حلاوتها فليتم أمرها».

- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 166.

2- أحلام محمد سيد إسماعيل: الأدب العربي في العصر الأموي، د. م. د. ن، 1419هـ / 1998م، ص 21-22.

3- حسن البنداري: الشعر العربي في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 79.

720م)، ويزيد بن عبد الملك (ت105هـ)، وهشام بن عبد الملك (ت125هـ 743م)، فهؤلاء الخلفاء مدحهم الشعراء فأغدقوا الأموال عليهم بين مكثر ومقل، وقد كان للشعر والشعراء دور كبير في خدمتهم، وبسط نفوذهم على الملك والرعية . وإن كنا كما قال وليد محمود خالص: « نستثني من ذلك بقوة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ؓ ، الذي أبي أن يعطي الشعراء شيئاً من بيت المال، واكتفى بمنحهم قليلاً من ماله الخاص، ولم يكن يرى في الشعراء أهمية تذكر، فضرب بذلك مثلاً فريداً في علاقة الشعراء بالخلفاء قل نظيره »¹.

لكن هذا التقارب والعلاقة الوطيدة بين الشعراء والخلفاء الأمويين المروانيين من الوجهة السياسية، يعكس أهواء الشعراء، لـ « أن الشعراء الذين يمثلون هذا الحزب الأموي سايروا الملوك بهذا الأسلوب نفسه، فكانوا على العموم نفعيين يمدحونهم طمعاً في العطاء، أو خوفاً من العقاب، وقلما نجد من يمدحهم على أصل مذهبي »². مثل الفرزدق الذي يمكن أن نستثنيه بقوة لأنه « لم يكن من أنصار الأمويين على الرغم من مديحه عدداً من ملوكهم وولاةهم، ولولا أنهم أصحاب جولة، ولولا طمعه بجوائزهم لما وجد نفسه مفتقراً إلى كسب عطفهم »³. وفي شعر الفرزدق ما يبين تمرده وسخطه على الأمويين، وهو ما يكشف بأنه أقل من جرير والأخطل حبا وولاء للبيت الأموي .

وفي ظل الصراع السياسي الحميم بالدهاء والفتن، والعودة إلى العصبية القبلية في العصر الأموي، نشأت وتكونت مدرسة التابعين الشعرية والنقدية، التي ظهرت بذورها في عهد معاوية بن أبي سفيان، وانتشرت بالتوازي مع ظهور وانتشار مدرسة التابعين الفقهية، التي كانت مترامية الأطراف، بعد أن كانت مدرسة التابعين محصورة في موطنها الأصلي بالمدينة، وازداد نشاط الشعراء التابعين في عهد عبد الملك ابن مروان، ونظراً لاستمرار « الحروب الداخلية الطويلة التي استمرت هناك طوال عصر بني أموية »⁴، أخذ التابعون الشعراء يشكلون قوة أدبية، واتخذوا لهم مواطن وبيئات متعددة ومتنوعة، وظهر في كل مدينة أو بيئة شعراء مثلوا نزعتهم السياسية واتجاههم الشعري في عصرهم، وفي عهد عبد الملك بن مروان يكون قد خلا له الجو بقتل عبد الله بن الزبير (1-73 هـ 622-692م)، وكما قال السيوطي:

1- وليد محمود خالص : النقد الأدبي في كتاب الأغاني ، ط1 ، عمان ، الأردن ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، 2000م ، ج1 ، ص 33.

2- أحلام محمد سيد إسماعيل : الأدب العربي في العصر الأموي ، ص 7 .

3- الفرزدق : الديوان ، مقدمة المحقق : ص 23 .

4- شوقي ضيف : التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص 59 .

« والأصح ما قاله الذهبي: إن مروان لا يعد في أمراء المؤمنين، بل هو باغ خارج على ابن الزبير، ولا عهد إلى ابنه بصحيح، وإنما صحت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير »¹.

وعلى هذا الأساس يكون بقتل ابن الزبير قد غاب وأقل كلية نجم عصر الصحابة، الذي كان يظل المسلمين بظلاله في قيادتهم للحركة الدينية والأدبية والسياسية والفكرية في العصر الإسلامي . وهكذا نجد أن مدرسة التابعين الشعرية الكبرى، قد أفرزت في كل بيئة من البيئات العربية مدرسة شعرية خاصة، وفرضت وجودها الفني والنقدي، فنجد في هذا المنحى « قد غلب على الشعر في المدينة شعر " الغزل والحب". وإن كانت المدينة قد شهدت بعضاً من شعر الهجاء الذي جرى بين عبد الرحمن ابن الحكم وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت . وقد انتهى هذا اللون من الشعر الهجائي في المدينة، بانتهاء أو موت الشعاعين، ولكن حظ المديح كان أوفر وأشيع؛ حيث اتجه بعض شعراء المدينة إلى مديح ملوك بني أمية من حين لآخر طمعا في مكافأتهم ولنيل عطاياهم ، كما نرى في شعر الأحوص ، وموسى شهوات ، وإسماعيل بن يسار. ولكنه لم لبث أن ضعف ، شأنه في الضعف شأن شعر الهجاء، لأن شعر الغزل غلب على أي غرض شعري آخر »².

أما مكة فقد ظهر فيها من الشعراء « عبيد الله بن قيس الرقيات، والعرجي في غرضي المدح والهجاء، وكان ثمة غزل صريح ولكنه لم يكن يصل إلى درجة الفحش، على نحو ما نجد في شعر عمر بن أبي ربيعة، الذي تأثر وغيره بمجالس الغناء والطرب التي كانت تقام في بعض ضواحي مكة ويديرها عدد من الموالى »³.

أما في نجد فقد شاع فيها شعر الغزل كثيرا من خلال ظهور شعرائه: عروة بن حزام، وقيس بن ذريح ، وجميل بن معمر، وقيس بن الملوح .

وقد ظهر شعر الفخر والهجاء والنقائض في العراق وشاع كثيرا ، وانتهى المطاف بهذه الفنون في العراق إلى فن المديح السياسي، الذي أصبح امتدادا في نهاية المطاف لإرادة الساسة الأمويين ورغبتهم. وأما الشام فبكل تأكيد -وفي خضم هذا التقارب الإيجابي بين موقف الساسة الأمويين من الشعراء،

1- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 167 .

2- حسن البنداري : الشعر العربي في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص 81 .

3- المرجع نفسه ، ص ص 81 - 82.

وموقف الشعراء من حكم بني أمية-، قد « نجح القصر في أن يخلق للمدح في بيئة الشام سوقا رائجة تتدفق فيها الأموال في حجور الشعراء، كما تتدفق القصائد في مسامع الخلفاء والأمراء ، ولمع من بينهم كبار شعراء العصر أو فحوله الثلاثة: الأخطل وجرير والفرزدق ، الذين احتكروا القصر لحسابهم سنين طويلة وبخاصة الأخطل وجرير »¹.

وبعد حروب دامية وسجال فني قوي بين الشام والمعارضة السياسية في العراق والحجاز، تم الانتصار للأمويين سياسيا وفنيا، فبسط الساسة الأمويون سلطتهم ونفوذهم، وفرضوا الاستقرار على الصعيدين السياسي والاجتماعي، وأدان جيل التابعين لخلفاء بن أمية، الذين أصبحوا في موقع قوة، مما جعل « الشعراء يتغنون بكل خصال الممدوح، خليفة كان أو واليا أو قائدا أو سيدا، وسيعنون بالقيم الدينية عناية خاصة لأنها السند الذي يكفل للخليفة وجوده وبقاءه، غير مبال بمن ظل يناوئه، من بقية الأحزاب الأخرى لاسيما الشيعة والخوارج »².

وعلى ألسنة الشعراء عاد غرض المدح إلى صورته الجاهلية، بعد أن احترف التابعون الشعراء شعر « التكسب ونيل الجوائز والهبات، ولكن من خلال مفهوم جديد تطورت إليه قصيدة المدح الأموية، في ظل الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تتحكم في المجتمع الجديد »³. وهكذا يبدو واضحا أن مدارس التابعين الشعرية بعدما كانت تمثل بيئات المعارضة التي نشأت فيها بحكم نزعتها ذات الطابع السياسي . منها: مدرسة مكة، ومدرسة المدينة، ومدرسة العراق، ومدرسة الشام، فقد باتت كل هذه المدارس تصب في وعاء واحد، وهو مدرسة التابعين الشعرية التي تمثل عصر التابعين أو بالمفهوم السياسي "العصر الأموي" .

وعلى هذا الأساس يتضح أن موقف التابعين خلفاء وفقهاء من الشعر والشعراء موقف إيجابي، فقد كانوا ينشدون الشعر ويتذوقونه ويتمثلون به وينقدونه . لأنهم سلكوا في موقفهم من الشعر والشعراء مذهب الصحابة أهل المدينة، ومكة .

وقد بين ابن رشيقي أساس هذا المذهب، فقال: « فقد كان جماعة من أصحاب مالك بن أنس

1- يوسف خليف : في الشعر الأموي دراسة في البيئات ، ص 88 .

2- محمد أمين المؤدب : الإتياع والابتداع في الشعر الأموي القصيدة المادحة أمودجا ، ص 31 .

3- يوسف خليف : في الشعر الأموي دراسة في البيئات ، ص 90 .

يرون الغناء بغير آلة جائز، وهو مذهب أهل المدينة ومكة، والغناء حلة الشعر إن لم يلبسها طويت ومحال أن يجرم الشعر من أحلّ الغناء»¹.

فكان هذا الموقف الإيجابي من الغناء والشعر، منطلق رؤية التابعين الفكرية والجمالية للشعر ونقده التي عمت عصر التابعين، وهي رؤية لا تتعارض مع علم التابعين وتفقههم، وورعهم، إذ نجد كثيرا من التابعين الفقهاء يفتي بجواز إنشاد الشعر وروايته، والتمثل به ونقده لبيان جمالياته. وهم بهذا الموقف ينظرون للشعر نظرة فنية .

وإن الباحث في أقوال التابعين وآثارهم الأدبية، شعرا ونقدا، يكشف عن موقفهم من الشعر والشعراء، ومن خلال مواقفهم الإيجابي، وقبلهم موقف الصحابة والسنة النبوية والقرآن العظيم، يتجلى لنا بوضوح موقف الإسلام من الشعر والشعراء .

وعلى هذا الأساس يمكن توضيح موقف التابعين من الشعر والشعراء بدءا بموقف الخلفاء الأمويين.

1- ابن رشييق : العمدة ، ج 1 ، ص ص 33- 34 .

1- موقف يزيد بن معاوية (ت64 هـ 683م) من الشعر والشعراء:

يعد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وابن ميسون بنت بجدل الكلبية، (25- 64هـ-645-683م) الخليفة الأموي الثاني بعد أبيه، والخليفة التابعي الأول (60هـ-680م)، شارك في تسيير أمر الدولة مع أبيه معاوية الذي كان يرغب في ذلك، وكانت له علاقة وطيدة مع الشعر والشعراء، وكان من دهائه السياسي أن دعا الشاعر الأخطل، ودفعه إلى هجاء الأنصار، وسعى إلى تقريبه إليه حتى خصه به، ومنذ ذلك الحين ارتبطت علاقة يزيد بالشعراء الذين سخرهم لخدمته، ودخل الأخطل في الصراع السياسي إلى جانب الساسة الأمويين مادحا لهم، مدافعا عنهم مؤكدا حقهم في الخلافة، وهذا ما يؤكد موقف يزيد الإيجابي من الشعر والشعراء، وهو موقف سياسي؛ حيث كان على علم وبينه من دور الشعر في خدمة سياسته، لأنه عاش مع أبيه معاوية تلك المجالس التي كان يحضرها الفقهاء والعلماء والشعراء، وسمع ما كان يدور من حديث الشعر في تلك المجالس، وما كان يصل إلى معاوية من هجاء ومدح، ولهذا لما تولى يزيد أمور الخلافة كانت له سياسته الخاصة في تسيير شؤون الدولة، فدفع بالمجالس الأدبية في دولته إلى الاستمرار. وكانت الخلافات السياسية مع المعارضة شديدة، وبلغ الصراع حدا كبيرا، وقد وصل المكر والدهاء السياسي في خلافاته ذروته.

لقد كان يزيد صورة لنمط سياسي عبثي، في ظل حكمه ف «عن هشام الكلبي عن أبيه وأبي مخنف وغيرهما قالوا: كان يزيد بن معاوية أول من أظهر شرب الشراب والاستهتار بالغناء والصيد، واتخاذ القيان والغلمان والتفكك بما يضحك منه المترفون من القروء والمعاقرة بالكلاب والديكة، ثم جرى على يده قتل الحسين، وقتل أهل الحرة، ورمى البيت وإحراقه، ومع هذا كان صحيح العُقْدَة فيما يرى، ماضي العزيمة لا يهيم بشيء إلا ركبته»¹.

وهذا يدل على جرأته في حياته العبثية، الأمر الذي جعله لم يغير في نمط حياته، حيث استمر في عبثه السياسي في تسيير شؤون الدولة الأموية في عهده.

1- البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص299.

موقف يزيد من الشعر:

لقد تبين أن موقف يزيد من الشعر والشعراء موقف إيجابي، وهو الذي وطن الشاعر الأخطل في القصر الأموي، وهو كباقي خلفاء بني أمية في اهتمامه بالشعر من حيث حفظه له وروايته، فثبت عنه أنه قال شعراً، وكان أكثره قد قاله في مجالس شراب وهو .

ومن المواقف التي قال فيها شعراً، ذلك لما وصله مرض أبيه معاوية، حيث روى المدائني عن إسحاق ابن أيوب عن خالد بن عجلان قال: « ثقل معاوية ويزيد بخوارين* فأتى الرسول بخبره ، فجاء وقد دفن معاوية ، فلم يدخل منزله حتى أتى قبره ، فترحم عليه ودعا له ثم انصرف إلى منزله وقال: [البسيط]

جاءَ البريدُ بقرطاسٍ يُحْبُّ به	فأوجسَ القلبُ من قرطاسِهِ فَرِعَا
قُلْنَا لَكَ الويلُ ماذا في كتابِكُمْ	قالَ الخليفةُ أَمْسَى مُثْبِتًا وَجِعًا
فمادتِ الأرضُ أو كادتِ تميدُ بنا	كأنَّ أَعْبَرَ مِنْ أركانِهِ انْقَلَعَا
ثُمَّ انبعثنا على خوصٍ مُزْمَةٍ	نرمي الفِجَاحَ بما لا نَأْتِلي سِرْعَا
وما نُبالي إذا بَلَّغَ أَرْحَلَنَا	ماماتٍ مِنْهُنَّ بالبيداءِ أو ظَلَعَا
مَنْ لا تزالُ نفسُهُ تُشْفِي على تَلْفٍ	تُوشِكُ مقاديرُ تِلْكَ النفسِ أَنْ تَقَعَا
لما انتهينا وبابُ الدارِ مُنْصَفِقُ	لِصَوْتِ رَمْلَةٍ رِيحِ القلبِ فأنْصَدَعَا
ثم ارعوى القلبُ شيئًا بَعْدَ طَيْرَتِهِ	والنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنْ قَدْ أُثْبِتَتْ جَزَعَا
أَوْدَى ابْنُ هِنْدٍ وَأَوْدَى الجُدُّ يَتْبَعُهُ	كانا جميعًا خليطًا فاطنينَ مَعَا
أَعْرُ أْبُلُجٍ يُسْتَسْمَى العَمَامُ به	لَوْ قَارَعَ النَّاسَ عَن أَحْسَابِهِمْ قَرَعَا» ¹ .

فيزيد في هذه القصيدة يعبر عن هول الصدمة من جراء الخبر الذي وصله، فاهتز له قلبه، جراء وفاة والده الخليفة معاوية، والقصيدة تجمع بين تفجع يزيد، وراثته لأبيه .

وعن شعره في أهل بيته، روى « المدائني قال: دعا يزيد بأمر خالد لينال منها فأبطأت عليه، وعرضت

*قرية في هضبة حمص الجنوبية .

1- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج5 ، ص 161 .

- وينظر: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكرم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ط3، بيروت ، لبنان ، دار الكتاب العربي ، 1400هـ 1980م ، ج3 ، ص 261 .

له جارية سوداء من جواريه فوقع عليها ، فلما جاءت أم خالد أنشأ يقول:

[مجزوء الخفيف]

اسْلَمِي أُمَّ خَالِدٍ رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدِ
 إِنَّ تِلْكَ الَّتِي تَرِيدُ نَ سَبْتِنِي بَوَارِدِ
 تُدْخِلُ الْأَيْرَ كُلَّهُ فِي حِرِّ غَيْرِ بَارِدِ¹.

وما قاله من شعر في لوهه بالقرء، روى المدائني والهيثم وغيرهما قالوا: « كان ليزيد بن معاوية قرد يجعله بين يديه ويكنيه أبا قيس، ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمسخ، وكان يسقيه النبيذ ويضحك مما يصنع، وكان يحمله على أتان وحشية ويرسلها مع الخيل فيسبقها، فحمله عليها يوما وجعل يقول:

تَمَسَّكَ أَبَا قَيْسٍ بِفَضْلِ عِنَاهَا
 فَكَيْسَ عَلَيْهَا إِنْ هَلَكَتْ ضَمَانُ
 فَقَدْ سَبَقَتْ خَيْلَ الْجَمَاعَةِ كُلِّهَا
 وَخَيْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَانُ².

أما عن مجلس شراب يزيد فقال المدائني: « كان يزيد ينادم على الشراب سرجون مولى معاوية وليزيد شعر منه قوله:

[المديد]

وَلَهَا بِالْمَاطِرُونَ إِذَا
 أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا
 مَنَزَلٌ حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ
 سَكَنْتُ مِنْ جَلْقٍ بَيْعَا
 فِي جِنَانٍ ثَمَّ مُؤَنَّقَةٍ
 حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنْعَا³.

وعن هذه الأبيات جاءت في كتاب " تاريخ الخلفاء " برواية فيها من الزيادة، فقال: ومن شعر

[المديد]

يزيد:

أَبَ هَذَا الْهَمُّ فَاصْتَبَا
 وَأَمَرَ النَّوْمَ فَامْتَنَعَا
 رَاعِيًا لِلنَّجْمِ أَرْقُبُهُ
 فَإِذَا مَا كَوَّكِبٌ طَلَعَا
 حَامٌ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى
 أَنَّهُ بِالْغَوْرِ قَدْ وَقَعَا
 وَلَهَا بِالْمَاطِرُونَ إِذَا
 أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا

1- البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص300.

2- المصدر نفسه، ج5، ص300.

3- المصدر نفسه، ج5، ص301.

نزهة حتّى إذا بلغت نزلت من جَلْقٍ بيَعَا
في قِيَابٍ وَسَطٍ دَسْكَرَةً حولها الزيتونُ قد ينعَا¹.

وهكذا نلاحظ أن المواقف التي قال فيها يزيد بن معاوية الشعر، أغلبها مجالس خمر وهو وعبث، وهذا الذي غلب عليه، باستثناء ما قاله من شعر أثناء وفاة معاوية .

شعر يزيد في زوجاته :

كان يزيد يحب زوجاته، وكثيرا ما كان يقول فيهن الشعر، فـ« تزوج يزيد بن معاوية فاختة وهي حبة بنت أبي هاشم بن عتيبة بن ربيعة فولدت له: معاوية ، وخالدا، وعبد الله الأكبر، وأباسفيان؛ وتزوج أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر فولدت له: عبد الله الأصغر الذي يقال له الأسوار، وعمر، وعاتكة أم يزيد بن عبد الملك ؛ وتزوج امرأة من غسان فولدت له رَمْلَة ؛ ففي فاختة يقول: [مجزوء الخفيف]

اسلَمِي أُمَّ خَالِدِ رَبِّ سَاعِ لِقَاعِدِ

وفي أم كلثوم يقول:

[البيسط]

إذا اتَّكَأْتُ على الأَمَاطِ قِي عُرْفِ بِدَيْرِ مُرَانَ عِنْدِي أُمَّ كُلْثُومِ².

و« كان قد وجد على أم خالد بنت [أبي] هاشم وكان لها مؤثرا فتزوج في حجة حجها أم

[الرجز]

مسكين بنت عمر بن عاصم بن عمر بن الخطاب³ وقال:

أراك أُمَّ خَالِدٍ تَضَجِّينِ باعَتْ على بَيْعِكَ أُمَّ مَسْكِينِ
مَيْمُونَةٌ مِنْ نِسْوَةِ مِيَامِينِ زارَتْكِ مِنْ طَيْبَةِ فِي حُورَيْنِ
في بِلْدَةٍ كُنْتَ بِهَا تَكُونِينِ فَالصَّبْرُ أُمَّ خَالِدٍ مِنَ الدَّيْنِ
إنَّ الَّذِي كُنْتَ بِهِ تُدَلِّينِ لَيْسَ كَمَا كُنْتَ بِهِ تَظُنِّينِ

وطلق يزيد أم مسكين فتزوجها عبيد الله بن زياد ، وإنما رضيت به مغايظةً ليزيد³ .

[الطويل]

وقال في حبه لأم خالد:

« إذا سِرْتُ مَيْلًا أَوْ تَخَلَّفْتُ سَاعَةً دَعَتْنِي دَوَاعِي الحُبِّ مِنْ أُمَّ خَالِدِ

1- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 164.

2- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج 5 ، ص 303 .

3- المصدر نفسه ، ج 5 ، ص 303 .

وقال أيضا:

[الطويل]

إِنِّي إِذَا مَا جِئْتُكُمْ أُمُّ خَالِدٍ لَدَوِ حَاجَةٍ عَنْهَا اللِّسَانُ كَلِيلٌ¹.

[الوافر]

وجاء في أنساب الأشراف قالوا ومن شعر يزيد قوله:

لَشَرُّ النَّاسِ عَبْدٌ وَابْنُ عَبْدِ وَأَلْمُ مَنْ مَشَى مَوْلَى الْمَوَالِي².

[البسيط]

وقوله* في علاقاته مع العواذل:

إِعْصِ الْعَوَازِلَ وَارْمِ اللَّيْلَ عَنْ عُرْضِ
بِذِي سَبِيٍّ يُقَاسِي لَيْلَهُ خَبِيًّا
أَقَبَّ لَمْ يَنْقُبِ الْبَيْطَارُ سُرَّتَهُ
وَلَمْ يَدِجْهُ وَلَمْ يَرْقُمْ لَهُ عَصَبًا
حَتَّى يُتَمَّرَ مَالًا أَوْ يُقَالَ فَيَّ
لَاقَى الَّتِي تَشَعَّبُ الْفُتَيَانَ فَانْشَعَبَا
لَا خَيْرَ عِنْدَ فَيَّ أُوْدَتْ مُرْوَةٌ
يُعْطِي الْمَقَادَةَ مَنْ لَا يُحْسِنُ الْجَنَابَا³.

[الوافر]

وقال في سعاة جمع الأموال:

وَسَاعٍ يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ جَمْعًا
لِيُورِثَهَا أَعَادِيَةَ شَقَاءَ
وَكَمْ سَاعٍ لِيُشْرِي لَمْ يَنْلَهُ
وَأَخْرَ مَا سَعَى نَالَ الشَّرَاءَ
وَمَنْ يَسْتَعْتَبِ الْحَدَثَانَ يَوْمًا
يَكُنْ ذَاكَ الْعِتَابُ لَهُ عَنَاءَ⁴.

[الطويل]

وقال في شربه الخمر مع ندمائه:

وَأَنَّ نَدِيمِي غَيْرَ شَكِّ مُكْرَمٍ
لَدَيَّ وَعِنْدِي مِنْ هَوَاهُ الَّذِي ارْتَضَى
وَلَسْتُ لَهُ فِي فَضْلَةِ الْكَأْسِ قَائِلًا
لَأَصْرَعُهُ سُكْرًا تَحْسَنَ وَقَدْ أَبَى
وَلَكِنْ أَحْيِيهِ وَأُكْرِمُ وَجْهَهُ
وَأَصْرِفُهَا عَنْهُ وَأَسْقِيهِ مَا اشْتَهَى
وَلَيْسَ إِذَا مَا نَامَ عِنْدِي بِمَوْقَظٍ
وَلَا سَامِعٍ يَقْظَانَ شَيْئًا مِنْ الْأَدَى⁵.

1- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج5 ، ص 301 .

2- المصدر نفسه ، ج5 ، ص 310 .

* إن زييدا قد تمثل بهذه الأبيات ، ونسبها إليه البلاذري ، وهذه الأبيات مذكورة في الأصمعيات من ص37 إلى ص44 . مع تغيير طفيف في بعض كلماتها ، في قصيدة من اثنين وسبعين (72) وقد نسبها للشاعر سهم بن حنظلة الغنوي ، بينما البيت الرابع غير موجود في الأصمعيات .

3- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج5 ، ص 311 .

4- المصدر نفسه ، ج5 ، ص 311 .

5- المصدر نفسه ، ج5 ، ص 311 .

وقال يزيد:

[الخفيف]

اسْتَقْبِي مَرْهً تُرْوِي مُشَاشِي وَأَدِرْ مِثْلَهَا عَلَى ابْنِ زَيْدٍ*
مَوْضِعَ السَّرِّ وَالْأَمَانَةِ عِنْدِي وَعَلَى نَعْرِ مَعْنَوِي وَجَهَادِي¹.

بين يزيد وجريز :

وعن أبي عمرو المدني قال: « وفد جرير بن عطية بن الخطفي على يزيد ووفد شعراء سواه ، فخرج إليهم الأذن فقال : إن أمير المؤمنين أمرني ألا أدخل إليه إلا من عرف شعره فأنشدوني ، فقال جرير: أنا الذي أقول:

[الطويل]

تَعَرَّضْتُ فَاسْتَمَرَزْتُ مِنْ دُونِ حَاجَتِي فَحَالَكَ إِنِّي مُسْتَمِرٌّ لِحَالِيَا
وَأِنِّي لَمَغْرُورٌ أُعْلَلُ بِالْمَنَى لِيَالِي أَدْعُو أَنْ مَالِكَ مَالِيَا
بِأَيِّ بَجَادٍ تَحْمَلُ السَّيْفَ بَعْدَمَا قَطَعْتَ الْقَوَى مِنْ مِحْمَلٍ كَانَ بَاقِيَا
بِأَيِّ سِنَانٍ تَطْعُنُ الْقَوْمَ بَعْدَمَا نَزَعْتَ سِنَانًا مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا

فدخل فأنشد الأبيات فقال: أدخل صاحبها ، فقال: مَنْ أَنْتَ؟ قال: جرير بن عطية بن الخطفي اليربوعي قال: إني سمعت أبياتك هذه عائرة ولم أدر لمن هي، فعاتبت أمير المؤمنين معاوية يوما فأنشدته إياها وهو يرى أنها من قولي ، ووصل جريرا².

والواضح أن هذا الموقف ينم على تذوق يزيد للشعر وحفظه له وتواصله مع الشعراء ، لأن هذه الأبيات يحفظها منذ عهد أبيه معاوية بن أبي سفيان ، وكما يبدو أن الأبيات لم يقلها جرير ليزيد ، وإنما تكون قد قالها في موقف مماثل ، فشاعت فتذوقها يزيد وأعجبته فحفظها.

مانسب من شعر إلى يزيد :

وقال ابن الأثير أثناء ذكره بعض سيرة وأخبار يزيد: قال عمر بن سبيئة: «حج يزيد في حياة أبيه، فلما بلغ المدينة جلس على شراب له فاستأذن عليه ابن عباس، والحسين فقبل له: إن ابن عباس إن وجد ريح الشراب عرفه فحجبه، وأذن للحسين فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب فقال: لله در طيبك

* يعني سَلَمَ بن زياد وكان على خراسان .

1- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج5 ، ص 311.

2- المصدر نفسه ، ج5 ، ص 305 .

ما أطيبه فما هذا ؟ قال: هو طيب يصنع بالشام ثم دعا بقدر فشربه ثم دعا بأخر فقال: اسق أبا عبد الله فقال له الحسين: عليك شرابك أيها المرء لا عين عليك مني فقال يزيد:

أَلَا يَا صَاحِحَ لَلْعَجَبِ دَعَوْتِكَ ذَا وَمَ تَجِبِ
إِلَى الْفَتِيَاتِ وَالشَّهْوَا تِ وَالصَّهْبَاءِ وَالطَّرِبِ
وَبَاطِيَةِ مَكَالَةِ عَلَيْهَا سَادَةُ الْعَرَبِ
وَفِيهِنَّ الَّتِي تَبَلَّتْ فُؤَادَكَ ثُمَّ لَمْ تَتَّبِ

فنهض الحسين وقال : بل فؤادك يا ابن معاوية تبت ¹.

وقد علق المحقق على رواية هذه الأبيات قائلاً: « اعتقد أن هذه الأبيات مصنوعة منحولة فلم يكن يزيد من البلاهة بحيث يعرض ذلك على الحسين ويوجد عليه مقال ، وإذا نظرنا من ناحية أخرى إلى أن معاوية إنما ولي ابنه الحج لتشيع عنه قالة الخير ، ويوصف بالدين والتقوى فألا نشك في أن يزيد في حجه يتسم ويظهر النسك بالدين وهذا ينافي هذه الرواية . وقد أحسن ابن جرير كل الإحسان في إهمالها ولعلها اخترعت بعد زمانه ² .

عفو يزيد على قاطع طريق بسبب شعر له :

جاء في كتاب العمدة: « حمل بعض العمال إلى يزيد بن معاوية مالا جليلا، فقطع عليه قسيم الغنوي فأخذه ، وأمر يزيد بطلبه ، فلما حصل بين يديه قال: ما حملك على الخروج علينا وأخذ مال يحمل إلينا ؟ قال: إذنك يا أمير المؤمنين أعزك الله ، قال: ومتى أذنت لك ؟ قال: حين قلت وأنا أسمعك:

[البيسيط]

اعصِ العوادلَ وارم الليلَ عن عرضِ بذي سيبِ يقاسي ليله حبيبا
كالسيدِ لم ينقب البيطار سرته ولم يدجُه ولم يقطع له لبيبا
حتى تُصادف مالا أو يقال فتى لاقى التي تشعب الفتیان فانشعبا

فعصيت عواذلي، وأسهرت ليلي، وأعملت جوادي، فأصبث مالا، قال: قد سوغناكه فلا تعد ³.

1- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 3 ، ص ص 317- 318 .

2- المصدر نفسه ، ج 3 ، المحقق : هامش ص 318 .

3- ابن رسيق : العمدة ، ج 1 ، ص ص 60- 61 .

موقف معاوية من شعر ابنه يزيد :

لم يكن معاوية يتساهل مع ابنه يزيد في تناوله الشعري ، خصوصا في المواقف السياسية التي تثير حفيظة الناس مما يسمعون من شعره ، فكان معاوية صارما مع يزيد ، ولما وصله قوله : [البسيط]

« إِذَا اتَّكَأْتُ عَلَى الْأَمْطِ فِي عُرْفِ بَدِيرِ مُرَانَ عِنْدِي أُمُّ كُثُومِ
فَلَا أَبَالِي بِمَا لَاقَتْ جُمُوعُهُمْ بِالْقَرْقَدُونَةِ * مِنْ حُمَى وَمِنْ مَوْمِ »

وكان ناس غازين فأصابهم وباء ومرض وجوع فلما بلغ معاوية شعره قال : والله ليغزونَّ ولو مات ، فأغزاه بلاد الروم ومعه فُرس أنطاكية وبعلبك وغيرهم، فلحق بسفيان بن عَوْفٍ بالقرقذونة فغزا حتى بلغ الخليج ثم انصرف ¹.

وموقف معاوية هذا يدل على حزمه في محافظته على ملك بني أمية، وإظهار سياسة الحزم مع يزيد، وبالتالي فإن إرسال يزيد للغزو دليل على لفت انتباهه لا أكثر ولا أقل، وظهور معاوية بالخليفة العادل. وفي سبب وفاة يزيد روي عن ابن عياش قال: «حرج يزد يتصيد بحوارين وهو سكران، فركب وبين يديه أتان وحشية قد حمل عليها قردا وجعل يُركض الأتان ويقول: [الطويل]

أَبَا خَلْفٍ إِحْتَلَّ لِنَفْسِكَ حِيَلَةٌ فَلَيْسَ عَلَيْهَا إِنْ هَلَكْتَ ضَمَانُ
فسقط فاندقت عنقه ².

إن الناظر في هذا النص يلاحظ أن يزيدا استمر في عبثه ، من سكر وهو حتى كانت نهاية حياته بطريقة عبثية .

وهكذا نجد ليزيد بن معاوية الخليفة التابعي الأول علاقة بالشعر والشعراء ، فموقفه منهما إيجابي، وقد استعمل الشعر كسلاح ضد خصومه من خلال توظيفه للأخطل لهجاء الأنصار، واستمر يلهو بالشعر في حياته الخاصة والسياسية ويعبث ، وقال الشعر ورواه واستمع للشعراء وأجازهم.

*القرقذونة : من بلدان بيزنطة في آسيا الصغرى .

1- البلاذري : أنساب الأشراف ، ج5 ، ص 301 .

2- المصدر نفسه ، ج5 ، ص 300 .

2- موقف عبد الملك بن مروان (ت86هـ 705م) من الشعر:

إن عبد الملك بن مروان (26- 86هـ 643-705م) الخليفة الأموي الخامس (65هـ 685م)، والخليفة التابعي الثالث، ولد بالمدينة وتوفي بدمشق، « بويح بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير، فلم تصح خلافته، وبقي متغلبا على مصر والشام، ثم غلب على العراق وما والاها إلى أن قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين، فصحت خلافته من يومئذ، واستوثق به الأمر»¹، وقد « اتسمت سياسته في الرعية بحزم وعزم شديدين، مكناه من تحقيق الهدف الذي كان يصبوا إليه، وهو إعادة بناء الدولة الأموية، فقد قضى على خصمه الرئيسي ابن الزبير، وأصبح الخليفة الوحيد المعترف به شرعا في كل أرجاء العالم الإسلامي»². ويعد عبد الملك بن مروان من رموز مدرسة التابعين، فهو يجمع بين حفظ القرآن العظيم ورواية الحديث، وهو معدود في التابعين الفقهاء، وهو شاعر وناقد، « فقال عنه نافع: لقد رأيت المدينة وما بها شاب أشد تشميرا ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان، وقال أبو الزناد: فقهاء المدينة: سعيد بن المسيب، وعبد الملك بن مروان، وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب... وقال عنه الشعبي: ما جالست أحدا إلا وجدت لي عليه الفضل إلا عبد الملك بن مروان فإني ما ذكرته حديثا إلا وزادني فيه ولا شعرا إلا زادني فيه! »³. فرسخت في صدره ثقافة أدبية واسعة جعلت فطنته وحرصه السياسي الشديد في تنظيم الدولة الأموية يدرك أهمية الشعر والشعراء في تقوية سلطانه، فسلك بذلك مسلك من قبله من خلفاء بني أمية، فعقد المجالس في قصره فحضرها العلماء والفقهاء والقضاة والشعراء، واتخذ مواقف إيجابية من الشعر والشعراء، وأكثر ما كان يميل بالشعر إلى مواقف سياسية، لأنه أدرك أن للشعر دور كبير في تعزيز دولته، فقرب إليه الشعراء واستنشدهم، وأجازهم ونقد شعرهم، وفاضل بين الشعراء، كما كان يرسل ولاته بالشعر، وكان يقول الشعر ويروييه ويتمثل به، وحث أولاده على رواية الشعر وتعلمه، وظل متعلقا بالشعر حتى غلب عليه بأنه أكثر التابعين الخلفاء اهتماما بالشعر والشعراء. وعلى هذا الأساس يمكن توضيح مواقف عبد الملك من الشعر والشعراء في ما يأتي:

1 - السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 170.

2- السيد أحمد عمارة: شعر خلفاء بني أمية تحقيق ودراسة، د.م، دار الكتب المصرية، 1408هـ 1988م، ص 33.

3- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 171.

أ- المواقف التي قال فيها عبد الملك بن مروان الشعر :

لقد اقتضت الأحداث السياسية التي مر بها عبد الملك بن مروان أن يتجاوب معها، وكان الشعر حاضرا في تلك الأحداث، وكان أثناء توليه الخلافة حريصا في مواقفه، وبخاصة مع عماله وولاته وقادة جنده، فكان يتتبع كل ما يأتيه من خبر عنهم، فكانوا يخالفون أوامره أحيانا، ويسئنون معاملة الرعية ، وأحيانا يبذرون أموال الدولة، وكان الناس أكثر ما يشتكون من الحجاج والي العراق، وقد وجه إليه عبد الملك خطابات كثيرة يعظه فيها ويحذره، كما قال شعرا لخصمه اللدود مصعب بن الزبير، ورثى معاوية بن أبي سفيان، فجاءت أشعاره تكشف عن شخصية سياسية قوية حازمة في تسيير شؤون الدولة، كان لبيبا فطنا ذا شاعرية مرموقة، يظهر هذا في خطاباته الشعرية، وكان أغلب شعره مقطوعات .

فقال عبد الملك بن مروان يخاطب الحجاج*:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرَكَ أُمُورًا كَرِهْتَهَا وَتَطَلَّبَ رِضَايَ بِالَّذِي أَنَا طَالِبُهُ
وَتَحْشَى الَّذِي يَخْشَاهُ مِثْلَكَ هَارِبًا إِلَيَّ فَهِيَ قَدْ ضَيَّعَ الدَّرَجَالِيَهُ
وَأِنْ تَرَى مِثِّي عَقْلَةً قُرْشِيَةً فَيَا رِمًّا قَدْ غَصَّ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ
وَأِنْ تَرَى مِثِّي وَثْبَةً أُمُويَةً فِهَذَا وَهَذَا كُتْلُهُ أَنَا صَاحِبُهُ
وَلَا تُعِدُّ مَا يَأْتِيكَ مِثِّي وَإِنْ تُعِدُّ يَقُومُ بِهَا وَمَا عَلَيْكَ نَوَادِيَهُ¹.

وفي موقف ثان راسل عبد الملك الحجاج وأخذ عليه بالرفق واللين، وأمره بحسن التصرف في مال

المسلمين، وذلك لما وسع الحجاج العطايا على أهل العراق بعد موقعة دبر الجماجم** فقال له: [الطويل]

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ وَكُنْ يَا عَبِيدَ اللَّهِ تَخَشِي وَتَضَرُّعُ
وَوَفَّرْ خَرَاجَ الْمُسْلِمِينَ وَفِيَّاهُمْ وَكُنْ لَهُمْ حِصْنًا بُجَيْرٌ وَتَمَنُّعُ².

*«الحجاج بن يوسف الثقفي (ت95هـ/714م) قائد وخطيب عربي . وُلد في الطائف . ولاة عبد الملك بن مروان إمرة جيشه فقتل على عبد الله بن الزبير في الحجاز، وتولى مكة والمدينة والطائف والعراق، وقمع ثورة ابن الأشعث في معركة "وادي الجماجم" أسس مدينة واسط . عني بشؤون الري والإصلاح النقدي ، اشتهر بالبلاغة في الخطابة ، والشدة في الحكم حتى نعته البعض بالسفك والسفاح » . - المنجد في اللغة والأعلام ، ص 213 .

1- الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير : البداية والنهاية ، ط2 ، بيروت ، مكتبة المعارف ، 1974م ، ج9 ، ص 127 .

**«موضع في العراق قريب من الكوفة عنده انتصر الحجاج على عبد الرحمن بن الأشعث في 702م »

- المنجد في اللغة والأعلام ، ص 253 .

2- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج9 ، ص 126 .

وفي موقف ثالث حذر عبد الملك الحجاج، وأشعره بخطئه، وأمره بعدم مخالفته أمره فخطابه: [المتقارب]

وَلَا تَفْشِي سِرِّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجُلِ لَ لَا يَتْرُكُونَ أَدْيِيًا صَحِيحًا¹.

إن اهتمام عبد الملك بأحد أكبر ولاته وهو الحجاج بن يوسف الثقفي ، يدل على أنه كان يعلم أن تسيير سياسة الحكم لا تكون إلا بحزم الخليفة ، ليس مع الرعية فحسب ، بل مع الولاة وقادة الجيش.

وفي موقفه من مصعب ، قال عبد الملك بن مروان يرد على تهديد مصعب* بن الزبير: [الوافر]

أَتُوْعِدُنِي وَمُ أَرَّ مِثْلَ يَوْمِي خَشَاشَ الطَّيْرِ يُوْعِدُونَ الْعُقَابَا
مَتَى يَلِقُ الْعُقَابُ خَشَاشَ طَيْرٍ يَهْتِكُ عَنْ مُقَاتِلِهَا الْحِجَابَا
تُوْعِدُ بِالذَّنَابِ أَسْوَدَ غَابٍ وَأَسْدُ الْغَابِ تَلْتَهُمُ الذَّنَابَا².

وفي موقف ثان من مصعب قال عبد الملك عن مصعب بعد مقتله: [الطويل]

وَلَكِنَّهُ رَامَ الَّتِي لَا يَنَالُهَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا كَلَّ حَزَقَ مُعَمِّمٍ
أَرَادَ أُمُورًا لَمْ يُرِدْهَا إِلَهه فَخَرَّ صَرِيْعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْقَمِّ³.

فكان مصعب من الشخصيات التي كانت عائقا في تسيير سياسة الحكم أمام عبد الملك بن مروان.

وجاء في تاريخ الخلفاء ومن شعر عبد الملك: [لطول]

لَعَمْرِي لَقَدْ عُمِّرْتُ فِي الدَّهْرِ بَرَهه وَدَانَتْ لِي الدُّنْيَا بِوَقْعِ الْبَوَاتِرِ
فَأَضْحَى الَّذِي قَدْ كَانَ مِمَّا يَسْرِي كَلْمَحٍ مَضَى فِي الْمَزْمَنَاتِ الْعَوَاتِرِ
فِيَا لَيْتَنِي لَمْ أُعَنَّ بِالْمَلِكِ سَاعَةً وَلَمْ أَلَّهْ فِي لَذَاتِ عَيْشٍ نَوَاضِرِ

1- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج1، ص 76 .

*«مصعب بن الزبير (26- 71هـ/ 647- 790م) ، أخو عبد الله بن الزبير ونائبه في العراق .قاوم الخوارج وقضى على المختار الثقفي 687م .

قتله عبد الملك بن مروان في معركة دير الجماجم » .

- المنجد في اللغة والأعلام ، ص 535 .

2- نقلا عن : السيد أحمد عمارة : شعر خلفاء بني أمية تحقيق ودراسة ، ص 224 .

- ابن أبي الحديد : سرح نصح البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة عيسى البابي الحلبي ، د. ت ، ج11، ص 18 .

3- نقلا عن : السيد أحمد عمارة : شعر خلفاء بني أمية تحقيق ودراسة ، ص 228 .

- الزبير بن بكار : الأخبار الموافقات ، تحقيق : سامي مكِّي العاني ، بغداد ، مطبعة العاني : 1973م، ص 543.

وَكُنْتُ كَذِيٍّ عُمِّرْتُ عَاشَرَ بُلُغَةٍ مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى زَارَ ضَنْكَ المَقَابِرِ¹.

وروي عن عمر بن شبة قال: « نظر عبد الملك بن مروان إلى أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد فرأى بوجهه أثرا فقال: ما هذا الأثر بوجهك يا أبا عبد الله؟ قال: قمت بوسن النوم فشجني الباب، فقال عبد الملك:

رَأَيْتُنِي صَرِيحَ الحَمْرِ يَوْمًا فَسَوَّيْتُهَا وَلِلشَّارِبِيهَا المَدْمِنِيهَا مَصَارِعُ

فقال: بل أخذك الله بسوء ظنك، فقال: بل أخذ الله بسوء مصرعك².

وكان عبد الملك يتعظ بالموت، وكلما بلغه موت واحد من أقربائه أو أصحابه إلا وتأثر له، وراثه،

وتذكر حوادث الدهر، فقال عبد الملك بن مروان، يرثي معاوية بن أبي سفيان:

وَمَا الدَّهْرُ والأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى رُؤْيَا مالٍ أَوْ فِرَاقِ حَبِيبٍ³.

وقال عبد الملك بن مروان بعد ما علم بموت بعض أصحابه:

ذَهَبَتْ لَدَائِي وَأَنْقَضَتْ أَيَّامُهُمْ وَعَبَّرَتْ بَعْدَهُمْ وَلَسْتُ بِمُجَالِدٍ⁴.

وقد « كان عبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه يعطش، وقيل له: إن شربت الماء مت،

فأقبل ذات يوم بعض العوَّاد فقال: كيف حال أمير المؤمنين؟ قال: أنا صالح الحمد لله. ثم أنشأ يقول:

[الطويل]

وَمُسْتَحْبَرٍ عَنَّا يَرِيدُ بَنَّا الرَّذَى وَمُسْتَحْبِرَاتٍ والعُيُونِ سَوَاجِمُ*

ويلكم واسقوني ماء ولو كان فيه تلف نفسي. فشرب ثم مات⁵.

وهكذا نلاحظ أن الشعر كان حاضرا في كل حياة عبد الملك بن مروان، في سياسته، وفي قصره

مع الشعراء، ومع ولاته وأمرائه.

1- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 174.

2- أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني: كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، ص 329.

3- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج3، ص 241.

4- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص 67.

* البيت عند ابن الأثير: ورد فيه تغير طفيف في الشطرين:

وَمُسْتَحْبَرٍ عَنَّا يَرِيدُ لَنَا الرَّذَى وَمُسْتَحْبِرَاتٍ وَالدُّمُوعُ سَوَاجِمُ

- ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص 102-103.

5- المحافظ: البيان والتبيين، ج2، ص 312.

ب- المواقف التي روى فيها عبد الملك بن مروان الشعر :

رغم تكاليف مسؤولية عبد الملك، إلا أن مجالسه لا تخلو من الشعر والشعراء، فكان يهتم بشعر الجاهليين والإسلاميين ويتذوقه، ويدرك مقاصد الشعراء، وعند المناسبة يسترجع ما يحفظ في صدره من شعر فيرويه، حتى وإن كان مع أهله وأولاده، ويذكر ما هو مناسب من الشعر لكل مجلس، من ذلك فقد روت المصادر عنه: « لما حج عبد الملك بن مروان لقيه عمر* بن أبي ربيعة بالمدينة، فقال له عبد الملك: لا حياك الله يا فاسق، قال: بمست تحية ابن العم لابن عمه على طول الشحط، فقال له: يا فاسق، ذاك لأنك أطول قريش صبوة، وأبطؤها توبة، ألسنت القائل: [الوافر]

ولولا أن تُعَتِّني قريش مَقَالَ الناصح الأَدَنِي الشَّفِيقِ
لَقُلْتُ إِذَا التَّقِينَا: قَبْلِي قَبْلِي وَوَلَوْ كُنَّا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ

أغرب عني... فقال عمر: بمست تحية ابن العم، فاستحى عبد الملك وقضى حوائجه»¹.

وفي أحد مجالسه « قال عبد الملك: كان شاعر ثقيف في الجاهلية خيرا من شاعرهم في الإسلام،

فقليل له: من يعني أمير المؤمنين؟ فقال لهم: أما شاعرهم في الإسلام فيزيد بن الحكم، حيث يقول [الوافر]

*هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة يكنى أبا الخطاب ، كان أبوه سيديا من سادات مكة وأمه يمنية ، قيل إن أباه قد سبها . ولد عمر سنة 644م 23هـ في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب فسمي باسمه ، وتوفي أبوه وهو دون الثانية عشرة من عمره، فقامت أمه على تربيته فنشأ نشأة كلها ترف ودلال ، كان جميلا فاجتمعت له عناصر الجمال والغنى والفراغ والشاعرية فوجهته إلى نمط من الحياة الناعمة اللاحية . وكان يقضي أيامه باللهو والعبث حتى إذا كان موسم الحج لبس الحلل الفاخرة وخرج من مكة يتلقى الحجاج المدنيين والعراقيات والشاميات فيعرض لهن ويتبعهن إلى مناسك الحج ويتربص خروجهن للطواف حول الكعبة فيصفهن ويشهرهن بشعره . وقد اضطرب الرواة في أخبار عمر وحياته كما اضطربوا في تأريخ وفاته . فبعضهم قال : إنه تاب في الأربعين من عمره وحلف ألا يقول شعرا ؛ وزعم آخرون في أسباب موته أنه أراد أن يكفر عن سيئاته فاشتد في الجهاد في إحدى الغزوات فاحتزقت السفينة التي كان فيها وهلك ، وزعم آخرون أنه تغزل بسيدة وهي تحج فدعت عليه فمات . وأعلب الظن أنه مات من مرض في اليمن ، وكانت موته نحو سنة 711م 93هـ .

- عمر بن أبي ربيعة : الديوان ، شرحه وقدم له : عبد أ ، وعلي مهنا ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، د.ت ، ص 11 .

أما شوقي ضيف فقد ذكر عدة روايات مضطربة في وفاته فقال : « الروايات تضطرب في تحديد وفاته ويقول أبو الفرج: إنه عاش سبعين سنة وإنه ولد ليلة قتل عمر بن الخطاب في سنة 23هـ هجرية ، ومعنى ذلك أنه تُؤْفِي سنة 93 في عهد الوليد بن عبد الملك (56-96هـ) . وهناك روايات تزعم أن سليمان ابن عبد الملك (96-99هـ) نفاه إلى الطائف ، وأخرى تزعم أن عمر بن عبد العزيز (99-101هـ) نفاه إلى دهلك ، والروايات مدخولتان ، لأنه لم يلحق عصر سليمان ولا عصر عمر ، ويزعم بعض الرواة أنه غزا في البحر، فاحتزقت سفينته فاحترق وليس بمعقول أن يذهب إلى الغزو في سن السبعين . ويزعم آخرون أنه تغزل بسيدة وهي تحج ، فدعت عليه فمات ، وهذه الروايات أقرب إلى القصص منها إلى الحقيقة » .

- شوقي ضيف : التطور والتجديد غي الشعر الأموي ، ص 222 .

1- المرزباني : الموشح ، ص 260 .

فَمَا مِنْكَ الشَّبَابُ وَلَسْتَ مِنْهُ إِذْ سَأَلْتَكَ لِحَيْتِكَ الْخِضَابَا
عَقَائِلُ مِنْ عَقَائِلِ أَهْلِ نَجْدٍ وَمَكَّةَ لَمْ يُعَقِّلَنَّ الرِّكَابَا
وَلَمْ يَطْرُدَنَّ أَبْقَعَ يَوْمٍ ظَعْنٍ وَلَا كَلْبًا طَرْدَنَّ وَلَا عُرَابَا*

وقال شاعرهم في الجاهلية: [الوافر]

وَالشَّيْبُ إِذْ يَظْهَرُ فَإِنَّ وِرَاءَهُ عُمُرًا يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسٌ
لَمْ يَنْتَقِصْ مِنِّي الْمَشِيبُ قُلَامَةً وَمَا بَقِيَ مِنِّي أَلْبٌ وَأَكْبِيسٌ** «¹.

وفي هذا الاستشهاد بالشعر عقد عبد الملك موازنة فنية بين شاعري ثقيف في حديثهما عن الشباب والشيب، فوجد أن شاعر ثقيف في الجاهلية أفضل من شاعرهم في الإسلام، لأنه لما تحدث عن ظهور الشيب في الإنسان معناه أنه نسخ الشباب ، وأن الشيب وراءه عمرا فيه متنفس، والمعنى فيه شيء من الحكمة ، وهو بهذا المثال يدعوهم إلى تقليد الشعر الجاهلي في أسلوبه ومعانيه .

وكان يجب سماع رواية الشعر، فـ « قدم وفد على عبد الملك فقام رجل فاعتذر من أمر وحلف عليه، فقال: ما كنت حريا أن تفعل ولا تعتذر، أيكم يروي من اعتذار النابغة إلى النعمان: [الطويل] حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَةً وَليْسَ وِرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ «².

وهذا البيت من قصيدة " البائية " وهي من روائع اعتذاريات النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر .
و« دخل وفد بني أسد على عبد الملك بن مروان ، فقال: من شاعركم يا بني أسد؟ قالوا: إن فينا لشعراء ما يرضى قومهم أن يفضلوا عليهم أحدا، قال: فما فعل الأقيشر***؟ قالوا: مات، قال: ولكنه مشغل بعشقه ، وما أبعد أن يكون شاعركم إلا أنه يضيع نفسه ، أليس هو القائل: [مجزوء البسيط]

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَمَّا مَضَى مِنْ عِلْمِ هَذَا الزَّمَنِ الدَّاهِبِ
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ أَوْ شَاهِدًا يُخْبِرُ عَنْ غَائِبِ

*الغراب الأبقع : المكان فيه سواد .

**ألب وأكبس : أكثر عقلا وحزما .

1- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، طبعة دار الكتب المصرية ، ج12، ص 290 .

2- المصدر نفسه ، ج11 ، ص 7 .

***« هو المغيرة بن الأسود بن وهب أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان يغضب إذا قيل له : الأقيشر » .

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 375 .

فَاعْتَبِرِ الْأَرْضَ بِأَسْمَائِهَا وَاعْتَبِرِ الصَّاحِبَ بِالصَّاحِبِ¹ .

و« قال عبد الملك لمؤدب ولده: إذا رويتهم شعرا فلا ترويههم إلا مثل قول العجير السلوي: [الوافر]

يَبِينُ الْجَارُ حِينَ يَبِينُ عَنِي وَلَمْ تَأْنَسْ إِلَيَّ كِلَابُ جَارِي
وَتَظْعُنُ جَارِي مِنْ جَنْبِ بَيْتِي وَلَمْ تُسْتَرِ مِنْ جِدَارِي
وَتَأْمُنُ أَنْ أَطَالَعَ حِينَ آتِي عَلَيْهَا وَهِيَ وَاضِعَةُ الْخِمَارِ
كَذَلِكَ هَدِي أَبَائِي قَدِيمًا تَوَارِثَهُ النَّجَارُ عَنِ النَّجَارِ
فَهَدِي هَدِيَهُمْ وَهُمْ افْتَلَوْنِي كَمَا افْتَلَى الْعَتِيقُ مِنَ الْمَهَارِ² .

ولما « أنشد الأخطل عبد الملك قوله: [الكامل]

بَكَرَ الْعَوَازِلُ يَبْتَدِرُنَ مَلَامَتِي وَالْعَادِلُونَ فَكُلُّهُمْ يَلْحَانِي*
فِي أَنْ سَبَقْتُ بَشْرِيَةً مَقْدِيَّةً صَرَفِ مُشْعَشَعَةٍ بِمَاءِ شُنَانٍ**

فقال له: شبيب بن البرصاء أكرم منك وصفا لنفسه؛ حيث يقول: [الطويل]

وَإِنِّي لَسَهْلُ الْوَجْهِ يُعْرِفُ مَجْلِسِي إِذَا أَحْزَنَ الْقَادُورَةُ الْمَتَّعِبَسُ***
يُضِيءُ سَنَا جُودِي لَمَنْ يَبْتَنِي الْقَرَى وَلَيْلُ بَخِيلِ الْقَوْمِ ظَلَمَاءُ حِنْدِسُ
أَلَيْسَ لِيذِي الثُّرَيِّ مَرَارًا وَتَلْتَوِي بِأَعْنَاقِي أَعْدَائِي جِبَالُ تَمْرَسُ³ .

« وقال عبد الملك بن مروان لسلمة بن زيد الفهمي: أيّ الزمان أدركت أفضل وأي الملوك؟ فقال:

أما الملوك فلم أر إلا ذاما أو حامدا، وأما الزمان فيضع قوما ويرفع آخرين وكلهم ذم زمانه، لأنه يبلي جديدهم، ويطوي أعمارهم، ويهم صغيروهم، وكل ما فيه منقطع إلا الأمل. قال: فأخبرني عن فهم، قال: هم كما قال الشاعر: [الخفيف]

دَرَجَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ عَلَى فَهْمِ بْنِ عَمْرٍو فَأَصْبَحُوا كَالرَّمِيمِ

1- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، طبعة دار الكتب المصرية، ج11، ص 258 .

2- المصدر نفسه، ج13، ص 75 .

* يلحاني: يلومني .

** مقديّة: نسبة إلى مقد، وهي قرية بالأردن، متشعة: ممزوجة. الشنان: الماء البارد .

*** القادورة: السوء الخلق .

- وليد قصاب: النقد العرب القديم نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي، هامش صفحة 96 .

3- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، طبعة دار الكتب المصرية، ج 12، ص 96 .

وَحَلَّتْ دَارُهُمْ فَأُضْحَتْ تَبَاباً بعد عَزٍّ وَثَرَوَةٍ وَنَعِيمٍ
وكذلك الزمانُ يذهبُ بالنَّاسِ سِ وتبقى ديارُهُمْ كَالرُّسُومِ

قال: [أي عبد الملك بن مروان]، فمن يقول منكم؟ [الوافر]

رَأَيْتُ النَّاسَ مُذْ خُلِقُوا وَكَانُوا يُحِبُّونَ الْعَيْشَ مِنَ الرَّجَالِ
وإنَّ كَانَ الْعَيْشُ أَقْلًا خَيْرًا بخيلاً بالقليل مِنَ النَّوَالِ
فَمَا أَدْرِي عِلَامَ وَفِيمَ هَذَا وماذا يَرْتَحُونَ مِنَ الْبِخَالِ
أَلِدُنِيَا فَلَيْسَ هُنَاكَ دُنِيَا وَلَا يُرْجَى لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي

قال: أنا وقد كتبتها¹.

إن رواية عبد الملك بن مروان للشعر من خلال النصوص التي تمثلنا بها، تكشف على حفظه له، وهو ما يؤكد بأن مجلسه يغلب عليه طابع الشعر وتقريب الشعراء إليه، والملاحظ أن الأشعار التي رواها أو سمعها من الشعراء كلها من عيون الشعر العربي، ولشعراء كبار، قالوها في أغراض ومناسبات.

ج- مواقف استنشاد عبد الملك بن مروان للشعراء :

كان مما وصل إليه اهتمام عبد الملك بالشعر، أنه كلما حضر إلى مجلسه شاعر إلا واستنشده عبد الملك شيئاً من شعره، وكان من الشعراء المترددين على مجلسه كثير عزة، وابن قيس الرقيات، وأيمن* ابن خريم بن فاتك وجرير والأخطل** والراعي*** النميري والجاحف، وغيرهم من الشعراء وكان مما يجب سماعه شعر العزل وشعر المدح، وكان عبد الملك يميل بالمدح إلى غرض سياسي، وكان كثيراً ما يعلق على

1- البيهقي : الحاسن والمساوي ، ص 401 .

- وينظر : الطبري : تاريخ الطبري ، ج 6 ، ص ص 420- 421 .

*«أيمن بن خريم بن فاتك من بني أسد وكان أبوه قد صحب النبي ﷺ، وروى عنه أحاديث وكان به برص، وكان أنثراً عند عبد العزيز بن مروان...»

وقال عبد الملك بن مروان لأيمن إن أباك كانت له صحبة ولعمرك فخذ هذا المال وانطلق فقاتل ابن الزبير فأبى .»

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 368 .

**«هو غيثا[ت92هـ710م] بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو بن الفدوكس بن عمر بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.» «شاعر نصراني من كبار شعراء الأمويين، اشتهر بمدحهم وهجاء أعدائهم، له نقائض هجائية مع جرير، ديوانه جمع قصائده السكري.»

- الأخطل: الديوان، سرح وتحقيق: سوزان عكاري، 2003م، ص 5.

*** الراعي (ت138هـ) «حصين بن معاوية من بني نمير، وكان يقال لأبيه في الجاهلية معاوية الرئيس، وكان سيداً، وإنما قيل له الراعي لأنه كان يصف راعي الإبل في شعره، وولده وأهل بيته بالبادية سادة أشرف، ويقال: هو عبيد بن حصين ويكنى أبا جندل، وكان أعور وهجاه جرير لأنه اتهمه=»

شعر الشعراء، وكان يجب لمجلسه أن يتوسع على ما قالته شعراء المدح والغزل في هذه الفنون ، وفي هذا الصدد قال ابن عبد ربه: «سهر عبد الملك بن مروان ذات ليلة وعنده كثير* عزة، قال له: أنشدني بعض ما قلت في عزة، فأنشده حتى إذا أتى على هذا البيت:

[الطويل]

هَمَمْتُ وَهَمَّتُ ثُمَّ هَابَتْ وَهَبَتْهَا حَيَاءٌ وَمَثَلِي بِالْحَيَاءِ حَقِيقُ

قال له عبد الملك: أما والله لولا بيت أنشدتنيه قبل هذا لحرمتك الجائزة، قال: لم يا أمير المؤمنين؟ قال: لأنك شركتها معك في الهيبة، ثم استأثرت بالحياة دونها . قال: فأبي بيت عفوت به يا أمير المؤمنين؟ قال: قولك:

[المتقارب]

دَعُونِي لَا أُرِيدُ بِهَا سِوَاهَا دَعُونِي هَائِمًا فِيمَنْ يَهِيمُ¹.

وفي موقف رواه ابن سلام قال: أخبرني عثمان بن عبد الرحمن قال: « أنشد كثير عبد الملك

[الطويل]

ابن مروان حين أزمع المسير إلى مصعب :

إِذَا مَا أَرَادَ الْعَزْوَ لَمْ تَشْنِ هَمَّهُ حَصَانٌ عَلَيْهَا نَظْمٌ دُرٌّ يَزِينُهَا
نَهْتُهُ ، فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ بَكَتْ ، وَبَكَى مِمَّا شَجَّاهَا قَطِينُهَا

فقال عبد الملك: والله لكانتُ شهد عاتكة ! بنت يزيد بن معاوية، وهي امرأته، أم يزيد بن عبد الملك².

[المتقارب]

« وأنشد أيمن بن حريم بن فاتك عبد الملك:

لَقِيْتُ مِنَ الْغَنِيَاتِ الْعُجَابَا لَوْ أَدْرَكَ مَيِّ الْعَذَارَى الشَّبَابَا
وَلَكِنَّ جَمِيعَ الْعَذَارَى الْحِسَانِ عَنَاءٌ شَدِيدٌ إِذَا الْمَرْءُ شَابَا
بُرْضُنَ بِكُلِّ عَصَا رَائِضٍ وَيُصْبِحُنَ كُلَّ غَدَاةٍ صِعَابَا
عَلَامٌ يُكْحَلْنَ نُجْلُ الْعُيُونِ وَيُخْدَتُنَ بَعْدَ الْحِضَابِ الْحِضَابَا

= بالميل إلى الفرزدق فلقبه فعاتبه واستكفهُ فاعتذر إليه ، وجاء ابنه جندل من خلفه فضرب بالسوط مؤخر بقلنه وقال له : إنك لواقف على كلب بني كليب .

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 270 .

*كثير عزة (ن723م) « كثير بن عبد الرحمن بن أبي جُمعة من حزاة وكان رافضيا . وهو شاعر أموي أقام في المدينة تغزل بعزة فسمي بها .

- المصدر نفسه ، ص 340 .

1- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج5 ، ص ص 373- 374 .

2- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص ص 542- 543 .

وَيُبْرَقْنَ إِلَّا لِمَا تَعْلَمُونَ فلا تَحْرُمُوا الغَانِيَاتِ الصَّرَابَا
يُمِيتُ العِتَابَ خِلَاطُ النِّسَاءِ وَيُحْيِي اجْتِنَابُ الخِلَاطِ العِتَابَا

وقال له عبد الملك بن مروان: حين أنشده هذه الأبيات ما عرف النساء أحد معرفتك¹.

وفي أحد مجالس عبد الملك حضر جرير موفدا إليه ليمدحه فالتقى بالأخطل، واتخذ منه عبد الملك موقفا سلبيا ، ولم يسمح له بالإنشاد، والسبب في ذلك أن عبد الملك كان لا يسمع لشعراء مضر، لأسباب سياسية . وكان هذا أول لقاء لجرير بعبد الملك ، فروى البيهقي في "مجالس صلوات الشعراء" .
« قيل: دخل جرير على عبد الملك بن مروان وقد أوفده إليه الحجاج بن يوسف فدخل محمد بن الحجاج فقال: يا أمير المؤمنين ، هذا جرير مادحك وشاعرك ، فقال: بل مادح الحجاج وشاعره ، فقال جرير: إذا أراد أمير المؤمنين أن يأذن له في إنشاده مدحة ، قال: هات أبدأ بالحجاج، قال: بك يا أمير المؤمنين ، فقال: هات ابدأ بالحجاج فأنشده:

صَبَرْتَ النفسَ يَا ابْنَ أَبِي عَقِيلٍ مُحَافِظَةً فَكَيْفَ تَرَى الثَّوَابَا
وَلَوْ لَمْ تُرْضِ رَبَّكَ لَمْ يُنْزَلْ مَعَ النَّصْرِ المَلَائِكَةُ الغِضَابَا
إِذَا سَعَرَ الخَلِيفَةُ نَارَ حَرْبٍ رَأَى الحَجَّاجَ أَثَقَبَهَا شَهَابَا

فقال: صدقت كذاك هو ، ثم قال للأخطل: قم فهات مدحا ، فقام فأنشد وأجاد وأبلغ، فقال: أنت شاعرنا وأنت مادحنا قم فاركبه ، فألقى النصراني ثوبه وقال: حب يا بن المراغة، فساء ذلك من حضر من مضر وقالوا: يا أمير المؤمنين، إن النصراني لا يركب الحنيف المسلم فاستحى عبد الملك وقال: دعه ، قال جرير: فانصرفت أخزى خلق الله².

وقد جاء في " الكامل في اللغة والأدب ": « قال أبو العباس: قال عبد الملك بن مروان لأسئلم ابن الأحنف الأسدي: ما أحسن ما مدحت به ؟ فاستعفاه فأبى أن يُعْفِيَهُ وهو معه على سريره فلما أبى إلا أن يُخْبِرَهُ قال: قول القائل: و"هو أبو قيس بن الأسلت":

أَلَا أُيُّهَا الرِّكْبُ المَخِيبُونَ هَلْ لَكُمْ بِسَيِّدِ أَهْلِ الشَّامِ تُحِبُّوْا وَتَرْجِعُوْا
مِنْ النَّفَرِ البَيْضِ الذِّينَ إِذَا اعْتَزَلُوا وَهَابَ الرِّجَالُ حَلَقَةَ البَابِ قَعَقَعُوا

1- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، 369 .

2- البيهقي : المحاسن والمساوي ، ص 237 .

إِذَا النَّقْرُ السُّودُ الْيَمَانُونَ نَمَّعُوا لَهُ حَوْكَ بُرْدِيَهْ أَجَادُوا وَأَوْسَعُوا
جَلًّا الْمِسْكُ وَالْحَمَّامُ وَالْبَيْضُ كَالدُّمَى وَفَرَّقَ الْمَدَارَى رَأْسَهُ فَهُوَ أَنْزَعُ
فقال له عبد الملك: ما قال أخو الأوس أحسن مما قيل لك¹.

و« قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه، وكان يجتنب غير الأدباء، أيُّ المناديل أفضل؟ فقال قائل منهم: مناديل مصر كأنها غرقىء* البيض، وقال آخر: مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع. فقال عبد الملك: ما صنعتما شيئاً، أفضل المناديل ما قال: أخو تميم، يعني عبدة بن الطيب: [البسيط]

لما نزلنا نَصَبْنَا ظِلَّ أَخِيَّةٍ وَفَارَ لِلْقَوْمِ بِاللَّحْمِ الْمَرَاجِلُ
وَرَدُّ وَأَشْقَرُ مَا يُؤْتِيهِ طَائِحُهُ مَا غَيَّرَ الْغَلِي مِنْهُ مَا كَوَّلُ
ثُمَّتْ قُمْنَا إِلَى جُرْدٍ مُسَوِّمَةٍ أَعْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ².

الواضح أن عبد الملك بن مروان كان يتخير الأشعار التي يعرضها على مسامع جلسائه، ليبين لهم حفظه للشعر ذي المعاني والصور الجميلة، ويظهر جانب شخصيته الأدبية.

د- إجازة عبد الملك بن مروان الشعراء :

كان عبد الملك يستمع في مجلسه إلى الشعراء ، ثم يجازيهم على ما ينشدونه من مدح وغزل ، من ذلك مقاله أبو عبيدة : « لما أنشد الأخطل كلمته لعبد الملك التي يقول فيها: [البسط]

شمس العداوة حتى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
قال: خذ بيده يا غلام فأخرجه ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره ، ثم قال: إن لكل قوم شاعرا، وشاعر بني أمية الأخطل³ .

وفي موقف آخر « حكى أن عبد الملك بن مروان جمع عمر بن أبي ربيعة، وكثير عزة، وجميل* بثينة ،

1- المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، ج1 ، ص 105 .

*الغرقىء : يهمز ولا يهمز وكذلك فعله .

2- المصدر نفسه ، ج1 ، ص 327 .

3- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 175 .

* « جميل بن عبد الله بن معمر العذري (ت701م) ، من قبيلة عذرة الذين شهرها بالحب العذري ، حتى قيل : إنهم إذا أحبوا ماتوا ، فقد أحب بثينة = بنت حباب بن حنن بن ربيعة ، من عذرة ، فهي ابنة عمه تلتقي وإياه في حنن من ربيعة في النسب ، وكانا يقيمان في وادي القرى ، وهو موضع في الحجاز قريب من المدينة ، وقيل إنه أحبها وهو غلام صغير ، وهي جويرية لم تدرك . »

- جميل بثينة : الديوان ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1405 هـ 1984م ، ص ص 5- 6 .

وأحضر لديه ناقة موقرة دراهم، وقال: ينشد كل واحد منكم بيتا في الغزل فأيكم أبداع فهي له بما عليها، فقال جميل:

[الطول]

ولو أن راق الموت يَرْقُ جَنَارِيَّ بمنظفها في العالمين حَيَّيْتُ

[الكامل]

وقال كثير:

وسعى إليّ بعيبٍ عَزَّةَ نِسْوَةٍ جعلَ الإلهُ خُدُودَهُنَّ نِعَاهَا

[الطويل]

وقال: عمر بن أبي ربيعة:

فليت الثُّرَيَّا في المنامِ ضَجِيعِي لدى الجنةِ الخضراءِ أو في جهنَّمِ

فقال عبد الملك: خذها يا صاحب جهنم¹.

وروي عن يونس بن حبيب قال: « كان عبد الملك بن مروان لا يسمع لشعراء مضر ولا يأذن لهم، لأنهم كانوا زبيرية، فوفد إليه الحجاج وفادته التي وفدها، لم يقد إليه غيرها، فأهدى إليه جريزا، فدخل عليه فأذن له في النشيد، فقام فأنشد مديح الحجاج واحدة، فأوماً إليه الحجاج أن يُنشد مديح عبد الملك، فأنشده التي يقول فيها:

[الوافر]

أَلَسْتُمْ خَيْرَ من رَكِبِ المطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحِ

واعتمد على ابن الزبير فقال:

دَعَوْتُ المَلْحَدِينَ أَبَا حُبَيْبٍ جَمَاحًا ، هل شُفِيتَ مِنْ الجِمَاحِ

وَقَدْ وَجَدُوا الخَلِيفَةَ هِمَزْرِيًّا أَلَفَّ العَيْصِ ، لَيْسَ مِنَ النَّوَاحِي

وَمَا شَجَرَاتُ عَيْصِكَ فِي قُرَيْشٍ بَعَثَاتِ المُرُوعِ وَلَا ضَوَاحِي

قال: لما أنشده فيها:

تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ: رَأَيْتُ المُرْدِينَ ذَوِي لِقَاحِ

تُعَلَّلُ - وَهِيَ سَاعِبَةٌ - بَيْنَهَا بَأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّيْمِ القَرَّاحِ

سَيِّكُفِيكَ العَوَاذِلَ أَرْحِي هِجَانُ اللُّونِ كَالقَرْدِ اللِّيَاحِ

يَعُرُّ عَلَى الطَّرِيقِ بِمَنْكَبِيهِ كَمَا ابْتَرَكَ الخَلِيعَ عَلَى القَدَاحِ

فقال له عبد الملك: فهل تُرويهام مئة؟ فقال: وهل إليها من سبيل، جعلني الله فداك يا أمير

1- الأبيشي: المستطرف في كل فن مستظرف، ج 2، الذيل الثاني: محمد بن إبراهيم الأحدث، ص 292.

المؤمنين ؟ وأعطاه مئةً وثمانيةً من الرِّعَاءِ»¹.

هـ- محاوره عبد الملك بن مروان للشعراء :

يروى «أن كُثِّيرًا دخل على عبد الملك بن مروان وعنده الأخطل، فأنشده، فالتفت عبد الملك إلى الأخطل فقال: كيف ترى؟ فقال: حجازي بُجَوِّعٌ مقروِرٌ، دعني أضعمُّه يا أمير المؤمنين. فقال كثر: من هذا يا أمر المؤمنين؟ فقال له: هذا الأخطل: فقال له كثير: مهلا فهلا ضَعَمْتَ الذي يقول: [الكامل]

لاتطلبن خؤولة في تغلبٍ فالزنجُ أكرمُ منهم أحوالاً

والتغلبِ إذا تنحَّحَ للقرى حك استه وتمثل الأمثالاً

فسكت الأخطل فما أجاب بحرف»².

إن رد كُثِّير على الأخطل البيتين يذكره بما هجاه به جرير في قصيدة³، لهذا لما سمع البيتين سكت ولم يجبه، وكأن كُثِّيرًا يطلب من الأخطل أن يضغم معاني شعر جرير فيه، قبل أن يضغم شعره، ومثل هذه المواجهة الأدبية هي التي كان عبد الملك يحب أن يسمعها في جلساته، التي كان يعقدها مع الشعراء.

و- المواقف التي تشمل فيها عبد الملك بن مروان بالشعر :

لقد كانت مجالس عبد الملك بن مروان عامرة بالشعراء، وكان يجب أن يتمثل بالأشعار التي سارت كالأمثال على اللسان العربي، وما يثير إعجابه، ويعظ به نفسه، وفي هذا الصدد قال أبو العباس الجرجاني: «وأعجب ما مر بي في الممثلين، ما قرأت في عيون الأخبار عن القتيبي قال: وفد على عبد الملك وفد أهل الكوفة. فلما دخلوا عليه رأى فيهم غلاما آدم عالي الجسم. فكلمه؛ فراقه بيانه، فلما ولى قال عبد الملك يتمثل بقول عمرو بن شأس* [ت30ه]:

1- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج 2، ص 418-419-420.

- وينظر: البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص 237-238.

2- المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج 1، ص 333-334.

3- جرير: الديوان، ص 369-370-371-372.

* «هو أبو عرار». «عمرو بن شأس، كثير الشعر في الجاهلية والإسلام، أكثر أهل طبقتة شعرا. وكان ذا قدر زشرف ومنزلة في قومه، وهو في الطبقة العاشرة نقي فحول الجاهلية».

- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 278.

- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول اتلشعراء، ج 1، ص 196.

وإنَّ عِرَارًا إِن يَكُنُّ غَيْرَ وَاضِحٍ فإِني أَحِبُّ الجُوْنَ ذَا المنكَبِ العَمَمِ
فالتفت الغلام إلى عبد الملك وضحك ، فقال : عليّ به . ما أضحكك ؟ قال : أنا والله عرار ،
مرتين ¹ .

وفي الموقف نفسه ، جاء في " الكامل في اللغة والأدب " : مع اختلاف في اللفظ وبعض الزيادة ، قال
الأمدي : « وروت الرواة أن الحجاج لما أخذ برأس ابن الأشعث وجه به إلى عبد الملك بن مروان مع عرار
بن عمرو بن شأس الأسدي وكان أسود دميما فلما ورد عليه جعل عبد الملك لا يسأل عن شيء من أمر
الواقعة إلا أنبأه به عرارا في أصح لفظ ، وأشبع قولاً وأجزأ اختصاراً فشفاه من الخبر وملاً أذنه صواباً ، وعبد
الملك لا يعرفه وقد اقتحمته عينه حيث رآه ، فقال عبد الملك متمثلاً :

أرَادَتْ عِرَارًا بِالهُوَانِ وَمَنْ يُرْدُ لَعَمْرِي عِرَارًا بِالهُوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ
وإنَّ عِرَارًا إِن يَكُنُّ غَيْرَ وَاضِحٍ فإِني أَحِبُّ الجُوْنَ ذَا المنكَبِ العَمَمِ
فقال له عرار : أتعرفني يا أمر المؤمنين ؟ قال : لا ، قال : أنا والله عرار فزاده في سروره ، وأضعف له
الجائزة ² .

و« كان عبد الملك يتمثل بأبيات شبيب بن البرصاء في بذل النفس عند اللقاء ، وعجب به ، وهي :

[الطويل]

دَعَانِي حِصْنٌ لِلْفِرَارِ فَسَاءَ بِي مواطنٌ أَن يُثْنِي عَلَيَّ فَأُشْتَمَا
فقلْتُ لحِصْنٍ : نَحَّ نَفْسِكَ إِنَّمَا يذودُ الفتى عن حوضه أَن يُهَدَّمَا
تَأخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لنفسي حَيَاةً مِثْلَ أَن أَتَقَدَّمَا
سَيَكْفِيكَ أَطْرَافُ الأَسْنَةِ فَارِسَ إِذَا رِيحَ نَادَى بِالجَوَادِ وَبِالْحِمَى
إِذَا المرءُ لَمْ يَغْشَ المَكَارِهِ أَوْشَكَتْ حِبَالُ الهَوِينِي بِالْفَتَى أَن تُجَدَّمَا ³ .

ولما قتل مصعب بن الزبير (ت71هـ) « حج عبد الملك بعد ذلك فدخلت عليه حُيِّي ، وقالت له :

أقتلت أخاك مصعباً ؟ فقال متمثلاً :

[البيسيط]

1- أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني : كنايات الأدباء وإشارات البلغاء ، ص ص 333-334 .

2- المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، ج 1 ، ص 160 .

3- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، طبعة دار الكتب المصرية ، ج 12 ، ص 281 .

مَنْ يَذُقُ الْحَرْبَ يَجِدُ طَعْمَهَا مُرًّا وَتَتْرَكُهُ بِحُجْجَاعٍ*¹.

وعن تمثل عبد الملك بن مروان بالشعر « قال المدائني: لما أيقن عبد الملك بالموت قال: والله لو ددت أني كنت منذ ولدت إلى يومي هذا حمالاً ، ثم أوصى بنيه بتقوى الله ، ونهاهم عن الفرقة والاختلاف ، وقال: كونوا بني أم برزة ، وكونوا في الحرب أحراراً، وللمعروف مناراً ، فإن الحرب لم تدن منية قبل وقتها ، وإن المعروف يبقى أجره وذكره، واحلوا في مرارة، ولينوا في شدة، وكونوا كما قال ابن الأعلی الشيباني:

إِنَّ الْقَدَاحَ إِذَا اجْتَمَعْنَ فَرَامَهَا بِالْكَسْرِ ذُو حَنْقٍ وَبَطْشٍ بِالْيَدِ
عَزَّتْ فَلَمْ تَكْسُرْ ، وَإِنْ هِيَ بُدِّدَتْ فَالْكَسْرُ وَالتَّهْوِينُ لِلْمُتَبَدِّدِ

يا وليد اتق الله فيما أخلفك فيه ، إلى أن قال: وانظر الحجاج فأكرمه فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر، وهو سيفك يا وليد على من ناوأك ، فلا تسمعن فيه قول أحد، وأنت إليه أحوج منه إليك، وادع الناس إذا مت إلى البيعة ، فمن قال: برأسه هكذا، فقل بسيفك هكذا².

وفي الموقف نفسه روي: « لما احتضر عبد الملك دخل عليه ابنه الوليد ، فتمثل بهذا: [البسيط]

كَمْ عَائِدٌ رَجُلًا وَلَيْسَ يَعْوُدُهُ إِلَّا لِيَعْلَمَ هَلْ يَرَاهُ يَمُوتُ ؟

فبكى الوليد، فقال: ما هذا؟ نحن حنين الأمة؟ إذا [أنا] مت، فشمري، وائتري، وألبس جلد النمر، وضع سيفك على عاتقك ، فمن أبدى ذات نفسه [لك] فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه³.
« ويروي أن عبد الملك بن مروان لما أشد مرضه ، قال : ارفعوني على شرف ففعل ذلك فتنسم الروح ثم قال: يا دنيا ما أطيبك إن طويلك لقصير، وإن كبيرك لحقير، وإن كنا منك لفي غرور، وتمثل بهذين البيتين:

إِنْ تَنَاقَشَ يَكُنْ نِقَاشَكَ يَارِبَ عَدَابًا لَا طَوْقَ لِي بِالْعَدَابِ

* البيت لأبي قيس بن الأسلت : مذكور في المفضليات .

- المفضل الضبي : المفضليات ، ص 284.

1- الطبري : تاريخ الطبر ، ج6 ، ص 160 .

2- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ص 173- 174 .

3- المصدر نفسه ، ص 174 .

أَوْ تَجَاوَزَ فَأَنْتَ رَبِّ صَفُوحٍ عَنِ مُسِيءٍ ذُنُوبِهِ كَالشُّرَابِ¹.

« وكان عبد الملك بن مروان يتمثل بقول زيادة بن زيد:

تَذَكَّرَ عَنِ شَحْطِ أُمِّيَّةٍ فَارْعَوَى لَهَا بَعْدَ إِكْثَارٍ وَطُولٍ نُحَيْبٍ
وَأَنَّ امْرَأَةً قَدْ جَرَّبَ الدَّهْرَ لَمْ يَخْفَ تَقَلُّبَ عَصْرِيهِ لَغَيْرِ لَيْبٍ
هَلْ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى رَزِيئَةُ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبٍ
وَكُلُّ الَّذِي يَأْتِي فَأَنْتَ نَسِيئُهُ وَلَسْتَ لَشَيْءٍ ذَاهِبٍ بِنَسِيبٍ
وَلَيْسَ بَعِيدٌ مَا يَجِيءُ كَمُثْقَلٍ وَلَا مَا مَضَى مِنْ مُفْرِحٍ بِقَرِيبٍ².

وهكذا نجد الموت أكبر واعظ لعبد الملك، حيث كان في كل موقف يتمثل بالشعر ليعظ به نفسه .

ويظهر عبد الملك بن مروان من خلال موقفه الإيجابي من الشعر والشعراء في صورة الحارس القوي للشعر، حيث جعل مجلسه للشعر والشعراء ، فكان يقول الشعر ويرويه ويتمثل به ، وظهر ذوقه الراقى للشعر من خلال حفظه لعيون الشعر العربي، وكان يسمع للشعراء ، وينقد شعرهم ويحاورهم في ذلك، وكان يحب سماع شعر المدح والغزل، ويطلب من الشعراء توظيف المعاني الشعرية الراقية ذات الصور الجميلة في مدحهم له، ويجازيهم على إبداعهم ، فكان مجلسه مجلس أدب ومال ، وكان في كل هذا يتمتع جلساءه بحسن الاستماع إليهم ، وكانوا يغدقون على مسامحة المعاني الشعرية التي يريدونها ، وهو يغدق عليهم الأموال التي ترغبهم في التقرب إليه بحب وإخلاص ، حتى جعل من الشعر والشعراء وظيفة سياسية في خدمة دولته، وأبعد الشعراء عن معارضة فكره السياسي وهجائهم له ولبنى أمية .

1- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 4 ، ص 104 .

2- الطبري : تاريخ الطبري ، ج 6 ، ص 185 - 186 .

3- موقف سليمان بن عبد الملك (60-99هـ) من الشعر والشعراء :

أما سليمان بن عبد الملك أبو أيوب (60-99هـ / 674-717م) الخليفة الأموي السابع، والخليفة التابعي الخامس فـ« كان من خيار ملوك بني أمية ولي الخلافة بعهد من أبيه بعد أخيه سنة (96هـ 715م)... وكان فصيحاً، مفوهاً، مؤثراً للعدل محباً للغزو، ومن محاسنه: أن عمر بن عبد العزيز كان له كالوزير، فكان يمثل أوامره في الخير، فعزل عمال الحجاج، وأخرج من كان في سجن العراق، وأحيا الصلاة لأول موافقتها، وكان بنو أمية أماتوها بالتأخير»¹. فقال محمد بن سيرين: « يرحم الله سليمان افتتح خلافته بإحياء الصلاة لموافقتها، واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز... وكان سليمان ينهى عن الغناء»².

وأما موقفه من الشعر والشعراء فموقف إيجابي؛ ومن حيث شاعريته فقد أثرت عنه أشعار قليلة، فكان يقول البيت والبيتين، كما كان يروي الشعر ويتمثل به، وكان يستقبل في مجلسه الشعراء ويستمع إليهم وينقد شعرهم ويجيزهم، ويفاضل بين الشعراء، ويمكن توضيح ذلك فيما يأتي:

أ- المواقف التي قال فيها سليمان بن عبد الملك الشعر:

قال مساور الوراق: « بينما سليمان بن عبد الملك يتوضأ ليس عنده غير خاله، والغلام يصب عليه الماء إذ خرَّ الغلام ميتاً، فقال سليمان:

[الكامل]

قَرَّبَ وَضُوءَكَ يَا حُصَيْنُ فَإِنَّمَا هَذِي الْحَيَاءُ تَعَلَّةٌ وَمَتَاعٌ*»³.

[السريع]

« ولما دفن سليمان بن عبد الملك ابنه أيوب وقف ينظر إلى قبره وقال:

كُنْتُ لَنَا أَنْسًا فَفَارَقْتَنَا فَالْعَيْشُ مِنْ بَعْدِكَ مُرُّ الْمَدَاقِ

[الطويل]

وقربت دابته فركب ووقف على قبره وقال:

1- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 178.

2- المصدر نفسه، ص 178.

[الكامل]

* جاءت الرواية في كتاب "البداية والنهاية": على هذه الصيغة، "وقال سليمان لما صب خاله على يديه ماء الوضوء:

قرب وضوءك يا وليد فإنما دنياك هذي بلغة ومتاع

فاعمل لنفسك في حياتك صالحاً فالدهر فيه فرقة وجماع.

- ابن كثير: البداية والنهاية، ج 9، ص 180.

3- الجاحظ: البيان والتبيين، ج 3، ص 499.

وُقُوفًا عَلَى قَبْرِ مَقِيمٍ بِقَفْرَةٍ مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقِ

ثم قال: وعليك السلام ثم عطف رأس دابته وقال: [الوسط]

فَإِنْ صَبَرْتُ فَلَمْ أَلْفُظْكَ مِنْ شَبَعٍ وَإِنْ جَزَعْتُ فَعَلِقُ مِنْفَسٌ ذَهَبًا¹.

وقال في الصداقة: [الطول]

وَمَنْ شِيَمَتِي أَلَّا أَفَارِقَ صَاحِبِي وَإِنْ مَلَّنِي إِلَّا سَأَلْتُ لَهُ رُشْدًا
وَإِنْ دَامَ لِي بِالوَدِّ مَتٌ وَلَمْ أَكُنْ كَأَخْرَ لَا يَرْعِي ذِمَامًا وَلَا عَهْدًا².

وقال سليمان بن عبد الملك [لما نظر إلي أولاده فوجدهم صغاراً]: [الرجز]

إِنَّ بَنِي صَبِيَّةٍ صِغَارًا أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ كِبَارًا³.

وفي موقف آخر روي أن سليمان بن عبد الملك، قال: في مرض موته الذي مات فيه، وكان أكبر

ولده محمد ، وكانت له اثنتا عشرة سنة: [السريع]

إِنَّ بَنِي صَبِيَّةٍ صِغَارًا أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رَبِيعُونَ⁴.

هذا عن شعره القليل الذي قاله ، ورغم فصاحته إلا أن المصادر لم ترو عنه إلا ما ذكرناه ، وعلى

ما يبدو أنه كان يميل بشاعريته إلى الحكمة ، وما اقتضته شاعريته من الكلام الفصيح .

ب- المواقف التي تمثل فيها سليمان بن عبد الملك بالشعر :

كان سليمان بن عبد الملك كلما مات صاحب له ، وقف على قبره موقف موعظة ويتمثل بالشعر،

فروي عنه أنه لما «مات صديق لسليمان بن عبد الملك يقال له شراحيل، فتمثل عند قبره: [الطويل]

وَهَوَّوْنَ وَجُدِي فِي شَرَاحِيلَ أَنِّي إِذَا شَتُّتْ لَاقِيَتْ أَمْرًا مَاتَ صَاحِبُهُ⁵.

و« لما توفي عبد الملك بن مروان تمثل هشام: [الطويل]

فَمَا كَانَ قَيْسُ هَلِكُهُ هَلِكُ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بِنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

فقال الوليد: أسكت ، فإنك تتكلم بلسان شيطان، ألا قلت كما قال أوس بن حجر: [الطويل]

1- الجاحظ : البيان والتبيين ، ج3 ، ص 622 .

2- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج9 ، ص 180 .

3- المصدر نفسه ، ج9 ، ص 181

4- المصدر نفسه ، ج 9 ، ص 181 .

5- المراد : الكامل في اللغة والأدب ، ج2 ، ص 323 .

إِذَا مَقْرَمٍ مِّنَّا ذَرَى حَدِّ نَابِهِ تَحْمَطُ مِّنَّا نَابٌ آخِرٌ مُّقْرَمٌ¹.

وعلق ابن الأثير على هذا التمثيل بقوله : « وقيل : إن سلمان تمثل بالببيت الأول وهو الصحيح ، لأن هشاما كان صغيرا له أربعة عشرة سنة »².

ج- المواقف التي سمع فيها سليمان بن عبد الملك الشعر :

وقال الجاحظ: « وركب سليمان بن عبد الملك يوما في زي عجيب فنظرت إليه جاريتته ، فقالت:

"إنك لمعني ببיתי شعر" قال : وما هما فأنشدته:

أَنْتَ نَعَمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبَقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ

لَيْسَ فِيهَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ كَانَ فِي النَّاسِ غَيْرَ أَنَّكَ فَانٍ

قال: ويلك نعتيت إلي نفسي³.

« ونظر سليمان في مرآة فقال: أنا الملك الشاب فقالت جاريتته له:

[الخفيف]

أَنْتَ نَعَمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبَقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ⁴.

د- استنشاد سليمان بن عبد الملك الشعراء وإجازتهم :

من المواقف الشعرية التي كانت تستوقف سليمان بن عبد الملك في مجلسه، هو حضور الشعراء الكبار عنده ، فكان يستنشدهم الشعر، ويجازي أحسنهم قولاً وإبداعاً ، وعن هذا روى محمد بن سلام، عن يونس قال: « اجتمع شعراء العرب عند سليمان بن عبد الملك، فأمرهم أن يقول كل رجل منهم قصيدة يذكر فيها مآثر قومه ولا يكذب ، ثم جعل لمن برز عليهم جاريتة مولدة ، وأنشده أبو النجم حتى أتى على قوله:

عُدُّوا كَمَنْ رَبَعَ الْجِيُوشَ لَصُلْبِهِ عَشْرُونَ ، وَهُوَ يُعَدُّ فِي الْأَحْيَاءِ

فقال سليمان: أشهد، إن كنت صادقاً، إنك لصاحب الجارية! فقال أبو النجم: سل الملاء عن ذلك

يا أمير المؤمنين، قال الفرزدق: أما أنا فأعرف منهم ستة عشر، ومن ولد ولده أربعة، كلهم قد ربّع . فقال

1- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج4 ، ص 103 .

2- المصدر نفسه ، ج4 ، ص 103 .

3- الجاحظ : البيان والتبيين ، ج3 ، ص 485

4- المصدر نفسه ، ج2 ، ص 499 .

سليمان: ولد الولد هم ولده ، ادفع إليه الجارية ¹.

ومما روي عن استنشاد سليمان الشعراء وإجازتهم، « دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك وسليمان ولي عهد ونصيب عنده، فقال سليمان: أنشدنا يا أبا فراس، وأراد أن ينشده بعض ما امدحه فأنشده:

ورُكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ مِنْهُمْ لها سَلْبًا من جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ
سَرَوْا يَزْكُونُ الرِّيحَ ، وهي تَلْفُهُمْ إلى شَعْبِ الأَكْوَارِ ذَاتِ الحَقَائِبِ
إذا اسْتَوْضَحُوا نَارًا بِقَوْلُونِ لَيْتِهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارٌ غَالِبِ

فغضب سليمان فأقبل على نصيب فقال : أنشد مولاك يا نصيب فأنشده:

أَقُولُ لِرُكْبٍ صَادِرِينَ لَقَيْتُهُمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكِ قَارِبِ
قِفُوا خَبْرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ طَالِبِ
فَعَاجُوا فَأَتَتْهُمُ بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَنْتَ عَلَيْكَ الحَقَائِبِ

فقال له سليمان أحسنت ، وأمر له بصيلة ولم يصل الفرزدق ².

موقف سليمان بن عبد الملك من الشعراء :

لقد كان لسليمان بن عبد الملك مواقف سياسية وأخلاقية وفقهية سلبية من بعض الشعراء ، وحدث هذا في مواقف خاصة ، كالذي حدث له مع الشاعر عدي* بن الرقاع (ت نحو 714م) شاعر بني أمية ، وعمر بن أبي ربيعة ، والفرزدق . فعدي بن الرقاع كان يمدح الوليد بن عبد الملك ، فطلبه سليمان وذكره ببعض ما قاله ، ولكن على ما يبدو قد حُرِّف شعر عدي في البيت الأول ، من خلال حذف ضمير الجمع الغائب "هم" وخصوا كلامه بضمير الغائب المفرد " هو " ، وبهذا تغير معنى

1- ابن سلام الجهمي : طبقات فحول الشعراء ، ج2 ، ص 751 .

2- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ص 265 - 266 .

- وينظر : ابن رشيقي : العمدة ، ج1 ، ص 64 .

* « هو عدي بن الرقاع من عاملة حي قضاة وكان يتزل الشام ، وكانت له بنت تقول الشعر ... وكان شاعرا محسنا » . « شاعر دمشقي مدح الوليد ابن عبد الملك » .

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 415 .

المدح من العام إلى الخاص، فانتبه إليه سليمان ودكّر به عدي بن الرقاع، الذي نفى أن يكون قد قال ذلك. وعن هذا الموقف، قال ابن سلام «لما أتت الخلافة سليمان بن عبد الملك، أتته وهو بالسَّبْعِ*، فكتب إلى عامله: أن أبعث إليّ عديّ بن الرقاع في وثاقٍ مع ثقة، فوجّهه إليه. فلما دخل عليه قال: إن كُنْتَ لكارها لخلافتي! قال: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: حين تقول في مدحة الوليد: [البسط]

عُدْنَا بِذِي العرشِ أن نَبْقَى ونَفْقِدَهُ أو أن نَكُونَ لِراعٍ بَعْدَهُ تَبَعًا

قال ابن الرّقاع: والله ما هكذا قلت، يا أمير المؤمنين، ولكني قلت:

عُدْنَا بِذِي العرشِ أن نَبْقَى ونَفْقِدَهُم أو أن نَكُونَ لِراعٍ بَعْدَهُم تَبَعًا

قال: وكذلك قلت؟ قال: نعم. قال: فكوا حديده، وزُدُّوه على مَرَكِبِهِ إلى أهله»¹.

وقد علق ابن سلام على هذا الموقف قائلاً: «وإنما كان خصّ بتلك المدحة الوليد»².

والموقف نفسه اتخذه سليمان بن عبد الملك مع عمر بن أبي ربيعة، أثناء أدائه للحج، وقد أظهر له ذلك من خلالها موقفه السلبي من شعره الغزلي، ويفهم هذا مما رواه المرزباني: «قال مصعب بن عبد الله ابن الزبير: حج سلمان بن عبد الملك، فلما قدم مكة أرسل إلى عمر بن أبي ربيعة فقال: ألسن القائل:

[الطويل]

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلِقٍ رَهْنًا إِذَا ضَمَّهُ مِنِي
وَكَمْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا راحَ نَحْوَ الجَمْرَةِ البَيْضِ كالدُّمَى
فَلَمْ أَرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظِرٍ ولا كليلالي الحجِّ أَقْتَلَنَ ذَا هَوَى

قال: نعم، قال: لا جرم، والله لا تحج مع الناس العام، وأخرجه إلى الطائف حتى قضى الناس

حجهم»³.

فهذا الموقف السلبي ليس موقفًا من الشعر، وإنما هو موقف أخلاقي من الشاعر، وعلى ما يبدو

أن خلفاء بني أمية كانوا يتخرجون من وجود عمر بن أبي ربيعة في مكة أثناء أدائهم لمناسك الحج، لهذا

* السبع: "ناحية في فلسطين، بين بيت المقدس والكرك، فيه سبعة آبار".

- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج2، المحقق: هامش رقم 4، ص 699.

1- المصدر نفسه، ج2، المحقق: هامش رقم 4، ص 699-700.

2- المصدر نفسه، ج2، ص 700.

3- المرزباني: الموشح، ص 261.

أخرجه سليمان من مكة حتى أنهى الناس حجهم، وهو نفس الموقف وقفه ضده عبد الملك من عمر أثناء أدائه للحج، وإن كان لم يخرج من مكة بل قضى حوائجه، وقد سبقت الإشارة إليه.

لكن على ما يبدو أن سليمان قد حاول التقرب من عمر ليمدحه فلم يجد عنده مراده، وفي هذا الموقف رواه صاحب الأغاني أن سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن أبي ربيعة: « ما يمنعك من مدحتنا، فقال: إني لا أمدح الرجال، إنما أمدح النساء»¹.

وفي موقف ثالث رواه الزهري قال: « كان الأحوص* الشاعر يشيب بنساء أهل المدينة، فتأذوا به، وكان مَعْبُدًا وغيره من المغنين يُعَنَّونَ في شعره، فشكاه قومه، فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك: فكتب إلى عامله بالمدينة أن يضربه مئة سوط، ويقممه على البُلس للناس، ويسيره إلى دهلك**، ففعل به، فَتَوَى بها سلطان سليمان»².

يتجلى في النص حكم فقهي تضمن ثلاث عقوبات وهي: الحد بمائة سوط، وإقامته على البلس، والنفي، ويعد هذا الحكم حكم فقهي لا نقدي، وبالتالي فإن موقف سليمان بن عبد الملك من شعر التشبيب موقف سلبي، وهو موقف المتلقي الذي رفض هذا التشبيب جملة وتفصيلاً، وقد انسحب هذا الحكم على الشاعر.

وسليمان مثله مثل بقية الخلفاء الأمويين، فموقفه من الشعر موقف إيجابي، فقد قال القليل من الشعر، وتمثل به واستنشد الشعراء، إلا أن تكوينه الفقهي وثقافته الدينية جعلته يرفض شعر الهجاء والتشبيب.

1- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ط دار الكتب المصرية، ج 1، ص 74.

* « الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح وعاصم بن ثابت من الأنصار وهو حمي الدبر، وكان الأحوص يرمى بالابنة والزنا وشككي إلى عمر بن عبد العزيز فنفاه من المدينة إلى قرية من قرى اليمن على ساحل البحر فدخل إليه عدد من الأنصار يكلمونه فيه وسألوه أن يردده إلى المدينة» فاحتج لهم عمر بن عبد العزيز فما قاله الأحوص من شعر التشبيب ورفض عودته إلى المدينة.

- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 351.

** دهلك «أرحبيل من 122 جزيرة في جنوب البحر الأحمر يتبع اريتريا، أهم جزره دهلك الكبير تجاه مَصَوَّع، 900 كلم. 2. 1500 نسمة. أسماك ولؤلؤ. قاعدة حربية».

- المنجد في اللغة والأعلام، ص 247.

2- ابن سلام الجهمي: طبقات فحول الشعراء، ج 2، ص 656.

4- موقف عمر بن عبد العزيز (ت101هـ720م) من الشعر والشعراء :

أما عمر بن عبد العزيز بن مروان (61- 101هـ 681- 720م) الخليفة الأموي الثامن، والخليفة التابعي السادس، فحكم وسانس المسلمين ابتداء من 99هـ717م، وقد اهتم بالإصلاح الإداري والمالي، وكان يغلب على طابع حكمه السياسي العدل بين الرعية، أما مستوى علمه وثقافته، فكان فقيها عالما فصيحاً، فغلب على حياته طابع الزهد وخاصة بعد أن تولى الحكم، وأما من الناحية الأدبية فكان « أكثر خلفاء بني أمية خلفاء بني أمية الذين أثرت عنهم أقوال ومواقف تتعلق بالشعر والشعراء عبد الملك بن مروان، يليه في المرتبة الثانية معاوية بن أبي سفيان وعمر بن عبد العزيز، وقد تجمعت لدينا طائفة غير يسيرة من آراء عمر النقدية، كما عرفت له مواقف مع عدد من الشعراء الذين كانوا في زمانه، مثل جرير، والفرزدق، والأخطل، وعمر بن أبي ربيعة، وكثير، وجميل بثينة، والأحوص، ونصيب*، وسابق البربري، وغيرهم¹ ».

وفي عهد عمر بن عبد العزيز لم يغب في سياسته الاهتمام بالشعر والشعراء، فقد ثبت في مصادر الأدب ونقده اهتمامه بالشعر، فقد روى له ابن رشيقي بعض أشعاره، كما دلت بعض مواقفه على أنه كان يحفظ الشعر ويرويه، ويتمثل به في المواقف المناسبة، وثبت أن الشعراء كانوا يطرقون باب مجلسه، رغبة منهم في مدحه ونيل عطائه، وذلك منذ أن كان والياً على المدينة، وأثناء توليه منصب الخلافة، حافظ على مال الدولة ولم يجد عنده الشعراء ما تعودوا عليه عند الملوك والأمراء قبله، وكان إذا اضطر أن يعطي شيئاً فيقتسم ما يملك من مال أو متاع ويمنح منه جزءاً للشعراء، وهذا يدل على أن موقفه من الشعر والشعراء موقف إيجابي .

كما كانت له مواقف سلبية من شعر التشبيب والغزل، فدفعه ذلك إلى الوقوف من بعض الشعراء كعمر بن أبي ربيعة، والفرزدق، والأحوص، موقفاً سلبياً من جراء شعرهم، وهو ما يمكن توضيحه فيما يأتي :

* « كان نصيب عبداً أسوداً لرجل من أهل وادي القرى، فكاتب على نفسه ثم أتى عبد العزيز بن مروان فقال فيه مدحة فوصله واشترى ولاءه، وقال أبو اليقظان : هو عبد بني كعب بن ضَمْرَةَ من كنانة، وقال آخرون : كان من بلي من قضاة، وكانت أمه أمة سوداء فوقع بها سيدها فأولدها نُصَيْبًا فوثب عليه عمُّه بعد موت أبيه فاستعبده، ثم باعه من عبد العزيز بن مروان، وكان يكنى أبا الجحناء...مدح خلفاء بني أمية ».

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ص 365-366 .

1- وليد قصاب : شخصيات إسلامية في النقد والأدب، ص 84 .

أ- المواقف التي قال فيها عمر بن عبد العزيز الشعر:

ثبت أن لعمر بن عبد العزيز أشعار قليلة ، ورد ذكرها في بعض المصادر، والواضح من الأشعار التي نسبت إليه أنه شخصية متدينة، زاهد في الدنيا، فلا عجب إذا وجدنا أن « شعر الزهد ظهر على يد عمر ابن عبد العزيز » وبعض شعراء هذا العصر من أمثال: الطرماح بن حكيم، وسابق البربري، وعدي ابن الرقاع، وغيرهم . وكل ما وصلنا من شعر عمر بن عبد العزيز يدور حول هذا الغرض، وقلمنا يخرج عنه إلى غيره . فقد كان عمر « ورعا تقيا كارها للفساد الذي حل بالبيت الأموي . داعيا للإصلاح . ولذلك اتخذ الخليفة سليمان بن عبد الملك خليفة له بعد موته، ولقد تحقق رأي سليمان فيه . فمنذ أن تولى عمر الخلافة رفع أيدي بني أمية عن بيت المال. ورد المظالم للناس وحقوقهم التي استلبها بنو أمية بغير حق »¹.

وعن هذا الموقف المتدين لعمر بن عبد العزيز جاء شعره يعكس زهده في الدنيا، كما ذكر ذلك

صاحب "العمدة" : « قال عمر بن عبد العزيز ، رواه الأوزاعي عن محمد بن كعب: [الطويل]

أَيُّقْظَانِ أَنْتَ الْيَوْمَ أَمَّ أَنْتَ حَامٌ؟	وكيف يُطِيقُ النَّوْمَ حَيْرَانٌ هَائِمٌ؟
فَلَوْ كُنْتَ يَقْظَانِ الْغَدَاةَ لِحَرَّقْتَ	حَفُونَا لِعَيْنِكَ الدَّمُوعُ السَّوَاجِمُ
نَهَارَكَ يَا مَغْرُورَ سَهْوٍ وَغَفْلَةٍ	وليلك نومٌ ، والرّدى لك لأزِمُ
وتشغل فيما سوف تكررُه غبه	كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ» ² .

ومما أثبتته حماد الراوية من شعره:

إِنَّهُ الْفَوَادَ عَنِ الصَّبَا	وَعَنْ انْتِقَادِكَ لِلْهَوَى
فَلَعَمْرُ رَبِّكَ إِنَّ فِي	شَيْبِ الْمَفَارِقِ وَالْجَلَا
لَكَ وَاعْظًا لَوْ كُنْتَ تَدَّ	عِظُ اتِعَاظَ ذَوِي التُّهَى
حَتَّى مَتَى لَا تَرَعَوِي؟	وَأِلَى مَتَى؟ وَإِلَى مَتَى؟
بَلِي الشَّبَابُ وَأَنْتَ إِنَّ	عُمِّرْتَ زَهْنٌ لِّلْبَلَى

1- السيد أحمد عمارة : شعر خلفاء بني أمية تحقيق ودراسة ، ص 112 .

2- ابن رشيقي : العمدة ، ج 1، ص 32 .

وَكَفَى بِذَلِكَ زَاجِرًا لِلْمَرْءِ عَن غَيِّ ، كَفَى¹ .

وقال ابن رشيقي: ومن شعره أيضا أنشده ابن داود القياسي في كتابه:

[الطويل]

ولولا النهى ثم التقي خشية الردى لعاصيت في حب الصبا كل زاجر
صبا ما صبا فيما مضى ثم لا ترى له صبوته أخرى الليالي العواير² .

وقال عمر بن عبد العزيز في الزهد من الدنيا ومتاعها:

[الطويل]

ولا خير في عيش امرئ لم يكن له من الله في دار القرار نصيب
فإن تُعجب الدنيا أناسًا فإنها متاع قليل والزوال قريب³ .

وقال أيضا:

[الخفيف]

أنا ميتٌ وعزٌّ من لا يموتُ قد تيقنتُ أنني سأموتُ
ليس ملكا يزيله الموت ملكا إنما الملكُ ملك من لا يموتُ⁴ .

وقال كذلك:

[الخفيف]

ومن الناس من يعيش شقيبا جيفة الليل غافل اليقظة
فإذا كان ذا حياءٍ ودين راقب الله واتقى الحفيظة
إنما الناس راحلٌ ومقيمٌ فالذي سار للمقيم عظة⁵ .

وقال عمر بن عبد العزيز في موقف إخلاصه في علاقته مع الناس ومعاملته إياهم بالرفق: [الكامل]

إني لأمنح من يواصلني مني صفاء ليس بالمدق
وإذا أخ لي حال عن خلق داويت منه ذاك بالرفق
والمرء يصنع نفسه ومي ما تبلة يرجع إلى العرق⁶ .

1- ابن رشيقي: العمدة، ج1، ص 32 .

- وينظر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ص 191- 192 .

2- ابن رشيقي: العمدة، ج1، ص 32 .

3- شمس الدين محمد أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد نعم العرقسوسي: بيروت، مؤسسة الرسالة، 1981م، ج3، ص 139 .

4- ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص 206 .

5- الحافظ جمال الدين أبي الفدا عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي: سيرة عمر بن عبد العزيز، مطبعة الإمام بمصر، د. ت، ص 118 .

6- المصدر نفسه، ص 186 .

وقال أيضا عمر بن عبد العزيز:

[بجزوء الكامل]

قَدْ جَاءَ شُغْلُ شَاغِلٍ وَعَدَلْتُ عَنْ طَرِقِ السَّلَامَةِ
ذَهَبَ الْفِرَاعُ فَلَا فِرَا عَ لَنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ¹.

وقال أيضا:

[البسيط]

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُهْدِي نَصِيحَتَهُ إِنَّ الْحَاسِنَ وَالتَّوْفِيقَ بِاللَّهِ
إِذَا كَانَ أَمْرُ السُّلْطَانِ تَنْكِرَهُ فَمَا عُرِيَ الدِّينَ وَالْإِيْلَامَ بِالْوَاهِي
هَذَا الْكِتَابُ كِتَابُ اللَّهِ نَقَرُوهُ مُصَدِّقَ الْوَحْيِ فِينَا أَمْرٌ نَاهِي
فَقَدْ يَزِلُّ الَّذِي يَبْقَى الْهُدَى رَهَقًا عِنْدَ الشَّرِيعَةِ وَالْعَوَالِمِ الدَّاهِي².

ب- المواقف التي أنشد فيها عمر بن عبد العزيز الشعر :

قال شهاب الدين الأبهسي: « لما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز، أتته الوفود فإذا فيهم وفد الحجاز فنظر إلى صبي صغير السن وقد أراد أن يتكلم، فقال: ليتكلم من هو أسن منك فإنه أحق بالكلام منك، فقال الصبي: يا أمير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا من هو أحق به منك، قال: صدقت... فنظر عمر في سن الغلام فإذا له اثنتا عشرة سنة فأنشدهم عمر: [الطويل]

تَعَلَّمَ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
فَإِنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا التَّمَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ³.

النص يعكس فصاحة ونباهة الصبي، بينما البيتان اللذان استدل بهما عمر بن عبد العزيز على شجاعة الصبي ونباهته فيهما من الحكمة والموعظة للفرق بين الصغير المتعلم والكبير الجاهل .

[المنسرح]

و« كان عمر بن عبد العزيز ينشد قول فيس بن الخطيم:

بَيْنَ شُكُولِ النِّسَاءِ خِلْقَتُهَا قَصْدٌ فَلَا جَبَلَةٌ وَلَا قَصْفٌ

1- ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص 188 .

2- المصدر نفسه ، ص 197.

3- الأبهسي : المستطرف في كل فن مستظرف ، ج 1 ، ص 46 .

تَنَامُ عَنْ كُبْرٍ شَأْنَهَا فَإِذَا قَامَتْ رُوَيْدًا تَكَادُ تَنْقَصِفُ
تَغْتَرِقُ الطَّرْفَ وَهِيَ لَاهِيَةٌ كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا نُزْفُ
ثم يقول: قائل هذا الشعر أنسب العرب ¹.

ج- تمثل عمر بن عبد العزيز بالشعر :

كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بالشعر الذي فيه حكمة بالغة ليعظ بها نفسه: [البسيط]

مَنْ كَانَ حِينَ تَمَسُّ الشَّمْسُ جِبْهَتَهُ أَوْ الْغَبَارُ يَخَافُ الشَّيْنِ وَالشَّعْنََا
وَيَأْلَفُ الظِّلَّ كِي تَبْقَى بِشَاشَتَهُ فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوْمًا رَاغِمًا جَدْنًا².

كما كان يتمثل:

أَيُقِظَانُ أَنْتَ الْيَوْمَ أَمْ أَنْتَ نَائِمٌ وَكَيْفَ يُطِيقُ النَّوْمَ حَيْرَانُ هَائِمٌ
فَلَوْ كُنْتَ يَقِظَانِ الْغَدَاةَ لَحَرَّقتَ مَدَامِيعَ عَيْنَيْكَ الدُّمُوعَ السَّوَاجِمُ
هَازِلُكَ يَا مَعْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ وَنَوْمُكَ لَيْلٌ وَالرَّدَى لَكَ لَأَزِمُ
يَعْرُدُّكَ مَا يَفْنَى وَتُشْعَلُ بِالْمَنَى كَمَا عُرَّ بِاللَّذَاتِ فِي النَّوْمِ حَالِمُ
وَتُشْعَلُ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غَيْبَهُ كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ³.

وهذا التمثيل بهذه الأبيات فيه شيء من حكمة عمر، وزهده في الحياة الدنيا، وهو يعطي بذلك

بعد نظر الخليفة المسؤول على الرعية ، الذي يكون حريصا ويقظا، بعيدا عن الغرور .

د- ومن مواقف سماع عمر بن عبد العزيز للشعراء :

1- ومن مواقفه الأدبية الظريفة التي رويت عنه: « مر عمر بن عبد العزيز ومعه مزاحم مولاه يوما

بقصر من قصور آل جفنة وقد خرب ، فتمثل مزاحم بقول الأسود بن جعفر: [البسيط]

جَرَّتِ الرِّيَاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
وَلَقَدْ عُنُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ

1- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، طبعة دار الكتب المصرية ، ج3 ، ص 42 .

2- المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، ج1 ، ص 375 .

3- المصدر نفسه ، ج2 ، ص 325 .

فَإِذَا النَّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهَى بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَلَى وَنَفَادٍ

فقال عمر: هلا قرأت أبا بي بي تر □ □ إلى قوله عز وجل: أ □ □ □

□ □ [سورة الدخان الآيات 25. 28] «¹.

2- ومن المواقف التي سمع فيها عمر بن عبد العزيز الشعر، وذلك لما تولى الخلافة، حيث كان مجلسه لا يخلو من حديث الشعراء ، وكان الشعر الذي يردد في مجلسه يقال في مدحه والثناء عليه . وفي ذلك « قال خالد بن عبد الله القصري لعمر بن عبد العزيز: من كانت الخلافة زانته ، فإنك قد زنتها، ومن كانت شرفته فإنك قد شرفتها، فأنت كما قال القائل:

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حَسَنَ وَجْهِهِ كَانَ لِلدُّرِّ حَسَنُ وَجْهِكَ زَيْنًا

قال عمر أعطي صاحبكم مقولا، ولم يعطى معقولا «².

3- وروي عن سماعة للشعر، أنه كان يستمع إلى مديح الشعراء الذين يقصدونه ويعطيهم الجوائز، لكنه غير مكثر، من ذلك ما قاله ابن عبد ربه: « مدحه دكين الراجز ، فأمر له بخمس عشر ناقة «³.

4- ومن الشعراء الذين مدحوه ونالوا جوائزهم نصيب وجرير، فـ « استأذن نصيب بن رباح على عمر ابن عبد العزيز فلم يأذن له، فقال: أعلموا أمير المؤمنين أني قلت شعرا، أوله الحمد لله، فأعلموه، فأذن له فأدخل علي وهو يقول:

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَّا بَعْدُ يَا عَمْرُ فَقَدْ أَتَيْتَنَا الْحَاجَاتُ وَالْقَدْرُ

فَأَنْتَ رَأْسُ قَرِيْشٍ وَابْنُ سَيْدِهَا وَالرَّأْسُ فِيهِ يَكُونُ السَّمْعُ وَالْبَصْرُ

فأمر له بحلة سيفه «⁴.

5- وكذلك « مدحه جرير بشعره الذي يقول فيه:

هَذِي الْأْرَامِلُ قَدْ قَضَيْتَ حَاجَتَهَا فَمَنْ لِحَاجَةِ هَذَا الْأْرَمَلِ الذَّكْرُ

فأمر له بثلاثمائة درهم «¹.

1- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ط دار الكتب المصرية ، ج11 ، ص 19 .

2- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : عيون الأخبار ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1393 هـ 1973 م ، ج2 ، ص 93 .

3- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج5 ، ص 292 .

4- المصدر نفسه ، ج5 ، ص 292 .

والواضح من هذه المدائح أن عمر بن عبد العزيز لم يكن يولي أهمية للقيمة الفنية للشعر، ولهذا نجده يهتم بمثل هذا الخطاب الديني المباشر في الأبيات، وإنما هو يصرف الشعراء عنه، ويرضيهم بما تيسر له من مال وجوائز .

6- يمكن أن نتصور أن موقف عمر بن عبد العزيز من تقليده لأهمية الشعراء، أنه كان نتيجة تفكيره العميق وتخطيطه السياسي لتسيير شؤون الدولة، وقد أراد أن يضع مال بيت المسلمين في مكانه الصحيح، والصورة أبلغ حين رفض سماع الشعر واستقباله الشعراء: عمر بن أبي ربيعة، والفرزدق، والأخطل، والأحوص، وجميل، وجرير، وذلك « لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد الشعراء إليه وأقاموا ببابه أياماً لا يُؤذَنُ لهم... ثم دخل عدي بن أرطاة على عمر فقال: يا أمير المؤمنين، الشعراء ببابك ، وسهامهم مسمومة، وأقوالهم نافذة، قال: ويحك يا عدي ! مالي وللشعراء ؟ قال: أعز الله أمير المؤمنين، إن رسول الله ﷺ قد امتدح وأعطى، ولك في رسول الله أسوة، قال: كيف؟ قال: امتدحه العباس بن مرداس، فأعطاه حلة قطع بها لسانه، قال: مَنْ بالباب منهم ؟ قال: عمر بن أبي ربيعة والفرزدق والأخطل والأحوص وجميل، قال: أليس هذا القائل كذا، وهذا القائل كذا، وذكر لكل واحد منهم أبياتاً تشعر برقة الدين، والله لا يدخل علي أحد منهم، فهل سوى من ذكرت ؟ قال: نعم، جرير، قال: أما أنه الذي يقول:

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَكَيْسَ ذَا حِينَ الرَّيَاةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ

فإن كان لابد فهو، فأذن لجرير فدخل عليه وهو يقول:

إِنَّ الَّذِي بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا جَعَلَ الْخِلاَفَةَ لِلْإِمَامِ الْعَادِلِ

إلى آخر الأبيات .

فلما مثل بين يديه قال: ويحك يا جرير، اتق الله ولا تقل إلا حقا فأنشأ يقول:

أَذْكَرُ الْجَهْدَ وَالْبَلْوَى الَّتِي نَزَلَتْ
أَمْ قَدْ كَفَاكَ الَّذِي بَلَغْتَ مِنْ خَبْرِي
كَمْ بِالْيَمَامَةِ مِنْ شَعْنَاءَ أَرْمَلَةٍ... إلخ

1- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 5 ، ص 292 .

فقال: يا جرير ما أرى لك فيما ها هنا حقا، قال: بلى يا أمير المؤمنين، أنا ابن سبيل ومنقطع بي، فأعطاه من صلب ماله مائة درهم . وقال: ويحك يا جرير، لقد ولينا هذا الأمر وما نملك إلا ثلاثمائة

درهم، فمائة أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله يا غلام، أعطه المائة الباقية . فأخذها وقال: والله لهي أحب ما اكتسبت إلي . ثم خرج فقال له الشعراء: ما وراءك ؟ قال: ما يسوؤكم . خرجت من عند أمير المؤمنين، وهو يعطي الفقراء ويمنع الشعراء ، وإني عنه لراض . وأنشأ يقول: [الطويل]

رَأَيْتُ رُحْمِي الشَّيْطَانَ لَا يَسْتَفْرُهُ وَقَدْ كَانَ شَيْطَانِي مِنَ الْجَنِّ رَاقِيًا¹ .

وإذا نظرنا إلى أول النص وآخره، وجدنا أن دلالاته الفكرية والسياسية قوية، تعكس نهجا سياسيا قبل أن تكون ذات بعد ديني، صحيح أن عمر بن عبد العزيز يظهر أنه اتكأ في فكره على أفكار دينية، ولكنها في الحقيقة تصب في الوعاء السياسي للحفاظ على دولة بني أمية، وإن كان عمر التزم بمقاطعة الشعراء الذين يتغزلون بالنساء، ومقاطعة الشعراء المهجائين، كما فعل مع ابن أبي ربيعة والفرزدق والأخطل والأحوص وجميل، والتزم الاقتصاد في إجازة الشعراء، ولكن لما علم عمر بجرير غير رأيه، واستمع إليه، لأنه وجده عف اللسان فأجازه من ماله الخاص، حينئذ تأكد للشعراء أن عمر أفطمهم على معودوهم عليه الخلفاء قبله، ولما عم هذا الموقف أصبح في قرارة أنفس الشعراء دليل القناعة بأن عمر في غنى عنهم.

ز- ومن المواقف التي طلب فيها الخليفة عمر بن عبد العزيز الاستماع للشعراء ، قال البيهقي: « لما مات عبد الملك ابن عمر بن عبد العزيز جزع عليه عمر جزعا شديدا، فقال ذات يوم لمن حضر: هل من منشد شعرا أتعزى به، أو واعظ يخفف عني فأستعزى وأتسلى ؟ فقال رجل من أهل الشام: يا أمير المؤمنين، كل خليل مفارق خليله بأن يموت، أو بأن يذهب إلى مكان، فتبسم عمر- رحمه الله- ثم قال: ويحك، مصيبي فيك زادني مصيبة² .

هـ- موقف عمر بن عبد العزيز من الشعراء :

يتجلى من خلال ما ذكرته مصادر الشعر عن موقف عمر بن عبد العزيز من الشعراء المشبيين والمهجائين، أنه كانت له نظرة خاصة لهذين الغرضين الشعريين، لهذا أظهر موقفه السلبي من الشعراء: نصيب والأحوص وعمر بن أبي ربيعة والفرزدق . وعن هذا الموقف جاء في الأغاني: « دخل النصيب على عمر بن عبد العزيز بعدما ولي الخلافة ، فقال له: إيه يا أسود ، أنت الذي تشهر النساء بنسيبك ؟

1-السيوطي : شرح شواهد المغني ، ط1 ، بيروت ، منشورات دار الحياة ، د.ت ، ج1 ، ص ص 197- 198 .

- وينظر : البيهقي : المحاسن والمساوئ ، ص ص 271- 272 .

2- البيهقي : المحاسن والمساوئ ، ص 382 .

فقال: إني قد تركت ذلك يا أمير المؤمنين، وعاهدت الله عز وجل ألا أقول نسيباً، وشهد له بذلك من حضر، وأننوا عليه خيراً، فقال: أما إذا كان الأمر هكذا فسل حاجتك¹.

الواضح من هذا الموقف أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان على علم ودراية بمذهب نصيب الشعري، لهذا أظهر له موقفه السليبي منه، في إشارة منه أنه لا يقبل سماع شعر النسيب في مجلسه، وهو الموقف نفسه الذي اتخذته ضد الأحوص وعمر بن أبي ربيعة.

وعن الزهري قال: «كان الأحوص الشاعر يشيب بنساء أهل المدينة، فتأذوا به، وكان معبد وغيره من المغنين يغنون في شعره. فشكاه قومه، فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك، فكتب إلى عامله بالمدينة أن يضربه مائة سوط، ويقيمه على البلس للناس، ويسيره إلى دهلك، ففعل، فثوى بها سلطان سليمان وعمر بن عبد العزيز، فأتى رجال من الأنصار عمر بن عبد العزيز، فسألوه أن يردّه، وقالوا: قد عرفت نسبه وموضعه من قومه، وقد أخرج إلى أرض الشرك، فنطلب إليك أن تردّه إلى حرم رسول الله ﷺ ودار قومه فقال عمر: من الذي يقول:

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فَجَاءَهُ فَأَبْهَتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيبُ

قالوا الأحوص، قال: فمن الذي يقول:

أَدُورُ وَلَوْلَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ بِأَيِّبَاتِكُمْ مَا دُرْتُ حَيْثُ أَدُورُ

قالوا الأحوص، قال: فمن الذي يقول:

سَيَلِقِي لَهَا فِي الْقَلْبِ فِي مُضْمَرِ الْحَشَا سَرِيرَةَ حُبِّ حَيْرَ ثُبْلَى السَّرَائِرِ

قالوا: الأحوص، قال: إنه يومئذ عنها لمشغول، والله لا أردّه ما كان لي سلطان، فمكث هناك

بقية ولاية عمر².

إذاً، فموقف عمر بن عبد العزيز من الأحوص موقف سلمي معلل مبني على معيار خلقي، وصارم تجاه شعر التشبيب، وهو يمثل كذلك موقف المتلقي الغاضب، الذي رفض غزل الأحوص، ولم يتنازل للأنصار عن المبدأ الشرعي الذي حده به الخليفة سليمان بن عبد الملك.

1- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ط دار الكتب المصرية، ج1، ص 347.

2- ابن سلام الجهمي: طبقات فحول الشعراء، ج2، ص ص 656-657.

- وينظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 351.

وفي موقف ثالث اتخذه ضد الشعراء، حيث تروي المصادر « كان عمر بن أبي ربيعة فاسقا، يتعرض لنساء الحاج، ويشبب بهن، فنفاه عمر بن عبد العزيز إلى دهلك، ثم غزا في البحر فأحرقت السفينة التي كان فيها، فاحترق ومن كان معه »¹.

فهذه صورة واضحة عن موقف عمر بن عبد العزيز من شعراء التشبيب، حيث كان حكمه فيهم هو إبعادهم عن أرضهم وأهلهم ومجتمعهم، عن طريق النفي، وهذا حكم فقهي مبني على معيار خلقي، كحكم الخليفة عمر بن الخطاب الذي حكم بنفي أبي محجن الثقفي .

كما روي في موقف رابع من الفرزدق، حيث روي أنه « بلغ عمر بن عبد العزيز أن الفرزدق قد زنى فنفاه ، وحرب جريرا فبانت له عفته ، فقال بعد أن حدث الناس بفعال الفرزدق وجرير: عجبا لقوم يفضلون الفرزدق على جرير مع عفته بطنه وفرجه »².

وفي رواية ابن قتيبة « قد كان عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- حين بلغه فجور الفرزدق نفاه عن المدينة »³.

يبدو في النص الأول حكمين: الأول حكم أخلاقي؛ حيث وضع الخليفة عمر مقياسا للمفاضلة بين الشعراء ، وهو العفة في الفن الشعري وسلوك الشاعر، والثاني حكم فني، والأول فقهي لأنه حكم على الفرزدق بعقوبة النفي نتيجة لجرم الزنا، والثاني فني لأنه قدم من خلاله شاعرية جرير على شاعرية الفرزدق، الذي فضله جمهور النقاد على جرير، وهذا الحكم الفني يتكئ في نظر عمر بن عبد العزيز على معياره الفقهي والخلقي .

ومن الواضح أن موقف عمر بن عبد العزيز من شعر المهجاء موقف سلبي، حيث « كان الفرزدق كثير الانتجاع للشرفاء بالمدينة ، ولذلك شكاه أهل المدينة لعمر بن عبد العزيز في وقت خصاصة ، فأمره بألا يتعرض لهم، ودفع إليه أربعة آلاف درهم، ومر الفرزدق بعد نهي عمر له بعبد الله بن عمر بن عثمان وهو جالس في دهليز وعليه عمامة خز ومطرف ، فقال:

[الوافر]

1 نقلا عن : وليد قصاب : النقد الأدبي القديم نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي ، ص 102 .

- البغدادي : خزنة الأدب ، تحقيق : عبد السلام هارون ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة، 1976م، ج2، ص32 .

2- نقلا عن : وليد قصاب : النقد الأدبي القديم نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي ، ص ص 102 - 103 .

- عبد الكريم النهشلي : اختيار المتع في علم الشعر وعمله ، تحقيق: محيي الدين الكعبي، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب، 1978م، ص156.

3- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 330.

أَعْبَدَ اللَّهُ إِنَّكَ خَيْرُ مَا شِ¹

فخلع عليه ثيابه ، ودفع إليه عشرة آلاف درهم ، فاتصل ذلك بعمر فأحضره وقال: ألم أتقدم إليك بالألا تعرض بمدح ولا هجاء ، وقد أجلتك ثلاثاً، فإن وجدتك بعد ذلك نكلت بك¹ .
 إن رفض عمر بن عبد العزيز لهجاء الفرزدق وطلبه منه أن يكف عن المدح والهجاء ، وألا يتعرض لأحد ، هو أمر يتماشى مع طبيعة سياسته في تسيير شؤون دولته ، ومع وجهته الدينية ، لذا نجد عمر يدفع إلى الفرزدق " أربعة آلاف درهم " اشترى بها منه أعراض المسلمين، وهو بهذا سار على سنة الخليفة عمر بن الخطاب ، الذي اشترى أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم من الحطيئة ، وهذا الموقف يؤكد لنا أن موقف عمر بن عبد العزيز السلبي كان من الشعراء وليس من الشعر .
 إذًا ، بهذه الصورة يتضح أن موقف عمر بن عبد العزيز من الشعر والشعراء، من حيث المبدأ موقف إيجابي ، فقال الشعر وإن كان قليلاً، وتمثل به ، واستمع إلى الشعراء ، ولكنه كان يفرق بين شعر وشعر، فقبل المدح المبني على الحق من الشعراء ، وكان موقفه من شعر وشعراء الغزل والهجاء موقفاً سلبياً؛ حيث كان على علم ودراية بالمذهب الشعري لنصيب والأحوص وعمر بن أبي ربيعة ، والفرزدق ، لهذا حجبهم عنه ولم يستمع إليهم .

1- نقلا عن : وليد قصاب :النقد الأدبي القديم نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي ، ص 103.

- عبد الكريم النهشلي : اختيار الممتع في علم الشعر وعمله ، ص 20.

5- موقف يزيد بن عبد الملك (ت 105هـ 724م) من الشعر والشعراء :

أما يزيد الثاني بن عبد الملك (71- 105هـ 690-724م) فهو الخليفة الأموي التاسع (101هـ 720م)، خليفة عمر بن عبد العزيز بعهد من أخيه سليمان¹، والخليفة التابعي السابع، توفي في إربد ودفن في دمشق .

ورويت له أشعار قليلة، وكان مجلسه يغلب عليه اللهو، فروي « عن مسلمة بن عبد الملك، قال ليزيد ابن عبد الملك، يا أمير المؤمنين ! بيا بك وفود الناس، وتقف بيا بك أشراف العرب . فلا تجلس لهم، وأنت قريب عهد بعمر بن عبد العزيز! وقد أقبلت على هؤلاء الإيماء ! قال: أرجو أن لا تعاتبني على هذا بعد اليوم . فلما خرج مسلمة من عنده، استلقى على فراشه، وجاءت حباة جاريتته فلم يكلمها ، فقالت: ما دهاك عني؟ فأخبرها بما قال مسلمة ، وقال : تنحي عني أفرغ للناس . قالت: فامتنعي منك مجلسا واحدا، ثم اصنع ما بدا لك . قال: نعم ، فقالت لمعبد: كيف الحيلة ؟ قال: يقول الأحوص أبياتا وتُعَنَّ فيها . قالت: نعم . فقال الأحوص:

أَلَا لَا تَلْمُهُ الْيَوْمَ أَنْ يَتَبَلَّدَا فَقَدْ غُلِبَ الْخَزُونُ أَنْ يَتَجَلَّدَا
إِذَا كُنْتَ عِزَّاهَاً عَنِ اللَّهِ وَالصَّبَا، فَكُنْ حَجْرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدَا
فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مَا تَلَدُّ وَتَشْتَهِي، وَإِنْ لَمْ فِيهِ دُو الشَّنَانِ وَفَنَدَا

فغنى فيه معبد وقال: مررت البارحة بدَيْرِ نصارى ، وهم يقرأون بصوتٍ شَجٍ ، فحكيت في هذا الصوت ، فلما غنته حباة هذا الصوت ، قال: لعن الله مسلمة ! صدقتِ، والله لا أطيعهم أبدا² . وقال ابن قتيبة: « وعاد لحالته الأولى إلى أن ماتت حباة ، ثم مات بعدها بأيام حزنا عليها ووجدا³ . وهذا ما يؤكد حبه للشعر واللهو ، وقد أهمل أمور دولته وانغمس في حب أمتين وهوهما، ولم يكن يبالي بشؤون الحكم وأمر المسلمين ، منذ أن تسلم الحكم .

وقد روي عنه أنه قال شعرا ولكنه قليل، كان يقوله في جاريتيه حباة وسلامة ، ومنه ما كان يقوله في رده على خصومه ، وكان مجلسه لهو وشراب وطرب ، وكان يقرب إليه الشعراء .

1- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 194 .

2- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ح 2 ، ص ص 663- 664 .

3- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ث 352 .

شعر يزيد بن عبد الملك في جاريتيه حباة وسلامة وبسامة :

[البسيط]

قال يزيد بن عبد الملك في جاريته حباية:

أُبْلِغُ حُبَابَةَ سَقَى رَنْعَهَا الْمَطْرُ مَا لِلْفُؤَادِ سِوَى ذِكْرَاكُمُ وَطَرُ
 إِنَّ سَارَ صَحْبِي لَمْ أَمْلِكْ تَذَكْرَكُمْ أَوْ عَرَسُوا فَهُمُومِ النَّفْسِ وَالْفِكْرِ¹.

[الطويل]

كما قال في جاريته سلامة:

أَلَا قُلْ لِهَذَا الْقَلْبِ أَنْتَ مُبْصِرُ وَهَلْ أَنْتَ عَنْ سَلَامَةِ الْيَوْمِ مُقَصِّرُ
 أَلَا لَيْتَ أَلَيَّْ حَيْثُ صَارَ بِهَا النَّوَى جَلِيسَ لِسَلْمَى كُلَّمَا عَجَّ مُرْهُرُ
 إِذَا أَخَذْتَ فِي الصَّوْتِ كَادَ جَلِيسَهَا يَطِيرُ إِلَيْهَا قَلْبُهُ حِينَ يَنْظُرُ².

[الطويل]

وقال فيها أيضا:

أَلَمْ تَرَهَا لَا يَبْعُدُ اللَّهُ دَارَهَا إِذَا أَطْرَبَتْ فِي صَوْتِهَا كَيْفَ تَصْنَعُ
 تَمُدُّ نِظَامَ الْقَوْلِ ثُمَّ تَرُدُّهُ إِلَى صَلْصَلٍ مِنْ صَوْتِهَا يَتَرَجَّعُ³.

[الطويل]

وقال يزيد بن عبد الملك حين لبس سلاحه ودخلت عليه جاريته بسامة فسلمت عليه:

رُؤْيُكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي غِيَابَةَ هَذَا الْعَارِضِ الْمَتَأَلَّقِ⁴.

موقف يزيد بن عبد الملك من خصومه :

[الطويل]

كان يزيد بن عبد الملك يرد على خصومه بالشعر، كما « رد على عمرو بن مرة الحنفي:

لَقَدْ وَضَحْتَ فِيكَ الْقَضِيَّةَ يَا عَمْرُو وَأَنْتَ حَقِيقٌ أَنْ يَجَلَّ بِكَ الْهَجْرُ
 لِأَنَّكَ أَظْهَرْتَ الَّذِي كُنْتَ كَاتِمًا وَنَوَّهْتَ بِالْحُبِّ الَّذِي ضَمَّمَهُ الصَّدْرُ
 فَهَلَّا بِكِتْمَانِ الْهَوَى مُتَّ صَبَوَهُ فَتَهْلِكُ مَحْمُودًا وَفِي كَفِّكَ الْعُدْرُ

1- نقلا عن: السيد أحمد عمارة : شعر خلفاء بني أمية ، ص 243 .

- محمد شاكر الليثي : فوات الوفيات . تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، د.ت ، ج 4 ن ص 323 .

2- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 5 ، ص 123 .

3- المصدر نفسه ، ج 5 ، ص 123 .

4- نقلا عن: السيد أحمد عمارة : شعر خلفاء بني أمية تحقيق ودراسة ، ص 244 .

- مؤلف مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، مكتبة المتنبي ، بغداد ، د.ت ، ص 73 .

فَلَسْتُ أَرَى إِنْ بَحْتِ بِالْحُبِّ وَالْهَوَى جَزَاءَكَ إِلَّا أَنْ يِعَاقِبَكَ الْبُدْرُ¹.

وفي موقف آخر « كتب يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام : أما بعد فإن أمير المؤمنين قد بلغه

أنك استبطأت حياته وتمنيت وفاته ورعت الخلافة وكتب في آخره:

[الطويل]

تمنى رجالٌ أن أموتَ وإنْ أمْتُ فذلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدٍ
وقد عَلِموا لو ينفعُ العلمُ عندهمُ متى مُتَّ ما الباغي عليَّ بمخلدٍ
منيتهُ تجري لوقتٍ وحتْفُهُ يُصادفه يوماً على غيرِ مؤعدٍ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْقَى خِلافَ الذي مضَى تهيأ للأخرى مثلها وكأنْ قدِ

فكتب إليه هشام جعل الله يومي قبل يومك ، وولدي قبل ولدك ، فلا خير في العيش بعدك »².

موقف يزيد بن عبد الملك من الشعراء :

لقد كان لزيد موقف إيجابي من الشعراء ، فكانوا يمدحونه ويجازيهم ، ويقربهم إليه من ذلك « قدم كثيرٌ على يزيد بن عبد الملك وقد مدحه بقصائد جياذ مشهورة ، فأعجب بهن يزيد، وقال له: أحسبكم، قال: وقد جعلت ذلك إلي ! قال: نعم ، قال : مئة ألف ، قال: ويحك ! مئة ألف! قال: على جود أمير المؤمنين أبقى أم على بيت المال ؟ قال: مالي استكثرها ، لكنتي أكره أن يقول الناس: أعطى شاعرا مئة ألف ، ولكن فيها عروض ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين »³.

وفي موقف ثان، روي عن كثير أنه « كان يحضر سمر يزيد ويدخل عليه ، فقال له ليلة: يا أمير

[الطويل]

المؤمنين ما يعني الشماخ بقوله:

إِذَا عَرِقْتُ مَعَابِنُهَا ، وَجَادَتْ بِدِرَّتِهَا قِرَى جَحْنِ قَتِينِ

قال: فسكت عنه يزيد، فقال: بَصْبَصَنَّ إذْ حدين ! ثم أعاد فسكت عنه يزيد ، فقال: بَصْبَصَنَّ

إذْ حدين! فقال له يزيد: وما على أمير المؤمنين أن لا يعرف هذا ؟ فقال: بَصْبَصَنَّ إذْ حدين ! هو القراد

أشبهه الدواب بك !- وكان كثير قصيرا متقارب الخلق- فحجب عنه يزيد فلم يصل إليه، فكلم مسلمة

1- نقلا عن: السيد أحمد عمارة : شعر خلفاء بني أمية تحقيق ودراسة ، ص242.

2- ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، هذبه : الشيخ عبد القادر بدران ، ط2 ، د.م ، دار المسيرة ، 1979م ، ج6 ، ص 246 .

3- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج9 ، ص 221 .

3- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج2 ، ص 543 .

ابن عبد الملك يزيد فقال: يا أمير المؤمنين ، مدحك ؟ قال: بكم مدحنا ؟ قال: بسبع قصائد ، قال: فله سبعمائة دينار والله لا أزيده عليها ¹ .

وفي موقف آخر، « دخل كثير يوماً على يزيد بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، ما يعني الشماخ* بقوله: [الوافر]

إِذَا الْأَرْضَ تَوَسَّدَ أَبْرَدِيهِ خُدُودَ جَوَازِيٍّ بِالرَّمْلِ عَيْنِ

فقال: يزيد وما يضرني ألا أعرف هذا الأعرابي الجلف واستحمقه وأمر بإخراجه ² .

نلاحظ أن يزيد بن عبد الملك رغم تقريبه إليه الشعراء، إلا أنه كان لا يسمح لهم بالتطاول عليه في المجلس ونلاحظ أن كثير كاد أن يحول تلك الأسئلة إلى اختبار ، لهذا ضجر منه يزيد في النهاية وأخرجه من مجلسه ، وهذا نوع من تأديب الشعراء من طرف الخلفاء .

موقف يزيد بن عبد الملك من الشاعر الأحوص :

وفي قضية الشاعر الأحوص الذي كان يشيب بنساء أهل المدينة ، والذي قضى بنفيه الخليفة سليمان ابن عبد الملك إلى دهلك، « فمكث بقية ولاية عمر بن عبد العزيز، وصدرا من ولاية يزيد بن عبد الملك، ثم استخلف يزيد بن عبد الملك، فبينما يزيد على سطح، وحبابة جاريتها تغنيه بشعر الأحوص، إذ قال يزيد: من يقول هذا الشعر ؟ قالت: لا وعيشك ما أدري ! قال: وقد ذهب من الليل شطره ، قال: أبعثوا إلى الزهري، فعسى أن يكون عنده علم من ذلك . فأتى ابن شهاب الزهري، ففرع بابه ، فخرج فرعا ، حتى أتى يزيد ، فلما صعد إليه ، قال: لا بأس عليك، لم ندعك إلا للخير ، أجلس، فجلس، فقال: من الذي يقول هذا الشعر ؟ قال: الأحوص يا أمير المؤمنين . قال: فما فعل ؟ قال: قد طال حبسه بدهلك ! فقال: عجبت لعمر بن عبد العزيز كيف أغفله ! فأمر بالكتاب بتخلية سبيله ،

1- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج2 ، ص 543- 544 .

*«الشماخ بن ضرار... وأم الشماخ من ولد الحُرثُيب... ويقال : إن اسم الشماخ معقل بن ضرار وهو من أوصف الشعراء للقسوس والحُمُر... والشماخ أوصف الشعراء للحمير وأرجز الناس على بديهة... وكان الشماخ جاهليا إسلاميا ، وقال الحطيئة : أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان وكان (الشماخ) خرج يريد المدينة فصحب عرابه بن أوس الأنصاري، فسأله عرابه عمًا يريد المدينة فقال : أردت أن أمتار لأهلي ، وكان معه بعيان ، فأنزله وأكرمه وأقر له بعيه تمرا وئيرًا » .

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 199- 200- 201 .

2- المصدر نفسه ، ص 340 .

وأمر له بأربعمائة دينار . فأقبل الزهري من ليلته إلى ناس من الأنصار فبشرهم بتخلية سبيل الأحوص . ثم قدم فأجاره وأحسن إليه ¹ .

وهذا الموقف يدل على أن نظرة يزيد للشعر والشعراء تختلف عن نظرة سليمان وعمر بن عبد العزيز، إذ يغلب على نظرتهم طابع اللهو وحب الشعر والغناء ، إذ هو أيضا واحد من المتلقين للشعر والمتذوقين له، والمتأثرين لمعانيه الجميلة الراقية ، وهو بهذا الحكم الذي عفا به عن الأحوص، فهو حكم فني أراد أن يعطي دفعا قويا للشعراء، واستمرارية للشعر والغناء .

1- ابن سلام الجعفي : طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص ص 657- 658 .

6- موقف هشام بن عبد الملك (ت125هـ) من الشعر والشعراء :

أما هشام بن عبد الملك (71-125هـ 690-743م) الخليفة الأموي العاشر، والخليفة التابعي الثامن (105هـ 724م)، فرغم أن موقفه من الشعر والشعراء إيجابي إلا أنه لم يؤثر عنه إلا أبيات ، وكان مجلسه لا يخلو من الشعر والشعراء .

أما المواقف التي قال فيها هشام بن عبد الملك الشعر :

يروى أنه قد « أرسل يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام بن عبد الملك كتابا يعاتبه فيه، فرد عليه هشام:

وَمَنْ لَا يَعْمُضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضٍ مَا فِيهِ يَمْتُ وَهُوَ غَائِبٌ
وَمَنْ يَتَّبِعُ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ يَجِدُهَا وَلَا يَسْلَمُ مِنَ الدَّهْرِ صَاحِبٌ¹ .

وجاء في تاريخ الخلفاء: « قيل إن هذا البيت لهشام بن عبد الملك:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى إِلَى بَعْضٍ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ² .

أما موقف هشام من الشعراء فموقف إيجابي، حيث كان مجلسه لا يخلو من الشعر والشعراء، وقد كان يستقبلهم ويستمتع لشعرهم ويجيزهم بجوائز، ويستأنس بهم .

وفي هذا السياق قال المبرد « في إسناد متصل: إن أبا النجم العجلي أنشد هشام بن عبد الملك: (وَالشَّمْسُ قَدْ صَارَتْ كَعَيْنِ الْأَحْوَالِ) لما ذهب به الروي عن الفكر في عين هشام ، فأغضبه ، فأمر بطرده ، فأمل أبو النجم رجعتة، وكان يأوي إلى المساجد، فأرق هشام ليلة فقال لحاجبه، أبغني رجلا عربيا فصيحاً يحادثني وينشدني، فطلب له ما طلب، فوقف على أبي النجم فأتى . لما دخل به إليه، قال: أين تكون منذ أقصيناك ، قال: بحيث ألفتني رسلك ، قال : فمن كان أبا مثواك . قال: رجلين كليبا وتغلبيا، أتعدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر، فقال له: مالك من الولد ؟ قال: ابتان . قال: أو زوجتهما ؟ قال: زوجت إحداهما . قال: فبم أوصيتها ؟ قال: قلت لها ليلة أهديتها:

سُبِّي الْحَمَاءَ وَابْهَتِي عَلَيْهَا وَإِنْ أَبَتْ فَازْدَلْفِي إِلَيْهَا

1- نقلا عن : السيد أحمد عمارة : شعر خلفاء بني أمية تحقيق ودراسة ، ص 247 .

-أبو علي القالي : ذيل الأمالي ، د.م ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975م ، ص 218

2- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 195 .

ثُمَّ اقْرَعِي بِالْوُدِّ مَرْفِقِيهَا وَجَدِّدِي الْحَلْفَ بِهِ عَلَيْهَا
" لا تُخْرِجِي بِذَلِكَ الدَّهْرَ ابْنِيهَا "

قال: فأوصيتها بغير هذا؟ قال: نعم، قلت: [الرجز]

أَوْصَيْتُ مِنْ بَرَّةٍ قَلْبِيًّا بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَبِالْحَمَاةِ شَرًّا
لَا تَسَامِي نَهْكَهَا وَضَرًّا وَالْحَيِّ عُمَمِيهِمْ بِشَرِّ طَرًّا
وَإِنْ كَسَوُكَ ذَهَبًا وَدُرًّا حَتَّى يَرَوْا حُلُوقَ الْحَيَاةِ مُرًّا

فقال هشام: ما هكذا أوصى يعقوب ولده، قال أبو النجم: ولا أنا كيعقوب ولا بنتي كولده، قال: فما حال الأخرى، قال: قد درجت بين بيوت الحي ونفعتنا في الرسالة والحاجة، قال: فما قلت فيها: قال: قلت: [الرجز]

كَأَنَّ ظِلَامَةَ أُحْتِ شَيْبَانَ شِيمَةً وَوَالِدَاهَا حَيَّانَ
الرَّأْسِ قَمَلٌ كُلُّهُ وَسَيْبَانُ وَلَيْسَ فِي الرَّجْلَيْنِ إِلَّا خَيْطَانُ
(فَهِيَ الَّتِي يُدْعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ)

قال: فقال هشام لحاجبه: ما فعلت الدنانير المحتومة التي أمرتك بقبضها. قال: هاهي عندي ووزنها خمسمائة. قال: فادفعها إلى أبي النجم ليجعلها في رجل ظلامه ما كان الخيطين أفلا تراه قال: (فَهِيَ الَّتِي يُدْعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ)¹.

ففي هذا النص تظهر جليا طباع وسلوك أبا النجم العجلي البدوية الجاهلية، التي تسلى بها هشام.

و« أنشد الأخطل قصيدته التي يقول فيها: [الطويل]

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الدَّخَائِرِ لَمْ يَجِدْ دُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الأَعْمَالِ

فقال له هشام بن عبد الملك: هنيئا لك أبا مالك الإسلام. أو قال: أسلمت. قال: ما زلت

مسلمًا»².

موقف هشام بن عبد الملك من الفرزدق :

« كان الفرزدق قد عرض بحشام بن عبد الملك في شعره. والبيت الذي عرض به فيه قوله: [الطويل]

1- المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج 2، ص ص 79-80-81.

2- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج 2، ص ص 493-494.

يُقَلَّبُ عَيْنًا لَمْ تَكُنْ لَخَلِيفَةٍ مُشَوَّهَةٌ حَوْلَاءَ جَمًّا عُيُوبُهَا

فكتب هشام إلى خالد بن عبد الله القسري عامله على العراق يأمره بحبسه ، فحبسه حتى دخل جرير على هشام فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد أن تبسط يدك على بادي مضر وحاضرها فأطلق لها شاعرها وسيدها الفرزدق . فقال له هشام: أَوْ مَا يَسْرُكُ مَا أَحْزَاهُ اللَّهُ؟ قال: ما أريد أن يُخْزِيَهُ اللَّهُ إِلَّا عَلَى يَدَيْيَ ، فأطلقه¹.

فالواضح من النص أن موقف هشام من الفرزدق موقف سلبي لأنه عرض به ، وكان عليه أن يتجنب رد فعل الخليفة وغضبه عليه ، ولكن هذا هو طبع الفرزدق .

وهكذا يتجلى أن موقف هشام من الشعراء موقف إيجابي، لأنه يسمع منهم شعرهم، وهو لا يستثني أحدا من الشعراء من الدخول إلى مجلسه، ولكن رد فعله كان قويا شديدا على الشعراء الذين يغضبونه، مثل حال أبي النجم " لما ذهب به الروي عن الفكر في عين هشام، فأغضبه ، فأمر بطرده "، واتخذ منه موقفا سلبيا، ولكن سرعان ما عادت الأمور بين الخليفة هشام وأبا النجم إلى مجراها الطبيعي، واستأنس ببعض قصصه التي تظهر فيها طباع وسلوك أبا النجم العجلي البدوية الجاهلية .

كما كان له موقفا إيجابيا من الأخطل، حيث استمع إلى معاني مدائحه، التي رآها هشاما أنها معاني إسلامية ، بينما اتخذ موقفا سلبيا من الفرزدق لأنه عرض به .

وهذا في حقيقة الأمر يعطينا صورة واضحة على أن من الشعراء من كان يحاول أن يصور الخليفة في شعره بطريقة كاريكاتورية ، لإثارة لفت انتباه الناس إلى عين هشام بن عبد الملك الحولاء .

1- ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج 5 ، ص 325 .

الفصل الثاني

موقف التابعين العلماء من الشعر

1- موقف شريح القاضي (ت78هـ) من الشعر :

من التابعين العلماء شريح بن الحارث بن قيس، فقيه من التابعين المخضرمين، أدرك الجاهلية ، وكان في زمن النبي ولم يره ، وكان شاعرا ناقدا جالس الخلفاء الصحابة والتابعين . « وقال شريح القاضي وكان من جلة التابعين والعلماء المتقدمين استقضاه علي- رحمه الله- ومعأوية ، وكان تزوج امرأة من بني تميم تسمى زينب ، فنقم عليها ، فضرها ثم ندم ، فقال:

رَأَيْتُ رَجَالًا يَضْرِبُونَ نِسَاءَهُمْ فَشُلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرِبُ زَيْنَبَا
أَضْرَبَهَا فِي غَيْرِ ذَنْبٍ أَتَتْ بِهِ فَمَا الْعَدْلُ مِنِّي ضَرْبَ مَنْ لَيْسَ أَذْنَبَا
فَزَيْنَبُ شَمْسٌ وَالنِّسَاءُ كَوَاكِبٌ إِذَا بَرَزَتْ لَمْ تُبْدِ مِنْهُنَّ كَوَكَبًا¹.

الواضح في هذه الأبيات هو اعتذار الشاعر لزوجته ، واستعطفها، حيث يحاول بلوغ مكمن استرضائها، فتدرج في استعطفها مبرزاً حبه لها ، معترفاً بأنه ضربه بغير ذنب ، إلا أنه في البيت الثالث كان نابغي المذهب في اعتذاره فاستعار صورة الممدوح وهو النعمان بن المنذر من قول النابغة الذبياني:

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكَبٌ

فحذف من البيت كاف الخطاب، وذكر زينب، وحذف الملوك وذكر النساء. وفي الشطر الثاني

حذف طلعت وذكر برزت ، فقال:

" فَزَيْنَبُ شَمْسٌ وَالنِّسَاءُ كَوَاكِبٌ إِذَا بَرَزَتْ لَمْ تُبْدِ مِنْهُنَّ كَوَكَبٌ "

ويبدو أن الشاعر لم يجد من حلو الكلام ما يرضي به زوجته إلا بيت النابغة ، وإن كان اعتذار النابغة اعتذاراً سياسياً ، بينما اعتذار شريح القاضي لزوجته اعتذار حب زوج زوجته ، لأنه يعتبر ما في بيت النابغة من صور من أجمل التشبيهات التي قيلت في الشعر العربي القديم ، يُعبر بها عن شعور قوي، وهذا يدل على ثقافة الشاعر الأدبية .

كما شهد له ابن رشيق للقاضي شريح بالشاعرية ، فروى له شعراً وقال عنه: « وحسبك من

القضاة شريح بن الحارث ، كان شاعراً مجوداً وقد استقضاه عمر بن الخطاب τ »².

1- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج5 ، ص 290 .

2- ابن رشيق : العمدة ، ج1 ، ص 33 .

وقال البيهقي في محاسن المعلمين: « كان لشريح القاضي ابن يكثر البطالة فنظر إليه شريح يوما وهو يهارش بكلب ، فكتب معه رقعة إلى معلمه وفيها هذه الأبيات* : [الكامل]

تَرَكَ الرَّوَاحَ لِأَكْلِبِ يَسْعَى بِهَا طَلَبَ الْهَرَّاشَ مَعَ الْغَوَاةِ الرَّجْسِ
فَإِذَا أَتَاكَ فَعَضَّهُ بِمَلَامَةٍ وَعِظْنُهُ مَوْعِظَةً الرَّفِيقِ الْأَكْسِ
فَإِذَا هَمَمْتَ بِضَرْبِهِ فَبِدْرَةٍ وَإِذَا ضَرَبْتَ بِهَا ثَلَاثًا فَاحْسِ
وَلِيَحْلَمَنَّ مِنِّي إِلَيْكَ صَحِيفَةٌ نَكَرَاءَ مِثْلِ صَحِيفَةِ الْمُتَلَمَّسِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا أَتَيْتَ فَنَفْسَهُ مَعَ مَا يُجْرِعُنِي أَعَزَّ الْأَنْفُسِ

فضربه المعلم عشرا وعشرا ، فقال له شريح: لم تبيت عليه الضرب ؟ فقال: العشر الأولى للبطالة والثانية للبلادة، حيث لا يدري ما يحمل¹.

الواضح أن شريح القاضي شاعر مجود من خلال هذه الأبيات الشعرية القليلة، إذ يعرف دور القيمة الفنية للشعر وأثرها في الإنسان، كما يعرف أن الشعر رسالة للتواصل الفني والاجتماعي، والتربوي .

* ورواية الأبيات في العمدة، ج1، ص33 . فيها تغيير طفيف في بعض المفردات ، وتغيير في لأبيات .

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها طلب الهراش مع الغواة الرجس
فليأتيك غدوهُ بصحيفةٍ كُتِبَتْ له كصحيفة المتلمس
فإذا هممت بضربه فبدره وإذا بلغت به ثلاثا فاحس
واعلم بأنك ما أتيت نفسه - مع ما يجرعني - أعز الأنفس

1- البيهقي : المحاسن والمساوي ، ص 641 .

- وينظر : ابن رشيقي : العمدة ، ج1 ، ص33

2- موقف سعيد بن المسيب (ت94هـ712م) من الشعر:

يعد سعيد بن المسيب واحدا من التابعين أعلام المدينة في الفقه والفتوى ، وكان على صلة كبيرة بكبار الصحابة العلماء، فأخذ عليهم العلم حتى أصبح واحدا من أكبر العلماء التابعين . « وكان ابن المسيب رجلا عربي الحس واللسان ، واسع الثقافة ، ملما بالنسب والأخبار ومعرفة بطون العرب ، ورجل ضم إلى معارفه الأصلية في فقه الكتاب والسنة ، هذا الجانب من الثقافة لا بد أن يكون محصوله من عيون الكلام شعره ونثره محصولا وفيرا »¹.

لهذا نجد موقفه من الشعر والشعراء موقفا إيجابيا ، « فكان يستهويه من الشعر عيونه ، يستمع إليه ينشد ، وأحبانا يفضل بعض الشعراء على بعض»².

وقد ذكرت لنا بعض مصادر الأدب ونقده شيئا من مجالسه التي استمع فيها إلى الشعراء وفاضل بينهم، وتؤكد لنا بأنه كان راوية للشعر ، ويدعو إلى روايته وإنشاده .

رواية ابن المسيب للشعر :

وهذه بعض مواقف روايته للشعر، حيث روى صاحب " جمهرة أشعار العرب " « بإسناد عن سعيد ابن المسيب أنه قيل له: إن قبيصة بن ذؤيب يزعم أن الخليفة لا يناشد الأشعار، قال سعيد: ولم لا يناشد الخليفة ، وقد نوحى رسول الله ﷺ، يوم قدم عليه عمرو بن سليم الخزاعي ، وكانت خزاعة حلفاء له ، فلما كانت الهدنة بينه وبين قريش أغاروا على حي من خزاعة يقال لهم: بنو كعب فقتلوا فيهم، وأخذوا أموالهم ، فقدم عمرو على النبي ﷺ مستنصرا فقال:

[الرجز]

يَا رَبِّ ! إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدًا حَلَفَ أَيْبِنَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا
نَحْنُ وَلَدَانَاهُمْ ، فَكَانُوا وَلَدًا تُمَّتْ أَسْلَمْنَا ، فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
إِنْ قَرِيشًا أَحْلَفُوكَ الْمُوعِدَا ، وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
وَنَصَبُوا لِي فِيكَ دَاءً رَصَدًا وَبَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا
وَقَتَّلُونَا رَكْعًا وَسُجَّدًا وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتَ تَدْعُو أَحَدَا

1- محمد إبراهيم الجبوشي: سيد التابعين سعيد بن المسيب من أعلام رجال الدعوة ، ط 2 ، القاهرة ، مكتبة دار التراث ، 1418هـ1998م، ص

وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلَبُ عَدَدًا ، فَانصُرْ ، هَدَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَيْدَا
 وَاذْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَا تُؤَا مَدَدًا فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ بَجَّرَدَا
 إِنْ سِيمَ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرِيدًا ، فِي فِيلِقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدًا

قال: فدمعت عين رسول الله ﷺ ، ونظر إلى سحابة قد بعثها الله ، فقال: والذي بعثني بالحق نبيا إن هذه السحابة لتستهل بنصرة بني كعب ، وخرج بمن معه لنصرهم»¹.

فمن خلال النص يتضح موقف سعيد بن المسيب من أن إنشاد الشعر لا عيب فيه ، وقد بين لقبیصة بن ذؤيب بالحجة والدليل القاطع أن الرسول ﷺ استمع الشعر من خلال شكوى وتضرع الشاعر عمرو بن سليم الخزامي ، كما أن هذه الرواية تعكس قوة حفظ سعيد بن المسيب للشعر وروايته له .
 ومما يدل على روايته وحفظه وتدوقه للشعر، ماجاء في طبقات الشافعية الكبرى، « أن سعيد بن

المسيب ت مر ببعض أزقة البصرة فسمع قائلا * يقول: [الطويل]

تَصَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنَ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ بِهِ زَيْنُ بْنُ نِسْوَةَ خَفِرَاتِ
 لَهَا أَرْجٌ مِنْ مَجْمَرِ الْهِنْدِ سَاطِعِ تَطَلَّعَ رِيَاهُ مِنْ الْكَفِرَاتِ

فضرب سعيد برجله الأرض، وقال: هذا والله يلذ استماعه، ثم قال:

يُجَبِّنُ أَطْرَافَ الْبِنَانِ مِنَ الثَّقَى وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ
 وَلَيْسَ كَأُخْرَى وَسَعَتْ جَيْبَ ذَرْئِهَا وَأَبَدَتْ بِنَانَ الْكَفِّ بِالْجَمْرَاتِ
 وَقَامَتْ تَرَائِي يَوْمَ جَمْعٍ فَافْتَتَتْ بِرُؤْيَيْهَا مَنْ رَاحَ مِنْ عَرَفَاتِ»².

وفي موقف آخر ذكر صاحب الأغاني حديثا عن سعيد بن المسيب أنه كان كثير الإنشاد للشعر

1- القرشي : جمهرة أشعار العرب ، ص ص 33- 34 .

*القاتل صاحب الأبيات « محمد بن عبد الله النميري الشاعر ، قالها في زينب أخت الحجاج بن يوسف...وكان النميري يشبب بها ، وقيل هرب من الحجاج فطلبه ، فلما أتى به ارتاع منه وقال : والله أيها الأمير إني قلت إلا خيرا ، وإنما قلت :

يُجَبِّنُ أَطْرَافَ الْبِنَانِ مِنَ الثَّقَى وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ

فعفى عنه ، وقال : أخبرني عن قولك : " ولما رأيت ركب النميري " في كم كنت ؟ قال : والله ما كنت إلا على حمار هنزل ، ومعني صاحب لي على أنان مثله .»

- تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب المصرية ، د . ت ، ج 1 ، ص 268 .

2- المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 267 .

في مجلسه بمسجد رسول الله ﷺ، ويعقد الموازنة بين الشعراء ، فقد « روى عامر بن لؤي عن أبيه قال: دخلت مسجد رسول الله ﷺ مع نوفل بن مساحق وإنه لمعتمر ، إذ مررنا بسعيد بن المسيب في مجلسه، فسلمنا عليه ، فرد سلامنا، ثم قال لنوفل: يا أبا سعيد ، من أشعر أصحابنا أم صاحبكم ؟ يعني عبيد الله ابن قيس الرقيات* أو عمر بن أبي ربيعة .

فقال نوفل: حين يقولان ماذا ؟

[الطويل]

قال: حين يقول صاحبنا:

خليلي ما بأل المطيِّ كأنما تراها على الأدبارِ بالقوم تَنكسُ
وقد أبعدَ الحادي سَرائِرَ وانتَحَى لهنَّ فما يألُو عجولٌ مُقلَّصُ
وقد تقطعتُ أعناقهنَّ صباةً فأنفسُها مما تكَلَّفُ شَحْصُ
يَرِدُنْ بنا قُرْبًا فيزداد شوقنا إذا زادَ طولُ العهدِ والبعدُ يَنْقُصُ

ويقول صاحبكم ماشئت .

فقال له نوفل: صاحبكم أشهر بالقول في الغزل ، أمتع الله بك ، وصاحبنا أكثر أفانين شعر .
قال: صدقت .

فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر جعل سعيد يستغفر الله ويعقد بيده ويعده بالخمس كلها حتى وثى مائة ، فلما فارقتاه ، قلت لنوفل: أترأه استغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ؟ قال: كلا، هو كثير الإنشاد والاستنشاد للشعر، ولكني أحسبه للفخر بصاحبه¹.

وواضح في النص أن سعيد بن المسيب عقد موازنة بين عبيد الله بن قيس الرقيات وعمر بن أبي ربيعة. وفضل صاحبه عمر في الأبيات التي قدمها ، بينما صاحب عبيد الله أقر بشاعرية عمر في الغزل، وبين توسع ابن قيس الرقيات في أكثر أفانين شعر . كما أن هذا الموقف يعكس حفظ ابن سيرين لشعر الغزل ويرى لا حرج فيه ، كما أنه نقد شعر الشعارين من خلال الموازنة بينهما .

* ابن قيس الرقيات (ت نحو 705م) (1056-1113م) « هو عبيد الله بن قيس أحد بني لؤي وإنما سُمي الرقيات لأنه كان يشب بثلاث نسوة

يقال هُنَّ جميعاً رقية ». شاعر قرشي مدح الأمويين له " ديوان " .

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 366 .

1- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، طبعة ساسي ، ج4 ، ص ص 162- 163 .

ومن مواقفه من الشعر، يُروى عنه، أنه كان يسمع من الشعراء النقائض، ويطلب من الرواة أن يسمعه شيئاً من الشعر، وما دار بين شعراء النقائض، فقد روى ابن سلام « عن عبد الرحمن بن حرملة قال: لما ورد علينا هجاء جرير والتّيمي، قال لي سعيد بن المسيب: تَرَوُّا لنا مما قالوا شيئاً، فأتيته وقد استقبل القبلة يريد أن يكبر، فقال: أَرَوَيْتَ شيئاً؟ قلت: نعم! فأقبل عليّ بوجهه، فأنشدته للتيمي وهو يقول: هيه هيه! ثم أنشدته لجرير فقال: أكله أكله! »¹.

يظهر في النص حسن استماع ابن المسيب لرواة الشعر، وتبعه أخبار الشعراء، والمفاضلة بينهم، وما قوله: "أكله أكله!" إلا دليل إعجاب وتذوق لشعر جرير، وتفضيله على التيمي. ومما جاء في الأغاني عن مواقف سعيد بن المسيب من الشعر « أن شاعرا اسمه جامع بن مرخية قال:

سألتُ سعيدَ بنَ المسيّبِ مُفتيَ الـ مدينة هل في حُبِّ ظيماءٍ مِن وِزْرِ
فقالَ سعيدُ بنُ المسيّبِ : إنّما ثلامٌ على ما تَسْتَطِيعُ مِنَ الأَمْرِ

فلما بلغ قوله سعيداً قال: كذب، والله ما سألتني ولا أفتيته»².

وفي موقف آخر أنشد سعيد بن المسيب قول عمر:

وَعَابَ قُمْمِيرٌ كُنْتُ أَرْجُو عُيُوبَهُ وَدَوَّحَ زُعْيَانَ وَنَوْمَ سُمَيْرِ

فقال: ماله قاتله الله! لقد صغر ما عظم الله عز وجل قال: أ □ □ □ □ □ *

□ □ [سورة يس لآية 39] «³.

من هذا النص يتضح أن موقف سعيد بن المسيب من الشعر والشعراء، موقف ايجابي لا يتعارض

مع فكرته الدينية، كما أنه فطن للمعاني الشعرية يدرك مرامي الشعراء، لهذا نجده يتعرض لما يسمع من

1- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج2، ص 434.

2- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ط ساسي، ج8، ص 92.

* «العرجون والغُرْجُد: الإهان - ككتاب - وهو أصل العذق الذي يعوج وينقطع منه الشماريخ، وهو إذ ذاك أصفر؛ جمعه عراجين، وعرجنه: ضربه بالعصا أو بالعرجون. وقد ورد مرة واحدة مشبها به القمر في: كالعرجون □ □ □ □ □.»

- معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص 418.

3- المرزباني: الموشح، ص 263.

شعر لنقد معانيه وصوره.

وما يؤكد لنا مذهب الشعري ما روي عنه ؛ حيث « قيل لسعيد بن المسيب: إن قوما بالعراق يكرهون الشعر ، فقال: نسكوا نسكا أعجميا »¹.

فهذا الموقف يعكس بكل تأكيد ثقافة سعيد بن المسيب الأدبية ، واطلاعه على ثقافة ومذاهب الأمم أي (الأعاجم) الأدبية ، وهو في هذا النص يوازن بين موقف الإسلام الإيجابي من الشعر، وموقف الأعاجم الذين يرفضون قول الشعر، وبالتالي فموقفه من الشعر والشعراء يتماشى مع موقف الرسول ﷺ والصحابة ، ويختلف عن موقف الأعاجم.

لهذا نراه يحفظ الشعر ويرويه ، ويفتي بإنشاده، ويسمع للشعراء، ويوازن بينهم، وهذا الموقف الإيجابي من الشعر والشعراء يعبر عن مذهب الشعري المستمد من موقف الرسول ﷺ والصحابة .

1- ابن رشيقي : العمدة ، ج 1 ، ص 25 .

3- موقف عبيد الله بن عبد الله بن عتبة (ت98هـ) من الشعر :

ومن أبرز التابعين العلماء الشعراء « عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ »¹.

ويعد « عبيد الله أحد وجوه الفقهاء الذين روي عنهم الفقه والحديث ، وهو أحد السبعة الفقهاء المقدمين من أهل المدينة »².

وكما برع عبيد الله في الفقه برع في الشعر فهو من الشعراء ، وجاء شعره يتماشى مع طبيعة تكوينه الديني والفكري، وتقواه وورعه، وقد كانت له بعض المواقف من عمر بن عبد العزيز التي قال فيها شعرا، من ذلك أنه « بلغ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عمر بن عبد العزيز بعض ما يكره فكتب إليه:

أَتَانِي عَنكَ هَذَا الْيَوْمَ قَوْلٌ فَضِغْتُ بِهِ وَضَاقَ بِهِ جَوَابِي
[أَبَا حَفْصَ فَلَا أَدْرِي أَرْغَمِي تُرِيدُ بِمَا تَحَاوَلُ أَمْ عَنَّا بِي
فَإِنْ تَكُنْ عَاتِبًا تُعْتَبُ وَإِلَّا فَمَا هُوَ دِي إِذَا بِيْرَاعِ غَابِ
وَقَدْ فَارَقْتُ أَعْظَمَ مِنْكَ رُزْءَا وَوَارَيْتُ الْأَجْبَةَ فِي الشَّرَابِ
وَقَدْ عَزَّوْا عَلَيَّ إِذْ أَسْلَمُونِي مَعًا فَلَبِسْتُ بَعْدَهُمْ ثِيَابِي]»³.

يبدو أن عبيد الله لم يتوقف عند هذا العتاب لعمر بن عبد العزيز « حيث استأذن عبيد الله بن عبد الله على عمر بن عبد العزيز، فردده عليه الحاجب وقال له: عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو مختل به، فانصرف غضبان ، فصنع لعمر في ذلك أبياتا منها:

وَأَبِي امْرُؤٌ مَنْ يُصْفِنِي الْوَدَّ يُلْفِنِي وَإِنْ نَزَحْتَ دَائِرَ يَه دَائِمِ الْوَصْلِ
عَزِيْزٌ إِخَائِي لَا يَنَالُ مَوَدَّتِي مِنَ النَّاسِ إِلَّا مُسْلِمٌ كَامِلُ الْعَقْلِ
وَلَوْلَا اتَّقَائِي اللَّهُ قَلْتُ قَصِيدَةً تَسِيرُ بِهَا الرِّكْبَانُ أَبْرُدُهَا يَعْلي
كَفَانِي يَسِيرٌ إِذْ أَرَاكَ بِحَاجَتِي كَلِيلِ اللِّسَانِ مَا تَمُرُّ وَمَا تُحْلِي

1- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج5 ، ص 284 .

2- شوقي ضيف : الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية ، ص 100 .

3- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج5 ، ص ص 285 - 286 .

تَلَاوُدُ بِالْأَبْوَابِ مِثِّي مَخَافَةَ الـ حَمَلَامَةَ وَالْأَخْلَافُ شَرُّ مِنَ الْبَحْلِ
 أَيْنُ لِي فَكُنْ مِثْلِي أَوْ ابْتَغِ صَاحِبًا كَمِثْلِكَ إِنِّي تَابِعٌ صَاحِبًا مِثْلِي
 وَمَا يَلْبِثُ الْفَتِيَانُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا إِذَا لَمْ يُؤَلَّفْ رُوحٌ شَكْلٌ إِلَى شَكْلٍ¹.

وقد علق عبد الحكيم حسان على هذا النص قائلاً: « ويبدو أن عبید الله هذا كان على شيء من التزمّت في الناحية الخلقية، والمبالغة في التمسك بدقائقها، وعدم التسامح في مخالفتها، ولو لضرورة أو سهو، ومن هنا كثر قوله في هذه الناحية »². لكن الواضح من النص عندنا أن عبید الله لم يكن متمزماً، وإنما هو فرط عاطفة الإحساس نحو الأصدقاء، فهو يلوم ويعاتب من يجب ومن كان قريباً إليه، وهذا ما يظهر لنا في موقفه من أصدقائه، حيث « كان له صديقان، هما عراك بن مالك، وأبوبكر بن حزم، وكانوا يتجالسون، زماناً بالمدينة، ثم ولى ابن حزم إمرتها، وولى عراك القضاء، فبلغ عبید الله أنهما يمران عليه فلا يسلمان وكان ضريراً فقال:

أَلَا أَبْلُغَا عَنِّي عِرَاكَ بِنَ مَالِكِ وَلَا تَدْعَا أَنْ تَتَّيْبَا بِأَبِي بَكْرِ
 فَمَسْنَا ثَرَابَ الْأَرْضِ مِنْهَا خُلِقْتُمَا وَمِنْهَا الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْحَشْرِ
 وَلَا تَأْنِفَا أَنْ تَسْأَلَا وَتُسَلِّمَا فَمَا حُشِنِي الْإِنْسَانُ شَرًّا مِنَ الْكَبْرِ
 فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَلْقَى عَدُوًّا وَطَاعِنًا لِأَلْقَيْتُهُ أَوْ قَالَ هِنْدِي فِي السَّرِّ
 فَإِنْ أَنَا لَمْ أَمُرْ وَلَمْ أَنَّهُ عَنْكُمَا ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلِجَّ وَيَسْتَشْرِي³.

والواضح أن « القصيدتين - قصيدته في عمر وهذه - متفقتان في الروح والفكرة. ولعل نشأة الحادثتين فيهما هو سر الاتفاق في الفكرة؛ فكلماتهما تدور حول رعاية الصداقة، وعدم التنكر لها إذا تغيرت الإنسان حاله إلى خير مما كان فيه. وقد أكسبتهما صورة الغضب مسحة من القوة والتدفق؛ خاصة والصدق في العاطفة لا ينقص رجلاً كعبید الله بن عبد الله في ورعه وتقواه »⁴.

وفي موقف آخر كتب عبید الله بن عبد الله بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز فقال:

[البسيط]

1- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ط ساسي ، ج 8 ، ص ص 90- 91 .

2- عبد الحكيم حسان : التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري ، ص 162 .

3- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج 8 ، ص 91 .

4- عبد الحكيم حسان : التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري ، ص 162 .

بِاسْمِ الَّذِي أَنْزَلْتِ مِنْ عِنْدِهِ السُّورُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَّا بَعْدُ يَا عُمَرُ
 إِنْ كُنْتِ تَعْلَمُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُ فَكُنْ عَلَى حَدَرٍ قَدْ يَنْفَعُ الْحَدْرُ
 وَاصْبِرِي عَلَى الْقَدْرِ الْمُخْتَوِّمْ وَارْضِي بِهِ وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدْرُ
 فَمَا صَفَا لَامِرِي عَيْشٌ يُسْرُّ بِهِ إِلَّا سَيَتَّبِعُ يَوْمًا صَفْوَهُ الْكَدْرُ¹.

وهو موقف يغلب عليه طابع الموعظة الدينية، حيث أراد عبید الله أن يعظ بها صاحبه عمر بن

عبد العزيز.

ويعد عبید الله صاحب شعر غزلي رقيق، « وله يقول سعيد بن المسيب أنت الفقيه الشاعر.

فقال: لا بد للمصدر أن ينفث²».

وقد علق ابن عبد ربه على هذا النص قائلاً: « يعني أن من كان في صدره زكام فلا بد من أن

ينفث زكمه، يريد أن كل من اختلج في صدره شيء من الشعر أو غيره، ظهر على لسانه³».

و«كان عبید الله رقيقاً مرهف الإحساس، وهياًه ذلك لأن يصبح من شعراء عصره الغزليين وقصة

قصة طريفة، فقد روى الرواة أنه تزوج امرأة تسمى عثمة، فغضب عليها في بعض الأمر فطلقها ثم ندم

على طلاقها، إذ كان يحبها حباً شديداً... فتولع بها وهام . وأسف أسفا شديداً على ما فاته منها وتكلف

في ذلك ألواناً من الخطوب وتعرض لضروب من الألم... ومهما يكن فإن عبید الله كان شاعراً بارعاً

أقيمت حواجز بينه وبين من أحبها، فتولع بها وأغرم غراماً شديداً، وحاول ، فيما يظهر، السلوى فلم يجد

إلى ذلك سبيلاً ، ماذا يصنع ؟ لم يجد إلا الغزل ينفس به عما في نفسه⁴» . وفي تذكره لزوجته روى له

ابن عبد ربه أبياتاً فقال: « ومن قول عبید الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

كَتَمْتَ الْهَوَى حَتَّى أَضْرَبَكَ الْكَثْمُ وَلَا مَكَ أَقْوَامٌ وَلَوْ مُهْمٌ ظَلَمٌ
 وَتَمَّ عَلَيْكَ الْكَاشِحُونَ وَقَبْلَ ذَا عَلَيْكَ الْهَوَى قَدْ تَمَّ لَوْ نَفَعَ النَّمُّ
 فَيَا مَنْ لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فَيَنْقُضِي عَنَّا وَلَا نَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعْمٌ

1- نقلا عن : عبد الحكيم حسان : التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري ، ص 165 .

- أبو نعيم الأصفهاني : حلية الأولياء ، ط 1 ، د. م ، مطبعة السعادة ، 1932م ، ج 2 ، ص ص 188 - 189 .

2- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 5 ، ص 284 .

3- المصدر نفسه ، ج 5 ، ص 284 .

4- شوقي ضيف : الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية ، ص 102 .

تَجَنَّبْتُ إِيَّانَ الْحَبِيبِ تَأْتِمًا أَلَا إِنَّ هَجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ الْإِثْمُ¹.

فالمقطوعة الشعرية تحمل موقف اعتراف عبيد الله بالذنب في تطليق زوجته، وكما يقول شوقي ضيف: «كتم عبيد الله الهوى، ولم ينفعه كتمانها، فقد أضر به ضررا بليغا فأعلن حبه، فلامه الناس، حينئذ تمنى الموت حتى يخلصه من تلك الحياة التي لم يكن يعرف لها لونا، والتي أصبح لا يجد لها طعاما، وهو يعود إلى نفسه فيجده لا يزال حيا، وقد هجر صاحبتة، بل هي التي هجرته، وهو يذوق الآن هجرها وما قدمت يداه من طلاقها فحياته كلها أحران أو كما يقول هو عن نفسه: [الطويل]

أروح بهم ثم أغدو بمثله ويحسب أني في الثياب صحيح².

وفي الغرض نفسه روى له ابن رشيقي من شعره فقال: «ومن الفقهاء عبيد الله بن عبد الله بن

مسعود، قال في امرأة من هذيل قدمت المدينة ففتن بها الناس ورغبوا فيها خاطبين: [الطويل]

أحُبُّكَ حُبًّا لَوْ عَلِمْتَ بِيَعُضِهِ لَجَدْتِ وَلَمْ يَصْعَبْ عَلَيْكَ شَدِيدُ
وَحُبُّكَ يَا أُمَّ الْوَلِيدِ مُوَهَّبِي شَهِيدِي أَبُو بَكْرٍ فَنِعَمَ شَهِيدُ
وَيَعْلَمُ وَجَدِي قَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَعُرْوَةُ مَا أَخْفَى بِكُمْ وَسَعِيدُ
وَيَعْلَمُ مَا أَلْقَى سُلَيْمَانُ عِلْمَهُ وَخَارِجَةُ يُبْدِي بِنَا وَوَعِيدُ
مَتَى تَسْأَلِي عَمَّا أَقُولُ تُخْبِرِي فَلَلَّهْ عِنْدِي طَارِفٌ وَتَلِيدُ³.

وقد علق ابن رشيقي على ما جاء في النص من أسماء فقال: «هؤلاء الستة الذين ذكرهم: أبو بكر

ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعروة بن الزبير بن العوام، وسعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وخارجة بن زيد بن ثابت، وعبيد الله صاحب هذا الشعر هو سابعهم، وهم فقهاء المدينة، وأصحاب الرأي الذين هم عليهم المدار»⁴.

وقال عبيد الله بن عبد الله بن مسعود: [المتقارب]

أَعَاذِلْ عَاجِلَ مَا أَشْتَهِي أَحِبُّ مِنْ الْأَكْثَرِ الرَّائِثِ⁵.

1- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص 288-289.

2- شوقي ضيف: الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ص 102-103.

3- ابن رشيقي: العملة، ح1، ص 33.

4- المصدر نفسه، ح1، ص 33.

5- المرزباني: الموشح، ص 296.

ومن الواضح أن غزل عبید الله من خلال هذه النصوص، أنه « خال من الرغبات واللذائذ الحسية، وهذا طبيعي، فهو فقيه، بل هو من كبار الفقهاء في عصره، وهو من أجل ذلك لا تلثم به نزوات الجسد، إذ هو في سريره متمسك بدينه وطهارة خلقه، لذلك كنا شعرنا عنده - كما نشعر عند عروة - بسمو في عاطفته، بل لعله يتفوق على عروة في ذلك، إذ لم يعرف عروة بعشق على نحو ما عرف صاحبه، ولعل ذلك ما يجعلنا نحس في شعره بحرارة ولهفة أكثر من إحساسنا إزاء شعر عروة على الرغم مما فيه من توفر الموسيقى وجمال الأصوات»¹.

وهكذا نجد أن المذهب الشعري لعبید الله بن عبد الله بن مسعود يأخذ فيه بجواز قول الشعر في الغزل وشعر الزهد، وقد جمع هذين الغرضين في نفس زكية، عبرت عما يختلج فيها، فأضاف بذلك للشعر مذهباً شعرياً جديداً.

1- شوقي ضيف: الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ص 103.

4- موقف ابن سيرين (ت 110هـ) من الشعر:

يعد أبوبكر محمد بن سيرين (ت 110هـ/749م) أحد فقهاء أهل البصرة ، عرف عنه بتعبير الرؤية والأحلام ، كما عرف عنه بفتوى قول الشعر، حيث « لم نجده مع هذا الفقه والورع يمتنع عن إنشاد الشعر وروايته، إذ لم يجد في ذلك حرج أو إيذاء »¹. وهو يعد من النقاد المجددين في مفهوم الشعر . وله مواقف إيجابية من الشعر، وبخاصة شعر الغزل، ومن المواقف التي أنشد فيها الشعر ما رواه صاحب الأغاني « عن الحسين بن الطيب البلخي الشاعر يرفعه قال: كنت عند ابن سيرين فجاءه إنسان يسأله عن شيء من الشعر قبل صلاة العصر ، فأنشده ابن سيرين:

[المتقارب]

كَأَنَّ الْمِدَامَةَ وَالرَّجْحِيلَ وريح الخزامي ونوب العسل
يَحُلُّ بِهِ بَرْدٌ أَنْيَابَهَا إِذَا النَّجْمُ وَسَطَ السَّحَابِ اعْتَلَّ

وقال الله أكبر ودخل الصلاة»².

وفي السياق نفسه قال عنه صاحب العقد الفريد: « قال رجل لمحمد بن سيرين: ما تقول في الغزل الرقيق ينشده الإنسان في المسجد؟ فسكت عنه حتى أقيمت الصلاة وتقدم إلى المحراب فلتفت إليه فقال:

[المتقارب]

وتبرُدُ بَرْدَ رِدَاءِ الْعُرُو سِ فِي الصَّيْفِ فِيهِ الْعَيْبِ
وتسخن ليله لا يَسْتَطِيعُ نُبَاْحًا بِهَا الْكَلْبُ إِلَّا هَرِيرًا

ثم قال: الله أكبر»³.

وقد « سئل في المسجد عن رواية الشعر في شهر رمضان، وقد قال قوم إنها تنقض الوضوء، فقال:

[البيسط]

نُبْتُ أَنَّ فِتْنَةَ كُنْتُ أَخْطُبُهَا عُرْفُوبُهَا مِثْلَ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطُّوْلِ

[الطويل]

ثم قام وأم الناس، وقيل بل أنشد:

1- وليد محمود خالص : النقد الأدبي في كتاب الأغاني ، ج1 ، هامش صفحة 126 .

2- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ط ساسي ، ج6 ، ص 208 .

3- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج5 ، ص 287 .

لقد أَصْبَحَتْ عرس الفرزدقِ ناشِراً وَلَوْ رَضِيَتْ رَمَحَ أَسْتِ لاسْتَقَرَّتِ¹ .

وقال سويد بن أبي درهم لابن سيرين: « ما تقول في النسيب ؟ قال: لعلك تريد مثل قول

[الطويل]

الشاعر:

إِذَا نَحْنُ أَدْجَنَّا وَأَنْتِ أَمَامَنَا كَفَى لِمَطَايَانَا بِوَجْهِكَ هَادِيَا

وقال قد رأيتني أحفظ هذا الجنس وأرويه، وأنشدتك إياه فلو كان به بأس ما أنشدته² .

فالملاحظ في هذه المواقف نرى ابن سيرين ينشد الشعر في المسجد حتى ولو كان غزلاً، وفي وقت

الصلاة وفي شهر رمضان، وهو بهذا يفتي بجواز إنشاد الشعر. لأنه ينظر إلى الشعر على أنه كلام كسائر

الكلام، وفن من فنون القول، ونلاحظ أن كل ما استشهد به من شعر أو قاله ابن سيرين إنما هو من

شعر الغزل، ولا يرى في ذلك حرجاً ولا إيماً .

وفي موقف آخر، « أنشد ابن سيرين شعراً، فقال له بعض جلسائه مثلك ينشد الشعر يا أبا بكر!

فقال: ويلك يالكع ! وهل الشعر إلا كلام لا يخالف سائر الكلام إلا في القوافي فحسنه حسن وقبيحه

قبيح³ . ففي هذا الرأي يوضح لنا ابن سيرين مذهبه في الشعر، الذي يعده كلاماً فنياً ، وقد سبق أن

وضحت المراد من هذا القول في الحديث عن مفهوم الشعر عند التابعين .

كما أن ابن سيرين كان من رواة الشعر، فروى ابن عبد ربه فقال: « قال ابن سيرين: بلغني أن

دوساً أسلمت فرقا من كعب بن مالك صاحب رسول الله ﷺ، حيث يقول:

[الوافر]

قَضَيْتَا مِنْ تَهَامَةٍ كُلِّ نَحْبٍ وَخَيَّرَ ثَمَّ أَعْمَدْنَا السُّيُوفَا

نُخِرَهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ دَوْسًا أَوْ ثَقِيْفًا⁴ .

وهكذا يبدو أن ابن سيرين صاحب النظرة التجديدية في مفهوم الشعر، أكد مذهبه في الشعر. في

نظراته التطبيقية للشعر، حيث أجاز إنشاد الشعر ومنه خصوصاً شعر الغزل في المسجد وفي شهر رمضان،

وروايته على اعتبار أن الشعر مهما كان غرضه فهو كلام .

1- ابن رشيقي : العمدة ، ج1 ، ص 25 .

2- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، طبعة دار الكتب المصرية ، ج1 ، ص 202 .

3- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج17 ، ص 198 .

4- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج5 ، ص 278 .

5- موقف عروة بن أذينة (ت نحو 130هـ) من الشعر :

ومن الشعراء التابعين الفقيه عروة بن أذينة، من « بني ليث وكان شريفاً ثبتاً يُحْمَلُ عنه الحديث»¹.
و« يروي عنه مالك بن أنس الفقه»²، وهو من فقهاء المدينة ، « وكان عالماً ناسكاً شاعراً حاذقاً»³.
وموقفه من الشعر إيجابي ، وهو شاعر غزل وشاعر زهد ، « وغزل فقيه المدينة ومحدثها عروة بن أذينة
معروف مشهور، إذ لم يعرف من شعره غير غزله »⁴.

ولقد « ظهرت التجربة الروحية النقية المتأثرة بروح الإسلام عند شاعر قرشي ناسك فقيه داعية...
كان من الذين شهرها بقضية حب في المدينة لا خلاف عليها ، وأحد وجوه المدينة المنورة في عهد بني
أمية، وأحد الذين ابتعدوا عن قضايا الصراع السياسي في المدينة، فقد كان على صلة حسنة بالأمويين
وأنصار عبد الله بن الزبير . لقد اختار ألا يلعب بالسياسة، أو تلعب به السياسة، ذلك لأنه كان له التزام
واضح بالشعر، وبخاصة ما كان منه بالغزل، فهو ابتداءً قد أخذ بالعالم السحري الغنائي الذي كان يوشح
المدينة، ويشارك فيه بما لا يحيط من قدره، فهو لم يقل الشعر فقط، ولكنه كان يصنع الألحان وينحلها
غيره فيغني بها، وفي الوقت نفسه كان يؤلف الأغاني، وفق ما يطلبه المغنون، على حد ما نعرف من أن
المغني ابن عائشة طلب منه أبياتا في الهزج، فقال له: اجلس فجلس، ثم أملى عليه قصيدته التي أولها:

[الهزج]

سُلِّمِي أَرْمَعْتَ بَيْنَنَا فَأَيْنَ تَقُولُهَا أَيَّنَا»⁵.

وله شعر يعبر فيه عن شدة وجدده فجاء في العقد الفريد « ومن شعر عروة بن أذينة، وهو من
فقهاء المدينة وعبادها، وكان من أرق الناس تشبيهاً:

[البيسيط]

قَالَتْ وَأَبْتَشْتُهَا وَجَدِي فَبُحْتُ بِهِ قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تُحِبُّ السِّتْرَ فَاسْتَرَّتْ

1- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 389 .

2- المصدر نفسه ، ص 389 .

3- الأمدي : المؤلف والمختلف ، ص 65 .

4- سامي مكّي العاني : الإسلام والشعر ، ص 120 .

5- عبده بدوي : دراسات في النص الشعري عصر صدر الإسلام وبني أمية ، ص 264 .

أَلَسْتُ تُبْصِرُ مِنْ حَوْلِي فَقُلْتُ لَهَا غَطَّى هَوَاكَ وَمَا أَلْقَى عَلَيَّ بَصْرِي¹.

وفي مثل هذا الموقف « وقفت عليه امرأة ، فقالت له : أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح ، وأنت تقول :

إِذَا وَجَدْتُ أَوَارِ الْحُبِّ فِي كَبْدِي غَدَوْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْمَاءِ أَتَبَرَّدُ
هَبْنِي بَرْدَتْ بِبَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرُهُ فَمَنْ لَنَا عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتَّقُدُ².

وعلق ابن عبد ربه على ما قالت هذه المرأة. فقال منكرا عليها قولها: « والله ما قال هذا رجل

صالح ، وكذبت عليه عدوة الله ، عليها لعنة الله ، بل لم يكن مرثيا ، ولكنه كان مصدورا فنفت³ .

ومن مواقف عروة الشعرية قال المرزباني: « أخبرني الزبير بن بكار ، قال: حدثني عروة بن عبد الله

ابن عروة بن الزبير ، قال : كان عروة بن أذينة نازلا مع أبي في قصر عروة بالعقيق ، فسمعته ينشد لنفسه الأبيات التي أولها:

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فَوَادَكَ مَلَّهَا جُعِلَتْ هَوَاكَ كَمَا جَعَلْتَ هَوَى لَهَا

قال عروة: فجاءني أبو السائب المخزومي يوما بالعقيق فألقاني في مجلس بئر عروة فسلم وجلس

إلي ، فقلت له بعد الترحيب به: ألك حاجة يا أبا السائب ؟ قال : وكما تكون لحاجة ، أبيات لعروة ابن

أذينة بلغني أنك سمعتها منه قلت : أي أبياته ؟ قال: وهل يخفى القمر ؟ قوله: " إن التي زمعت فؤادك

ملها " فأنشدته إياها قال: ما يروي هذه إلا أهل المعرفة والعقل، هذا والله الصادق الود الدائم العهد، لا

الهدلي الذي يقول:

إِنْ كَانَ أَهْلُكَ يَمْنَعُونَكَ رَغْبَةً عَنِّي فَأَهْلِي بِي أَضُنُّ وَأَرْغَبُ

لقد عدّا الأعرابي طَوْرَه ، وإني لأرجو أن يغفر الله لصاحب الأبيات في حسن الظن بها وطلب

العدر لها⁴ . وتمام أبيات عروة بن أذينة بعد البيت السابق:

فِيكَ الَّذِي زَعَمْتَ بِهَا وَكَلَاكُمَا يُبْدِي لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا

1- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج5 ، ص 289 .

- وابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 389 .

2- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج5 ، ص 289 .

3- المصدر نفسه ، ج5 ، ص 289 .

4- المرزباني : الموشح ، ص 293 .

وبيتُ بين جوانحي حُبُّ لها لو كان تحت فراشها لأقلَّها
ولعمَّرها لو كان حُبُّك فوقها يوماً وقد ضحيتُ إذًا لأظللها
وإذا وجدتُ لها وساوس سلوِّة شفعَ القواد إلى الصميرِ فسألها
بيضاءً باكرها النعيمُ فصاعها بلباقةً فأدقَّها وأجلَّها
لما عرَّضتُ مُسلِّماً لي حاجةً أرجو معونتها وأخشى ذلَّها
منعتُ تحيَّتها فقلتُ لصاحبي ما كان أكثرها لنا وأقلَّها
فَدَنَا فقال : لعلها معدورة من أجل رقبتهَا فقلتُ لعلها¹.

عندما نتمعن هذه القصيدة الرائعة التي تعكس صورة الشعر الغزلي لعروة بن أذينة، حيث «كان يغني شعره، وله فيه أصوات معروفة وهو شعر يساق كله في الغزل العفيف... وهو شاعر من شعراء المدينة يغني شعره ويوقعه، ويحدث فيه ما يريد من تقطيعات وتمديدات، فهو غزل يكتظ بالموسيقى... على هذا النحو، فهو غزل مهياً للغناء يغني فيه صاحبه، ويغني فيه غيره، وليس هذا كل ما يميز غزل عروة. بل هناك ميزة تتصل بمعانيه... الأغاني كانت تنصب على الغزل غالباً، وإن الغزل في المدينة على ضربين: غزل صريح فيه حرية، وغزل عفيف فيه طهر، وفيه مثالية، وما من ريب في أن غزل عروة كان من الضرب الثاني، وتعليل ذلك واضح، فهو فقيه، وله من تدينه رادع يقيه أن يكون آثماً في حبه، أو صريحاً صراحة تؤدي بغزله أن يكون مادياً مكشوفاً»². وهذا هو مذهب عروة بن أذينة في الشعر.

رأي العلماء في بعض معاني عروة بن أذينة الشعرية الغزلية :

لقد كان لشعر عروة وقع حسن لدى النقاد والمهتمين بشعره، وقد اهتموا به وأنكروا عليه بعض معانيه وصوره الشعرية، حيث « روي عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن ياسر، قال: قلت لأبي السائب المخزومي: أما أحسن عروة بن أذينة حيث يقول: [الطويل]

لبشوا ثلاث مَيِّ بمنزل غِبْطَةٍ وهُمُّ على غرضٍ لَعْمَرُك ما هُمُّ
مُتَجَاوِرِينَ بغيرِ دارٍ إقامةً لو قد أجدَّ رحيلهم لم يندمُوا
ولهنَّ بالبيت العتيقُ لبانةٌ والبيتُ يعرفُهُنَّ لو يتكَلَّمُ

1- نقلا عن : عبده بدوي : دراسات في النص الشعري عصر صدر الإسلام وبنو أمية ، ص 262 .

2- شوقي ضيف : الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية ، ص ص 99- 100 .

لو كان حيًّا قبلهنَّ ظَعَائِنًا حيا الحطيمُ وُجُوهُهُنَّ وَرَمَزُمُ
وكأنتهنَّ وفد حَسْرَنَ لَوَاغِبًا بِيضٌ بِأَكْنَافِ الحَطِيمِ مُرَكَّمُ

فقال: لا والله، ما أحسن ولا أجمل، بل أهرج وأخطأ، يصفهنَّ بهذه الصفة ولا يندم على رحيلهنَّ! «¹».

و«أنكر على عروة بن أذينة قوله: [البسيط]

وَاسْقِ العُدُوَّ بِكَأْسِهِ واعلمْ له بالغيب أنْ قد كان قبلُ سَقَاكَهَا
وَاجْزِ الكِرَامَةَ مَنْ تَرَى أَنْ لَوْلَهُ يوماً بذلتْ كِرَامَةً بَجَزَاكَهَا

وقالوا: فقوله في البيت الأول، "واعلمْ له بالغيب" كلام غث، و"له" رديئة الموقع بشعة المستمع. والبيت الثاني كان مخرجه أن يقول: "واجز الكرامة مَنْ تَرَى أَنْ لَوْلَهُ يوماً كرامةً لجزاها" وأنكروا أيضا قوله: [الوافر]

وَأَعْلَمْتُ المَطِيَّةَ فِي النَّصَابِي زهيصَ الحُفِّ دَامِيَةَ الأظْلِّ
أَقُولُ لَهَا لَهَا عَلِيَّ فِيمَا أَحْبُّ فَمَا اشْتَاوُكُ أَنْ تَكَلِّي؟²

فعلق المرزباني قائلا: «يريد أقول لها لَهَا عَلِيَّ فِيمَا أَحْبُّ أَنْ تَكَلِّي فَمَا اشْتَاوُكُ؟»³.

مواقف عروة بن أذينة الزهدية :

إن الشاعر عروة بن أذينة لم يكن شاعر الغزل العفيف فقط، بل يعد أيضا من شعراء الزهد في عصره، وقد كانت له مواقف سياسية تكشف حقيقة زهده في الحياة المادية ومتاعها، ومن مواقفه الزهدية ما يروي «أن عروة بن أذينة قدم على هشام بن عبد الملك في رجال من أهل المدينة، فلما دخلوا عليه ذكروا حوائجهم فقضاها، ثم التفت إلى عروة فقال له: أأست القائل: [البسيط]

لَقَدْ عَلِمْتُ وَخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ بَأَنَّ رِزْقِي وَإِنْ لَمْ آتِ يَأْتِينِي
أَسْعَى لَهُ فَيُعِينِنِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لِأَيُعِينِنِي

قال: بلى، قال: فما أراك إلا قد سعيت له: قال: سأنظر في أمري يا أمير المؤمنين، وخرج عنه،

1- المرزباني : الموشح ، ص 271 .

2- المصدر نفسه ، ص 272 .

3- المصدر نفسه ، ص 272 .

فجعل وجهته إلى المدينة وكشف عنه هشام بن عبد الملك، فقيل له: قد توجه إلى المدينة، فبعث إليه بألف دينار، فلما قدم عليه بما الرسول، قال له: أبلغ أمير المؤمنين السلام، وقل له: أنا كما قلت: " قد سعيت وعنيت في طلبه، وقعدت عنه فأتاني لا يعنيني " ¹.

إن موقف الشاعر أمام هشام بن عبد الملك، يدل على يقينه بأنه زاهد في طلب الدنيا، ولا يسعى إلى الرزق، وإنما الرزق هو الذي يأتي إليه، أي أنه ليس من الشعراء الماديين الذين يسعون للخلفاء والأمراء مدحهم وللاستزاق من عطاياهم، لهذا فإنه في موقفه « يعبر في وضوح عن فكرة التوكل على الله التي شاعت في بيئة الزهاد، وما يتصل بها من الثقة بالله وطمأنينة النفس وقناعتها، وترك كل تصرف لقضاء الله، وهو لا يهتم بعسر ولا يسر، ولا يفكر في هم الرزق أو في هم الغد، بل يدع تدبير ذلك لصاحب التدبير » ².

والحقيقة فإن عروة بن أذينة لم يقل هذين البيتين فقط، بل جاء موقفه في قصيدة. فقال صاحب الأعرابي « ومن شعر ابن أذينة في الزهد قوله:

لقد علمتُ وخيرُ القولِ أصدقُهُ	بأنّ رزقي وإنّ لم آت يأتيني
أسعى له فيعنيني تطلبُهُ	ولو جلسْتُ أتاني لا يُعنيني
وإنّ حظَّ امرئٍ غيري سيبلُغُهُ	لا بُدَّ لا بُدَّ أن يجتازهُ ذوئي
لا خير في طمعٍ يُدني لمنقصه	وغيرُهُ من كفافِ العيشِ يكفيني
لا أركبُ الأمرِ تُذري بي عواقبُهُ	ولا يُعابُ به عِرْضي ولا ديني
كم من فقيرٍ غيى النفس تعرفُهُ	ومن غيى فقيرِ النفسِ مسكين
ومن عدو رماني لو قُصدتُ له	لم يأخذِ النصفِ مني حينَ يرْميني
ومن أخٍ لي طوى كَشْحًا فقلتُ له	إنّ انطواءك عني سوفَ يطويني
إني لأنطقُ فيما كان من أربي	وأكثرُ الصّمتِ فيما ليسَ يعنيني

1- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص 289.

- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 389.

- الأمدى: المؤلف والمختلف، ص 66.

2- شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص 69.

لَا أَبْتَغِي وَصْلَ مَنْ يَبْغِي مُفَارِقَتِي وَلَا أَلِيُّ مَنْ لَا يَشْتَهِي لِيْنِي»¹.

وقد علق عبد الحكيم حسان على معاني هذه القصيدة وعن البعد الفكري والديني الذي تتميز بهما قائلاً: « القصيدة من طلائع الشعر الزهدي ، وهي لذلك أشبه ما تكون بالشعر الديني ، إذ تشتمل على كثير من الآداب الدينية، من مثل: اتقاء الشبهات ، والدعوة إلى القناعة، وصلة الرحم، وإيثار الصمت فيما لا يعني ، وليس فيها ما هو نص في الزهد إلا الأبيات الأولى التي تقرر مبدأ التوكل بشيء من الصرامة والإصرار . والعلة في ذلك أنّ تعاليم الزهد في مبدأ القرن الثاني الهجري لم تكن قد رسخت وقعدت بعد »².

ومن المواقف الشعرية لعروة بن أذينة :

جاء في ديوان المعاني ، في الدعاء للمعزول، حيث روي « عن الحسين بن يحيى قال: حدثنا إسحق

قال: عزل هشام بن إسماعيل المخزومي عن المدينة فاشتد العزل عليه ، فقال له عروة بن أذينة: [الوافر]

فَإِنْ تَكُنْ الْأَمَارَةَ عَنْكَ زَالَتْ فَإِنَّكَ لِلْمَغِيرَةِ وَالْوَلِيدِ
وَقَدْ مَرَّ الَّذِي أَصْبَحَتْ فِيهِ عَلَى مَرَوَانَ ثُمَّ عَلَى سَعِيدٍ»³.

وفي هذه الأبيات ما يدل على مواساة الشاعر لهشام ، وحثه على الصبر والثبات .

إن دلالة هذه الأشعار كلها تدل على أن موقف الفقيه المحدث الناسك عروة بن أذينة من الشعر موقف إيجابي، وأن مجلسه الفقهي لم يكن يخلو من الشعر والشعراء وأهل الغناء، وهو شاعر الحب الخالص، ولم يكن من شعراء السياسة، وهذه المواقف الشعرية لا تتعارض مع علمه وفقهه وورعه ، وزهده. وهكذا يتضح أن موقف التابعين العلماء: شريح القاضي، وابن المسيب، وعبيد الله بن عبد الله، وابن سيرين، وعروة بن أذينة، من الشعر موقف إيجابي، فرغم زهدهم وورعهم وتقواهم ، إلا أنهم فهموا الشعر فهما فنيا، باعتباره كلاماً في الصدور، ولا بد للمصدر أن ينفث، فجاءت رؤية مذهبهم للشعر تجمع بين الفقه والنقد، وتجمع بين غرضي الغزل والزهد ، فقالوا الشعر في الغزل والزهد وأباحوا الغناء، ولم يكونوا من شعراء السياسة ولا من المادحين للخلفاء والأمراء .

1- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج21 ، ص 106 .

2- عبد الحكيم حسان : التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري ، ص 177 .

3- أبو هلال العسكري : ديوان المعاني ، ج2 ، ص232

الفصل الثالث

شعر التابعين في الميزان الأخلاقي والفني

شعر التابعين في الميزان الأخلاقي والفني :

بعد ما تبين موقف التابعين الخلفاء والعلماء الايجابي من الشعر والشعراء ، فإن الباحث في موضوع "شعر التابعين بين الموروث الإسلامي والتقليد الجاهلي" ، يدرك بكل وضوح بأن التابعين الشعراء قد عاشوا النقلة الزمنية النوعية من العصر الإسلامي إلى العصر الأموي ، ومن ثقافة إلى ثقافة ، بوعي ديني وسياسي وثقافي، وشاركوا في صنع كثير من الأحداث التاريخية الكبرى مع الصحابة، ومع خلفاء بني أمية، وعاصروا آثار الفتنة الكبرى التي أدت إلى انقسام المسلمين، نتيجة مقتل الخليفة عثمان، والحروب التي دارت بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان .

والواضح أن عصر الدعوة قد أرسى مفهوم نظام حياة جديدة من الناحية الدينية والسياسية والاقتصادية، وأما من الناحية الأدبية فـ«كانت فترة صدر الإسلام فترة تأسيس وانتقال معًا، لا في حياة الناس وحدهم بل في حياة الشعر أيضًا، فقد أرسى الإسلام مفهومًا جديدًا - أو كالجديد - للشعر، وتحرر الشعر من عبودية الأنماط الفنية القديمة، تحررا واسعا، فهجروا صورة القصيدة العربية القديمة، وهجروا كثيرا من معاني الأسلاف، وطائفة من موضوعاتهم وأساليبهم، ورسموا صورة جديدة لهذه القصيدة تعبر عن حياة إسلامية جديدة وعن ذوق فني جديد»¹، وهو ما يعطينا صورة واضحة على أن «المسلمين قد أرسوا منذ أول عصر الدعوة حياة جديدة، وأسس شعر جديد، ولكن الزمن عاجل هذا الشعر قبل أن يستقر وينمو ويتأصل، وانقلب بهذه الحياة قبل أن تكتمل ملامحها، وتتوطد أركانها، ولهذا وصفنا هذه المرحلة بأنها مرحلة تأسيس وتأصيل معا»².

ولكن ما إن كاد عصر الصحابة ينتهي حتى انتشرت كثير من الثقافات في المجتمع الأموي، التي كان لها تأثيرها الواضح في الشعراء، ومن هذه الثقافات «الموجة الدينية من الزهد والتقشف والنسك والتعبد، لتدل في وضوح على أن شعراء عصر بني أمية نبتوا في جو جديد فيه روحية ومثالية، وفيه إيمان بعالم آخر فوق حسهم وشعورهم، وأن هناك علة نهائية تدبر هذا الكون، وتَعْنُو لها وجوه البشر ورقابهم. وهذا كله طَبَع نفسية كثير من الشعراء في العصر الأموي بطوابع جديدة لم تكن مألوفة في العصر الجاهلي، عصر الوثنية ، لسبب بسيط وهو أن الشعر تعبير النفس ، وهو يتأثر بكل ما يؤثر في النفس

1- وهب رومية : بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح أمودجا) ، ص 323 .

2- المرجع نفسه ، ص 324 .

من طرف الطبيعة مادية أو روحية معنوية»¹.

وهو ما يعني أنه نتيجة لانتشار الزهد بدا التأثير بالتراث الإسلامي واضحاً، وبدأت تسري روحه في الشعر وفي نفوس شعراء العصر الأموي .

ولكن ما هي الأسباب التي أدت إلى انتشار الزهد؟ وما هي علاقة التابعين الشعراء بالزهد؟ من الواضح أن الأسباب التي أدت إلى ظهور موجة الزهد كما يبدو أنها سياسية، وتعود كما قال شوقي ضيف: إلى «أن أهم إقليم انتشرت فيه هذه الموجة هو إقليم العراق... ومع ذلك فلم يكن أكثر صلة بها من الشام ومصر، فلا بد من أسباب أخرى دفعت أهله إلى اعتناق هذا الزهد والمبالغة فيه، وأكبر الظن أن الحروب الداخلية الطويلة التي استمرت هناك طوال عصر بني أمية، هي التي أعدت لذلك، فإن بعض من خسروا هذه الحروب ولم يستطيعوا اقتناص الدنيا من أيدي الأمويين تحولوا إلى الزهد فيها، ووضعوا أمانيتهم في الآخرة وما وعد الله به عباده المتقين، ولا ريب في أنه كان لظلم ولاية بني أمية وتعسفهم مع العراقيين أثر في ذلك، ويكفي أن الحجاج قتل - فيما يقال: - صبرا وغيلة، مائة ألف وعشرين، وغيره من ولاية العراق مثل "خالد القسري ويوسف بن عمر" * لم يبلعوا في القتل مبلغه، ولكنهم كانوا قساة ظالمين. ولم يكن لدى الناس أمام هذا الظلم وتلك القسوة وما استولى على نفوسهم من فزع وخوف، إلا أن يعتصموا بحبل الله وينصرفوا عن متاع الدنيا إلى متاع الآخرة»².

إذاً، فالأسباب التي أدت إلى ظهور موجة الزهد في العراق، هي الصراع السياسي بين ولاية بني أمية والمعارضين لهم، «ولاشك في أن الزهد كان له أصحابه في الحجاز كما كان له أصحابه في الشام ومصر، ولكن العراق هي التي سبقت فيه... فقد اندفع كثيرون هناك إلى العبادة والنسك»³.

وبالتالي فإن مدرسة التابعين الشعرية لم تكن بعيدة عن مدرسة التابعين الزهاد، فكانت ثمة علاقة وطيدة بين المدرستين، وهو ما يبين بأن التابعين الشعراء قد انغمسوا في محيطهم الاجتماعي، وساروا

1- شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص 61-62.

* «خالد بن عبد الله القسري: أمير العراق في عهد هشام بن عبد الملك (724-738م) عُزل. أماته في السجن. خلفه يوسف بن عمر الثقفي (ت 126هـ 743م)».

- المنجد في اللغة والأعلام، ص 229.

2- شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص 59.

3- المرجع نفسه، ص 59.

بفنههم وفق روح عصرهم ، وهو ما يؤكد لنا أننا « إذا مضينا في عصر بني أمية وجدنا تطورا واسعا يحدث في الشعر العربي، بتأثير الإسلام وتعاليمه الروحية وبتأثير الفتوحات واختلاط العرب بأهل البلاد المفتوحة »¹، التي كان لها دور أساسي وفعال في تطور ثقافة التابعين الشعراء والزهاد ، وتنوع منابعها الأدبية والفنية ، يقول شوقي ضيف: « ونحن إذا أخذنا لنحل ثقافة العرب في هذا العصر الأموي وجدناها تستمد من ثلاثة جداول مهمة: جدول جاهلي يتمثل في الشعر والأيام أو الحروب ومعرفة تقاليد الجاهليين، وجدول إسلامي يمثله الإسلام وتعاليمه الروحية ، وجدول أجنبي يتمثل في معرفة الشؤون الثقافية والسياسية والإدارية الأجنبية . وهذا كله معناه أن العرب أصبحوا في عصر جديد، يختلف عن العصر الجاهلي في كل شيء في الدين السماوي القويم وفي الحضارة والثقافة، فكان طبيعيا أن تتطور فنون شعرهم »².

وهكذا يبدو واضحا أن الحياة الأموية قد ورثت إرثا قويا وثقيلًا وعميقًا من الثقافة العربية والإسلامية والأجنبية ، وبخاصة الشعر الجاهلي والإسلامي .
ومن هذا المنطق يمكن طرح السؤال الآتي : هل تأثر التابعون الشعراء بما وصلهم من موروث شعري إسلامي وجاهلي؟ وما هي الأسباب التي دفعت الشعراء إلى اللجوء إلى الأخذ من الموروث الإسلامي والجاهلي ؟ وما هي صورة هذا الموروث الفني في شعرهم ؟ .
للإجابة عن هذا السؤال يمكن القول :

1- أثر الموروث الإسلامي في شعر التابعين الشعراء :

لما عُدَّ الإسلام وتعاليمه الروحية من الجداول الثلاثة المهمة للثقافة العربية في العصر الأموي، والقرآن العظيم أساس هذه التعاليم ، فإن « الحياة الأموية اتجهت - على تنوع موضوعات شعرها - إلى الصدور عن المصدر الإسلامي . تسليما من الشعراء بضرورة توظيفه في الفن الشعري، وقصدا إلى شيوعه فيه وسيطرته عليه، باعتباره واحدا من الجداول الكبرى للثقافة الأموية مما تغلغل بعمق في عقول الشعراء . فانعكست مواقفهم من واقع استغلالهم ذلك التيار الذي استوعبوه جيدا ووعوه في إطار هذا التوظيف حتى رصدوا لفنهم معجما إسلاميا يستقون منه الصور والمعاني على غرار ما كان لدى الجيل السابق من

1- شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر ، ط10 ، القاهرة ، دار المعارف ، 1978م . ص 33 .

2- المرجع نفسه ، ص 34 .

ناحية . وعلى نحو يتسق مع طبيعة الحياة من ناحية أخرى¹.

وقد لعبت السياسية في العصر الأموي دورا كبيرا في دفع الشعراء إلى الاستفادة من الأفكار والمعاني الدينية وتوظيفها في الصراع السياسي بين الأحزاب ، « إذ يكفي أن نشير إلى أسماء الفرق لندرك حجم تلك الحاجة إلى المعجم الديني . فلدينا شعراء للخلافة كحزب سياسي؛ وشعراء للزبيريين في الحجاز؛ وآخرون للشيعة التي تركزت في الكوفة ، ثم غيرهم للخوارج الذين استقروا في البصرة . على التعداد الداخلي للفروع المكونة لكل حزب منها على حدة . وكذلك كانت الفرق الدينية من الجبرية* إلى القدرية** إلى المرجئة*** إلى المعتزلة**** . وجميعها فرضت على الشعراء ضربا من التخصص الفني في شعره السياسي الذي يدعمه بالمعاني الدينية تأكيداً لحجته . وضربا من الالتزام الذي يدين فيه الشاعر بالولاء لفرقته في مقابل نبيله من الأحزاب الأخرى².

1- عبد الله التطاوي : حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية ، ص ص 47-48 .

* «الجبرية طائفة إسلامية اتخذت مذهباً في القرن الهجري الأول ، هو أن الإنسان مجبر لا اختيار له ولا قدرة على الاختيار ، وهو مجبر لا يستطيع التبديل . والكلمة مشتقة من الجبر وزعيمهم جهم بن صفوان ، لذا دعوا أيضا بالجهمية . والجبرية أصلاً منطلقة من موقف ديني هو إسناد فعل العبد إلى الله ، ونفثه عن نفسه . وكان صفوان يلخص الجبرية بقوله : " لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله " ومن الشعراء الجبريين جرير .»

- محمد التونجي : المعجم المفصل في الأدب ، ج 1 ، ص 310 .

** «القدرية هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى . ويزعمون أن كل الأحداث مقررة في الغيب هي بأمر الله أو القدر ، وليس بمقدور الإنسان أن يدفعها أو يبدلها . وزعيم هذا المذهب هو الحسن البصري (ت132هـ) .»

- المرجع نفسه ، ج 2 ، ص 702 .

*** «المرجئة اسم فرقة إسلامية ، لقبوا بذلك لأنهم يؤخرون العمل عن النية ، من أرحأ أي أخر ، أو لأنهم يقولون : لا تنصُرْ مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة . فهم يعطون الرجاء ، ولهذا ينبغي أن يسموا "المرجئة" من الرجاء . وقد انقسموا إلى ثلاث فرق وكل فرقة إلى فرق مختلفة .»

- المرجع نفسه ، ج 2 ، ص 782 .

**** «المعتزلة فرقة إسلامية من المتكلمين ، سماوا كذلك لأن واصل بن عطاء (ت 131هـ) خالف أستاذه الحسن البصري في الرأي في أمر المسلم المرتكب الكبيرة ، وقضى واصل بأنه في منزلة بين المنزلتين ؛ فلا هو بالكافر ولا هو بالمؤمن ، فانتحى لنفسه ولأصحابه إلى إسطوانة بالمسجد ، فقال الحسن : "المعتزلٌ عنّا واصلٌ" وهكذا تأسست الفرقة معتمدة على الفلسفة في معالجة الأمور . وقد اتصفوا بالصلاح والتقوى والزهد ، وتميزوا بتقحمهم الأخطار وشدتهم على خصومهم ، وبلاغتهم في الخطابة ، واشتد مقامها في العصر العباسي بين مؤيد ومعارض . وفي النهاية انقسمت إلى فرق صغيرة اختلفت آراؤها . ومن مبادئهم : القول بأن الخالق قديم ، منزه عن جميع الصفات الجسمانية ، ولا تجوز رؤيته بالعين في الآخرة ، وقالوا : يخلق القرآن ، وبالقدر . وبأن الإنسان خالق لأفعاله في الخير والشر ، وبأن مرتكب الكبيرة إذا خرج من الدنيا مصيره النار . غير أن عذابه أقل من عذاب الكفار ، وبأن الإمامة تجوز في قريش وفي غير قريش .»

- المرجع نفسه ، ج 2 ، ص ص 804-805 .

2- عبد الله التطاوي : حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية ، ص 48 .

وهكذا وفي ظل العصر الأموي لما اشتد الصراع السياسي بين هذه الفرق والأحزاب السياسية « اتجه المجتمع إلى صياغة مجموعة من الصراعات العاتية التي بدأت تقض مضاجع الخلافة الأموية . وترهق الخلفاء والرعية ، فتعددت الفرق السياسية ، وبقدر تعددها برزت صور متنوعة من الالتزام تبلور بعضها في نمط جديد يعيد إلى الأذهان إحياء نمط من الالتزام " القبلي " الموروث من لدن الجاهلية ، أو يطرح بعضها من جوانب الالتزام " العقائدي " في عصر صدر الإسلام ، ليضيف إليها ضربا أخرى جديدة من واقع الالتزام السياسي بالدرجة الأولى . وهو - أي الالتزام السياسي - ما لم يقل خطرا عن صورة العصبية القبلية التي طويت صفحتها مع مجيء الإسلام »¹.

ومما لا جدال فيه فـ« قد خلف هذا الصراع السياسي أو المذهبي كما يطلق عليه عدد من الدارسين نتاجا شعريا لا يقل روعة أو حماسة عن الذي ظهر في النقائض ، ومن يقرأ قصيدة الكميت في حب آل البيت يعرف كم وصل الشعر ذو الطابع السياسي إلى مرحلة عالية من الجودة الفنية . وهناك طائفة أخرى آثرت الاعتزال (أي اعتزال الحياة في صورتها المتصارعة المتشابكة) ، وكانت هذه الطائفة نوعين أو فريقين : فريق أغلق ذاته على نفسه وراح يتعبد وهؤلاء كانوا نواة التصوف الذي ظهر بوضوح كمذهب ديني فيما بعد ، وفريق آخر انحرف في التعبير عن نفسه وخوالجها تجاه العاطفة الإنسانية والوجدان وقد أخذ هذا النوع النمو والازدهار واتجه الشعراء فيه اتجاهين ، الأول يعبر بالغزل الصريح والثاني بالعفيف العذري »².

وفي ظل هذا التنوع الفني في العصر الأموي والتداعيات السياسية ، التي دفعت بالشعراء التابعين الشباب إلى توظيف التراث الإسلامي في شعرهم، ينعكس بكل وضوح بأن « الشعر الأموي كتب في ظلال نفسية جديدة آمنت بربها، واستشعرت حياة تقية صالحة ، فيها نسك وعبادة ، وفيها تقوى وزهد. وليس معنى ذلك أن كل الشعراء كانوا ناسكين زاهدين، وإنما معناه أن الحياة الروحية الجديدة لم تنفصل عن حياتهم الفنية ، بل أثرت في كثير من جوانبها وطورتها، وظهر هذا التطور في صور مختلف ويكف أن نتصفح ديوان شاعر كالفرزدق الذي اشتهر بفسقه واستهتاره لنعرف أنه لم ينفصل عن الإسلام وأنه قد

1- عبد الله التطاوي : مداخل ومشكلات حول القصيدة العربية القديمة ، ص 27 .

2- بماء حسب الله : الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام (تاريخ وتذوق) ، ط1، الإسكندرية ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، 2007م، ص 38 .

إضافة إلى تأثر التابعين الشعراء بالقرآن العظيم، فقد اتضح أن للقصص الديني أثره القوي، وتأثيره العميق في نفسية الشعراء ، ويظهر كأهم راحوا يتنافسون في الإفادة منه وتوظيفه في أشعارهم . وكان مما وظفه الشعراء التابعين في شعرهم من قصص ديني، قصة نوح (ص)، التي كان لها تأثير قوي في مخيلة الشعراء ، ويظهر هذا الموقف عند الفرزدق لما أراد أن يصور موقفه مع خصمه جرير استعار صورة موقف ابن نوح فقال:

[الطويل]

فَلَمَّا عَتَا الْجَحَّادُ حِينَ طَعَى بِهِ غِيَّيَ قَالَ : إِيَّ مُرْتَقِي فِي السَّلَامِ
فَكَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ نُوحٍ سَأَرْتَقِي إِلَى جَبَلٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَاءِ عَاصِمٍ¹.

والفرزدق يعطي « وجه الشبه المحدد بين عصيان الجحاد وبين عصيان ابن نوح لأبيه منذ نصحه ، "يا بني اركب معنا... إلى رفضه النصح وما كان من مكابرتة،" قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء"»².
ومن هذا القبيل ما قاله جرير:

[البيسط]

لَوْ تَعَلَّمِينَ الَّذِي نَلَّمِي أَوْيْتِ لَنَا ، أَوْ تَسْمَعِينَ إِلَى ذِي الْعَرْشِ شَكْوَانَا
كَصَاحِبِ الْمَوْجِ إِذْ مَالَتْ سَفِينَتُهُ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا
يَا أَيُّهَا الرَّأْكِبُ الْمُرْجِي مَطِيئَتُهُ بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا ، لُقِّيتَ حُمَلَانًا³.

وهكذا يتجلى « من واقع دلالة تلك الشواهد أن القصص الديني قد أصبح قاسما مشتركا يتعاوره شعراء العصر . راحوا ينهلون منه في الصياغة الجمالية لقصائدهم . ومن القصة القرآنية أفادوا ما هو واضح لديهم من توظيفها في مواطن العظة والاعتبار ، أو من التماس التشابه بين المواقف في عصرهم، وبين أحداث القصص الديني تعلقا بتاريخ الأمم البائدة ، ولذا بدت الإفاضة واضحة في تفاصيل القصة - أحيانا- من قبيل تأكيد تلك العظة ، وبعث الاطمئنان إلى مواضع الاعتبار منها، على نحو ما ظهر في حوارهم حول مقوماتها من السفينة ، وصاحبها ، وابنه ، وقومه ، ثم كان مما شغلهم حتى من أمر السفينة ذاتها، كيف صنعها، وكيف سارت وكيف مالت ، كما سيطر عليهم من صورته كني كيف تبني دعوة قومه إلى التوحيد، وكيف عصوه ورفضوها ، وكيف استمر في دعوته لعبادة الرحمن دهورا ، وهم ينكصون

1- الفرزدق : الديوان ، ص 665 .

2- عبد الله التطاوي : حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية ، ص 58 .

3- جرير : الديوان ، ص 477 .

عن الاستجابة، ويتحدون صاحب الرسالة ويخذلونه. ومما زاده حزنا وأسفا ما كان من صورة ابنه وعصيانه ونصحه . وكيف تصور إمكانية النجاة بصعوده إلى الجبل . وهي عناصر صاغتها القصة القرآنية في كثير من الآيات الكريمة «¹. في كثير من السور القرآنية .

فقال تعالى: ﴿ ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ﴾ [سورة الذاريات الآية 46].

أوقال تعالى: ﴿ آ آ آ آ آ آ آ آ آ آ ﴾ [سورة النجم الآية 20].

﴿ ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ﴾ [سورة غافر الآية 31].

﴿ آ آ آ آ آ آ آ آ آ آ ﴾ [سورة الأعراف الآية 59].

﴿ ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ﴾ [سورة هود الآية 25].

﴿ ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ﴾ [سورة العنكبوت الآية 14].

﴿ ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ﴾ [سورة المؤمنون الآية 27].

﴿ ح ح ح ح ح ح ح ح ح ح ﴾ [سورة هود الآية 38].

﴿ ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ﴾ [سورة هود الآية 42].

﴿ ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ﴾ [سورة هود الآية 43].

[43].

﴿ آ آ آ آ آ آ آ آ آ آ ﴾ [سورة هود الآيتان 45-46].

[46-45].

﴿ ق ق ق ق ق ق ق ق ق ق ﴾ [سورة الشعراء الآية 119].

﴿ ن ن ن ن ن ن ن ن ن ن ﴾ [سورة ق الآية 12].

واستمر الشعراء في توظيف القصص القرآني، توظيفا سياسيا، ويظهر ذلك في اقتباس الشعراء

لقصة يوسف ¹ وقد ظهرت هذه السياسة والمبالغات في مدائح جرير لبني أمية ، منها ما قاله في مدح

أيوب ابن سليمان بن عبد الملك:

[البسيط]

« الله أعطاكم، من علمه بكم ، حُكْمًا وما بعدَ حكم الله تعقيبُ

1- عبد الله التطاوي : حركة الشعر في ظلال المؤتمرات الإسلامية ، ص 59 .

أنت الخليفة للرحمن يعرفه أهل الزبور وفي التوراة مكتوب

كُونُوا كَيْسُفَ لَمَّا جَاءَ إِخْوَتُهُ وَاسْتَعْرَفُوا قَال : مَا فِي الْيَوْمِ تَتْرِبُ
اللَّهُ فَضْلَهُ ، وَاللَّهُ وَفَّقَهُ تَوْفِيقَ يُوسُفَ إِذْ وَصَّاهُ يَعْقُوبُ»¹.

فحريز وظف ثقافته الدينية القصصية في التقرب إلى خلفاء بني أمية ، فراح « يستمد من القصة القرآنية وصية يعقوب U ، وكيف كانت مكانة يوسف U وقد اجتباه ربه ، وكيف عفا عن إخوته حين أتوه وتعرفوا عليه »².

وتتكشف براعة الفرزدق في قصيدته " الميمية " المشهورة التي يصور لنا فيها صراعه مع إبليس وهجائه له فقال:

« أُمَّ تَرِنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنِّي لَبَيْنٌ رِتَاجٍ قَائِمٍ وَمَقَامٍ
عَلَى فَسَمٍ لَا أَشْتَمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا ، وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي سَوْءِ كَلَامٍ
أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسَ سَبْعِينَ حِجَّةً فَلَمَّا انْتَهَى شَيْبِي وَتَمَّ تَمَامِي
فَرَزْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيَقَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ لَأَيَّامِ الْمُتُونِ حِمَامِي
أَلَا طَالَ مَا قَدَبْتُ يُوضِعُ نَاقِي أَبُو الْجِنَّ إِبْلِيسُ بغيرِ خِطَامٍ
يَظُلُّ يُمْنِي عَلَى الرَّحْلِ وَارِكًا يَكُونُ وَرَائِي مَرَّةً وَأَمَامِي
يُبَشِّرُنِي أَنْ لَنْ أَمُوتَ ، وَأَنَّهُ سَيُخَلِّدُنِي فِي جَنَّةٍ وَسَلَامٍ
فَقُلْتُ لَهُ : هَلَا أَحْيَيْكَ أَخْرَجْتَ يَمِينُكَ مِنْ خُضْرِ الْبَحْرِ طَوَامٍ
رَمَيْتَ بِهِ فِي الْيَمِّ لَمَّا رَأَيْتَهُ كَفَرَقَةَ طَوْدِي يَذْبُلُ وَشَمَامٍ
فَلَمَّا تَلَاقَى فَوْقَهُ الْمَوْجُ طَامِيًا ، نَكَصْتَ ، وَمَ تَحْتَلُّ لَهُ بِمَرَامٍ
أُمَّ تَأَتْ أَهْلَ الْحِجْرِ وَالْحِجْرُ أَهْلُهُ بِأَنْعَمِ عَيْشٍ فِي بُيُوتِ رُحَامٍ
فَقُلْتُ : اغْتَرُّوا هَذَا اللَّقُوحَ فَإِنَّهَا لَكُمْ أَوْ تُنِيحُوهَا ، لَقُوحُ غَرَامٍ
فَلَمَّا أَنَاخُوهَا تَبَرَّاتَ مِنْهُمْ ، وَكُنْتَ نَكُوصًا عِنْدَ كُلِّ ذِمَامٍ
وَأَدَمَ قَدْ أَخْرَجْتَهُ ، وَهُوَ سَاكِنٌ وَرُوحَتَهُ ، مِنْ خَيْرِ دَارٍ مُقَامٍ

1- جريز : الديوان ، ص ص 51- 52 .

2- عبد الله التطاوي : حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية ، ص ص 65- 66 .

فَكَمْ مِنْ قُرُونٍ قَدْ أَطَاعُوكَ أَصْبَحُوا أَحَادِيثَ كَانُوا فِي ظِلَالِ عَمَامٍ

وَمَا أَنْتَ يَا إِبْلِيسُ بِالْمَرْءِ أَبْتَغِي رِضَاهُ ، وَلَا يَفْتَادُنِي بِزِمَامٍ
سَأُجْزِيكَ مِنْ سَوَاتٍ مَا كُنْتَ سَفْتَنِي إِلَيْهِ جُرُوحًا فِيكَ دَاتُ كِلَامٍ¹ .

بهذه الأفكار الدينية عبر الفرزدق عن براعة موقفه الفني، حيث « استرسل في هجاء إبليس معبرا عن نزعة دينية كانت تشتمل عليها نفسه ، ومستعيرا من القرآن الكريم بعض قصصه ليحكم هذا الهجاء. وما من ريب في أننا كلما أمعنا النظر في ديوان شاعر أموي وجدنا هذا الجانب الديني الجديد في صور مختلفة . وإذا كان الفرزدق على استهتاره ، الذي شهر به ، يتأثر هذا التأثر بالإسلام في شعره فأولى بغيره أن يكون تأثرهم أعمق وأحد ، وخاصة من عرفوا بالعفاف والتدين ، فخصمه حرير التقى العفيف نجد في شعره مظاهر كثيرة لتدينه وعفته² .

ومما يروى عن الفرزدق، «حضر الحسن البصري جنازة النوار امرأة الفرزدق فقال الفرزدق: يا أبا سعيد حضر هذه الجنازة خير الناس وشر الناس، أنت خيرهم وأنا شرهم ، قال: فما أعددت لهذا اليوم يا أبا فراس؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة ، وأنشأ يقول: [الطويل]

لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ دَارِمَ مَنْ مَشَى إِلَى النَّارِ مَشْدُودَ الْخِنَاقَةِ أَرْزَقًا
إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ عَنيفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ التَّهَابًا وَأَضْيَعًا
إِذَا شَرِبُوا فِيهَا الصَّدِيدَ رَأَيْتَهُمْ يَذُوبُونَ مِنْ حَرِّ الصَّدِيدِ تَمَرُّقًا³ .

وفي هذا الموقف « فالفرزدق المستهتر لم يكن الإسلام بعيدا عن نفسه، بل كان يعمل في سريره⁴ . ولم تتوقف استفادة الشعراء التابعين من توظيف المعاني القرآنية والقصص القرآني فحسب ، بل كان كما أشرنا من قبل أن للفرق الكلامية دورا كبيرا في إثارة الجدل الديني والسياسي في الساحة الفكرية ، «حول قضايا دينية ، تبين لنا أن أولئك الشعراء قد حرصوا على ألا يتخلفوا عن تلك الثقافات ، بل

1- الفرزدق : الديوان ، ص ص 592- 593 .

2- شوقي ضيف : التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص 63 .

3- الفرزدق : الديوان ، ص 446 .

4- شوقي ضيف : التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص 62 .

راحوا ينهلون منها، وكأنما آثروا الرجوع إلى المصادر الدينية الأولى، بدءاً من القرآن الكريم، فكانت المؤثرات أقرب إلى مادة النص المقدس منها إلى ما يدور حوله من تفسير أو جدل... وقد راح بعض الشعراء يستقي بعض مصطلحاته من واقع حسه الديني فحسب، على نحو ما نجد في بعض نماذج من شعرهم، إذ يتحدث الفرزدق عن الإسلام والإلحاد وهو يقرن الإسلام بالمصحف باعتباره المصدر الأول المقدس للعقيدة¹. وهذا في قوله لممدوحه العباس بن الوليد بن عبد الملك:

[الطويل]

أَبْرَتْ زُحُوفَ الْمَلْحِدِينَ وَكَدَّتْهُمْ بِمُسْتَنْصِرٍ يَتْلُوا كِتَابَ الْمَصَاحِفِ².

وقال جرير في مدح الخليفة عبد الملك بن مروان وإشادته به في جداله للملحدين ودحرهم: [الوافر]

دَعَوْتَ الْمَلْحِدِينَ أَبَا نُحَيْبٍ جَمَاحًا هَلْ شُفِيتَ مِنَ الْجِمَاحِ³.

[الطويل]

وعن (المشيئة الإلهية) يأتي طرح عمر بن أبي ربيعة في قوله:

مُقِيمٌ بِإِذْنِ اللَّهِ لَيْسَ بِبَارِحٍ مَكَانَ الثَّرِيَّا قَاهِرُ كُلِّ مَنْزِلٍ⁴.

[الطويل]

وعن القدر الإلهي قال الفرزدق:

وَلَكِنْ أَتَوْنِي آمِنًا لَا أَخَافُهُمْ هَمَّارًا وَكَانَ اللَّهُ مَا شَاءَ قَدْرًا⁵.

[الطويل]

والقدر الإلهي عند جميل بثينة:

فَقُلْتُ لَهُ : فِيهَا قَضَى اللَّهُ مَا تَرَى عَلَيَّ ، وَهَلْ فِيهَا قَضَى اللَّهُ مِنْ رَدٍّ ؟⁶

[الطويل]

وعن ميثاق الله وعهده يقول جميل بثينة كاشفا عن عذريته وعفة غزله:

لَقَدْ جِئَ مِيثَاقُ مِنَ اللَّهِ بَيْنَنَا . وَأَلَيْسَ ، لِمَنْ لَمْ يُوفِ لِلَّهِ مِنْ عَهْدٍ⁷.

وهكذا ينكشف من خلال هذه الشواهد وغيرها لدى التابعين الشعراء المحترفين « صدى التأثير

الإسلامي، من خلال اعتماد الشاعر على الإشارة إلى تلك المصطلحات والمسميات الإسلامية، التي

1- عبد الله التطاوي : حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية ، ص 77 .

2- الفرزدق : الديوان ، ص 423 .

3- جرير : الديوان ، ص 103 .

4- عمر بن أبي ربيعة : الديوان ، ص 312 .

5- الفرزدق : الديوان ، ص 302 .

6- جميل بثينة : الديوان ، ص 20 .

7- المصدر نفسه ، ص 20 .

استوحاها كاشفاً بذلك عما استوعبه من المعجم الديني»¹. الذي ظل الثقافة الدينية في العصر الأموي، وأصبح جزءاً من جماليات القصيدة التابعة .

أضف إلى هذا، فلو نظر المتأمل إلى مدائح الشعراء الكبار في العصر الأموي، لوجدهم يوظفون بعض المعاني والقيم الدينية، لا لشيء سوى قصد التقرب من الخلفاء وإضفاء عليهم مدائحهم بالأسلوب الذي يرضي الخلفاء لنيل عطاياهم ، لأنه « ليس هناك سياسة بالمعنى الصحيح في شعر هؤلاء الثلاثة الكبار وليس فيه ما ينبئ عن رأي خاص في الحكم غير تلك المعاني العامة التي تشير إلى العدل والتقوى من بين الفضائل الكثيرة التي يخلعونها على من يمدحون ، لا لأن لهم مفهوماً خاصاً في صورة الحكم القائم على العدل والتقوى . ولكن لأن الأمويين كانوا حريصين أن ينسبهم الشعراء إلى مثل تلك الفضائل الدينية التي كانت تقوم عليها المذاهب السياسية المناوئة كالهاشميين والخوارج . وأن يؤكدوا حقهم الديني في الخلافة وكأن الله قد اختارهم لها وخصهم بها دون الناس جميعاً . وكان هؤلاء الشعراء لا يقفون عند حد في إرضاء تلك النزعة عند ممدوحهم حتى لينتهوا في ذلك إلى كثير من الإسراف والمبالغة»².

وهذا الإسراف والمبالغة يظهران عند جرير في مدحه عمر بن عبد العزيز حيث قال له: [البسيط]

«خليفة الله ثم الله يحفظه والله يصحبك الرحمن في السفرِ
أنتَ المبارك والمهدي سبرتهُ ، تعصي الهوى وتقوم الليل بالسورِ
أصبحت، للمنبر المعمر مجلسه ، زيناً وزين قباب الملك والحجرِ
نال الخلافة إذ كانت له قدرًا كما أتى ربه موسى على قدر»³.

وفي السياق نفسه قال جرير يمدح الحجاج بن يوسف الثقفي:

« ولولا أمير المؤمنين ، وأنه إمام وعدل، للبرية ، فاصيل
وبسط يد الحجاج بالسيف لم يكن سبيل جهاد واستيخ الحلائل
خليفة عدل ، ثبت الله ملكه على رايات لم ترها الزلازل»⁴.

1- عبد الله التطاوي : حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية ، ص 82 .

2- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 303 .

3- جرير : الديوان ، ص ص 237 - 238 .

4- المصدر نفسه ، ص 364 .

وبأسلوب المبالغة والإسراف نفسه في المدح ، مدح الفرزدق أمراء وحلفاء بني أمية « قال الفرزدق يمدح الحكم بن أيوب الثقفي بن عم الحجاج، وكانت تحت زينب بنت يوسف أخت الحجاج، وكان عامله على البصرة، وكان يهدد الفرزدق ونهاه أن يهجو أحدا من أهله، وخص فيها عبد الملك بالمدح:

[البيسط]

فالأرضُ لله ولأها خليفةً وصاحبُ الله فيها غيرُ مغلوبٍ¹.

[الطويل]

و« قال الفرزدق يمدح يزيد بن عبد الملك:

أرى الله قد أعطى بن عاتكة الذي له الدينُ أمسى مُستقيمَ السَّوَالِفِ
تقى الله والحكم الذي ليس مثله ورأفة مهدي على الناسِ عاظفٍ².

[الطويل]

و« قال الفرزدق يمدح الوليد بن عبد الملك:

ورثت أباك الملك تجري بِسَمْتِهِ كذاؤد إذ ولي سليمان بعده
كذلك حوط النَّبَعِ يَنْبُتُ فِيهِ الْأَصْلُ خِلافتُهُ نِحْلاً مَنْ اللهُ ذِي الْفَضْلِ³».

[الطويل]

و«قال يمدح هشاما:

هشام ابن خير النَّاسِ ، إِلَّا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابُهُ ، إِنِّي لَكُمْ لَمْ أَقَارِفِ
مَنْ الْعِشِّ شَيْئًا ، وَالَّذِي نَحَرْتُ لَهُ قُرَيْشٌ هَدَايَا كُلِّ وَرَقَاءَ شَارِفِ⁴.

[الطويل]

و« قال الفرزدق يمدح سليمان:

سُلَيْمَانُ غَيْثُ الْمَمْحَلِينَ وَمَنْ بِهِ عَنِ الْبَائِسِ الْمَسْكِينِ حُلَّتْ سَلَابِلُهُ
وما قامَ مُذْ ماتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَعَثْمَانُ فَوْقَ الْأَرْضِ رَاعٍ يُعَادِلُهُ⁵.

ولو وقفنا عند مدائح الفرزدق، و« أخذنا نتأمل في مديحه وجدناه يختلف عن المديح القديم، لسبب طبيعي، هو أن الفرزدق مسلم، يمدح ولاية خليفة الله في أرضه ، وهم كما يقومون على ولاية الناس يقضون بالعدل وينشرون الأمن، يقومون أيضا بمحاربة الثائرين . وكل ذلك ماثل في ديوان الفرزدق،

1- الفرزدق : الديوان ، ص 48-49 .

2- المصدر نفسه ، ص 425 .

3- المصدر نفسه ، ص 539 .

4- المصدر نفسه ، ص 419 .

5- جرير : الديوان ، ص 490 .

فالحياة العربية اختلفت ، واختلف معها شعر المديح الذي يصورها . وفرق بين أن يمدح الشاعر الجاهلي سيد القبيلة ، وأن يمدح الشاعر الأموي والي العراق المسلم الذي يتصف بصفات دينية هي صفات الإسلام¹ . فقال يمدح الحجاج:

« وَمَ أَر كَالْحَجَّاجِ عَوْنًا عَلَى التُّقَى
بِسَيْفٍ بِهِ اللَّهُ تَضْرِبُ مَنْ عَصَى
شَقِيتَ مِنَ الدَّاءِ الْعِرَاقِ فَلَمْ تَدْعُ
وَكُنَّا بِأَرْضِ يَابَنْ يُوسُفَ لَمْ يَكُنْ
وَمَا تُبْتَعَى الْحَاجَاتُ عِنْدَكَ بِالرُّشَى
فَمَا النَّاسُ أَلَا فِي سَبِيلَيْنِ مِنْهُمَا :
فَجَرَدُ هُمْ سَيْفَ الْجِهَادِ فَإِنَّمَا
وَلَا طَالِبًا يَوْمًا طَرِيدَةً تَابِلِ
عَلَى قَصْرِ الْأَعْنَاقِ فَوْقَ الْكَوَاهِلِ
بِهِ رَبِيَّةٌ بَعْدَ اصْطِفَاقِ الرَّلَازِلِ
يُبَالِي بِهَا مَا يَرْتَشِي كُلُّ عَامِلِ
وَلَا تُقْتَضَى إِلَّا بِمَا فِي الرِّسَائِلِ
سَبِيلٌ لِحَقِّ أَوْ سَبِيلٌ لِيَابِلِ
نُصِرَتْ بِتَفْوِيضٍ إِلَى ذِي الْقَوَاضِلِ² .

وقد علق شوقي ضيف على المعاني المدحية في هذه الأبيات ، فقال: « ومن المؤكد أن هذه الأبيات لم تكن تخطر ببال المقصدين للمدح في الجاهلية ، فلم يكونوا يمدحون بالتُّقَى ، ولا كانوا يصفون بمدوحهم بأنهم سيوف الله ، ولا كانوا يذكرون الرشوة ، ولا الحق والباطل ، وقد استرسل الفرزدق في هذه القصيدة يصف كيف قضى الحجاج على ثورة اندلعت في العراق . وكل ذلك جديد في قصيدة المدح العربية³ ، حيث دخل في قصيدة المدح الأموية كما يقول يوسف خليف: « خيوط إسلامية مستحدثة جددت من الصورة التقليدية للقصيدة العربية . وحوالتها من صورتها الكلاسيكية الخالصة إلى صورة كلاسيكية جديدة ، فأصبح الشاعر يمدح الخليفة بأنه إمام المسلمين ، وأن الله اختاره لخلافتهم . وأنه نور يضيء البلاد . ويكشف عنها ظلمات الجور والضلال ، وأنه يتصف بالصفات التي يدعو الإسلام إليها من تقوى وورع وتبُّل إلى الله وتمسك بكتابه وسنة رسوله . ونحو ذلك من المثل والقيم الإسلامية التي أرساها الإسلام في نفوس الناس⁴ . وعلى هذه المعاني مدح الفرزدق يزيد بن عبد الملك فقال له:

1- شوقي ضيف : التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص 146 .

2- الفرزدق : الديوان ، ص ص 532 - 533 .

3- شوقي ضيف : التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص 147 .

4- يوسف خليف : في الشعر الأموي دراسة في البيئات ، ص 91 .

[الطويل]

وَلَوْ كَانَ بَعْدَ الْمُصْطَفَى مِنْ عِبَادِهِ
لَكُنْتُ الَّذِي يَخْتَارُهُ اللَّهُ بَعْدَهُ
وَرِثْتُمْ خَلِيلَ اللَّهِ كُلَّ حِرْزَانَةٍ
وَحَبْلُكَ حَبْلُ اللَّهِ مَنْ يَعْتَصِمَ بِهِ
نَبِيِّ هُمْ مِنْهُمْ لِأَمْرِ الْعَزَائِمِ
لِحِمْلِ الْأَمَانَاتِ الثَّقَالِ الْعِظَائِمِ
وَكُلُّ كِتَابٍ بِالنَّبُوءِ قَائِمٍ
إِذَا نَالَهُ يَأْخُذُ بِهِ حَبْلٌ سَالِمٌ¹.

[البسيط]

ومثله ما قاله جرير في مدح عبد الملك بن مروان:

لَوْلَا الْخَلِيفَةُ وَالْقُرْآنُ يَقْرَأُهُ ،
أَنْتَ الْأَمِينُ ، أَمِينُ اللَّهِ ، لَأَسْرَفْتُ
أَنْتَ الْمُبَارَكُ يَهْدِي اللَّهُ شِعْبَتَهُ ،
فَكُلُّ أَمْرٍ عَلَى يَمِينٍ أَمَرْتُ بِهِ ،
يَا آلَ مَرْوَانَ ! إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ
مَا قَامَ لِلنَّاسِ أَحْكَامٌ وَلَا جُمُوعُ
فِيمَا وُكِّيتَ ، وَلَا هَيَابَةٌ وَرَعُ
إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
فِينَا مُطَاعٌ ، وَمَهْمَا قُلْتَ مُسْتَمْعُ
فَضْلاً عَظِيماً عَلَى مَنْ دِينُهُ الْبِدْعُ².

وكما هو واضح في هذه الأبيات أن « الفرزدق وجريرا يمدحان بمعاني إسلامية جديدة لم يكن للشعراء الجاهليين عهد بها... فيزيد عند الفرزدق أفضل خلق الله بعد النبي محمد ، ولو كان الله مرسلًا رسولًا بعد محمد لكان هو يزيد . وقد ورث هو والخلفاء الأمويون من قبله ميراث النبوة حين اختارهم الله لخلافة المسلمين ، وحبله حبل الله من يعتصم به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها . وعبد الملك عند جرير ركن الدين ، والقائم بأمره . والمنفذ لتعاليمه ، والمتمسك بكتابه ، وهو أمين الله في أرضه على خلقه ، وسبيله سبيل الهدى الذي يضم شمل الأمة الإسلامية في خضم الفتن والأهواء التي فرقتهما شيعة وأحزابا وهو وآل بيته هم الذين استقاموا على سنة الإسلام بينما انحرف من سواهم إلى طريق البدع والضلال»³.

ومن خلال هذه الشواهد الشعرية ذات الدلالة المدحية ، فبكل تأكيد فإن المتأمل فيما قاله جرير والفرزدق ، من المعاني الدينية التي أضفوها على ممدوحهم يجدهم « يؤيدون حق الأمويين في الخلافة ،

1- الفرزدق : الديوان ، ص ص 643 - 644 .

2- جرير : الديوان ، ص ص 298 - 299 .

3- يوسف خليف : في الشعر الأموي دراسة في البيئات ، ص ص 93 - 94 .

إلى جانب تأييدهم إياهم بتلك المعاني الدينية العامة ، بالإلحاح على انتمائهم إلى قريش ومكانتهم فيها، وأهم أولياء دم عثمان بن عفان ووارثوه . ولعل هذين هما المعنيان السياسيان البارزان في شعر هؤلاء الشعراء ، لكنهم سرعان ما يحولون الأمر إلى صورة من الفخر القبلي بالآباء بالأجداد والشيم العربية ، قارنين ذلك بسؤال العطاء سؤالاً فيه كثير من الاتضاع والهوان»¹.

وإذا كانت الفكرة الدينية عند جرير والفرزدق ظاهرة وواضحة التأثير في شعرهما، فإن لشوقي ضيف رأياً في الاتجاه الديني للفرزدق فقال فيه: « على أنه لا نبالغ في تأثره بالإسلام، فقد كانت نفسه تتأثر في عمق بالعادات والطباع الجاهلية، ومن هنا يأتي تهوره في كرمه واعتداده بأبائه وما كان لهم من أجداد»².
بينما يوسف خليف يؤكد أثر الإسلام العميق في شعر جرير فقال: « ويعد شعر جرير - بحق - أروع صورة للشعر الإسلامي الذي استجاب للمؤثرات الإسلامية في لغته وأصاليه ، متخلصاً من غرابة اللغة القديمة وخشونة الأساليب الجاهلية ، مع الاحتفاظ بالمقومات الفنية الأصيلة والتقاليد الشعرية الثابتة التي استقرت للقصيصة العربية منذ العصر القديم ، ومن غير شك يعد جرير أشد الفحول الثلاثة تأثراً بالإسلام وكلامه الخالد ، وهو تأثر باعدت بينه وبين الأخطل نصرانيته ، كما باعدت بينه وبين الفرزدق روحه الجاهلية ومزاجه البدوي ، بينما أتاحت له لجرير نفسيته الصافية وإيمانه العميق وما طَبَعَهُ هذا الإيمان من مثالية روحية كريمة»³.

كما « نلاحظ بعض التغيير في هذا الشعر التقليدي حين نلمح الأثر الإسلامي واضحاً في نفس الشاعر، فيستمد من القرآن الكريم بعض المعاني والأفكار، ولكن هذا التأثير جزئي محدود كما نرى في مدح كثير بن عبد الرحمن لعمر بن عبد العزيز (ت 101هـ/72م)»⁴. فأنشده من مدحته فقال:

[الطويل]

«وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتِمِ عَلَيَّا وَمَ تَحْفُفَ بَرِيًّا وَمَ تَقْبَلِ إِشَارَةَ مُجْرِمِ
وَصَدَّقْتَ بِالْفِعْلِ الْمَقَالَ مَعَ الَّذِي أَتَيْتَ فَأَمْسَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمِ
وَقَدْ لَبِسْتَ لَيْسَ الْمُلُوكِ تِيَابَهَا تَرَاءَى لَكَ الدُّنْيَا بِكَفِّ وَمِعْصَمِ

1- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص ص 305 - 306 .

2- شوقي ضيف : التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص 145

3- يوسف خليف : في الشعر الأموي+ دراسة في البيئات ، ص 82 .

4- محمد مصطفي هدار : الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص 291 .

وَتُوْمِضُ أَحْيَانًا بَعِيْنٍ مَرِيضَةٍ وَتَبْسِمْ عَنْ مِثْلِ الْجَمَانِ الْمُنْطَمِّ
فَأَعْرَضَتْ عَنْهَا مُشْمِزًا كَأَمَّا سَقَّتْكَ مَدُوقًا مِنْ سَمَامٍ وَعَلَقَمِّ
وَمَازَلَتْ تَوَاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ بَلَعْتَ بِهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمُقَدَّمِ
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمُلْكُ عَفْوًا وَمَ يَكُنْ لِطَالِبٍ ذُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلِّمِ
تَرَكْتَ الَّذِي يَفْعَى وَإِنْ كَانَ مُوْنِقًا وَأَثَرَتْ مَا يَبْقَى بِرَأْيٍ مُصَمِّمِ
وَأَضْرَبْتَ بِالْقَانِي وَثَمَّرْتَ لِلَّذِي أَمَامَكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الشَّرِّ مُظْلِمِ
سَمَا لَكَ هَمٌّ فِي الْفُؤَادِ مُؤَرِّقٌ بَلَعْتَ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِي بِسَلْمٍ¹.

ففي هذا المدح يظهر أن « الشاعر تخلى عن الأوصاف الحسية المعروفة في المديح، كالطول ووضاءة الوجه ، والفضائل الجاهلية التي كانت لا تزال أصداؤها في الشعر الأموي ، ويلتزم الصدق والفضائل الإسلامية العامة ، والشمائل التي كان يتحلى بها عمر خاصة من العدل والحلم والامتناع عن سب علي بن أبي طالب على منابر المساجد ، كما اعتاد الخلفاء الأمويون أن يفعلوا ، والبعد عن الظلم والجبروت ، والزهادة في الدنيا وأبهة الحكم بكل ما فيها من مغريات ، على الرغم من التزام الشاعر نهج القصيدة الجاهلية ، فقد بدأ مديحه بكاء الأطلال ، وعلى الرغم من أنه في مدائحه لغير عمر بن عبد العزيز يلتزم الأوصاف الجاهلية المثالية في المديح »².

وعلى هذا الأساس يمكن القول: إن شعراء العصر الأموي الكبار نظرا لنضجهم الفني ، ومقدرتهم الإبداعية، كان لهم من القدرة والكفاية الفكرية والفنية لفهم قضايا عصرهم ومجتمعهم الخفية والظاهرة، ليخوضوا من خلالها في فن الشعر ودفعه قدما، وإعطائه البعد الجمالي الذي يجعله جزءا أساسيا من ثقافتهم وطبعه بروح عصره .

ولم يقف تأثير الإسلام في الشعراء وشعر المدح والفخر عند هذا الحد ، بل كان امتداد تأثيره في الشعراء كبيرا ، حيث تسربت الروح الدينية إلى الرجز، الذين أشبعوا رجزهم بالمعاني الإسلامية ، ولكن الباحث في ميدان الرجز يسجل كما قال يوسف خليف: بأنه « لم يتغير الموقف بعد ظهور الإسلام ، فقد ظل الرجز طوال عصر صدر الإسلام يدور في مجالاته القديمة محتفظا بشكله التقليدي وموضوعاته

1- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 342 .

2- محمد مصطفى هدارة : الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص 292 .

الشعبية العامة ، ولم يظهر بين أصحابه شعراء تخصصوا له . ووهبوا طاقاتهم الفنية له ، ليتطوروا به من المستوى الذي كان عليه في العصر الجاهلي ، وإن يكن هذا العصر قد شهد فترةً نشِطاً فيها الرجز نشاطاً ملحوظاً . وهي فترة الصراع بين علي ومعاوية وبخاصة في أيام صفين فقد تردد الرجز في هذا الصراع بصورة واسعة على ألسنة المقاتلين من الفريقين ، وشهدت مئات منهم يتغنون بالرجز، يحمسون به أنفسهم ويرفعون من روحهم المعنوية ، أو يفتخرون بشجاعتهم وبطولتهم ، ويتوعدون أعداءهم بالقتل أو الهزيمة . تماما كما كان يفعل فرسان القبائل في أيام الجاهلية . وهكذا لم يسجل الرجز في هذا العصر تطورا لا في الشكل ولا في المضمون، وإنما ظل يواصل حركته التي بدأت من أعماق الجزيرة العربية في العصر الجاهلي على ألسنة أصحابه من أفراد الشعب العربي في مجالات حياتهم اليومية¹.

ومع بداية فترة العصر الأموي بدأ ربح تغير الحياة يلعب دوره في حياة المجتمع الإسلامي الجديد ، فتجددت الحياة اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وأديبا ، فظهر نشاط الشعراء الرجز ولعبوا دورا كبيرا على المستوى الرسمي برجزهم ، « فأحيوا استخدامه في أغراض شتى من الشعر وأطالوا فيه . ولم يكن الرجز في الجاهلية غير مقطعات صغيرة تصور موقفا مرتحلا في الهجاء والحرب خاصة ، ولم يكن الشعراء الجاهليون يقبلون على استخدامه، فدواوين زهير، والنابعة الذبياني، وعنزة* (نحو 525-615م) تخلوا منه، بينما نجد مقطعات صغيرة في ديوان امرئ القيس² .

وقد سبق الأغلب**العجلي كل الرجز في عصر صدر الإسلام إذ هو « أول من شبه الرجز بالقصيد وأطاله، وكان الرجز قبله إنما يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة إذا خصم أو فاجر³ ، كما « نبه بذلك إلى إمكان استخدامه بصورة واسعة في شتى الأغراض التي يستخدم فيها الشعر¹ .

1- يوسف خليف : في الشعر الأموي دراسة في البيئات ، ص 211

* « عنزة بن شداد بن قرادة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن شهيم بن بغيض الفارس المشهور » . صاحب عيلة . له معلقة مطلعها : [البسيط]
هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

- الأمدى : لمؤتلف والمختلف ، ص 197 . .

2- محمد مصطفى هدارة : الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص 296 .

**الأغلب العجلي(21هـ 642م) « هو الأغلب بن جشم من سعد بن عجل...عاش سبعين سنة وكان الأغلب جاهليا إسلاميا وقتل بنهاوند » .

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 412 .

3- المصدر نفسه ، ص 412 .

4- محمد مصطفى هدارة : الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص 296 .

وقد استدعى التطور السياسي في العصر الأموي إلى خروج الرجاز من البادية إلى المدن، ووصلوا خلفاء بني أمية وأمراءهم في قصورهم ومدحهم ونيل عطاياهم ، فظهر **العجاج بن ربيعة** (25-97هـ) الذي « شارك برجزه في موضوعات الشعر المختلفة . ومد طاقات الأرجوزة الفنية ليدور بها مع الشعراء في دوائرهم الرئيسية . فمدح وهجا وافتخر وتغزل ووصف ورثى، وشهدت المرید سوق البصرة المشهورة نشاطا أدبيا ضخما له . كما شهدت مثل هذا النشاط قصور بني أمية في الشام والعراق وغيرها من الأقاليم الإسلامية . والظاهرة التي تلفت النظر في رجزه شيوع الروح الدينية فيه . حتى تتحول بعض أراجيزه إلى مواعظ دينية خالصة . على نحو ما نرى في أرجوزته " التائية " التي قالها بعد شفائه من مرض ألمَّ به . واستهلها بحمد الله والثناء عليه »¹، فقال:

« الحمدُ لله الذي استَقَلَّتْ بِأَذْنِهِ السَّمَاءُ ، وَاطْمَأَنَّتِ
بِأَذْنِهِ الْأَرْضُ وَمَا تَعَتَّتِ وَحَى لَهَا الْفَرَارَ فَاسْتَقَرَّتِ
وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ رَبُّ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ الْفُتَّتِ
وَالجَامِعُ الْعَيْثُ غِيَاثُ الْمُسْنِتِ وَالجَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمِ الْمَوْقِتِ
بَعْدَ الْمَمَاتِ وَهُوَ مُحْيِي الْمَوْتِ يَوْمَ تَرَى الثُّفُوسُ مَا أَعَدَّتِ
مَنْ نُزِّلَ إِذَا الْأُمُورُ عَجَبَتْ مِنْ سَعْيِ دُنْيَا طَالَ مَا قَدْ مُدَّتِ
حَتَّى انْقَضَى فَضَاؤُهَا فَأَدَّتِ إِلَى الْإِلَهِ خَلَقَهُ إِذْ طَمَّتِ
غَاشِيَةُ النَّاسِ الَّتِي تَعَشَّتِ يَوْمَ يَرَى الْمُرْتَابُ أَنَّ قَدْ حُفَّتِ
إِذَا رَأَى مَثَنَ السَّمَاءِ انْقَدَّتِ وَحَى الْإِلَهِ ، وَالْبِلَادَ رُجَّتِ »².

والواضح أن **العجاج** يتحدث في هذه القصيدة بعد حمده لله « عن خلق السموات والأرض، وعن يوم البعث والنشور، ثم يعدد ما أنعم الله به عليه من نعم لأخصى، ويصور خوفه من عقاب الله، وأمله في مغفرته ورحمته »³. وهذه الروح الدينية تعد من الأفكار الجديدة في الرجز .
وسلك **العجاج** المسلك نفسه في « أرجوزته " الرائية " المشهورة التي تعد أهم أرجوزة في ديوانه ،

1- يوسف خليف : في الشعر الأموي دراسة في البيئات ، ص 216 .

2- نقلا عن: المرجع نفسه، ص ص 216-217 .

3- المرجع نفسه ، ص 217 .

وأيضاً أطول أرجوزة فيه ، إذ تبلغ مائة واثنين وثمانين بيتاً . فهو يبدؤها بمقدمة دينية طويلة¹ ، حيث تظهر بوادر محاولاته التجديدية في افتتاحية مطالع قصيدة الرجز من مقدمتها الطللية إلى مقدمة دينية فقال :

« قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الإِلهُ فَجَبَّرَ وَعَوَّرَ الرَّحْمَنُ مَنْ وَلَّى العَوْرَ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَى الحَبْرَ مَوَالِيَ الحَقِّ إِنَّ المولى شَكَرَ
عَهْدَ نَبِيِّ مَا عَقَا وَمَا دَثَرَ وَعَهْدُ صَدِّيقِ رَأَى برا فَبَرَّ
وعَهْدِ عَثْمَانَ وَعَهْدًا مِنْ عُمَرَ وَعَهْدُ إِخْوَانِ هُمْ كَانُوا الوُزَرَ
وَعُصْبَةُ النَّبِيِّ إِذْ خَافُوا الحَصْرَ شَدُّوا لَهُ سُلْطَانَهُ حَتَّى افْتَسَرَ
بِالقَتْلِ أَقْوَامًا ، وَأَقْوَامًا أُسِرَ تَحْتَ الَّذِي اخْتَارَ لَهُ اللهُ الشَّجَرَ
مُحَمَّدَ ، وَاخْتَارَهُ اللهُ الحَيَّرَ فَمَا وَنَى مُحَمَّدٌ مُذْ أَنْ غَفَرَ
لَهُ الإِلهُ مَا مَضَى وَمَا غَبَرَ أَنْ أَظْهَرَ الدِّينَ بِهِ حَتَّى ظَهَرَ »².

إن المتأمل في هذه الأرجوزة يرى بوضوح مدى التطور الفني الذي لحق الرجز في العصر الأموي ، نظراً للتأثير الإسلامي في الشعراء والرجاز ؛ حيث من « الواضح أن العجاج قد استبدل بمقدمة الأطلال التقليدية هذه المقدمات الدينية الإسلامية، التي نراها في طائفة من أراجيزه ، والتي هي - بدون ذلك - نتيجة لتأثره بالإسلام ذلك التأثير العميق الذي نُحَدِّثُنا به أخباره، فقد كان العجاج أشد الرجاز الثلاثة * تأثراً بالإسلام، وأعمقهم إيماناً، وأكثرهم استمداداً من القرآن الكريم والمعاني الإسلامية »³.

كما سلك المسلك نفسه من حيث الاستفتاح بالمقدمة الدينية ، فقال :

[الرجز]

الحمدُ لله العَشِيَّ والضُّحَى والحمدُ لله ، فَمَا شَاءَ أَتَى
أَسْأَلُ رَبَّ النَّاسِ هَدِيًّا بِأَهْدَى هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ آيَاتِ التَّقَى⁴.

1- يوسف خليف : في الشعر الأموي دراسة في البيئات ، ص 217 .

2- نقلاً عن : المرجع نفسه ، ص 217 .

- وينظر : ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص 754 .

*الرجاز الثلاثة هم : العجاج الراجز ، ورؤية بن العجاج ، وأبو النجم العجلي .

3- يوسف خليف : في الشعر الأموي دراسة في البيئات ، ص 218 .

4- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص 758 .

حيث يظهر تأثير العجاج بالإسلام في كثير من رجزه ، وهو في هذه الأرجوزة بعد هذه الافتتاحية عاد سريعا إلى موضوع أرجوزته البدوي .

كما يعد أبو النجم العجلي (120هـ 747م) من الرجاز الذين تأثروا بالإسلام، وقد ظهر هذا التأثير في « أهم أرجوزة في ديوان أبي النجم " لاميته " المشهورة الطويلة التي يستهلها - كما كان يفعل العجاج - بمقدمة دينية بحمد الله والثناء عليه ، وكأنما يتحداه - كما تحداه في مواقف أخرى - في هذه المقدمات الجديدة التي عرف بها »¹.

وقد استهل أبو النجم العجلي هذه الأرجوزة بقوله:

[الرجز]

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهُوبِ الْمَجْزِلُ أَعْطَى فَلَمْ يَبْخَلْ وَمَ يُبْخَلْ².

ولكنه لم يطيل في هذه المقدمة الدينية ، إذ « خرج منها سريعا إلى موضوع أرجوزته الأساسي الذي يتلاءم مع طبيعته البدوية »³.

هذه صورة جلية عن تأثير التابعين الشعراء والرجاز بالموروث الإسلامي وتوظيفه في شعرهم، والذي يعد دفعا قويا لإبداعهم شكلا ومضمونا، لذا فما هو موقف التابعين الشعراء من التراث العربي الجاهلي. وما هي صورة ومظاهر أثر التقليد الجاهلي في شعر التابعين؟.

1- يوسف خليف : في الشعر الأموي دراسة في البيئات ، ص 220 .

2- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص 748 .

3- يوسف خليف : في الشعر الأموي دراسة في البيئات ، ص 220 .

2- أثر التقليد الجاهلي في شعر التابعين :

مما هو مؤكد أن عصر التابعين قد طُبع بتنوع ثقافي ، فظهرت فيه الثقافات الإسلامية والعربية والأجنبية، وكان لهذه الثقافات أثرها البالغ في فكر ووجدان ولغة الشعراء ، وفنهم الشعري وفي أسلوب حياتهم الأدبية ، وفي اتجاههم السياسي، خاصة الشعراء الكبار، الثلاثي الأموي جرير والفرزدق والأخطل الذين تنافسوا في المدح والهجاء ، ووجدوا في اتجاههم الفني رغبة قوية تعكس ميولاتهم وطموحاتهم، وطموحات ممدوحهم، ومن أجل تحقيق « ذلك أقبل هؤلاء الشعراء الكبار على الشعر الجاهلي يحنونونه في بناء القصيدة وصورها، وكثير من معجمها ، إلا فيما تقضي به الضرورة من بعض المجازة لروح العصر وما جدّ من تطور لغوي أو فني . وبهذا - ولما نالوه من شهرة ونفوذ - قضوا على ما تم من تطور فني ولغوي على أيدي العذريين وغيرهم من الشعراء المقلين أو الذين لم تتح لهم تلك الشهرة وذلك النفوذ . وأصبح أسلوبهم الشعري، مما عرف به من رصانة و"جزالة" ونبرة عالية ، نمطا للفحول من شعراء العربية فيما تلا من عصور»¹.

وعلى هذا الأساس يكون من المنطقي طرح السؤال الآتي: إذا كان التابعون الشعراء قد أقبلوا على الشعر الجاهلي يحنونونه في بناء القصيدة وصورها ومعجمها اللغوي، ترى ما هي الأسباب التي دفعت التابعين الشعراء إلى الأخذ من موضوعات الشعر الجاهلي وتقليد الشعراء الجاهليين في مسلكهم الفني؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تدفعني للقول: إن النهج السياسي الذي سلكه خلفاء بني أمية في تسيير شؤون دولتهم يؤكد أن ثمة أسباب سياسية وأخرى حضارية دفعت التابعين الشعراء إلى الأخذ من موضوعات الشعر الجاهلي وتقليد الشعراء الجاهليين في مسلكهم الفني،- بعدما كانوا ينهلون من التراث الإسلامي، والقرآن العظيم ومعاني آياته ، وقصصه والرموز الدينية-، حيث إن « الخلفاء الأمويون أنفسهم مفطورين على حب القديم ، وقد بعثوا بغير واحد من أبنائهم إلى البادية فأقام فيها زمنا، وبجب ألا يغيب عنا أن السلطة الأموية هي سلطة الأرستقراطية القبلية العسكرية ، وأنها تتمتع بامتيازات اقتصادية واجتماعية وسياسية ضخمة ، ولذا فليس في صالحها إلى توجيه الحياة العامة توجيهها إسلاميا نظرا لما في الإسلام من روح المساواة والديمقراطية التي تتنافى وهذه الامتيازات . وقد أدرك الأمويون مغبة هذا الاتجاه وأيقنوا أنه ضرب من الانتحار السياسي، ولذا راحوا يحولون أنظار الناس عن الحياة الإسلامية

1- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 309 .

إلى الحياة الجاهلية ، وراحوا هم أنفسهم يتجهون إلى هذه الحياة ويعثون الناس إلى المشاركة في إحيائها وتمجيدها، ويحرضون الشعراء على القول في موضوعاتها، ويوازنون بينهم وبين الشعراء الجاهليين، ويوجهون شعرهم توجيهها سلفيا¹.

وقد كان عبد الملك بن مروان أكثر خلفاء بني أمية ميلا للشعر الجاهلي، فكان يحفظه ويرويه ويتمثل به ، وهذا مثال من الأمثلة التي ذكرتها أثناء حديثي عن موقف عبد الملك من الشعر والشعراء، حيث بين في أحد مجالسه جلسائه ميله للشعر الجاهلي، فـ « قال عبد الملك: كان شاعر ثقيف في الجاهلية خيرا من شاعرهم في الإسلام، ف قيل له: من يعني أمير المؤمنين ؟ فقال لهم: أما شاعرهم في الإسلام فيزيد بن الحكم حيث يقول:

فَمَا مِنْكَ الشَّبَابُ وَلَسْتَ مِنْهُ إِذْ سَأَلْتَكَ لِحَيْثُكَ الخِضَابَا
عَقَائِلُ مِنْ عَقَائِلِ أَهْلِ نَجْدٍ وَمَكَّةَ لَمْ يُعَقِّلَنَّ الرِّكَابَا
وَلَمْ يَطْرُدَنَّ أَيْقَعَ يَوْمَ ظَعْنٍ وَلَا كَلْبًا طَرْدَنَّ وَلَا غُرَابَا

وقال شاعرهم في الجاهلية:

وَالشَّيْبُ إِنْ يَظْهَرُ فَإِنَّ وَرَاءَهُ عُمْرًا يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسُ
لَمْ يَنْتَفِصْ مِئِّي المَشِيبُ قُلَامَةً وَلَمَا بَقِيَ مِنِّي أَلْبُ وَأَكَيْسُ².

فعبد الملك عقد هذه المفاضلة بين شاعرين من ثقيف في الشباب والشيب، في المعاني والصور الشعرية ، والشاعران يمثلان عصرين مختلفين، في الحياة الاجتماعية والثقافية والأدبية والفكرية والدينية ، وعبد الملك بكل تأكيد يستميل تفكير ووجدان الشعراء والأدباء الحاضرين في مجلسه، من خلال هذه الموازنة إلى الحياة الجاهلية، ويثير خيالهم للأخذ من معاني وصور الشعر الجاهلي.

ولهذا فلا غرابة إذا ظهرت الرغبة السياسية لخلفاء بني أمية قوية في تغيير وتوجيه المنابع الفنية للشعر لدى التابعين الشعراء ، ودفعهم قصدا إلى الأخذ من التراث العربي، فـ « كان الشعر الجاهلي هو التراث الأوحد للشعراء في العصر الأموي، منه يتعلمون جميعا وعليه يتخرجون، لكن غير هؤلاء الكبار قد استطاعوا أن ينتفعوا من التراث بالقدر الذي لايجوز على مواهبهم وطبيعة عصرهم، على حين سار

1- وهب رومية : بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح أمودجا) ، ص ص 334 - 335.

2- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، طبعة دار الكتب المصرية ، ج12، ص 290 .

هؤلاء الكبار على درب الجاهليين، يكادون يضعون أقدامهم على آثار أقدامهم خطوة خطوة»¹. ولهذا يظهر « أن الأمويين قد شجعوا على التماس الصلابة الجاهلية بعد أن انكسرت بمجيء الإسلام»². إضافة إلى هذا ثمة عوامل حضارية دفعت التابعين الشعراء إلى تقليد الشعر الجاهلي في الإبداع، نتج عنها ظاهرتان هما الاستجابة للقديم، ومحاولة الإبداع والتجديد في نوح القصيدة وبنائها الفني، حيث « كان العصر الأموي قريب عهد بالتقاليد العربية الجاهلية في شتى مناحي الحياة سلوكا وتفكيراً وتعبيراً . ولكن عوامل الحضارة القوية كانت تجلبه إلى آفاق جديدة ، وتحيي فيه الإبداع ، فكان يستجيب تارة للقديم الذي ورثه وتغلغل في أعماقه ، وتارة أخرى لعوامل التجديد التي تدعوه للابتكار والتوليد . وتمثلت في الشعر الأموي هاتان الظاهرتان، فوجدتا جانبا تقليديا يحاكي الشعر الجاهلي في نوح القصيدة وبنائها الفني، وفي موضوعات الشعر المحددة التي تكاد تلتزم بها القصيدة التزاما، وفي لغة الشعر وموسيقاه ، بل في كل جزئيات الشكل والمضمون، حتى ليحس القارئ في مثل هذا الشعر امتدادا واضحا للجاهلية بكل تقاليدها، وكأن الشعراء لم يتغيروا خضوعا للمؤثرات الإسلامية والعوامل الحضارية»³.

وقد بدا الموقف الإيجابي للتابعين الشعراء من الشعر الجاهلي واضحا، من خلال ظهور تأثيرهم بتقاليد الفنية ، وقد أخذوا من موضوعات الشعر الجاهلي وتقليد الشعراء الجاهليين في مسلكهم الفني في غرضي المديح والنقائض،- قال محمد مصطفى هدارة:- « بعض الموضوعات التي كان الشعراء يتناولونها مثل المديح، كانت تفرض التمسك بالتقاليد الفنية القديمة وعدم تجاوزها، وقد رأينا أن النقائض التزمت في مضمونها وشكلها ما عرف من نظامها في الجاهلية...على الرغم من أنها أصبحت في العصر الأموي فنا منظما متصلا يراد به المناظرة العقلية حيناً ، واللهو والإضحاك والتسلية حيناً آخر. وحتى بعد جيل جرير والفرزدق والأخطل ظلت النقائض جاهلية في مضمونها وشكلها معتمدة على الصراع القبلي القديم، وتمثل ذلك في النقائض التي كانت بين ابن ميادة* الرماح بن أبرد(ت149هـ 766م) والحكم

1- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 309 .

2- عبده بدوي : دراسات في النص الشعري عصر صدر الإسلام وبنو أمية ، ص 9 .

3- محمد مصطفى هدارة : الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص 291 .

* هو الرَّمَّاح بن يزيد وميادة أمه وكانت أم ولد و يكنى أبا شراحيل وهو من بني مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذبيان وكان يضرب جَنِّيَّ أمه ...

ويذكرون أمه وأبوه من ولد ظالم أبي الحارث بن ظالم المرِّيَّ .»

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 521 .

الخضري (نحو 150هـ/767م)»¹.

معنى هذا أن امتداد غرض النقائض حافظ على وجوده شكلا ومضمونا إلى ما بعد عصر التابعين، أي عصر جيل تابعي التابعين ، الذي بدأ حياته الفنية بعمق في العصر العباسي . وكذلك الحال ففي العصر الأموي لم يسلم غرض الرثاء من التقليد الجاهلي، حيث « مضى شعراء الرثاء على طريقته التي ورثها من الجاهلية ، فلم يحدث فيه تجديد ، إلا من حيث اختلاف طبيعة المرثي، فكان رثاء الشيعة لقتلاهم، وكذلك الخوارج يتضمن إشادة بمذهبهم لتصوير قتلهم بأنه استشهاد في سبيل العقيدة»².

أما من حيث البناء الفني للقصيد الأموية ، فإن « الشعراء التقليديين قد بنوا كثيرا من قصائدهم على غرار القصيدة الجاهلية الطويلة في نمطها الكامل المعروف من نسيب ووقوف على الأطلال ووصف المطية والرحلة وانتقال إلى المدح أو الهجاء أو الفخر أو السياسة أو غير ذلك من " الأغراض "»³.

لكن السؤال المطروح هو: لماذا اعتمد التابعون الشعراء تقليد النمط الفني الجاهلي في الوقوف على الأطلال ووصف المطية والرحلة ؟ وهل كان ذلك ضروريا في بناء القصيدة التابعة رغم تطور العصر ؟ حقيقة لقد وجد التابعون الشعراء شيئا ذا بال ما زال عالقا في بيئتهم الاجتماعية ، وهي « أن المطية والرحلة كانت ما تزال في صورتها العامة على ما كانت عليه في العصر الجاهلي، وكان الشعراء مازالوا يركبون الإبل أو الخيل ويقطعون على ظهورها الصحراء والوديان والوهاد ، فقد كان من المفروض أن يقلّ التفات الشاعر إلى تلك الجوانب المألوفة من الوصف بعد أن لم تعد الناقة " رفيقا " و" صاحبا " كما كانت عند الشاعر الجاهلي... وكان من المفروض أن يقلّ احتفال الشعراء بالأطلال، وقد أصبح كثير منهم مستقرًا في بعض الأمصار ، أو مقيما في البادية، لكنه لا يضطر إلى الرحلة المفاجئة المستمرة كما كان يضطر الشاعر الجاهلي ، وكان من المفروض - إذا كان لا بد من الوقوف على الأطلال - أن يتدع هؤلاء الشعراء صورا جديدة تناسب روح العصر وطبيعة معجمه وأسلوبه»⁴.

1- محمد مصطفى هدارة : الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص ص 292 - 293 .

2- المرجع نفسه ، ص ص 293 - 294 .

3- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص ص 309 - 310 .

4- المرجع نفسه ، ص 310 .

معنى هذا أن التابعين الشعراء كان لا يهتمهم التجديد بقدر ما يهتمهم التقليد وتكرار نمط الإبداع لدى الشعراء الجاهليين، والتشبه بهم .

رغم أن هؤلاء التابعين الشعراء لم يتدعوا صورا جديدة تناسب عصرهم، إلا أنه قد ظهرت براعتهم في تقليد النمط الفني الجاهلي وتوظيفه في البناء الفني لقصائدهم؛ حيث « ظلوا يبدئون ويعيدون في ذلك البناء التقليدي وتلك الصور النمطية المألوفة، مع اقتدار واضح على النظم وسيطرة بينة على الأداء واللغة»¹.

ولقد كانت « أشهر المقدمات التي افتتحوها بما مدائحهم وأطالوا فيها هي أشهر المقدمات الجاهلية، أعني " المقدمة الطللية " ثم تليها " مقدمة الظعن "، وتليهما جميعا " المقدمة الغزلية " . وينفرد " رؤبة " وحده تقريبا بإحياء " مقدمة الشيب والشباب " التي تتردد كثيرا في مدائح " الأعشى " »².

ويرز ظاهرتان في القصيدة التابعة هما: ازدواجية المقدمة ، وطول المقدمات « لدى هؤلاء الشعراء طولاً مسرفاً حتى زادت على أربعين بيتاً في بعض مدائح " النابغة الشيباني* " و " العجاج " ، ومما لا ريب فيه أن احتفال هؤلاء الشعراء بمقدمة الأطلال هو ضرب من الاسترقاق للقديم ، فقد كانت " المقدمة الطللية " أبرز مقدمة في الشعر الجاهلي ، ولذا جنحوا إلى الإكثار منها والاحتفال بها ، ويكفي أن نذكر أن " ذا الرمة " لم يكدهم يفتتح مدائحه بغير الوقوف على الأطلال ، وأن " الأخطل " قد استهل نصف مدائحه بالحديث عنها ، وأنها تنتشر انتشاراً واسعاً في صدور مدائح " النابغة الشيباني" ، وأنها أكثر المقدمات دورانا في مدائح " العجاج " »³.

ومن الظواهر الفنية التي تميزت بها قصائد "ذي الرمة" ، هي أن « الأطلال تنتشر في صدور مدائح

1- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 310 .

2- وهب رومية : بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح أنموذجا) ، ص 350 .

* «النابغة الشيباني أو نابغة بني شيبان ، هو أحد النوايا الثلاثة بين الشعراء الجاهليين وللإسلاميين ، والآخرا هما : نابغة بني ذبيان ونابغة بني جعدة، والشيباني هو عبد الله بن المخارق بن سليم بن حصرة بن قيس بن سنان بن حماد بن حاتمة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد . ويرتفع نسبه إلى ربيعة بن نزار... والشيباني من شعراء الأمويين المروانيين ولاسيما عبد الملك بن مروان وابنه الوليد من بعده... فقد كان من مخضرمي العصرين الإسلامي والأموي... شاعر بدوي من شعراء الدولة الأموية، وكان يقف إلى الشام إلى خلفاء بني أمية فيمدحهم ويجزلون عطاءه» .

- النابغة الشيباني : الديوان ، شرحه وضبطه نصوصه وقدم له ، عمر فاروق الطباع ، بيروت ، لبنان ، 1417 هـ 1996 م ، ص 5- 6 .

3- وهب رومية : بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح أنموذجا) ، ص 351 .

" ذي الرمة " انتشار السراب في الصحراء وقت الهاجرة، فهو لا يكاد يمدح إلا بعد الوقوف عليها، ولا يكاد يقف عليها حتى يلتفت إلى رسومها الفنية الموروثة ، فيبعث جانباً أو جوانب منها... فقد راح هذا الشاعر - ككل الشعراء السلفيين - يحيي الرسوم الفنية القديمة ويولد فيها ويمد في طاقتها ، ويستعير بعض الصور الشعرية أيضاً ، ويضم إليها كثيراً من الصور الجديدة التي يبدعها ، ويتكئ على أدواته الفنية التي برع في استخدامها - أعني التشبيه - فإذا أطلاله صورة من أطلال القدماء وقد امتلأت بالتفاصيل والملاحم الدقيقة¹ . وهذا ما يظهر في قوله:

[الطويل]

« أَلَا حَيِّيا بِالزُّرْقِ دَارَ مُقَامِ لميِّ وَإِنْ هاجَتْ رَجِيعَ سَقَامِي
على ظَهْرِ جَزَعَاءِ الكَثِيبِ كَأَنَّهَا سَنِيَّةُ رَقْمٍ فِي سَرَاةِ قِرَامِ*
إلى جنبِ مأوى جَامِلٍ لم تَدْعُ به مِنَ العَيْنِ الأَزْوَاحَ غَيْرَ حُطَامِ
كَأَنَّ بَقايا حائِلٍ فِي مُراحِهِ لِقَاطِثٌ وَدَعٍ أَوْ قُيُوضُ بَمَامِ
تَرائِكُ أَيَّاسَنَ العَوائِدُ بعدما أَهْفَنَ وَطَارَ الفَرْخُ بَعْدَ رُزَامِ
خِلاَةٌ نَحْنُ الرِيحُ أَوْ كُلُّ بَكْرَةٍ بها من خِصاصِ الرِمثِ كُلِّ ظَلَامِ
وللوحشِ والجَنانِ كُلِّ عَشِيَةٍ بها خِلْقَةٌ من عازِفٍ وَبُعَامِ
كحلَّتْ بها إنسانَ عيني فَأسْبَلت بِمَعْتَسِفٍ بَيْنَ الجِفونِ تُؤَامِ
تُبَكِّي على مِيٍّ وَقَدْ شَطَّتِ النوى وَمَا كُلُّ هذا الحَبِّ غَيْرُ عَرَامِ².

يتجلى لأول وهلة أن هذه القصيدة تنخر بالمعاني البدوية ، التي تعلق بها ذو الرمة ، وهي تسير في صورتها على نهج الشعراء الجاهليين ، مع إبداعه لبعض الصور، وقد علق وهب رومية على هذه القصيدة فقال: « فهو يصطنع أساليب القدماء في مخاطبة الصاحبين وسؤالهما أن يحييا الديار، وفي تحديد موطن هذه الديار تحديدا دقيقا ، وفي تسمية صاحبتهما ، وتصوير آياتها الباقية ، وما يتردد فيها من أصوات، ثم

1- وهب رومية : بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح أنموذجا) ، ص ص 358-359 .

* القرام : الثوب . سراته : ظهره . الرقم : النقوش . العين : حظائر الإبل . حائل : البعر حال عليه الحول . القيوض : القشور . ترائك : مهملة . العوائد : صزاحب البيض اللواتي تعودن . أهفن : أصابتهم ريح الصيف الحارة . الرزام : الذي لا يطير . الرمث : شجر . الجنان : الجن . معنسف : يجري بلا انقطاع .

- نقلا عن : المرجع نفسه ، هامش ص 360 .

2- نقلا عن : المرجع نفسه ، ص ص 359-360 .

في هذا البكاء المتصل الغزير حزنا على فراق حبيبته . وهو يستعير صورة الديار من الأسلاف ، ويتدع بعض الصور الأخرى فإذا البعر كقطع الودع الأبيض، أو كقشور بيض اليمام، ولا يكتفي "ذو الرمة" بإحياء هذه المقومات الفنية ، وضم بعضها إلى بعض، بل يدقق فيها ويمتد بها ويجنح إلى تفصي الصورة التي يرسمها على نحو ما صنع بصورة بيض اليمام . لقد رأى "امراً القيس" يصف البعر في عرصات الديار فراح يصفه هو الآخر، ولكنه لم يوجز في الصورة ايجاز امرئ القيس، بل راح يوسعها ويتقصاها . لقد أسرف "ذو الرمة" في إحياء الرسوم الفنية القديمة حتى لم يكد يغفل شيئاً منها فيما أحسب ، وقد حاول أن يطورها جميعاً ، ولكنه لم يعن بواحد منها عنايته بتصوير المطر في الأطلال ، وتصوير نفسه وبكائه فيها . لقد كان "ذو الرمة" بدوياً فلا غرابة في أن يحسن وصف المطر، ولهذا عرف ذلك القدماء وسجلوه¹ .

هذا مثال عن المقدمة الطللية في قصائد "ذو الرمة" ، لكن ثمة « بعض المقدمات الأخرى التي ألم بها بعض هؤلاء الشعراء إماماً يسيراً - أو يسيراً جداً - في بعض مدائحهم كمقدمة "الطيف" لدى "الأخطل" و "الراعي" ومقدمة "الشكوى" لدى "الراعي" و "العجاج"؛ والمقدمة الدينية - وهي غصن إسلامي لم تعرفه شجرة الشعر العربي قبل "ليبد" - لدى "العجاج" . ونحن لم نفصل القول في هذه المقدمات لأنها نادرة جداً ، لا يكاد يميزها المرء في هذه اللجة الإحيائية العالية² .

واستمر التابعون الشعراء في تقليد الشعراء الجاهليين في مطالع قصائدهم على تنوعها، « ولكي نتبين مدى تقليدهم ودورانهم في دائرة مغلقة حول بعض الصور و"المعاني" النمطية ، التي أصبحت من تقاليد المطالع الجاهلية . أن نستقرئ في شعرهم صورة من تلك الصور، هي الحديث عن الشيب . فسنرى أن الحديث لا يعدو أن يكون تكراراً لمعنى هو إعراض النساء عن الشاعر أو لومهن إياه على تصايبه . أو بكاؤه هو على مافات من صباه . ومع أن الحديث عن الشيب يمكن أن يكون كما كان في العصر الجاهلي وغيره من العصور، وكما كانت الأطلال في العصر الجاهلي، رمزاً لشعور إنساني هو من صميم إحساس الإنسان بمأساته في الحياة ، فإننا نحس به عند هؤلاء الشعراء مجرد "لبنة" تملأ فراغاً في

1- وهب رومية : بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح أنموذجاً) ، ص ص 360-361 .

2- المرجع نفسه ، ص 416 .

بناء القصيدة التقليدية ، خالية من الشعور بعيدة عن الالتحام بسائر أجزاء المطلع التقليدي «¹ ، أما تقليد التابعين الشعراء للجاهليين في حديثهم عن الشيب والشباب ، فمن أمثلة ذلك قول الفرزدق في مدحته هشام بن عبد الملك حيث استهل مدحه فقال:

[الطويل]

رَأَيْتُ بَنِي مِرْوَانَ يَرْفَعُ مُلْكُهُمْ مُلُوكُ شَبَابٍ كَالْأَسْوَدِ وَشَيْبُهُا².

[الطويل]

كما استهل مطلع قصيدته في مدح الورد الجفني بقوله:

أَلَمْ يَكُ جَهْلًا بَعْدَ سَبْعِينَ حَجَّةً تَذَكُّرُ أُمَّ الْفَضْلِ وَالرَّأْسِ أَشَيْبُ³.

وكان الفرزدق قد افتتح إحدى قصائده في مدح الحجاج بازدواجية المقدمة بالغزل والحديث عن الشيب والشباب ، فقال له:

[الوافر]

رَأَيْتُ نَوَارَ قَدِ جَعَلَتْ بَجِّي وَتُكْتِرُ لِي الْمَلَامَةَ وَالْعِتَابَا
وَأَحَدْتُ عَهْدِ وُدِّكَ وَذَاكَ بِالْعَوَانِي إِذَا مَا رَأْسُ طَالِبِيهِنَّ شَابَا
فَلَا أَسْتَطِيعُ رَدَّ الشَّيْبِ عَنِّي وَلَا أَرْجُو مَعَ الْكِبَرِ الشَّبَابَا
فَلَيْتَ الشَّيْبَ يَوْمَ غَدَا عَلَيْنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَانَ غَابَا
فَكَانَ أَحَبَّ مُنْتَظَرٍ إِلَيْنَا وَأَبْعَضُ غَائِبٍ يُرْجَى إِيَابَا
فَلَمْ أَرَ كَالشَّبَابِ مَتَاعَ دُنْيَا وَلَمْ أَرَ مِثْلَ كِسْوَتِهِ ثِيَابَا
وَلَوْ أَنَّ الشَّبَابَ يُدَابُّ يَوْمًا بِهِ حَجَّرَ مِنَ الْجَبَلَيْنِ ذَابَا⁴.

[الوافر]

وفي هذا المضمار هناك أمثلة كثيرة موجودة في ديوان جرير من ذلك قوله:

سَيِّمْتُ مِنَ الْمَوَاصِلَةِ الْعِتَابَا وَأَمْسَى الشَّيْبُ قَدْ وَرِثَ الشَّبَابَا
عَدْتُ مَوْجَ الرِّيَّاحِ مُبَشِّرَاتٍ إِلَى بَيْنِ نَزَلَتْ بِهِ السَّحَابَا
لَقَدْ أَفْرَزْتَ غَيْبُنَا لِيُؤَاشِرَ ، وَكُنَّا لِأَنْفَعْرِ لَكَ اغْتِيَابَا⁵.

[البيسيط]

وقال جرير يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك:

1- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 310 .

2- الفرزدق : الديوان ، ص 79 .

3- المصدر نفسه ، ص 90 . و ص 96 .

4- المصدر نفسه ، ص ص 97- 98 .

5- جرير : الديوان ، ص 34 .

هَلْ يَنْفَعَنَّكَ إِنْ جَرَّيْتَ بَجْرِيْبٍ أَمْ هَلْ شَبَابُكَ بَعْدَ الشَّيْبِ مَطْلُوبٌ
أَمْ كَلَّمْتُكَ بِسُلْمَانِيْنَ مَنْرِلَةٌ يَا مَنْرِلَ الْحَيِّ جَادَتْكَ الْأَهَاضِبُ¹.

[الوافر] وافتتح قصيدته جمع فيها بين الفخر والتهديد ، بالحديث عن المشيب فقال:

أَتَطْرُبُ حِينَ لَاحَ بِكَ الْمَشِيْبُ وَذَلِكَ إِنْ عَجَبْتَ هَوَى عَجِيْبٍ².

[الوافر] كما افتتح قصيدته في مدح عبد الملك بن مروان بالحديث عن الشيب فقال:

أَتَصْحُو بَلْ فُوَادُكَ غَيْرُ صَاحٍ عَشِيَّةَ هَمِّ صَحْبِكَ بِالرَّوَّاحِ
تَقُوْلُ الْعَاذِلَاتُ : عَلَاكَ شَيْبٌ ، أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْتَعْنِي مِرَاجِي³.

ورغم تطور العصر الأموي اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا بل وحضاريا، نجد التابعين الشعراء يقلدون الشعراء الجاهليين في « وصف الرحلة ، الذي نصادفه في كثير من قصائدهم الطويلة فالناقة عندهم - كما كانت عند الشاعر الجاهلي - " شِمْلَةٌ وحناء عنتريس " قوية البنيان حمة النشاط شديدة الجلْد على مكاره الصحراء ، عارفة بطرقاتها كأنها القطا ، تبلغ بركابها غايته مهما تلاق من كلال تهزل معه حتى تجول عليها نسوعها وتدمي أخفافها وتغور عيناها ويتصبب العرق - كالقطران في أغلب الأحيان - على وجهها وجسدها ويتجمد زَنْدُهَا على خطمها ورأسها، وتهض حينها فتأكله الذئاب . ولا يكاد شاعر يصف رحلة هينة مطمئنة ، ولا ناقة لا تبلغ بها الرحلة كل هذا الجهد ، فقد كان هم الشاعر - في الأغلب - أن يرضي نزعتَه الفنية إلى مجازاة الجاهليين، ويرضي الممدوح بتهويل ما لاقى في طريقه إليه من أهوال⁴ .

فقد كان التابعون الشعراء في تقليدهم نمط الشعراء الجاهليين، يحيون تاريخا اجتماعيا وفنيا، « دون أن تكون للشاعر زاوية رؤية أو وجهة نظر أو إضافة أو ابتكار، توحى بأنه في أغلبه مجرد " جزئية " في الصورة التقليدية العامة . وحسبنا أن نتبع لفظة واحدة مما توصف به النوق عامة عند هؤلاء الشعراء هي " حُوص " أي غائرة العيون ، لندرك إلى أي حد كان هذا الوصف نابعا من التقليد المحض لا من طبيعة

1- جرير : الديوان ، ص ص 49- 50 .

2- المصدر نفسه ، ص 53 .

3- المصدر نفسه ، ص ص 100- 101 . وينظر : الصفحات التالية : 104- 137- 152- 159- 164 . وقد ذكر جرير الشباب والشيب كثيرا في قصائده يمكن لأي قارئ لديوانه أن يقف على ذلك .

4- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 314 .

التجربة وما قد تتضمن صورها من رموز «¹.

[الوافر] وفي هذا التقليد قالت الشعراء ومنهم : قول جرير في مدح عمر بن عبد العزيز:

يُجَادِبَنَّ الْبُرَيْنَ وَهِنَّ خُوصٌ يُطِرْنَ شَوَابِكَ الرَّيْدِ الْجِعَادِ².

[الطويل] وجاء في ثنايا قول جرير في هجاء التيم:

وَنَحْنُ لَدَى أَعْضَادِ خُوصٍ مُنَاخَةٍ أَصَابَ عِظَامًا مِنْ أَحَشَّتَيْهَا الْمِيْرِي³.

[البيسيط] ومما قاله جرير في مدح يزيد بن عبد الملك:

خُوصُ الْعِيُونِ إِذَا اسْتَقْبَلْنَ هَاجِرَةً يُحْسِنُ عُورًا ، وَمَا فِيهِنَّ مِنْ عُورِ⁴.

[الوافر] ومما قاله الفرزدق في مدح الحجاج:

فِيَّيْ ، وَالذِّي نَحَرَتْ قُرَيْشٌ لَهُ بِمِئِي وَأَضْمَرَتْ الرِّكَابَا
إِلَيْهِ مُلَبَّدِينَ ، وَهِنَّ خُوصٌ لَيْسْتَلِمُوا الْأَوْسِي وَالْحِجَابَا⁵.

[البيسيط] ومما قاله الفرزدق في مدح عمر بن عبد العزيز:

مِثْلُ النَّعَائِمِ يُرْجِنَا تَنْقُلُهَا إِلَى ابْنِ لَيْلَى بِنَا التَّهْجِيرُ وَالْبُكْرُ
خُوصًا حَرَاجِيحٌ مَا تَدْرِي أَمَا نَعَيْتَ أَشْكَي إِلَيْهَا إِذَا رَاحَتْ أُمُّ الدُّبْرِ⁶.

[البيسيط] وقال الفرزدق:

طَافَتْ بِشَعَثٍ عِنْدَ أَرْحُلِ أَيْتُقُ خُوصٌ ، أَحْنُ وَبَيْنَهُنَّ ضَرِيرُ⁷.

والواضح أن كلمة " خُوص " المذكورة في مدائح الشعراء ما هي « إلا أنموذجا واحدا للمعجم

المتكرر عند كل الشعراء ، والصيغ المشتركة بينهم في هذا المجال... - وفي تقليدهم للجاهليين - قد ارتدوا

إلى تلك الألفاظ التي كان يستخدمها الشعراء الجاهليون في الوصف والرحلة والتي كانت قد بدأت تختفي

في شعر العذريين وغيرهم من الشعراء الذاتيين حتى عرفت عند أهل العصر ودارسيه " بالغريب " ولاشك

1- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 315 .

2- جرير : الديوان ، ص 119 .

3- المصدر نفسه ، ص 192 .

4- المصدر نفسه ، ص 224 .

5- الفرزدق : الديوان ، ص 99 .

6- المصدر نفسه ، ص 203 - 204 .

7- المصدر نفسه ، ص 302 .

أن تلك الألفاظ كان لها في البداية مدلولات وإيحاءات خاصة ببيان الناقاة أو صفة سيرها وبطبيعة الطريق والهاجرة والسراب والجبال وحيوان الصحراء من ظباء وثيران وحمُر ، لكنها عند هؤلاء الشعراء قد فقدت بإسرافهم في استخدامها دلالاتها الأولى الموحية بضرور خاصة من الصفات والأحوال النفسية ، وأصبحت مجرد أسماء لموصوفاتها الأولى، وذلك كقولهم عن الناقاة: " جَهْنُبْدَة . عَدْوَرَة . عنتريس . قُرَاسِيَّة . حُرْجُوج . جُرْشَعَة . عَرْمَس " إلى آخر تلك الألفاظ التي كانت من قبل صفات فعادت بكثرة الاستخدام مجرد أسماء¹.

ولكن بعض النقاد يرى « أن الغرابة التي تعترض شعر الفرزدق لا تتعلق بغرابة الألفاظ؛ من حيث دلالتها المعجمية ولكنها تتعلق بغرابة أخرى ، هي غرابة² » الصيغ التي قل استعمالها ، فبعثها الفرزدق من مرقدتها لتتألق في شعره³ ، وهذا ما جعل اللغويون يولعون بشعره ، ف « كانوا يقعون فيه على النادر الغريب من صيغ الألفاظ والتراكيب ، والمشتقات ، أو البديع العجيب من مجاز القرآن وكنائياته مما لم يألفوه⁴ » .

وقد توسع التابعون الشعراء في الأخذ من التراث الجاهلي في الصور العاطفية الممزوجة بكثير من الغريب، والوقوف على الأطلال ووصف الرحلة ، حيث نلاحظ « الصور العاطفية في مقدمات تلك القصائد الطوال رأينا الشاعر لا يكاد يخرج عن نطاق الشعر الجاهلي في ذلك المجال ، وقد يقترب أحيانا من طبيعة الشعر العذري فيلجّ على معاني الحرمان والفرقة والتفاني في الحب ، بأسلوب يرقى نسيبا عن أسلوبه في سائر أجزاء القصيدة ، لكنه يظل مع ذلك مشوبا بكثير من التوتر محتفظا بتلك " الرصانة " الشائعة في باقي مواطن القصيدة وكأنما يتهيا الشاعر لما هو مقبل عليه من وصف أو مدح أو فخر أو هجاء يصوغه في ذلك الأسلوب " الجليل " والعبارة الطنانة المحكمة . ولا تخلو تلك الصور العاطفية من كثير من الغريب الذي يستخدمه الشاعر في أجزاء القصيدة الأخرى، ومن اختلاط جو الوقوف على

1- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 317 .

2- محمد أمين المؤدب : الإتياع والابتداع في الشعر الأموي القصيدة المادحة أمودجا ، ص 351 .

3- تقلا عن : المرجع نفسه ، ص 351 .

- شاعر الفحam : الفرزدق ، ط1، دمشق ، دار الفكر ، ص 437 .

4- تقلا عن : محمد أمين المؤدب : الإتياع والابتداع في الشعر الأموي القصيدة المادحة أمودجا ، ص 351 .

- شاعر الفحam : الفرزدق ، ص 437 .

الأطلال ووصف المطية والرحلة بحيث يشعر السامع أنها مجرد لبنات تكمل البناء التقليدي»¹.

ويتجلى هذا في قول جرير في مدح معاوية بن هشام بن عبد الملك:

[البيسيط]

« قَدِ قَرَّبَ الْحَيِّ الْإِصْعَادِ يُزْلَأُ مُخَيِّسَةً أَرْمَامَ أَقْيَادِ
صُهْبًا كَأَنَّ عَصِيمَ الْوَرَسِ خَالَطَهَا مِمَّا تُصَرِّفُ مِنْ خَطَرٍ وَالْبَادِ
يَخْدُو بِهَيْمِ رَجُلٍ لِلْبَيْنِ مُعْتَرَفٌ قَدْ كُنْتُ ذَا حَاجَةٍ لَوْ يَرْبَعُ الْحَادِي
أَلَا نَرَى الْعَيْنَ يَوْمَ الْبَيْنِ إِذْ دَرَفَتْ هَاجَتْ عَلَيْكَ ذَوِي ضِعْنٍ وَأَحْفَادِ
حَلَّاتِنَا عَنْ قِرَاحِ الْمَزْنِ فِي رَصْفِ لَوْ شِئْتُ رَوِي غَلِيلَ الْهَائِمِ الصَّادِي
كَمْ دُونَ بَابِكَ مِنْ قَوْمٍ نُحَادِزُهُمْ يَا أُمَّ عَمْرُو ، وَحَدَّادِ وَحَدَّادِ
هَلْ مِنْ نَوَالٍ لَمَوْعُودٍ بَخَلْتُ بِهِ وَلِلرَّهِينِ الَّذِي اسْتَعْلَقَتْ مِنْ فَادِي
لَوْ كُنْتُ كَذَبْتُ إِذْ لَمْ تُثَوِّتْ فَاحِشَةً قَوْمًا يَلْجُونَ فِي جُورٍ وَأَفْنَادِ
فَقَدْ سَمِعْتُ حَدِيثًا بَعْدَ مَوْثِقِنَا مِمَّا ذَكَرْتَ إِلَى زَيْدِ وَشَدَّادِ
حَيِّ الْمَنَازِلِ بِالْبُرْدَيْنِ قَدْ بَلَيْتُ لِلْحَيِّ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ أَبْنَادِ
مَا كِدْتَ تَعْرِفُ هَذَا الرَّبِيعَ غَيْرُهُ مَرُّ السِّنِينَ كَمَا غَيَّرَنَ أَجْلَادِي
لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا أُخْبِرْتُ مِنْ أَحَدٍ أَنْ الْهُوَى بَنَقًا يَبْرِينُ مُعْتَادِي
اللَّهِ دَمَّرَ عَبَادًا وَشَبَعَتُهُ عَادَاتُ رَبِّكَ فِي أَمْثَالِ عِبَادِ
قَدْ كَانَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ صِدْقِي وَاجْتِهَادِ
مَنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ يَهْتَدِ لَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ أَضَلَّ فَمَا يَهْدِيهِ مِنْ هَادِي»².

« ومن مظاهر احتذاء الشعراء للشعر الجاهلي، أنهم يصفون أنفسهم وممدوحيههم من ملوك وأمراء وقواد ، مما كان يمدح به السيد العربي في البادية، كالقرى في صورته المادية المألوفة حينذاك من نحر الإبل ورفع القدور وإشعال النيران ، مع ما قد يكون هناك من مفارقة بين تلك الصورة القديمة وصورة القرى " الملكي " ، أو المدني في دمشق أو غيرها من المدن . ولسنا نريد هنا أن نحاسب الشاعر على " الصدق الواقعي " ، لكن تكرار تلك الصور بألفاظها وفي مواطنها المعتادة من القصيدة دون أية محاولة ظاهرة

1- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص ص 319- 320 .

2- جرير : الديوان ، ص ص 146- 147 ..

للابتكار أو التجديد ، يفرض على شعورنا الإحساس بالتقليد والاحتذاء»¹.

[الطويل]

ومما قاله جرير في هجاء الأخطل:

وإِنَّا لَنَقْرِي حِينَ يُحْمَدُ بِالْقَرَىٰ وَلَمْ يَبْقَ نَقِيٌّ فِي سُلَامَىٰ وَلَا صُلْبٍ².

[الطويل]

وقال:

سَيَكْفِيكَ وَالْأَضْيَافُ إِن نَزَلُوا بِنَا
وَجَامِعَةٍ لَا يَجْعَلُ السُّتْرُ دُونَهَا
رُكُودٍ تَسَامَىٰ بِالْحَالِ ، كَأَنَّهَا
إِذَا مَا تَرَامَا الْعَلِيُّ فِي حُجْرَاتِهَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ رِسْلُ شِوَاءٍ مُّلَوِّحٌ
لِأَضْيَافِنَا ، وَالْفَائِزُ الْمَتَمَلِّحُ
شُمُوسٌ تَذُبُّ الْعَائِدِينَ وَتَضْرَحُ
تَرَى الرَّوْرَ فِي أَرْجَائِهَا يَتَطَوَّحُ³.

[الوافر]

وجاء في مدحه للعباس بن الوليد:

وإِنَّكَ خَيْرٌ مَوْضِعٍ رَحِلِ ضَيْفٍ
فِيَا ابْنَ الْمُطْعِمِينَ إِذَا شَتُّونَا
وَأَوْفَى الْعَالَمِينَ بِعَقْدِ جَارٍ
وَيَا ابْنَ الذَائِدِينَ عَنِ الدَّمَارِ⁴.

[الطويل]

وقال الفرزدق لعمر بن الوليد بن عبد الملك:

جَرَى ابْنُ أَبِي الْعَاصِي فَأَحْرَزَ غَايَةَ
وَكَانَ إِذَا أَحْمَرَ الشِّتَاءَ جَفَانُهُ
إِذَا أَحْرَزْتَ مِنْ نَالِهَا فَهَوَّ أَجْدُ
جِفَانٌ إِلَيْهَا بَادِئُونَ وَعُودُ⁵.

[الطويل]

وقال الفرزدق:

شَرِبْتُ وَنَادَمْتُ الْمَلُوكَ فَلَمْ أَجِدْ
أَقْلَّ مَكَانًا فِي جَزُورٍ سَمِينَةٍ
عَلَى الْكَأْسِ نَدْمَانًا لَهَا مِثْلَ دَيْكَلٍ
وَأَسْرَعَ إِنْضَاجًا وَإِنْزَالَ مِرْجَلٍ⁶.

وهنا يظهر كما قال عبد القادر القط: « تكرار ألفاظ بعينها عند هؤلاء الشعراء كنسبتهم الجفان

1- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 325 .

2- جرير : الديوان ، ص 71 .

3- المصدر نفسه ، ص 111- 112 .

4- المصدر نفسه ، ص 200 .

5- الفرزدق : الديوان ، ص 160- 161 .

6- المصدر نفسه ، ص 544 .

إلى الشيزي وإلحاحهم على الألفاظ الدالة على الدهن والشحم»¹.

وهكذا يتجلى لنا أثر الموروث الإسلامي بكل وضوح في شعر التابعين المستهترين منهم والمتدينين، شعراء المدح والرجاز، باعتباره بُعداً روحياً مرتبطاً بنفسية الشاعر. فالشعراء لم ينسلخوا من واقعهم الاجتماعي والسياسي والديني، فقد نهلوا من ثقافة عصرهم، فأخذوا من القرآن العظيم فوظفوا في شعرهم معاني آياته، بالإضافة إلى توظيف القصص القرآني في مدحهم وهجائهم وذلك للعبارة، كما وظف الشعراء الرموز الدينية في قصائدهم لطبعها بثقافة العصر، وإعطاء الصبغة الإسلامية لشعرهم، حتى يظهر البعد الجمالي للمعجم الديني، من خلال أفكار الشعراء مرصعين به قصائدهم.

كما أن الرجاز العجاج وأبو النجم العجلي قد ظهرت المحاولات الأولى في تطور الرجز من خلال توظيفهم المعاني الإسلامية في رجزهم، واستبدال المقدمة الطللية بالمقدمة الدينية، وهو أثر في مس الرجز من حيث البناء الفني.

أما على مستوى أثر التقليد الجاهلي في شعر التابعين الشعراء، فقد تبين لي أن ثمة دوافع سياسية من طرف الساسة الأمويين، هي التي دفعت التابعين الشعراء إلى الميل إلى الموروث الجاهلي، والأخذ منه وتقليده من جهة إشباع رغبة الخلفاء، الذين كانوا ميالين للشعر الجاهلي، كما هو معروف عن الخليفة عبد الملك بن مروان مثلاً، ومن جهة أخرى كان هدف الساسة الأمويين هو إبعاد الشعراء عن التفكير في سياسة المعارضة، وخلق فضاء فكري وفني للتنافس بينهم، فراح التابعون الشعراء يقلدون الشعر الجاهلي في موضوعاته وبنائه الفني في مطالع قصائدهم وصورها، وفي الحديث عن الشيب والشباب، وقلدوهم في وصف الرحلة الذي نصادفه في كثير من قصائدهم الطويلة، كما قلدوهم في غريب اللغة والصياغة الشعرية، كما هو ظاهر عند الفرزدق، كما قلدوهم في الأخذ من الصور العاطفية الممزوجة بغريب اللغة والوقوف على الأطلال ووصف الرحلة.

1- عبد القادر القط: في الشعر الأموي والإسلامي، ص 327.

الباب الثالث

المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين

في نقد الشعر والشعراء

الفصل الأول

المرتكزات النقدية عند الصحابة الخلفاء

في نقد الشعر والشعراء

1- عند أبي بكر

2- عند عمر بن الخطاب

3- عند عثمان بن عفان

4- عند علي بن أبي طالب

المرتكزات النقدية عند الصحابة الخلفاء في نقد الشعر والشعراء

أما عن جانب البذور النقدية للشعر والشعراء من طرف الصحابة ، فقد تبين لي بعد أن نظرت في مسار النقد الأدبي في عصر صدر الإسلام، في النصف الأول من القرن الأول الهجري، أن صورة حركة النقد الإسلامي في تطور كبير ومهم، وقد بدأ هذا التطور النقدي بعد الهجرة من مكة إلى المدينة عام (622م)، أثناء النهضة الشعرية والنقدية الجديديتين، بعد غزوة بدر (2هـ)، وكان أول من قاد هذه النهضة واهتم بالشعر والنقد الرسول (ﷺ)، من خلال سماعه للشعراء ، وحثهم على قول الشعر للرد على شعراء قريش ، وإثابتهم عليه ، وتعد نظرتة في نقد بعض الأشعار وتوجيه الشعراء نظرة نقدية مميزة، كالذي وجه إليه كعب بن مالك ، وقد سار على هذا المنهج الصحابة الخلفاء وغير الخلفاء . ومنذ هجرة الرسول (ﷺ) تغيرت النظرة إلى الحياة الأدبية تغييرا جذريا ، إذ كان للهجرة « مدلول مهم في حياة المسلمين الأولى، فقد تهيأت لهم لأول مرة إنشاء مجتمع منظم وسلطة لها مفهوم السلطة القانونية، فقد كانت نقلة من حياة بدوية مشتتة إلى حياة المجتمع المستقر المنظم المسؤول، وخضعت كل ظواهر الحياة للتقنين والتنظيم والتشبيب ، واهتمت السلطة الجديدة بالأدب والمعرفة اهتماما خاصا ، وكما أثر الإسلام في مظاهر الحياة العربية فقد أثر في الأدب ، وحيث يكون الأدب يكون النقد»¹.

ومنذ أن دخل الشعر سلاحا في المعركة الشعرية بين المسلمين والمشركين، « بدأ الإسلام يستبعد بعض العادات والتقاليد ، ويضع الأسس والقواعد للشعراء ، ويعدل من مسار الشعر وينفي عنه الزيف والانحراف ، وأصبح قادة الدعوة يوجهون الشعراء إلى غاية الإسلام ، فلم تعد توجيهات الشاعر الناقد كلها مقبولة عند المجتمع ، وليس غريبا أن يكون أكثر نقاد صدر الإسلام من غير الشعراء ، وليس غريبا أن يشارك قادة الدعوة المحمدية الجديدة في نقد الشعر وتوجيه الشعراء ، فهم أدري الناس بها، وأعلم الناس بمقصد الإسلام من الشعر، وما يريده من شعرائه فحرصوا على توجيه الشعراء ، والتذكير بالهدف الإسلامي من الشعر، وترسيخ جانب الحق والخير والفضيلة والحكمة والمواظلة ، والحديث عن الدين والآخرة ، والإشادة بالرسول والمسلمين، وحرصوا على ترسيخ كل أولئك في أنفس الشعراء وفي أشعارهم»².

وتعد التوجيهات التي أثرت عن النبي (ﷺ) أحد المصادر الثقافية للشاعر والناقد على السواء في

1- داود سلوم: تاريخ النقد العربي من الجاهلية حتى القرن الثالث الهجري، بغداد ، الناشر مكتبة الأندلس، طبع في مطبعة الإيمان بغداد، 1965م، ص 21 .

2- عبد اللطيف محمد الحديدي : الشعراء النقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي ، ط1، دن، د.م، 1418 هـ 1998م، صص 36-37 .

عصر صدر الإسلام ، ولكن عندما « مات الرسول الكريم وقام الخلفاء الراشدون بعده شغلت أبو بكر الفتوحات، والردة عن حياته الخاصة، وحياة المجالس الأدبية ، فلم يرد عنه كثير من الملاحظات النقدية ، ولكن النقد ينشط زمن عمر»¹ ، أكثر مما ينشط في زمن بقية الخلفاء الراشدين .

وبعد البحث والحفر في التراث الأدبي الإسلامي، شعرا ونقدا، عند الصحابة الخلفاء، والصحابة غير الخلفاء ، والصحابة الشعراء ، اتضح لنا أن ما أثر عن الخليفة عمر بن الخطاب من تراث نقدي أغزر وأقوى وأكثر مما هو عند غيره من الصحابة ، حيث يعكس لنا أنه شخصية غير عادية ، فقد « كان متميزا في كل شيء ، وكانت عبقريته متعددة الجوانب والمناحي ، كان دقيق البصيرة ، ذا ملكة نفاذة في استنباط الأحكام الشديدة»² . فقهية كانت أم نقدية فنية ، وله موافقات دالة على عبقريته ، ويكفي أن من حسن موافقاته كما روى السيوطي: « كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن»³ .

وقد « أخرج ابن عساكر عن علي قال : إن في القرآن لرأيا من رأي عمر»⁴ . و« أخرج عن ابن عمر مرفوعا: ما قال الناس في شيء ، وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر»⁵ .

هذا هو الطابع الروحي الإسلامي، الذي طبع به الخليفة عمر، والذي استمد منه قوة تفكيره، وذوقه الفني وبعد نظره النقدي، لهذا فلا غرو إذا وجدناه « يمارس الشعر إبداعا، ثم يرويه بعد ويحفظه، ويتمثله في مواطن شتى، ولا عجب أن يكون نقادة له ، مميزا حسنه من رديئه ، قادرا على استنباط أحكام تتعلق به ، تعليلا وتذوقا وتحليلا»⁶ .

وفي هذا الباب فقد شهد لعمر بن الخطاب كبار النقاد بعلو كعبه في النقد، فقال عنه ابن رشيقي: « وكان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة»⁷ .

وعند تبعي للثقافة النقدية للصحابة، وجدت من خلال ثقافة الخليفة عمر بن الخطاب الأدبية، «بدت آراءه ومواقفه النقدية التطبيق العملي لما أرسنه أحاديث رسول الله ﷺ من أسس وقواعد للكلمة

1- داود سلوم : تاريخ النقد العربي من الجاهلية حتى القرن الثالث الهجري ، ص 25 .

2- وليد قصاب : شخصيات إسلامية في الأدب و النقد ، ص 15 .

3- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 95 .

4- المصدر نفسه ، ص 96 .

5- المصدر نفسه ، ص 96 .

6- وليد قصاب : شخصيات إسلامية في الأدب و النقد ، ص 16 .

7- ابن رشيقي : العمدة ، ج 1 ، ص 28 .

وفن الشعر، وعلى انشغاله بأعباء السياسة والنهوض بأمر الدولة، لم يهمل رعاية الجانب الأدبي الفكري، بل كان دور الشعر ولاسيما في حياة العرب - حاضرا في ذهنه شديد الحضور، وكان الواجب في تسديده وتصويب مساره - في ضوء الموقف الإسلامي - أشد حضورا»¹.

وأما نظرة الخليفة عمر النقدية للشعر، فتعد نظرة رؤيوية، إذ نقده «يمثل التصور الإسلامي للأدب ويعكس النظرة العقدية السليمة إليه، يحتكم إلى معايير الدين والخلق الإسلامي في الاستحسان والرفض، وفي التنظير والتعقيد، وليس صحيحا أنه صدر عن موقف شخصي محافظ ومتزمت»²؛ حيث تنبع نظرتة النقدية من موقف يعكس تشيع الخليفة عمر بالقيم العربية والمثل الإسلامية، التي جعلت رؤيته النقدية تنبع من شخصية جمعت بين الرؤية الدينية القويمة والرؤية النقدية الحصيفة.

وإن ما أثار عن الصحابة من نقد، فقد جاء من تشبعهم بما كان في الساحة الإسلامية من القيم الخلقية والأدبية والنقدية زمن الرسول (ﷺ)، لهذا فإن ما وجدناه من نقد في عصر صدر الإسلام، هو لون من النقد يعتمد على الدين الجديد، ويتخذ منه مقياسا للاستحسان أو الاستهجان، وجدنا هذا عند رسول الله (ﷺ)، وعند عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وعبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- من ذلك استهجان شعر المشركين لما فيه من قيم جاهلية، وإعجاب بشعر أمية بن أبي الصلت - مثلا - لما تضمنه من معاني إيمانية خلقية، مع ميل إلى الاقتصاد في الوصف، وعدم المغالاة، وشيء من التعليل عند عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وتظل التأثيرية المستندة إلى القيم الإسلامية هي السائدة في ذلك العصر، وفي هذا تطور واضح عما رأيناه في العصر الجاهلي»³.

وكما مارس الصحابة الخلفاء النقد، فقد مارس كذلك الصحابة غير الخلفاء نقد الشعر والشعراء: معاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، كما مارس نقد الشعر الصحابة الشعراء: عثمان بن مظعون، وحسان بن ثابت، ولبيد بن ربيعة، فهؤلاء الصحابة قالوا الشعر بين مكثر ومقل، ونقدوه وفق ما يتماشى مع رؤيتهم للفن الشعري وللحياة، بتصور جديد تنعكس فيه ثقافة عصرهم، وتعد نقداً لهم البذور الأولى للنقد الأدبي في القرن الأول الهجري، وقد نقدوا الشعر والشعراء

1- وليد قصاب : شخصيات إسلامية في الأدب والنقد، ص 14 .

2- المرجع نفسه، ص 14 .

3- وليد محمود خالص: النقد الأدبي في كتاب الأغاني، ص ص 617-618.

الجاهليين والإسلاميين، وجاءت نقداً تجمع بين الرؤية الفنية ونقد المعنى، فسجلوا ملاحظاتهم في تراثهم النقدي، وهؤلاء الصحابة النقاد هم من شكلوا وقادوا مدرسة الصحابة النقدية وأرسوا لها قواعدها المميزة بقيادة الخليفة عمر بن الخطاب . وقد حاولت تتبع الآثار النقدية للصحابة من خلال النصوص التي تعكس مواقفهم النقدية من الشعر والشعراء، والتي يمكننا توضيحها بما يأتي :

1- المرتكزات النقدية للشعر والشعراء عند أبي بكر الصديق (ت 13هـ/573-634م):

أ- الموقف القدي للخليفة أبي بكر من شعر النابغة الذبياني* (ت604م) :

كان لأبي بكر اهتمام خاص بنقد بعض الشعراء الجاهليين، وهو ما يدل على اهتمامه بالشعر العربي وحفظه وتدوقه له، وقد أورد له ابن رشيقي في "باب المشاهير من الشعراء" حكماً نقدياً يعكس ممارسة أبي بكر لنقد الشعر فقال: «كان أبو بكر يقدّم النابغة، ويقول: "هو أحسنهم شعراً، وأعذبهم بحراً، وأبعدهم قعراً"»¹.

يبدو كما هو واضح في النص اهتمام أبي بكر بالشعر الجاهلي ونقده، إضافة إلى روايته له والتمثل به، وتتجلى في هذا النص صورة نقده لشعر النابغة الذبياني نقداً فنياً، من خلال ما وظف من أفعال التفضيل الثلاثة: أحسن - أعذب - وأبعد، وهي صيغ تدل على المبالغة، جاءت مقرونة بضمير الجمع الغائب "هم" الدال على الشعراء، والموصوف بهذه الصيغ والمفضل هو النابغة، وهي صيغ كلها توحي بأن أبا بكر فضل النابغة على غيره من الشعراء، بعد أن عقد الموازنة بينهم في ثلاثة مسائل فنية، وهي: الشعر، والبحر (العمق)، والأفكار (المعاني)، فقله: "أحسنهم شعراً"، من الحسن دل على أن النابغة في إبداعه الشعري «أحسن إحساناً، [و] أتى بالفعل الحسن على وجه

* «هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن غيلان، ويكنى أبا أمامة ويقال أبا ثمامة، وسمي النابغة بقوله: [الوافر]

فَقَدْ نَبِغْتَ لَنَا مِنْهُمْ شُؤُونَ .

وكان شرفاً فغض منه الشعر، وأهل الحجاز يفضلون النابغة وزهيرا... ويقال كان النابغة أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزهم

بيتاً. كان شعره كلاماً ليس فيه تكلف، ونبغ بالشعر بعدما احتنك وهلك قبل أن يهتر... وكان يقوى في شعره فعيب ذلك عليه... ولقيه حسان

أثناء وفادته على النعمان بن المنذر المدحة وإجازتهم».

- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 87 وما بعدها .

1- ابن رشيقي: العمدة، ج 1، ص 82 .

الإلتقان والإحكام وصنع به الجميل»¹ في شعره . وقوله: " وأعذبهم بحرا " ، أي نزع من شعره ما فيه من الكدر وعيوب الشعر ، وذلك أن الماء الشعري يجري في شعره كثيرا عذبا كأنه العذب من الشراب المستساغ ، وقوله: " وأبعدهم قعرا " فالبعد ضد القرب ، وذلك أن شعر النابغة أكثر عمقا وغورا وأصاله ، وهي نظرة نقدية جديدة بتفاصيلها، معللة تحتكم إلى المعايير الفنية؛ تبرز أن « أبا بكر في كلمته هذه يفاضل بين النابغة وغيره من الشعراء، ثم يحكم له بأنه أحسنهم شعرا من حيث المعنى، وقد علل حكمه بأن النابغة في نظره يستقي معانيه من معين عذب سائغ فتقبلها النفوس تقبلا حسنا، كأنه في معانيه بعيد العمق والغور، وأنه يظل يَرَوِي فيما يغمض منها حتى يستخرجها استخراجا واضحا»² ، وهي كما نرى نظرة نقدية جديدة تبين تطور بُعد نظر الخلفاء الراشدين النقدية في صدر الإسلام، في فهمهم للقواعد العملية الإبداعية في الشعر بعد نزول القرآن العظيم ، حيث لم تكن نظرة أبي بكر للشعر في قوله: "أحسنهم شعرا " ، "وأعذبهم بحرا " ، "وأبعدهم قعرا " مجرد إظهار إعجابه بشعر النابغة، أو الإعجاب بالشعر عموما، بل تجاوزت هذا الحد، حيث « نجد أن نظرة أبي بكر النقدية إلى الشعر يبدو فيها الإجمال والعموم كعادة نقاد الشعر في عصره ، واستمرارا للفطرة العربية القديمة في النقد والنظرة إلى الشعر ، إلا أن في هذه العبارة النقدية الموجزة سعة مركزة ، فهو يُعد العمق، أو بُعد القعر، أو ما يمكن أن يعبر عنه بالمعنى الثاني أو البُعد الثاني سببا في المقارنة والمفاضلة ، فليست إذن أحكام الصديق مبنية على المعاني السطحية والعموميات مثل حسن الشعر وعذوبته ، بل إنه يسبر الغور وينفذ إلى العمق، فيلمس أثرا للفكر والعقل في المعنى والصورة ، ولعل ذلك قد نضح على الصديق من مصدر ثقافته الجديدة ، من إعجابه بنظم القرآن الكريم ، وما جاء به من معان بعيدة عن التقرير ، وما أصلته فواصله من جميل الإيقاع الصوتي الذي يحدث أوقع الأثر في النفوس»³ .

1- معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ص 138 .

2- عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 81 .

3- صلاح الدين محمد عبد التواب : الشعر العربي في ظلال الإسلام أصالة وتجديد ، ط 1 ، القاهرة، مكتبة الآداب ، 1429هـ/2008م، ص

ب- الموقف النقدي لأبي بكر من بيت حكمة للبيد* بن ربيعة العامري (ت 661م) :

يضاف إلى اهتمام أبي بكر بالنقد الفني للشعر، اهتمامه بنقد المعاني الشعرية، لأنه كان في مرحلة اجتماعية تغيرت فيها كل المعطيات الفكرية والدينية والأدبية، لهذا كانت رؤيته لبعض معاني الشعر ذات البعد الروحي، التي قالها الشاعر المحترف صاحب المعلقة**، المحضرم الصحابي لبيد ٣، فقد « أخرج عبد الله في زوائد الزهد عن عبيد بن عمير عن لبيد الشاعر أنه قدم على أبي بكر فقال: "ألا كل شيء ما خلا الله باطل". فقال: صدقت، فقال: "وكل نعيم لا محالة زائل". فقال: كذبت، عند الله نعيم لا يزول. فلما ولي قال أبو بكر: ربما قال الشاعر الكلمة من الحكمة»¹.

فنظرة أبي بكر تدل على تطور بُعد نظره الفكري والأدبي والنقدي، لأن هذا البيت جاء في قصيدة من اثنين وخمسين بيتا من بحر الطويل، قالها لبيد بن ربيعة يرثي بها النعمان*** بن المنذر. وكان أول نقد تعرض له لبيد بن ربيعة في هذا البيت، كان في مكة من طرف الصحابي الشاعر عثمان بن مظعون بعد عودته من هجرته الأولى من الحبشة، ثم تطورت هذه النظرة من طرف الرسول ﷺ، حيث روي عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ: أصدق كلمة قالها شاعر، كلمة لبيد:

* «لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، وكان قال لأبيه ربيع المقتدر لسخائه... ويكنى لبيد أبا عقيل وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم... وأدرك لبيد الإسلام وقدم على رسول الله ﷺ في وفد بني كلاب فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم، ثم قدم (لبيد) الكوفة وبنوه فرجع بنوه إلى البادية (بعد ذلك)، فأقام لبيد إلى أن مات بها ويقال: إن وفاته كانت في أول خلافة معاوية وأنه مات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة. وقال ابن سلام: وكان لبيد بن ربيعة، أبو عقيل، فارسا شجاعا وكان عذب المنطق، رقيق حواشي الكلام، وكان مسلما رجل صدق وجعله في الطبقة الثالثة من فحول الشعراء مع أبي ليلى نابعة بني الجعدة وأبو ذؤيب الهذلي والشماخ بن ضرار».

- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 171.

- وينظر: ابن سلام الحمحي: طبقات فحول الشعراء، ج 1، ص 23 وصفحة 35.

[البسيط]

** مطلع معلقته:

عفت الديار محلها فمقامها
بمى تأبد غولها فرجامها

- أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الروزني: شرح المعلقات السبع، تحقيق ودراسة: محمد عبد القادر أحمد، القاهرة، توزيع مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده، 1407 هـ، 1987 م، ص 246.

1- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 81.

*** «النعمان بن المنذر أشهر ملوك اللخمييين وآخرهم (580-602م)، مدحه النابعة الذيباني، خلعه كسرى وسجنه في المدائن، عرف بأبي قابوس وقيل: إنه صاحب يومي "البؤس والنعيم" قتل الشاعر عدي بن زيد زوج ابنته هند «وكان يكرم الشعراء والتقى عنده النابعة وحسان لغاية واحدة.

- المنجد في اللغة والأعلام، ص 575.

" ألا كل شيء ما خلا الله باطل " ¹.

ولهذا نجد في النص رأيين لأبي بكر، فالرأي الأول: كان قبل الخلافة ، الذي اعتمد فيه على المعيار الديني ، والرأي الثاني قاله بعد الخلافة ، ومرتکز على موقف الرسول (ﷺ) ، من البيت وإعجابه بمعناه ، لأن الشاعر ، قال هذا البيت من خلال نظرتة إلى نعيم الحياة الدنيا الذي كان يعيش فيه النعمان بن المنذر ، فوجده لم يدم له ، وبالتالي فإن نظرتة في الشطر الأول نظرة روحية في قوله:

" ألا كل شيء ما خلا الله باطل " . وهي تدل على أن ليبيدا كان يؤمن بالبعث .

أما نظرتة في الشطر الثاني: " وكل نعيم لا محالة زائل " ، فهي تدل على نظرة مادية ، تعني أن كل شيء في الحياة يتطور ويزول ولا يبقى على حاله ، بما في ذلك الملك الذي يبنيه الإنسان فإنه سيزول بمرور الوقت ، ومن هنا جاءت حكمة الشاعر ليبيد ، وهي ما وقف عندها أبي بكر .

ج- الموقف النقدي للخليفة أبي بكر من شعر ليبيد في رثاء أخيه أريد *

وجاء في الأثر النقدي، خبر ثان يعكس موقف أبي بكر من الغلو في المعنى، ويظهر ذلك في نقده لبعض شعر ليبيد في رثاء أخيه أريد ، ذلك ما رواه أبو الفرج الأصفهاني، قال: « نسخت من كتاب ابن النطاح عن المدائني ، عن علي بن مجاهد، قال: أنشد أبو بكر الصديق قول ليبيد في أخيه أريد:

[الطويل]

1- مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسين حافظ : صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: عبد الله أحمد أبو زيد، دار الشعب، د.ت، مج5، ص 111 .

* « أريد بن فيس بن جزء بن خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، أخو ليبيد لأمه، وهو الذي صار إلى النبي (ﷺ) وعامر بن الطفل ليقتلاه، فهلك عامر في رجوعه بالعدة وأصاب أريد صاعقة فهلك، فقال فيه ليبيد:

[السريع]

أخشى على أريد الختوف ولا أربى نوء السمك والأسد

[الطويل]

وأريد شاعر وهو القائل:

وكائن أتى للدار بعدك من شهر
فأسكت فيها أتبعي العلم عندها
وقد أشعرتني جارتاي ملامة
وعقري لأصحابي الغداة مطيبي
فلا توعدي بالعراق فإنني
لعلكما أن ترشدا إن رشدتما
وصفق سوار من رياح ومن قطر
فضنت علينا بالجواب وبالخير
على الله وما في القداح وفي الخمر
إذا أرملوا زادا بأبيض ذأثر
على بين ذي الفقد المفارق ذو صبر
بأمركما أو تغويان فلا أدري .

- الأمدى : المؤلف والمختلف ، ص ص 29- 30 .

- وينظر: ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 173 .

لَعَمْرِي لئن كَانَ المخبِرُ صادقًا لقد زُرْتُ في حادِثِ الدَّهْرِ جَعْفَرُ
أخي لي ، أَمَا كُلُّ شَيْءٍ سألتهُ فَيُعْطِي ، وَأَمَا كُلُّ ذَنْبٍ فَيَعْفُرُ

فقال أبو بكر: -رضوان الله عليه-، ذلك رسول الله لا أريد بن قيس¹.

إن ما هو واضح في النص، هو أن أبا بكر يعطينا مسلكا فكريا في نقد المعاني وفق الصورة السلوكية للإنسان نقدا خلُقيا وفكريا، وفهم الصورة فهما واقعا لا تخيليا ، وبذلك تعبر الصورة عن واقعها، فأبو بكر بكل تأكيد يكبر وفاء لبيد لأخيه أريد ، ولا يعترض على حب لبيد لأخيه وحنه لوفاته ، وإنما اعترض على معنى البيتين وما حملا من صفات راقية ، فهو يعرف أريد بكل صفاته ، وهو الذي جاء مع عامر بن الطفل ليقنتلا الرسول (ﷺ)، لهذا كان موقفه مما ذكر في البيتين من صفات في أريد موقفا سلبيا، لأن أبا بكر يرى أن الصفات المذكورة في البيتين لا تنطبق إلا على الرسول (ﷺ)، فهو الرمز الذي فقده الدهر، وهو الذي إذا سُئِلَ يعطي وإذا ظلم يتسامح مع الظالم ويغفر له ظلمه ، وفي هذا شواهد كثيرة تعكس تسامح الرسول الكريم، وخاصة مع الشعراء الذين ظلموه فعفى عنهم، لذا فأبو بكر بموقفه هذا لفت انتباه الشاعر لبيدا في مبالغته في المعاني التي رثى بها أخيه ، وغلوه في وصفه بمعان لا ترقى إليها شخصية أريد ، وفق المعيار الخلقى ، والمعيار البلاغي، لأن العرب كانوا لا يتساهلون مع الظالم ولا يغفرون له ظلمه وخاصة مع الملوك ، ولعل تهديد عمرو بن هند للناطقة الذبياني الذي وشي به الوشاة خير دليل على عدم التسامح، لذا فإن لبيدا كما يقول ابن رشيق: قد « تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه »². ولهذا فالخليفة أبي بكر ينظر إلى كلام الشعراء من منطلق رؤية واقعية تؤسس عليها المعاني والصور التخيلية ، لأنه كما « قال الخذاق : خير الكلام الحقائق، فإن لم يكن فما قاربها وناسبها »³، ولكن على ما يبدو أن لبيدا قد كان بين صدق العاطفة التي لا تحدها معايير نقدية معينة أمام فرط الحزن ، والغلو الذي تجاوز به حدود الصدق الفني في حزنه ، لهذا جاء معنى البيتين وفق منطق هذه الصورة التي رفضها أبو بكر والتي أمالها ضمير لبيد على لسانه .

1- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج 17 ، ص 63 .

- وينظر : لبيد بن ربيعة : الديوان ، ص 70 .

2- ابن رشيق: العمدة ، ج 2 ، ص 52 .

3- المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 52 .

جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب τ «¹ ، إلى الإسلام، وإدراكه الهدف من بعثة الرسول ρ ونزول الوحي عليه .

ب- الموقف النقدي للخليفة عمر من شعر امرئ القيس* (ت 540 م) :

أما من حيث موقف الخليفة عمر النقدي، فلقد اهتم بنقد الشعر اهتماما كبيرا، وبخاصة شعر الشعراء الجاهليين، الذين كان لهم أثرهم الواضح في فن الشعر، وتميزوا بطابعهم الخاص، من ذلك: امرئ القيس، الذي اهتم المسلمون الأوائل بشاعريته أيما اهتمام ، لكونه كان قريب العهد بهم، فجاء في " العمدة " : « قال عمر بن الخطاب τ للعباس بن عبد المطلب - رحمه الله-، وقد سأله عن الشعراء: امرؤ القيس سابقهم ، خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصرا ».²

فالخليفة عمر من خلال قوله : " امرؤ القيس سابقهم " فهو يعد امرأ القيس أشهر الشعراء ، الذين « طارت أسماؤهم ، وسار شعرهم ، وكثر ذكركم ، حتى غلبوا على سائر من كان في أزمانهم ».³

كما أن رأي عمر، يؤكد لنا خبرته الواسعة في نقد الشعر ، لكنه ليس هو أول من تحدث عن شاعرية امرئ القيس ، بل سبقه في ذلك الرسول ρ ، فجاء في الشعر والشعراء ، « فقال النبي ρ ذاك رجل مذكور في الدنيا، شريف فيها ، منسي في الآخرة حامل فيها يجيء يوم القيامة معه لواء

1- ابن كثير: تفسر ابن كثير، ج4، ص 364 .

* « امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة ، وهو من أهل نجد من الطبقة الأولى ، وهذه الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد قال لبيد ابن ربيعة أشعر الناس ذو القروح يعني امرأ القيس ... وأمه فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخت كليب ومهلل ابني ربيعة التغليين . وكلييب هو الذي تقول فيه العرب " أعز من كليب وائل " ... وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعته عليها الشعراء من استيقافه صحبه في الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ . أما موته فلما صار إلى مدينة بالروم تدعى أنقرة ثقل فأقام بها حتى مات وقبره هناك . وكان امرؤ القيس جميلا وسيما ومع جماله وحسنه مُفَرَّكاً لا تريده النساء ، وكان يعد من عشاق العرب، وكان يشبب بنساء منهن فاطمة بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر العدرية وهي التي يقول لها: " فاطم مهلا بعض هذا التدلل" .. قال أبو عبيدة : هو أول من "قَيَّد الأوابد" ، يعني في قوله في وصف الفرس: قَيَّد الأوابد، فتبعه الناس على ذلك . وقال غيره: هو أول من شبه الثغر في لونه بشوك السبال فقال: [الطويل]

مَنَابِتُهُ مِثْلُ الشُّدُوسِ وَلَوْنُهُ كَشُوكِ السَّبَالِ وَهُوَ عَذْبٌ يَفِيضُ » .

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 52 وما بعدها .

2- ابن رشيقي: العمدة ، ج1، ص 81.

3- المصدر نفسه ، ج1، ص 81.

الشعراء إلى النار*»¹.

فتقديم الرسول ﷺ لامرئ القيس في سبقه للشعراء جاء عن طريق الموازنة بين الشعراء ، هذه الموازنة التي شكلت منهاجاً اتخذها النقاد فيما بعد سبيلاً للموازنة بين الشعراء ، وبهذه الصورة يظهر اهتمام الإسلام بشعر امرئ القيس ممثلاً في رأي الرسول ﷺ الذي يعد أول رأي نقدي في الحكم على شاعريته، وهو الحكم الذي دفع الخليفة عمر إلى النظر في شعر امرئ القيس، فرأى من خلال شاعريته أنه "سابق للشعراء" وهو حكم معلل، حيث وازن بين الشعراء في الشاعرية والإبداع الفني، فوجد "امراً القيس سابقهم" والسبق « قد يتضمن السبق الزمني والفني، فهو أقدم شعراء العصر الجاهلي المعروفين، وتذهب إشارات علماء الشعر القدامى إلى أنه مع المهلهل كانا أول من نقل الشعر من المقطعات إلى القصائد ، وهو زعيم شعراء العصر الجاهلي في نظر كثير من علماء الشعر القدامى وشهرته بين الجاهليين لا يكاد ينافسها فيها أحد»².

وهو الأمر الذي أقره الرسول ﷺ في قوله: "مذكور في الدنيا" ، وأما قول عمر "خسف لهم عين الشعر": « تفيد بأن امرأ القيس قد فتح آفاقاً جديدة أمام الشعراء الجاهليين ليرتادوها مطورين عطاءهم الشعري»³.

وقوله: " فافتقر عن معان عور أصح بصراً" فيه تصريح على أن امرأ القيس قد تجاوز معاني الشعر المتداولة ، وسن طريقاً جديداً في المعاني والأغراض الشعرية ، والصور الفنية ، التي لم يهتد إليها الشعراء قبله ، ولا في عصره ، فاستحق أن يكون في نظر عمر، سابق الشعراء .

* إن محمد مصطفى هدارة رأي في هذا الحديث فقال عنه : « فتوجيه الحديث- إن صح - إنما ينصب على الشعراء الذين اشتهروا بالفحش والتعهر في القول ونسوا الله فنسيهم . وهؤلاء الشعراء وجدوا في الجاهلية كاتجماً واضح يمثله امرؤ القيس ، كما لاحظ ابن سلام من قبل وقد تقصى الأستاذ أحمد شاکر هذا الخبر المذكور في عيون الأخبار والأغاني ومعجم البلدان فقال : إنه مشهور عند الإخباريين والأدباء . ولكنه غير معروف عند المحدثين وهم الحجة فيما ينسب إلى رسول الله من الأخبار . ولكن روى أحمد في المسند من حديث أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي (امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار) وهو حديث ضعيف جداً ، ذكره ابن كثير في التاريخ ، وقال : هذا منقطع ، وقد قال : الحافظ بن حجر في لسان الميزان إنه خبر باطل » .

- محمد مصطفى هدارة : الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص 102.

1- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 67 .

2- عبد العزيز جسوس : نقد الشعر العربي في الطور الشفوي ، ص ص 60-61.

3- المرجع نفسه ، ص 61.

وهذه الموازنة التي أقامها الخليفة عمر بين امرئ القيس وغيره من الشعراء استوقفت كثير من النقاد القدامى والعلماء بالشعر ، فتجاوز بعضهم امرئ القيس وذهبوا إلى عقد الموازنة بين اليمن وبعض القبائل العربية للبرهنة على صحة رأي عمر، فقال ابن رشيق: قال عبد الكريم: « خسف لهم، من الخسيف وهي البئر التي حفرت في حاجرة فخرج منها ماء كثير وجمعها خُسْف ، وقوله: " افتقر " أي فتح، وهو من الفقير، وهو فم القناة ، وقوله: " عن معاني عور"، يعني أن امرأ القيس من اليمن، وأن اليمن لهم فصاحة نزار ، فجعل لهم معاني [عورا] فتح منها امرؤ القيس أصح بصرا»¹.

وهكذا يبدو أن رأي الخليفة عمر في امرئ القيس، قد دفع بالناقد عبد الكريم النهشلي إلى عقد الموازنة بين لغة أهل اليمن، وفصاحة نزار ، للبرهنة على قوة شاعرية امرئ القيس وسبقه للشعراء إبداعا ، كما استوقف رأي الخليفة عمر العلماء بالشعر لدراسة شاعرية امرئ القيس والتمعن فيما أبدع فيه ، فقال ابن رشيق: « إن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء ، واتبعوه فيها، لأنه قيل: أول من لطف المعاني، واستوقف على الطلول، ووصف النساء بالظباء والمها والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصي، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد وقرب مأخذ الكلام، فقيد الأوابد ، وأجاد الاستعارة والتشبيه»².

وما أحسب هذا الرأي إلا قراءة موضوعاتية وفنية ، لرأي الخليفة عمر في سبق امرئ القيس للشعراء، والذي تبرز خبرته النقدية للشعر والشعراء ، إذ هو أول ناقد بعد الرسول (ﷺ)، اهتم بشاعرية امرئ القيس الذي يجب أن يبقى سابقا للشعراء ومقدما عليهم ، وقد أبقى النقد الأدبي الإسلامي على حلوده مقدما في الشعر على الشعراء زمانا وإبداعا .

ج- الموقف النقدي للخليفة عمر من شعر النابغة الذبياني :

ومما يلفت انتباه الباحث في مواقف عمر النقدية ، تلك النقادات التي صدرت في مجالسه ، فقال

القرشي: «خرج عمر بن الخطاب ١٧ وبابه وفد غطفان فقال : أي شعرائكم الذي يقول: [الطويل]

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً ، وليسَ وراءَ اللَّهِ للمرءِ مَذْهَبُ
لَعْنُ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي سِعايَةَ لَمُبْلِغُكَ الوَاشِيِ أغشُ وَأَكْذَبُ
وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقِي أَخَا لا تَلْمُهُ على شَعَثٍ ، أَيُّ الرِّجالِ المَهْدَبُ

1- ابن رشيق: العمدة ، ج 1 ، ص 81 .

2- المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 82

[الطويل]

قالوا: النابغة يا أمر المؤمنين ! قال: فمن القائل:

حَطَّاطِيْفُ حُجْرٍ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ، تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ
فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي، وَإِنْ خَلْتُ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنكَ وَاسِعٌ*

[الوافر]

قالوا: النابغة يا أمر المؤمنين ! قال: فمن القائل:

إِلَى ابْنِ مُحَرَّرٍ أَعْمَلْتُ نَفْسِي وَرَاحِلَتِي ، وَقَدْ هَدَأْتُ عَيْوُنُ
فَأَلْفَيْتُ الْأَمَانَةَ لَمْ يَخُنْهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ
أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي، عَلَى خَوْفٍ تَنْظُرُ بِي الظُّنُونُ ؟

[البيسيط]

قالوا: النابغة يا أمر المؤمنين ! قال: فمن القائل:

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْمَلِيكُ لَهُ فُؤْمٌ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الْفُنْدِ**

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين ! قال : هو أشعر شعرائكم ¹ .

إن حكم عمر على النابغة بـ « أشعر شعرائكم » هي الرواية المذكورة في "الشعر والشعراء" ² ، و"العقد الفريد" ³ ، و"خاص الخاص" ⁴ ، إلا أن بعض روايات الأغاني جاءت « أشعر العرب » ⁵ ، وقال ابن عبد ربه في روايته معلقاً: « وما أحسب عمر ذهب إلا إلى أنه أشعر شعراء غطفان، ويدل على ذلك قوله: هو أشعر شعرائكم » ⁶ ، ودلالة هذا المعنى أن النابغة « قدمه عمر في غير موضع على جميع

* قال الثعالبي معلقاً على بيت النابغة : « يقال: إنه أحسن شعراء الجاهلية ديباجة وأكثرهم رونق كلام ، وكان شعره كلام كتاب ليس فيه تكلف ولا تعسف وأجود شعره النعمانيات ، ومن عجائبه فيها أنه شبه النعمان مرة بالليل ومرة بالشمس فسحر وبهر، حيث يقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقال :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يند منهن كوكب .

- أبو منصور الثعالبي : كتاب خاص الخاص ، قدم له : حسن الأمين ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، د . ت ، ص 96-97 .

** قوله : فاحدها : أي أزجرها عند الفند ، أي الخطأ والظلم .

1- القرشي: جمهرة أشعار العرب ، ص 60-61 .

2- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 88 .

3- ابن عبد ربه: العقد الفريد ، ج 5 ، ص 270 .

4- الثعالبي : خاص الخاص ، ص 97 .

5- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، طبعة دار الكتب ، ج 11 ، ص 4 .

6- ابن عبد ربه : العقد الفريد، ج 5 ، ص 270 .

الشعراء»¹، في عبس وذبيان ، وبالتالي فهو أشعر من عنتره ومن عروة بن الورد ، ومن الشماخ بن ضرار وأخيه مزرد ، ومن الربيع بن زياد ، والحطيئة ، وابن ميادة ، ومن كل شاعر يرجع إلى غطفان .
 وإذا ورد حكم الخليفة عمر بهذه الصيغة " أشعر شعرائكم " غير معلل في تفضيله للنابغة على الشعراء ، فذلك لأنه قال هذا الحكم بهذه الصيغة لمن يفهم قصده بدون أن يشرح له ، وبين أنه « معجب به يفضله مرة على شعراء قومه خاصة ، ويفضله أخرى على الشعراء أجمعين »²، وهو بهذا يعبر عن ذوقه للشعر السياسي الجاهلي وتطلعه لأبعاده الفكرية والجمالية .

حقيقة إن تفضيل الخليفة عمر للنابغة على شعراء غطفان باستدلاله بهذه النماذج على اختلاف بحورها وقوافيها ، يعكس مدى مبلغ اهتمامه باعتذارات النابغة وهي : « ثلاثيته المعروفة في تاريخ الشعر العربي (الدالية- البائية- العينية) لندرك إلى أي حد استطاع النابغة بفحولة بارعة أن يحدد اتجاهات هذا الفن وسماته العامة ، فكان مسلكه الموضوعي والفني عمدة المعتذرين في كل العصور»³، كما أن تفضيل عمر للنابغة « يدل على أنه يحتكم إلى معيار نقدي يجمع فيه بين الرؤية والفن »⁴، وهذا « الحكم قد انصب على أبيات معينة منتقاة من شعر النابغة بعناية كبيرة ، اعتمادا على قيمها الفنية أولا ، واعتبارا لعدم تعارضها مع القيم الإسلامية ثانيا، مما يكشف عن خبرته الواسعة بشعر النابغة . وعن قدرته على تذوق شعره وانتقاء أبيات جيدة لا تستفز المشاعر الإسلامية »⁵.

يضاف إلى هذا كون أن الأبيات صيغت بأسلوب فني متميز⁶، وبالتالي فإن موقف عمر من شعر النابغة يمثل بكل وضوح موقف الإسلام ، الذي لا يتعارض مع الشعر ذي القيم الخلقية والجمالية حتى ولو كان شعرا جاهليا .

1- القرشي: جمهرة أشعار العرب ، ص ص 60 .

2- طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، بيروت، لبنان، دار الحكمة، 1937م، ص30.

3- محمود عباس عبد الواحد : فن الاعتذار الشعري تاريخه واتجاهاته ، ص 78 .

4- وليد قصاب : شخصيات إسلامية في الأدب و النقد ، ص 43 .

5- عبد العزيز جسوس : نقد الشعر العربي في الطور الشفوي ، ص 59 .

6- وليد قصاب : شخصيات إسلامية في الأدب و النقد ، ص 43 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء
 المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

د- الموقف النقدي للخليفة عمر من شعر زهير* بن أبي سلمى (ت 610 م) :

ومن الشعراء الذين استوقفوا الخليفة عمر زهير بن أبي سلمى، فعرف شعره ، ودقق النظر فيه، وقيم بعده الفكري والفني في بناء شعره ، وفي هذا المجال روت بضع مصادر النقد نصوصا تبرز اهتمام عمر بشعر زهير، فقد « ذكر أبو عبيدة عن الشعبي يرفعه إلى عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب π في سفر، فبينما نحن نسير قال: ألا تزاملوا؟ أنت يا فلان زميل فلان، وأنت يا فلان زميل فلا ، وأنت يا ابن عباس زميلي، وكان لي محبا مقربا ، وكان كثير من الناس ينفسون علي لمكاني منه ، قال: فسأيرته ساعة ثم ثنى رجله على رحله ، ورفع عقيرته ينشد: [الطويل]

وَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا
أَبْرٌ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ**

ثم وضع السوط على رحله ثم قال: استغفر الله العظيم، ثم عاد فأنشد حتى فرغ، ثم قال: يا ابن عباس! ألا تنشدني لشاعر الشعراء! قلت: يا أمير المؤمنين ومن شاعر الشعراء؟ قال: زهير، قلت لم صيرته شاعر الشعراء؟ قال: لأنه لا يعاقل بين الكلامين، ولا يتتبع وحشي الكلام، ولا يمدح أحد بغير ما فيه»¹.

* « هو زهير بن ربيعة بن قرط. والناس ينسبونه إلى مزينة وإنما نسبه في غطفان... ويقال: إنه لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير، وفي الإسلام ما اتصل في ولد جرير، وكان زهير راوية أوس بن حجر... قال عكرمة بن جرير: قلت لأبي من أشعر الناس؟ قال: أحاهلية أم إسلامية؟ قلت: جاهلية. قال: زهير...» .

- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 73-74 .

** إن البيت الذي أنشده الخليفة عمر هو لأنس بن زميم، الذي قاله في قصيدة في فتح مكة يعتذر فيها لرسول الله ﷺ مما قاله فيهم عمرو بن سالم

من أبيات، وفي رواية ابن اسحق القصيدة من أربع عشر بيتا وهذه الأبيات برواية ابن سيد الناس: [الطويل]

وما حملت من ناقة فوق رحلها	أبر وأوفى ذمة من محمد
أحث على خير وأسبغ نائلا	إذا راح كالسيف الصقيل المهند
وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله	وأعطى لرأس السابق المتجرد
تعلم رسول الله أنك مدركي	وأن وعيدا منك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادر	على كل صرم متهمين ومنجد
تعلم بأن الركب عومر	هم الكاذبون المخلفون كل وعد
ونبأ رسول الله أني هجوته	فلا حملت سوطي إلي إذا يدي

- محمد بن عبد الله بن يحيى بن سيد الناس: السيرة النبوية المسمى عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ح 2 ص 204 .

1- القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص 57.

- وينظر: ابن رشيقي: العمدة، ج 1، ص 85 .

- وينظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 73 .

وفي رواية ابن عبد ربه: « قال عمر لابن عباس أنشدني لأشعر الناس، الذي لا يعاظم بين القوافي ولا يتتبع حوشي الكلام، قال: من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير بن أبي سلمى »¹.
يبدو واضحاً أن محاوره الخليفة عمر في النصين كانت لابن عباس، الذي يعد من أكبر العلماء بالشعر الجاهلي والإسلامي، حفظاً ورواية، لهذا علق ابن عبد ربه على الرواية الثانية قائلاً: « فلم يزل ينشده من شعره حتى أصبح »²، وهذا ما يوضح أن أغلب النصوص التي رويت عن شاعرية زهير كانت الرواية بين ابن عباس والخليفة عمر.

وقد وقف النقاد القدماء عند عبارة عمر فعلقوا عليها وفسروها، وأعطوها ما تستحق من الفهم، وما أرادته الخليفة عمر من رؤيته في تقييم شعر زهير، فقال ابن سلام: « وقال أهل النظر: كان زهير أحصفهم شعراً، وأبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق، وأشدّهم مبالغة في المدح، وأكثرهم أمثالا في شعره »³.

ف رأي ابن سلام كان له صدى بين النقاد، فدفعهم للوقوف عنده ومناقشة، فرد عليه ابن رشيق قائلاً: « وإذا قوبل آخر كلام عمر بآخر هذا الكلام تناقض قول المؤلف - أعني ابن سلام - لأن عمر إنما وصفه بالحدق في صناعته، والصدق في منطقته، لأنه لا يحسن في صناعة الشعر أن يعطي الرجل فوق حقه من المدح لئلا يخرج الأمر إلى التنقص والازدراء، كما أخذ على أبي الطيب وغيره، وقد استحسّن عمر الصدق لذاته، ولما فيه من مكارم الأخلاق والمبالغة بخلاف ما وصف »⁴.

ف رأي ابن رشيق يبين الحجج التي اتكأ عليها الخليفة عمر في بناء رأيه في زهير وهي الصدق في المدح والبعد عن الغلو.

ومن الواضح أن من المصطلحات التي قيم بها الخليفة عمر شعر زهير، هي: البعد عن "المعاظلة"، وهي الميزة الأسلوبية التي استخلصها عمر من شعر زهير، والتي وقف عندها النقاد وفسروها، فقال القرشي: وهي « أن يرد الكلام في القافية بمعنى واحد »⁵، وقال الأمدى: « مداخلة الكلام بعضه في

1- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص 270.

2- المصدر نفسه، ج5، ص 270.

3- ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج1، ص 64.

4- ابن رشيق: العمدة، ج1، ص 85.

5- القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص 57.

بعض وركوب بعضه لبعض»¹، وقال ابن رسيق: «زعم قوم أن المعازلة تداخل الحروف وتراكيبها»²، «وزعم آخرون أنها تركيب الشيء في غير موضعه»³، وقد فسر الأمدي قول عمر: " لا يمدح أحد بغير ما فيه"، بقوله: «أراد أنه لا يمدح السوقة بما يمدح به الملوك ولا يمدح التجار وأصحاب الصناعات بما يمدح به الصعاليك والأبطال وحملة السلاح، فإن الشاعر إذا فعل ذلك فقد وصف كل فريق بما ليس فيه»⁴.

وعلى هذا الأساس يبدو أن «في نقد عمر ظاهرة جديدة لا عهد لنا بها من قبل، فهو حين يقدم زهيراً لم يحكم بذلك فحسب بل شرح لنا سر هذا التفضيل، لماذا يفضل عمر زهيراً، ويعدّه أشعر العرب. لأنه سهل العبارة لا تعقيد في تراكيبه، ولا حوشي في ألفاظه، ثم هو في معانيه بعيد عن الغلو، بعيد عن الإفراط في الثناء، لا يمدح الرجل إلا بما فيه، فضل زهيراً لأنه رجع إلا الصياغة والمعاني، وأورد ما يراه من خصائص زهير، فيهما في شيء من التحديد»⁵.

وحكم الخليفة عمر النقدي متعلق بما استنتجه من خصائص أسلوبية في شعر زهير. كما تبرز من خلال هذا الحكم ثلاثة قضايا نقلت وهي: **الحكم** "أشعر الشعراء"، و**سؤال الناقد** "لم صيرته شاعراً؟"، و**التعليل** "لأنه لا يعاظم بين الكلامين"، يضاف إلى هذا أن ملاحظة عمر لشعر زهير «تؤكد على فضيلة الصدق والأخلاق الحميدة بالإضافة إلى أسلوب الشاعر»⁶، الذي عرف عنه «أنه أجمع للشعراء للكثير من المعاني في القليل من الألفاظ»⁷، ولا غرو أن نجد «شعر زهير بن أبي سلمى كان أحب الشعر إلى نفس عمر، وذلك لما اشتمل عليه من حكمة وصواب رأي، فهذا الشاعر من حكماء قومه وقد سعى بين القبائل المتخاصمة، وعمل على إصلاح ذات البين، مسخراً شعره في سبيل إطفاء نار الحرب، المستعرة كما شهر باعتداله في مديحه وهجائه، هذه المزايا جعلت عمر يسلم

1- ابن رسيق: العمدة، ج2، ص 228 .

2- المصدر نفسه، ج2، ص 229 .

3- الحسين بن بشر بن يحيى الأمدي البصري: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق و تعليق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، لبنان، المكتبة العلمية، 1363هـ، 1944م، ص ص 258-259 .

4- المصدر نفسه، ص 259 .

5- طه أحمد إبراهيم: تاريخ لنقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، ص 31 .

6- داود سلوم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الثالث الهجري، ص 26

7- الثعالبي: خاص الخاص، ص 96.

زهيرا إمارة الشعر في عصره»¹. مقدما ومفضلا له على بقية الشعراء ، وهذا الحكم كما يقول طه حسين : « يستند إلى علل فنية »²، حيث « وضع عمر قواعد نقدية لتقدّم شاعر على آخر هي البعد عن التعقيد اللفظي وتجنب الغريب من الكلام ، ثم الصدق في مضمون القول ، فقد استحسّن عمر شعر زهير لما فيه من مكارم الأخلاق والبعد عن المبالغة»³، لأنه كما يقول ابن رشيق : « فهو لا يمدح الرجل إلا بما فيه استحسانا لصدقه»⁴.

وهذا مذهب الخليفة عمر في فهم الشعر الحسن ، أما من حيث صدق الشاعر فعمر يعلم بأن الشعر الذي قاله زهير مطابق لحياته ، وأن المعاني التي ضمنها شعره يؤمن بها ، وأن مدحه يعكس الصورة الحقيقية لممدوحه أو ممدوحيه ، لهذا جاء النقد الموجه لشعر زهير « نقدا معللا أفصح فيه عمر عن سبب إعجابه لزهير وتسميته شاعر الشعراء ، وأرجع ذلك إلى قطبي الفن اللذين لا يكون النضج والاستواء فيه إلا بهما معا في الصياغة والمعاني ، الأداة والتفكير ، فزهير ذو أسلوب سهل وعبرة طيبة متدفقة ، لا تعقيد في ألفاظه ، ولا تعثر في تراكيبه ، ينطق كلامه بسلاسة وبساطة وبعيد عن التكلف ، أخذنا بعضه برقاب بعض ، وهو على مستوى الفكر يؤثر الصدق ، ويأخذ بالحق ، فلا يقول إلا ما يعرف غير مفرط ولا مغال ، لقد أخذ بالمعيارين: الخلق والفن في حكمه على زهير»⁵.

إدًا ، فالأخلاق والفن عند عمر مبدآن أساسيان في تقييم شعر زهير ، الذي عرف عنه أنه من شعراء التجويد والتنقيح ، وشعره شعر الفحول ، فكان شديد الحرص على تجويد شعره من حيث اللفظ والمعنى ، الشيء الذي عكس ذوقه الفني في أبهى صورة ، ولذا فإن « خلو شعر زهير أولا من الغريب المستهجن ، يعني أنه كان بذوقه الأدبي يتخير ألفاظه وينتقيها ، وخلوه ثانيا من المعاطلة ، يعني أنه كان ينأى بشعره عند التعقيد اللفظي الذي يؤدي بدوره إلى التعقيد المعنوي . وكأن عمر الناقد إذ يذكر حوشي الكلام والمعظلة كان يريد أن يقرر أن صفات الألفاظ ونظم الكلام وتلاحم أجزائه من الأمور

1- نايف معروف : الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، ص 182.

2- طه حسين : في الأدب الجاهلي ، ص 284 .

3- نايف معروف : الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، ص 183

4- ابن رشيق : العمدة ، ج1، ص 85 .

5- وليد قصاب : شخصيات إسلامية في الأدب والنقد ، ص 40 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

التي ينبغي أخذها في الاعتبار عند الحكم على الشعر وتقديره»¹.

والواضح من رؤية عمر الفنية لشعر زهير، التي يذكر فيها صفتي: حوشي الكلام والمعاطلة، هي لا تخلو من تكوينه الثقافي الجديد وما تشبعت به شخصيته التي تعبر - حسب محمد طه الجابري- : على « أن الروح الإسلامية متجلية في هذا الاعتبار الأخير ، بل لعل الصفة الأولى من هاتين الصفتين تنظر إلى قوله تعالى : أ □ □ □ □ □ □ □ □ [الإسراء الآية 36] ، وعندنا أن الاعتبار اللفظي موسوم أيضا بالسمة الإسلامية ، جار مع روحها ، ذلك لأن حوشي الألفاظ ومعاطلة الجمل أسلوب أدنى إلى البداوة ، وأقرب إلى الأعرابية ، وبذلك يكون أبعد عن روح الإسلام ، إذ هي أقرب إلى الحضارة ، وإلى تنفير الناس من البداوة والأعرابية التي تحمل عناصر الحياة الجاهلية وتدعو إليها»².

إن هذا الكلام يدفعنا للقول بأن شعر زهير وفق المقاييس التي حددها الخليفة عمر بن الخطاب، يتميز بخصائص فنية ، تميزه عن غيره من شعراء عصره ، وقد أشار عبد العزيز جسوس إلى هذا في قوله: إن « ملاحظة خصائص جوهرية في شعر زهير تتناول جوانب التركيب واللفظ والصدق في التعبير... [هي] خصائص مازال كثير من المحدثين يرددونها حول شعر زهير، وهي مستقاة مما عرف به من تنقيحه لشعره... ولن يتمكن عمر من تحديد هذه الخصائص إلا بمقارنة شعر زهير بأشعار غيره مم يؤكد خبرته الواسعة بالشعر وامتلاكه لإحساس فني يؤهله لملاحظة خصائص جيدة فنية»³.

وعلى هذا الأساس فإن نظرة الخليفة عمر النقدية لزهير تقوم على ثنائية ، تجمع بين الرؤية الفنية والرؤية الدينية الأخلاقية ، وقد وضعهما في إطارهما المنهجي ، حيث إن « الفاروق فيما قاله عن زهير يؤكد... التوازن في النقد بين القراءة الفنية والقراءة الدينية للنص الأدبي، وعدم الجنوح عن هذه الثنائية إلى هذه أو تلك ، إذ هو τ يضرب فيما قاله عن زهير مثال التوازن النقدي بين إحساسه بالجمال الفني القائم على الوضوح بالبعد عن غريب اللفظ ووحشيته، والبساطة المحافية للتعقيد بمدخلة الكلام ومولاته، وتراكيب بعضه فوق بعض، وبين المنهج الإسلامي الداعي إلى التزام الصدق الخلقى والواقعي في الأدب ، والابتعاد عن الغلو والإفراط والتجاوز . فعمر تناول تقويمه لشعر زهير من الزاويتين الفنية

1- عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 77-78.

2- محمد طه الجابري: في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي، والقرن الأول الإسلامي ، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1982م ، ص 60 .

3- عبد العزيز جسوس : نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 59-60 .

والدينية ، ومن هنا جاء وصفه له بالبعد عن التكلف (فنيا) ، وجاء استحسانه الصديق لذاته ، ولما فيه من مكارم (دينيا وخلقيا) «¹ .

وهذه الخصائص الفنية التي أبرزها عمر من خلال نقده الوصفي لشعر زهير كان لها تأثيرها الواضح في الفكر النقدي عند كبار النقاد القدماء ، حيث دخل مصطلح عدم وجود المعازلة في شعر زهير مباحث النقاد الموسوعيين فيما بعد ، عند : القرشي في كتابه "جمهرة أشعار العرب" وقدامة بن جعفر في كتابه "نقد الشعر" ، والآمدي في كتابه "الموازنة" ، وابن سلام الجمحي في كتابه "طبقات فحول الشعراء" وابن رشيق في "العمدة" ، فرددوا مصطلح المعازلة تارة شرحا وتارة تعليقا وتارة نقدا لبعضهم .

هـ - بين الخليفة عمر بن الخطاب وابنة زهير وابن هرم* بن سنان :

لقد تعددت اهتمامات الخليفة عمر بن الخطاب بشعر زهير بن أبي سلمى ، من ذلك ما رواه ابن رشيق ، حيث قال : « قال عمر بن الخطاب لابنة زهير حين سألتها : ما فعلت حلل هرم بن سنان التي كساها أباك ؟ قالت : أبلاها الدهر ، قال : لكن ما كساه أبوك هرما لم يبيله الدهر . وقال عمر بن هرم لبعض ولد هرم بن سنان : أنشدني ما قال فيكم زهير ، فأنشده ، فقال : لقد كان يقول فيكم فيحسن ، قال : يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل ، قال عمر : ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم »² .

ففي هذا النص النقدي الجميل يصادفنا سؤال الناقد ، الذي يتكئ على ثنائية السؤال ، حيث سأل أولا عن أثر حلل هرم بن سنان عند آل زهير ، ثم سأل عن أثر قول زهير في آل هرم بن سنان ، وكان قصد الخليفة عمر من هذا السؤال هو الموازنة بين الأثر المادي والأثر الفني لخطاب الشاعرية في نفسية الفرد والمجتمع بعد وفاة المادح ومدوحه ، وبهذا السؤال يؤكد لنا الخليفة عمر أهمية الشعر وتفوقه على الأغراض المادية الزائلة الفانية ، التي أعطاهها هرم بن سنان إلى زهير والتي فنيت ، ولم يبق إلا شعر زهير بعد وفاته ، هذا الشعر الذي خلد كلا من المادح والمدوح ، وقد أدرك الخليفة عمر ببعد نظره النقدي ، أن زهيراً كان يحسن القول في مدوحه ، لأنه مدحه بدافع الرغبة والإعجاب ، ولم يمدحه بدافع الطمع

1- عبد الجواد محمد المحض : الدين وقراءة النص الأدبي ، الأسكندرية ، الفتح للطباعة والنشر ، د. ت ، ص 35 .

* «هرم بن سنان (ت608م) : من سادة الجاهلية مدحه زهير بن أبي سلمى » .

- المنجد في اللغة والأعلام ، ص 595 .

2- ابن رشيق : العمدة ، ج 1 ، ص ص 70- 71 .

والسؤال، وهي قيمة ذات معيارين خلقي وفني مضافة في النقد الأدبي والشعر على السواء ، لهذا تركت آثار زهير في نفسية الخليفة عمر والأجيال بعد عمر أثرا جميلا ، وإعجابا به وبشعره عبر العصور .

و- موقف الخليفة عمر من شعر الهجاء والشعراء الهجائيين :

لقد كان لشعر الهجاء أثره السيئ في نفسية عمر بن الخطاب، لأن الشعراء خرجوا بشعرهم عن الحدود التي رسمها الإسلام وعفا عليها، ومالوا به إلى النمط الجاهلي ، لذا اتخذ منهم عمر موقفا سلبيا. ويعد شعر الهجاء من القضايا الأدبية التي بذل فيها الخليفة عمر جهده ، محاولا إطفاء نغرات الماضي، التي كان معظم الشعراء يتذكرونها ، إلى جانب اهتمامه بأمر تسيير الدولة داخليا ، والفتوحات الإسلامية خارجيا ، و« لقد كان عمر واعيا بالصراع الذي كان في عهد الرسول بين شعراء الإسلام وعلى رأسهم حسان وشعراء كفار قريش، انطلاقا من مسؤوليته في تسيير دواليب الدولة والمجتمع الإسلاميين الذي يقتضي منه الثقة... غير أن الظروف التي فرضت ذلك الصراع وارتبطت بها قد اختلفت فلم يعد أي مبرر لإنشاد شعر التهاجي بينهما وتداوله ، لأن ذلك سيحیی من جديد صراعا لم تعد المرحلة في حاجة إليه بعد أن التحق كبار شعراء قريش بالإسلام»¹، ولهذا تحديدا « فقد نهي عمر بن الخطاب أن ينشدوا شيئا من مناقضة الأنصار ومشركي قريش ، وقال : في ذلك شتم الحي بالميت ، وتجديد الضغائن وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام»².

يضاف إلى هذا ظهور اتجاه شعري جديد بعد وفاة الرسول ﷺ، أثناء حرب الردة، وحينما نقول اتجاهها جديدا معنى هذا أنه مسلك الخطيئة* (ت678م) في الشعر ، الذي اندفع في احترام المدح والهجاء ، فراح يزواج في مذهبه الشعري الجديد بين المدح لغرض السؤال للتكسب ، و " الهجاء المبتز للعطايا " ³ ، الذي أدى بالكثير من النقاد وبخاصة القدماء منهم لدراسته ، ولعل أكثر النقاد الذين أحسنوا وصف حال مستوى الشعر الذي جعله الخطيئة أداة للسؤال ، هو ابن رشيقي الذي قال عنه :

1- عبد العزيز جسوس : نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص ص60-61 .

2- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج4، ص 144 .

* قال ابن قتيبة : « هو جرول بن أوس من بني قُطَيْبَةَ بن عبس ولقب الخطيئة لقصره وقربه من الأرض ويكنى أبا مُلَيْكَةَ ، وكان راوية زهير ، وهو جاهلي إسلامي ولا أراه أسلم إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ، لأنني لم أسمع له بذكر فيمن وفد عليه من وفود العرب» .

- ابن قتيبة: الشعر والشعراء ، ص203 .

3- محمود عباس عبد الواحد : فن الاعتذار الشعري تاريخه واتجاهاته ، ص 42.

« ثم إن الخطيئة أكثر من السؤال بالشعر ، وانحطاط المهمة فيه ، والإلحاف ، حتى مقت وذل أهله وهلم جرا ، إلى أن حُرِمَ السائل وعُدِمَ المسؤول »¹.

فهذه هي الصورة التي انتهت إليها شعر المدح عند الخطيئة ، ولم يصل إليها عند من سبقه من الشعراء الذين جعلوا الشعر حرفة للتكسب ، رغم أنهم لم يدركوا الإسلام ، ولم يعرفوا مقام عزة النفس فيه ، إلا أنهم كما قال ابن رشيقي عنهم: « وأما أكثر من تقدم فالغالب على طباعهم الأنفة من السؤال بالشعر، وقلة التعرض به لما في أيدي الناس: إلا فيما لا يزري بقدر ولا مروءة كالفلثة النادرة والمهمة العظيمة ، ولهذا قال عمر - π - : " نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته " »².

يشير ابن رشيقي في النص تحديداً إلى الشعراء الجاهليين، الذين سبقوا الخطيئة في التكسب بالشعر وهم : النابغة الذبياني (ت 604م) ، الذي كان أول شعراء العرب من سن طرق أبواب الملوك، بقصائده المدحية لأجل التكسب ، ثم سلك مسلكه الأعشى * ميمون بن قيس (ت 629م) ، وزهير ابن أبي سلمى (530-627م)، إلا أن قاعدة مسلك التكسب بالشعر التي سلكها الخطيئة ، لا نجدتها في شعر هؤلاء الشعراء ، ولم يمتثلوا لها وهي المزج بين المدح والهجاء ، وأما ما دل عليه قول ابن رشيقي: فهو كون أن النابغة الذبياني رغم أنه أول المتكسبين بالشعر، "مدح الملوك وقبل الصلة"³، لكنه لم يتعرض بشعره لأذى الناس، وأما إشارة عمر فتنص على الإقرار بقضاء طلب الحاجة أو التكسب

1- ابن رشيقي: العمدة ، ج1، ص 71.

2- المصدر نفسه ، ج1، ص 71.

* «هو من سعد بن ضبيعة بن قيس وكان أعمى ويكنى أبا بصير وكان أبوه يدعى قتيل الجوع... وكان جاهليا قديما وأدرك الإسلام في آخر عمره، ورحل إلى النبي p ، ليسلم فقبل له إنه يحرم الخمر والزنا فقال: أتمتع منهما سنة ثم أسلم فمات قبل ذلك بقرية باليمامة وقالوا: إن خروجه يريد النبي p ، في صلح الحديبية، فسأله أبو سفيان بن حرب عن وجهه الذي يريد فقال: أريد محمداً، فقال أبو سفيان: إنه يحرم عليك الخمر والزنا والقمار، فقال: أما الزنا فقد تركني ولم أتركه وأما الخمر فقد قضيت منها وطرا ، وأما القمار فلعلني أصيب منه خلفا، قال : هل لك إلى خير ، قال: وما هو ؟ قال: بيننا وبينه هدنة فترجع عامك هذا وتأخذ مائة ناقة حمراء ، فإن ظهر (بعد ذلك) أنتيه ، وإن ظفرنا به كنت قد أصبت عوضا من رحلك . فقال: لا أبالي فانطلق به أبو سفيان إلى منزله وجمع إليه أصحابه، وقال: يا معشر قريش هذا أعشى قيس وقد علمتم شعره ولئن وصل إلى محمد ليضربن عليكم العرب (قاطبة) بشعره فجمعوا له مائة ناقة (حمراء) فانصرف فلما صار بناحية اليمامة ألقاه بغيره فقتله ، ويسمى صناجة العرب لأنه أول من ذكر الصنح في شعره...وسمع كسرى والنعمان إنشاده » .

- ابن قتيبة: لشعر والشعراء ، ص 159- 160 .

3- ابن رشيقي: العمدة ، ج1، ص 70.

بالممدوح المهذب، بدون اللجوء إلى الهجاء الذي يחדش الحياء أو يمس بكرامة الإنسان، عندما يمنع العطاء .

وكذلك الحال بالنسبة للأعشى الذي "جعل الشعر متجرا"¹، فقد عاش بالممدوح ولم يقرنه بالهجاء، ولنا خير مثال في زهير الذي مدح هرم بن سنان فكساه حللا لمدحه إياه، وقد أعجب عمر بن الخطاب بزهير وأثنى على مسلكه في المدح².

فهؤلاء الشعراء جميعا مدحوا من أرادوا من الناس، كما أرادوا، فمدحوا زعماء القبائل وضربوا أكباد الإبل إلى الملوك فمدحوهم ونالوا عطاياهم، إلا أنهم لم يقرنوا المدح بالهجاء. ومن هنا كان مسلك الحطيئة في الشعر لم يتقبله الخليفة عمر، لأنه لما استحضر صورة شعراء المدح وجدهم قد رَغَّبُوا الممدوحين فيهم، ولم يُرهبوا أحدا من الناس بالهجاء، لهذا اشترى الخليفة عمر من الحطيئة أعراض الناس بمال وفير وذلك لدفع الضرر عن المجتمع، ورفض ما تصوره الحطيئة طريقا للإبداع والتشفي.

وصورة ظاهرة تفشي شعر الهجاء تتضح أكثر في عهد الخليفة عمر، فهذا الشاعر النجاشي* حاول أن ينحرف بالشعر نحو الهجاء، فلما علم عمر به هددته. لهذا اقتضت حكمة الخليفة عمر أن يتصدى بكل حزم لشعر الهجاء، واتخذ موقفا سلبيا من شعراء الهجاء، ففي الوقت الذي كان الشعراء الهجاءون يبحثون عن حرية أكثر، لتسخير الشعر لرغباتهم ونزواتهم، ويهيمون بالشعر في كل واد، وكيفما أرادوا، استدعت ضرورة الحال أن يقف الخليفة عمر موقفا حازما لوقف شعر الهجاء، كي لا يتحول إلى أداة عبث في ألسنة الشعراء، يبحثون من خلاله بمروءة الناس ومنزلتهم في المجتمع، وتوقيف حركة ردة الشعر من عصره الإسلامي إلى عصر شيخ القبيلة الجاهلي، وتحريره من قيود السؤال ورهبة الهجاء. وهذا ما يدفعنا إلى تفصيل القول في مواقف عمر من الشعراء الهجائين.

1- ابن رشيقي: العمدة، ج1، ص 70.

2- المصدر نفسه، ج1، ص70.

* « هو قيس بن عمرو بن مالك بن غالب من بني الحارث بن كعب، وكان فاسقا رقيق الإسلام... شرب الخمر في رمضان... فأخذ فأتي علي بن أبي طالب، فقال له: ويحك ولدانا صيام وأنت مفطر، فضربه ثمانين سوطا وزاده عشرين سوطا، فقال له: ما هذه العلاوة يا أبا الحسن؟ فقال (هذه لجرأتك على الله في شهر رمضان، ثم وقفه للناس لبروه في تبان فهجا أهل الكوفة وهجا بني العجلان وقريشا».

- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ص 209-210-211.

1- موقف الخليفة عمر من حسان بن ثابت (ت 54هـ) :

لم يكن الشاعر حسان بن ثابت بعد وفاة الرسول ρ ، وفي عهد الخليفة عمر تحديدا كباقي الشعراء ، الذين مالوا إلى المدح والهجاء ، أو اتخذوا مسلك التكسب بالشعر، لقد عرّف حسان علو كعب شعره في الإسلام، وعرّف فضل قدر منزلته في قلب الرسول والصحابة ، إلا أنه - كما يقول عبد العزيز جسوس-: « مازال محكوما برواسب المرحلة السابقة ، ومازالت الحمية الجاهلية وذكريات الصراع بين مكة ويثرب تغلي في عروقه ولذلك كان يتحين الفرصة لإشفاء غليله بإنشاده الأشعار المرتبطة بتلك الرواسب والذكريات وكان عمر ينبهه بين الفينة والأخرى »¹ .

وفي موقف الخليفة عمر من حسان: « يروى أن عمر بن الخطاب τ مر بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله ρ ، ثم قال: أرغاء كرجاء البكر؟ فقال حسان: دعني عنك يا عمر، فوالله إنك لتعلم لقد أنشدت في هذا المسجد من هو خير منك ، فما يغير علي ذلك ، فقال عمر: صدقت »² .

يتجلى من النص أن « غاية عمر نبيلة في طلبه من حسان الامتناع عن إنشاد الشعر في المسجد ، لئلا يضطرب دور المسجد في نفوس بعض الناس ، ولكنه عدل بعد أن ذكره حسان بما كان يصنعه من الإنشاد أيام رسول الله ρ ، وفي هذا تأكيد لدور الشعر في المجتمع الجديد ، خاصة ذلك الشعر الذي شع بروح الإسلام ومكارم الأخلاق »³ .

وأعتقد أن حسانا لم يكن ينشد شعر الهجاء في مجلسه داخل المسجد فحسب ، بل كانت هناك أغراض أخرى تشغله منها: تذكره للرسول ρ ، حيث روي عن: « سعيد بن المسيب أن عمر τ ، مر بحسان وهو ينشد في مسجد رسول الله ρ فذكر مثله وزاد وعلمت أنه يريد النبي ρ »⁴ .

كما يبدو أن الخلاف في موقف الصحابة من شعر حسان بن ثابت ، يعكسه الحديث ، الذي روي « عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت: مر الزبير بن العوام τ بمجلس لأصحاب النبي ρ ، وحسان ينشدهم ، وهم غير آذنين لما يسمعون من شعره ، فقال : مالي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر

1- عبد العزيز جسوس : نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 62.

2- ابن رشيقي : العملة ، ج1، ص 24 .

3- وليد محمود خالص : النقد الأدبي في كتاب الأغاني ، ج1، (هامش) ص 53 .

ابن الفريفة ؟ فلقد كان ينشد رسول الله ﷺ فيحسن استماعه ويجزل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه إذا أنشده ¹ .

فبكل تأكيد أن موقف الزبير بن العوام T من شعر حسان موقف إيجابي ، ولعله ذكّر جلساء حسان ، بمجلس الرسول ﷺ الذي كان يستمع فيه لشعره ، وقد أعجب حسان بكلام الزبير بن العوام ، وطرب له ، لأن فيه شيء من الثناء والاهتمام بشعره ، « فقال حسان [ما دحا له] : [الطويل]

أَقَامَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ وَهَدْيِهِ حَوَارِيَهُ وَالْقَوْلُ بِالْفِعْلِ يَعْدِلُ
أَقَامَ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَطَرِيقِهِ يُوَالِي وَالِيَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ أَعْدَلُ
لَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ قُرْبَى قَرِيْبَةً وَمِنْ نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ نَصْرٌ مُؤْتَلُ
فَكَمْ كُرْبَةً ذَبَّ الزَّبِيرُ بِسَيْفِهِ عَنِ الْمَصْطَفَى وَاللَّهُ يُعْطِي فَيُجْزِلُ ² .

فهذا النص يؤكد أن حسانا بقي على عهده بعد وفاة الرسول الكريم ، بمدح الصحابة ويريثهم، رافعا مقامهم إلى ما يعكسه مستوى شعره ، ولم يكن شعره متعلق برواسب الماضي فقط .

2- موقف الخليفة عمر من شاعري مكة : ضرار بن الخطاب وعبد الله بن الزبيرى :

إن الأمر الذي كان يشغل بال الخليفة عمر من أمر الهجاء، هو اشتعال الخصومة بين الشعراء، جراء تذكرهم للماضي، كالذي حدث بين حسان بن ثابت وشاعرا مكة: ضرار بن الخطاب ، وعبد الله بن الزبيرى، في إثارته للهجاء وتذكرهم للماضي، فقد جاء في " طبقات فحول الشعراء " عن « ابن جعدية قال: قدم ضرار بن الخطاب الفهري، وعبد الله بن الزبيرى المدينة ، أيام عمر بن الخطاب ، فأتيا أبا أحمد* بن جحش الأسدي - وكان مكفوفاً، وكان مألفاً يُجْتَمَعُ إليه ويُتَحَدَّثُ عنده، ويقول الشعر - فقالا له: أتيناك لترسل إلى حسان بن ثابت فنناشده ونذاكره ، فإنه كان يقول في

1- ابن رشيقي : العمدة ، ج1، ص ص 23- 24 .

2- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج4 ، ص 144 .

* « أبو أحمد بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صيرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه ، وهو عبد بن جحش ، وأخوه عبد الله ابن جحش... وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعرا ، وكانت عنده الفرعة ابنة أبي سفيان ابن حرب وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، فُعَلِّقَتْ دار بني جحش هجرة، فمر بها عتية بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل ابن هشام بن المغيرة... ثم قال عتية: أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها، فقال أبو جهل: وما تبكي عليه من قُلِّ بن قُلِّ... ثم قدم المهاجرون أرسالا... إلى المدينة مع رسول الله ﷺ هجرة رجالهم ونساؤهم: عبد الله بن جحش، وأخوه أبو أحمد بن جحش... » .

الإسلام ويقول في الكفر . فأرسل إليه فجاء ، فقال: يا أبا الوليد ! أخواك تطربا إليك ! ابن الزبيرى وضرار، يذاكرانك ويناشدانك، قال: نعم، إن شئتما بدأت ، وإن شئتما فأبديا، قال: نبدأ . فأنشدها حتى إذا صار كالمرجل يفور، قعدا على رواحلهما. فخرج حسان حتى تلقى عمر بن الخطاب، وتمثل بيت ذكره ابن الجعدبة لا أذكره ، فقال عمر : وما ذاك ؟ فأخبره خبرهما، قال: لا جرم، لا يفوتانك فأرسل في إثرهما فردا . وقال لحسان: أنشدتهما، فأنشد حاجته ، قال: أَكْتَفَيْتَ ؟ قال: نعم، قال: شأنكما الآن، إن شئتما فأرحلا، وإن شئتما فأقيما¹.

إن موقف الخليفة عمر من شاعري مكة واضح في سرد النص، فبعد أن وضع له حسان ما حدث له معهما، انكشف لعمر الأمر وفهم أن نية الشاعرين: ابن الزبيرى وضرار كانت مبيتة من أجل إثارة ما كان بينهم وبين حسان أيام الرسول p ، فقد كان حسان يهجوها ويرد على هجائهما، بحكم أنهما شاعرا قريش، من معارضي الرسول p في دعوته، فأراد أن يثيرا حفيظة حسان بدون أن يسمعا إليه، لهذا ردهما عمر، على اعتبار أنهما جاءا لإثارة ما نهي عنه الشعراء، وما أمر الخليفة عمر في رد الشاعرين، وما طلبه من حسان أن يشفي غليله ويرد عليهما، إلا أكبر دليل من عمر على أنه لم يُرد أن يتجاوز حرية وحق حسان في الرد على الشاعرين، تقديرا له ولشاعريته ، وعمر يعلم أن دور الشعر « بعد فتح مكة والطائف، وقهر قريش، أنهى الإسلام مهمته الحربية مبدئيا، وانتهى دور الشعر الهجائي... فقريش عدو الأمس، قد أصبح بعضا من المسلمين، ولم يعد من الجائز أن يثير الشعر الضغائن والأحقاد التي عفا عليها الإسلام »².

ولهذا أشم في موقف عمر تحذيرا للشعراء من مغبة الظلم، فعلى الشعراء إنزال الناس منازلهم، وليس معنى هذا أن عمر يشجع حرية الإبداع في كل اتجاه ، لكنه قد أخذ الحق لحسان من شاعري مكة، اللذان يعدان في نظره ظالمين ، إذ لم يسمعا لحسان نكاية فيه ، وما إعادة عمر للشاعرين وإظهار موقفه منهما أمام الملاء إلا ليعلما أن في دولته يمنع الظلم، ويتساوى فيها جميع الناس بما في ذلك الشعراء في الحق والعدل والحرية والإبداع، و« كان عمر يقول: واحدة بأخرى والبادئ أظلم »³.

1- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج 1، ص ص 243- 244 .

2- فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 87 .

إن إصرار الخليفة عمر على امتثال الشعراء الثلاثة في حضرته ومواجهتهم، إلا دليلاً قاطعاً على ما تحمل ميولاته - كما قال عبد الله حمادي :- من « دلالة قاطعة على امتثال عمر لغريزة الشعر المشربة بحب التحرر والرغبة في التشفي والتشهّي، في ركوب القول أو الفعل الشعري »¹ المبدّع .

وهكذا وبعد أن تبين الأمر للخليفة عمر، وسمع في مجلسه ما سمع من شعر حسان في الرد على ابن الزبيرى وضرار، واطمأن حسان لعدالته، اتضح لعمر أن بعض رواسب الماضي مازالت عالقة في أذهان بعض الشعراء، كالذي علق في فكر ابن الزبيرى وضرار بن الخطاب ، والذي يعكسه قولهما لأبي أحمد ابن جحش: " أتيناك لترسل إلى حسان بن ثابت فنناشده ونذاكره ، فإنه كان يقول في الإسلام ويقول في الكفر". لذا « قال عمر: إني قد نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دفعاً للضعائن عنكم، وبث القبيح فيما بينكم، فأما إذا أبوا فاكذبوه واحتفظوا به، فدونوا ذلك عندهم، قال خالد بن محمد : فأدركته والله وإن الأنصار لتجدده عندها إذا خافت بلاه »².

إن حرص الخليفة عمر على تدوين الشعر يكشف ويدل دلالة قاطعة - كما قال عبد الله حمادي:- « على إقرار بالليونية من قبل عمر أمام إرادة الشعر الممعة في ركوب التحرر، والتي لم تتشرب كما ينبغي قيم الدعوة الإسلامية »³.

وبعد ، فما هو مصير الشعر في دولة الخليفة عمر بعد حادثة ابن الزبيرى وضرار بن الخطاب مع

حسان بن ثابت ؟

بكل تأكيد إن الخليفة عمر كان مدركاً بأن دواعي المواجهات الشعرية دينياً وسياسياً قد ولت ، وأن من كان عدو الإسلام بالأمس قد أصبح ينعم في حياته آمناً مسلماً ، وأن الدولة الإسلامية قد أرسّت أركانها، ولكنه كان على وعي كبير بأن الشعر هو هواء يتنفسه الشعراء، ويعلم بأن سيولة الشعر على ألسنة الشعراء لن تتوقف على ما عودها عليه الشعراء، ولكن أمر الشعراء لم يكن يوليه الخليفة عمر اهتماماً كبيراً في دولته، لعلمه بأن الشعراء أدركوا بأن الخلفاء لا يتوانون في لي ألسنة الشعراء، الذين يواجهون الخليفة أو أمر الدولة الجديدة ، وقد عرف هذا الأمر أثناء حرب الردة، التي واجه فيها الخليفة

1- عبد الله حمادي : الشعرية العربية بين الإتياع والابتداع دراسات نقدية، ط1، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، 2002م، ص75.

2- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، (دار الكتب) ، ج 4 ، ص 141 .

أبو بكر كل المرتدين بما في ذلك الشعراء المهجائين .

ومع حزم الخليفة عمر في مواجهة شعر الهجاء، إلا أن الخطيئة حاول أن يسلك بالشعر مسلكا أفشى من خلاله في المجتمع مذهباً شعرياً يتعارض مع المبدأ الإسلامي ونظرة عمر، لذا اتخذ منه موقفاً .

3- موقف الخليفة عمر من الخطيئة (ت نحو 59هـ 678 م) وشعره :

وأما موقف الخليفة عمر من شعر الهجاء وشعرائه ، فموقف سلبي، وقد روت بعض مصادر النقد عن موقفه نصوصاً، فقال ابن رشيقي: « كان عمر بن الخطاب π عالم بالشعر، قليل التعرض لأهله، استدعاه رهط ابن أبي [بن]مقبل على النجاشي لما هجاه، فأسلم النظر في أمرهم لحسان بن ثابت فرار من التعرض لأحدهما، فلما حكم حسان أنفذ عمر حكمه على النجاشي كالمقلد من جهة الصناعة، ولم يكن حسان - على علمه بالشعر - أبصر من عمر بوجه الحكم وإن اعتل فيه بما اعتل¹ .

وفي الموقف نفسه وقف عمر ضد الخطيئة، فقال ابن رشيقي: « وكذلك صنع في هجاء الخطيئة للزريقان بن بدر، سأل حسان ثم قضى على الخطيئة بالسجن، وقيل: بل سجنه لموافقته إياه، وقوله: إن لكل مقام مقال، فقال له: أتهددني؟ امضوا به إلى السجن، فسجنه في حفرة من الأرض² .

والواضح أن موقف الخليفة عمر من الخطيئة ومن هجائه موقف سلبي، لأنه وجد في شعره ما يتعارض مع القيم الإسلامية العليا، كما وجد معانيه ابتزازية وأقرب إلى الهجاء الجاهلي، لذلك « لم يجد عمر غضاضة في توجيه تهديدات مباشرة له وصلت إلى حد إلقاءه في السجن، ولقد اشتهر الخطيئة من بين ما اشتهر به بالهجاء الذي لم يسلم منه معظم الذين ارتبط بهم - أو ارتبط به-، حتى وصلت به هستريا الهجاء إلى أن يهجو نفسه ، واستمر في عهد عمر يوزع هجائه على كل من اعترض طريقه أو لمس فيه سلوكاً لم يرتضه ، ومن أشهر مهجويه في هذا العهد الزريقان بن بدر³ .

وعن مذهب الخطيئة الشعري « فهو ليس كغيره من الشعراء الذين تسندهم قبائلهم ، فقد كان قريباً في مسلكه بين المجان والخلعاء والصعاليك الذين نغموا من المجتمع، وقيل: إنه خالطهم، وإن لم يكن مثلهم تماماً. واتجه في شعره إلى مذهب زهير فكان ممن يسمون في حياة النقد بعبيد الشعر،

1- ابن رشيقي : لعمدة ، ج1، ص66.

2- المصدر نفسه ، ج1 ، ص 66 .

3- عبد العزيز حسوس : نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 63 .

فيهتمون بكل مكوناته من عناصر الشكل والمضمون... وتميز الخطيئة في المدح والمجاء، وهما غرضان متصلان ببعضهما لدواعي البيئة العربية ذات التوجه القبلي، فمدح شخص يعتبر هجاء - ولو غير مباشر - لخصومه، وأقرب أنموذج لذلك ما قاله في مدح بغيض بن عامر من بني (أنف الناقة) ذلك اللقب الذي كان يعد سبة وعيباً ثم أضحى بشعر الخطيئة عزة وفخراً، وانحرف لسانه إلى التعريض بالزيرقان بن بدر (شاعر) والذي عمل بجمع الصدقات من قومه في عهد عمر بن الخطاب¹.

وعن هجاء الخطيئة للناس والزيرقان بن بدر يقول طه حسين: «ولكثرة هجائه الناس وكثرة إطلاقه لسانه فيهم بالسوء كرهه قوم وأحبه آخرون، أو قل تحاماه الناس من جهة، وازدحموا عليه من جهة أخرى: تحاموه إشفاقاً من لسانه، وازدحموا عليه يستعينون به على خصومهم ومنافسيهم، وهذا يفسر قصته مع الزيرقان بن بدر الذي أراد أن يختص بالخطيئة، فأجاره ليستعين به على بني عمه آل شماس. فما زال هؤلاء به حتى حولوه إليهم، في قصة طويلة لا تخلو من التكلف والنحل، فتحول وأخذ في هجاء الزيرقان ورهطه، حتى رفع أمره إلى السلطان، فحبسه عمر ثم عفا عنه، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم»².

وعن هذا الموقف الهجائي للزيرقان يقول ابن قتيبة: «كان الخطيئة جاور الزيرقان بن بدر [ت45هـ] فلم يحمده جواره، فتحول عنه إلى بغيض فأكرم جواره، فقال يهجو الزيرقان و يمدح بغيضاً* : [البسيط]

1- السيد محمد الديب: أطوار الأدب العربي في العصر الإسلامي، ط 1، القاهرة، أبان للكمبيوتر والطباعة، المكتبة الأزهرية للتراث، 1419هـ، 1999م، ص 48.

2- طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص ص 294-295.

*وقام أبيات القصيدة السنية التي حبس فيها هي:

والله ما معشر لاموا امرأ جنباً	في آل لأي بن شماس بأكياس
ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً	ذا حاجة عاش في مستوغر شماس
لقد مدحتكم لو أن درتكم	وما يجيء بما مسحى وإساسي
وقد مدحتكم عمدا لأرشدكم	كيما يكون لكم منحنى وإمراسي
لأما بدا لي منكم غيب أنفسكم	لم يكن لجراحي فيكم آسي
أزمنت بأسا مريعا من نوالكم	ولن ترى طاردا للحر كاليلاس
جارا لقوم أطلوا هون منزله	وغادروه مقيما بين أرماس
ملوا قراه وهرت كلابهم	وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترج لبغيثها	واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

مَا كَانَ ذَنْبٌ بَغِيضٌ أَنْ رَأَى رَجُلًا ذَا حَاجَةٍ عَاشَ فِي مُسْتَوْعِرٍ شَاسٍ
جَارًا لِقَوْمٍ أَطَالُوا هَوْنَ مَنْزِلِهِ وَغَادِرُوهُ مُقِيمًا بَيْنَ أَرْمَاسٍ
مَلُّوا قِرَاءَهُ وَهَرَّتْ كِلَابُهُمْ وَجَرَحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسٍ
دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِغِيَّتِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

فاستعدى عليه الزبيران عمر بن الخطاب ، وأنشده آخر الأبيات، فقال له عمر: ما أعلمه هجاءك، أما ترضي أن تكون طاعما كاسيا (قال: إنه لا يكون في الهجاء أشد من هذا)، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فسأله عن ذلك ، فقال: لم يهجه ولكن سلح عليه ، فحبسه عمر وقال: لأشغلنك يا حبيث عن أعراض المسلمين، فقال وهو محبوس :

[البسيط]

مَاذَا أَرَدْتَ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرِيحٍ حُمِرَ الْحَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرٌ*
أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مَظْلَمَةٍ فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عُمَرُ

فرق له عمر وخلقى سبيله، وأخذ عليه ألا يهجو أحدا من المسلمين»¹.

وفي رواية ابن سلام: « قال عمر لحسان: ما تقول ؟ أهجاه ؟ وعمر يعلم من ذلك ما يعلم حسان، ولكنه أراد الحجة على الخطيئة ، قال ذرق عليه»².

وهكذا فمن الجلي الواضح أن الخطيئة في هذه الأبيات « قد بدأ يُعْرَضُ بالزبيران في مس خفيف، ثم انعطف إلى هجائه به في أسلوب غير مقذع ، ينطوي على كثير من المكر والخبث الذي يمكن أن لا

= من يفعل الخير لا يعدم جواره
ما كان ذنبي إن فلت معا ولكم
قد ناضلوك فسلوا من كنائهم
- نقلا عن: طه حسين : في الأدب الجاهلي ، ص ص 296-297 .

*البت الأول في رواية ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 5 ، ص 293 . جاء فيه تغيير طفيف في الشطرين، وتام الأبيات :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرِيحٍ زَغَبَ الْحَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرٍ
فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عُمَرُ أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مَظْلَمَةٍ
أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْقَى إِلَيْكَ مَفَالِيدَ النَّهْيِ الْبَشَرِ
مَا أَتْرُوكُ بِمَا إِذْ قَدَمُوكَ لَهَا لَكِنْ لِأَنْفُسِهِمْ كَانَتْ بِمَا الْإِثْرُ

1- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ص 207-208 .

يقع بسببه تحت طائلة العقوبة»¹.

وعن هذا اللون الهجائي يقول ابن رشيق في حديثه عن "أبلغ الهجاء"، «قال خلف الأحمر: أشد الهجاء أعنفه وأصدق، وقال مرة أخرى: ما عفا لفظه وصدق معناه، ومن كلام صاحب الوساطة: فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج الهزل والتهاوت، وما اعترض بين التصريح والتعريض، وما قربت معانيه، وسهل حفظه، وأسرع عُلوُّه بالقلب ولصوقه بالنفس، فأما القذف والإفحاش فسباب محض، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن»². وهي الرؤية النقدية التي أدركها حسان وبننا عليها حكمه على شعر الحطيئة، في قوله: "سلح عليه".

ولكن السؤال الذي يمكن طرحه، هو: ما هي الخلفية الاجتماعية والدينية والأدبية التي جعلت الزيرقان بن بدر يقف موقفا سلبيا من هجاء الحطيئة له ولم يرد عليه؟

هل القرابة التي تجمع بين الزيرقان والحطيئة هي التي منعت الزيرقان من مواجهة الحطيئة؟

وما هو الهدف من استعداد الزيرقان بن بدر الخليفة عمر على الحطيئة؟

للإجابة عن كل هذه الأسئلة، يمكن طرح فرضية أن السبب الجوهرى الذي منع الزيرقان من الرد على الحطيئة، هو شرف صحبته للرسول ρ التي حرم منها الحطيئة، ويضاف إلى ذلك منزلة الزيرقان بين أهله، فهو من سادة بني تميم، وبالتالي فالزيرقان وقف من الحطيئة موقفا سلبيا دينيا واجتماعيا، ولم يقف منه موقفا أدبيا، لأنه كان بإمكانه أن يرد عليه، لكن الزيرقان لم يرد عليه ولم يواجهه، وأراد أن يبين الفرق الجوهرى بينهما في المنزلة الدينية والاجتماعية، من خلال استعداد الخليفة عمر عليه، وقد حاول الزيرقان تقريب صورة شخصية الحطيئة المعقدة أكثر فأكثر من ذهن الخليفة عمر، ويُسهّل له مهمة النظر في هجائه، ويقتص له منه، ومن دون شك فإن الزيرقان أعلم الناس بصحة قوة إسلام الحطيئة من ضعفه، ولعل تعليق ابن رشيق على هجاء الحطيئة للزيرقان، وموقف الزيرقان منه أبلغ صورة في الفرق بين الرجلين، فقال في "باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة الناس غير الأكفاء": «منهم الزيرقان ابن بدر: لما هجاه المخبل السعدي جاوبه بعتاب، لأنه رآه أهلا لذلك من أجل شرف بيته وجلالته في نفسه، فلما هجاه الحطيئة لم يره مكانا للجواب، على أنه ابن عمه وجاره في النسب لأنهما

1- السيد محمد الديب : أطوار الأدب العربي في العصر الإسلامي، ص ص 52- 53 .

2- ابن رشيقي : العمدة ، ج2، ص 149 .

جميعاً من مضر، بل استعدى عليه عمر τ فأنصفه»¹.

ولكن ماهي الطريقة التي أنصف بها الخليفة عمر الزبيران ؟

لقد أبدى الخليفة عمر محاولة من تخفيف وطأة الهجاء على الزبيران بقوله : " ما أعلمه هجاءك " أي أنه « لا يرى فيه بأساً أو أنه مجرد عتاب خفيف لا يصل إلى السباب والهجو بينما اعتبر الزبيران البيت أقسى وأشد ما هجي به »². فقال الزبيران: " إنه لا يكون في الهجاء أشد من هذا " .

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِئُغَيِّبَهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

لأن « الزبيران فهم ما رمي به من خمول وتفاهة وضعف الخيلة، وأن أقصى ما يطمح فيه أن يكون أكلا كاسيا دون أن يصل إلى العزة والسيادة »³. وهذا اللون الهجائي يعد من الهجاء النفسي الذي اتكأ فيه الخطيئة على مس الفضائل النفسية لدى المهجو، وهو الهجاء الذي أجاده فيه الخطيئة، ونجح فيه إلى حد بعيد، وكما قال ابن رشيقي: « وأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض »⁴. وهذه هي الطريقة التي آلمت وتألم له الزبيران .

ولهذا فما كان من عمر إلا أن استفتى أهل الاختصاص لأجل إرضاء الزبيران، فاستدعى حسان ابن ثابت، لأنه عرف نقد الشعر الجاهلي في سوق عكاظ مع الناقد النابغة الذبياني، فوجه إليه سؤال الناقد المحترف، المتمثل في قول عمر: " ما تقول ؟ أهجاه ؟ "، فالخليفة « تساءل ببراعة نقدية متميزة، إن كان لقول الخطيئة تجريح آخر، وللاستيثاق من هذا الخاطر الذي يتقرر به لون العقاب، استأنس برأي أصحاب الخبرة، سأل حسان...مقرراً بذلك مبدأ هاماً من مبادئ النقد الأدبي، وهو احترام النقد الموضوعي الصادر عن متخصصين ، ولما أكد ما في قول الخطيئة من لذع وإيلام كان القصاص »⁵.

وعلى هذا الأساس ترتب في النص حكيمين: أولهما: حكم نقدي فني بمعياره حسان، وثانيهما: حكم فقهي قضى بمعياره الخلفي الخليفة عمر، بناه على حكم حسان، لأن الشاعر لم يلتزم حدود أخلاق المسلم مع الناس، وبالتالي فمن خلال المعيارين: الفقهي والنقدي، قضى عمر بسجن

1- ابن رشيقي : العمدة ، ج1، ص 93.

2- السيد محمد الديب : أطوار الأدب العربي في العصر الإسلامي ، ص 54 .

3- المرجع نفسه ، ص 54 .

4- ابن رشيقي : العمدة ، ج2، ص 152 .

5- وليد قصاب : شخصيات إسلامية في الأدب والنقد، ص 31 .

المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء

الباب الثالث

الخطيئة، لأنه رآه قد خرج على ما رسمه الإسلام من حدود للأخلاق الدينية السامية للمجتمع، التي تنهي عن السخرية وأذى الناس، وتؤكد له بأن الخطيئة قد مس الزبرقان في شعوره وكبريائه .

والواضح أن الخطيئة في هجائه للزبرقان قد سلك مسلك النابغة الذبياني في هجائه لعامر*

ابن الطفيل (ت10هـ 631م) الذي هجا النابغة قائلاً :

[الوافر]

ألا من مبلّغ عويمر عني زيادٍ فإنّ مظنة الجهل الشّبَابُ
فإنّك سوفَ تحلم ، أو تناهي ، إذا ما شِبت ، أو شَابَ العُرَابُ¹ .

[الوافر]

فأجابه النابغة هاجيا قائلاً له:

فإنّ يكُ عامراً قد قالَ جهلاً فإنّ مظنةَ الجهلِ الشّبَابُ
ولاً تذهبْ بحلمك ، طامياتُ من الخيلاءِ ، ليسَ لهنَّ بَابُ
فإنّك سوفَ تحلم ، أو تناهي ، إذا ما شِبت ، أو شَابَ العُرَابُ² .

وكما هو واضح فهجاء النابغة لعامر قاسياً، إذ رماه بالجهل والصبي والسفه والصغر، وقد أغضب

هذا الهجاء عامراً لأنه زعيم قومه، فكان هذا أسلوب الخطيئة في هجائه لمن رغب عنه .

وهكذا يكون الخطيئة قد أخذ بطرني : أسلوب النابغة في الهجاء ، وأسلوب زهير في المدح .

لكن ، لماذا تأثر الخليفة عمر لبكاء الخطيئة وقبّل استعطافه بعد أن تأكد أنه مذنب ؟

هل ثمة دافع أساسي دفع الخليفة عمر إلى أن يعفو عن الخطيئة ؟ أو ليشترى منه ذمم الناس ؟

أم أنه كان لكلمة الشعر التي دفعت الخليفة عمر إلى اللين سلطانها وأثرها العميق في نفسيته ؟

الواضح أن عمر بن الخطاب يرى من خلال موقع مسؤولياته على الرعية، من الواجب عليه حماية

أعراض الناس وأنفسهم وأموالهم، ولكنه وجد نفسه أمام ظاهرة شعرية متمردة على المجتمع والسلطة،

* «عمر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري ، وهو ابن عم لبيد الشاعر ، وكان فارس قيس، وكان أعور عقيماً لا يولد له ولم يعقب..

وكان عامر أتى النبي P، فقال له: تجعل لي نصف ثمار المدينة وتجعلني ولي الأمر بعدك وأسلم، فقال النبي P اللهم أكفني عامراً واهد بني عامر،

فانصرف وهو يقول: لأملأها عليك خيلاً جرداً ورجلاً مرداً ولأرطن بكل نخلة فرساً، فظعن في طريقه فمات وهو يقول: غدة كغدة البعير وموت

في بيت سلولوية ، ويكنى أبا علي ، وهو الذي نافر علقمة بن عثالة إلى هرم بن قطبة الفزاري حين أهدى عمه عامر بن مالك ملاعب الأسنة » .

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 212 - 213 .

1- عامر بن الطفيل: الديوان ، رواية : أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، بيروت ، دار صادر ، 1399هـ

فالحطيئة ارتد* في عهد أبي بكر، وهذا يعني أن تمرده على الدين والسلطان قديم، واحترف المدح والهجاء ومال بهما إلى التكسب، ووجد في مقدرته الفنية أنه يهجو فيؤلم المهجوين، ويمدح فيأسر ويرضي فيجزل له العطاء، فاتخذ ذلك مسلكا احترافيا في حياته مع المجتمع، ومن دون شك أن الخليفة عمر ٢، فكر بعمق في مسألة الحطيئة، فوجد ما أسهل الأمر له أن يعاقب الشاعر ويسجنه ثم يلين ويتراجع ويعفو عنه ! وما أصعب عليه أن لا يترك للشعر حرته ! فلأجل الشعر الذي يؤمن عمر بفاعليته ودوره - والذي خاطب لأجله أبا موسى الأشعري قائلا: « مُر من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق ، وصواب الرأي ، ومعرفة الأنساب »¹، - عفى عن الحطيئة .

لكن، هل رق عمر في موقفه ولان وتساهل مع الحطيئة لأنه استعطفه وسمعته حال أولاده ؟ أم أن الحطيئة طلب العفو من عمر ليبين أن حبه للمال دفعه إلى المدح والهجاء لكسب قوت عياله ؟ هنا يمكن القول بتغليب الرأي الثاني، لأن الحطيئة نشأ في بيئة زهير وابنه كعب وهي بيئة شعر المدح، لهذا فإن الحطيئة كما قال وهب رومية: « قد أسرف هذا الشاعر في المدح إسرافا غريبا، وألحف في السؤال والاستجداء وغالى، فبرزت قصيدة المدح في ديوانه بروزا شديدا حتى أوشكت أن تجعل منه ديوانا في المديح قبل كل شيء، أو جعلت منه ذلك حقا، فهي اللون الشعري الصارخ في هذا الديوان، بل نحن لا نغالي إذا قلنا: إن الحطيئة قد ذهب وحده بنصف ما عرفته فترة صدر الإسلام من قصائد المدح ومقطعاته، في البادية والمدن على حد سواء ! فقد أحصينا ما في ديوانه من هذه المدائح فبلغت ما يقرب خمسين مدحة بين قصيدة ومقطوعة »².

معنى هذا أن الحطيئة تعلق ببدويته وأهتم بقضايا تقاليده المدحية الجاهلية ، ولم يهتم بالإسلام مما يؤكد ضعف إسلامه، وعدم معرفته بمعايير القصيدة المدحية الصحابية، التي اختصت بمدح الرسول ρ

* يقول ابن قتيبة: « ولا أراه أسلم إلا بعد وفاة الرسول ρ لأنني لم أسمع له بذكر في من وفد عليه من وفود العرب إلا أنني وجدته يقول في أول خلافة أبي بكر ٢ حين ارتدت العرب :

أطعنا رسول الله إذ كان حاضرا فيا لهفتي ما بال دين أبي بكر
أبورثها بكرا إذا مات بعده فتلك وبيت الله قاصمة الظهر

وقد يجوز أن يكون أراد بقوله : أطعنا رسول الله ، قومه أو العرب . وكيف ما كان فإنه كان رقيق الإسلام لئيم الطبع .

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 203 .

1- ابن رشيقي : العمدة ، ج 1 ، ص 24 .

2- وهب رومية : بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح ، نموذجاً) ، ص ص 224- 225 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

وصحابتة .

ومن جانب آخر فكما عرف الحطيئة المدح عرف الهجاء، وعرف مبلغ أثرهما في المجتمع وفي التكسب، لهذا مال الحطيئة إليهما معا، و- كما يقول السيد محمد الديب- « إذا كان قد أجاد في المدح والهجا فلأنهما مرتبطان ببعضهما تماما، وبنى كسبه عليهما، وإذا كان هذا المنزاع معييا في الشعر لما يتمخض عليه من كذب العاطفة فإننا نقول: إن غرام الحطيئة بالمال كان الموجه والمقود لسفينة شعره، ولم يلجأ إلى المبالغة الممقوتة التي تكشف عن بعض الزيف وتصير كالنكتة السخيفة الممجوجة، فقد كان لا يكذب فيما يقول حسب رأيه، وهو إدخال عاطفته في دائرة الصدق والعمق، وهو ذو تجربة كبيرة يحشد فيها ألفاظه المصقولة ومعانيه وصوره وأخيلته المستوحاة من البيئة»¹.

أما من جهة قبول الخليفة عمر بن الخطاب استعطاف واعتذار الحطيئة، فذلك لأن عمر يمثل عصرا جديدا وسلطة إسلامية، والحطيئة ليس أول شاعر يعتذر في الإسلام ويُعفى عنه. ورغم ثقافة عمر ومعرفته بالحدود التي ينبغي للشعراء أن لا يتجاوزوها، إلا أنه تساهل ولان مع الحطيئة وقبل استعطافه، لأنه استعطفه بصفته خليفة للمسلمين، وقد عبر الحطيئة في استعطافه له بحس إسلامي رفيع، يتضمن اعترافا بالذنب في قوله: " فاغفر عليك سلام الله يا عمر "، وبهذا يكون الخليفة عمر قد امتثل لمنهج الرسول P، الذي كان يقبل اعتذار واستعطاف الشعراء له ويعفو عنهم، كما فعل مع كعب بن زهير وغيره من الشعراء . لهذا فإن عمر كان يهدف بهذا اللين إلى إخراج الشعر من دائرة مديح التكسب، الذي مال إليه الحطيئة من جهة، وكف أذاه عن الناس من الهجاء المبتز من جهة ثانية. ولهذا "اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم". وبالتالي فمن الوجهة الفنية فالمدح عند الحطيئة يعد امتدادا لمدرسة التكسب الجاهلية، "مدرسة زهير"، ولكن « الحطيئة ليس صورة مكررة لزهير أو ابنه، وإن كان المنهج والمنزاع متقاربان في الآراء والشكل وليس في المضمون والغرض»². لأن ميزة مسلك الحطيئة الشعري جديد يجمع بين الترغيب والإرهاب، والهجاء عنده فيه تقليد لأسلوب النابغة الذبياني، لهذا لم يجد مذهبه الشعري دارا يستقر إليها في دولة عمر، حيث كان له بالمرصاد .

ورغم عفو الخليفة عمر عن الحطيئة، يبقى موقفه منه موقفا سلبيا، فقد منعه من المديح والهجاء

على حد سواء، حتى لا يترك له زمام حرية قَوْل ما يشاء من المدح والهجاء لمن يشاء ، باعتباره شاعرا لا يقول الشعر فكاهة أو تواصلا أو صواب رأي، ومنعه حتى لا يتطور تفكيره نحو الهجاء المقذع الذي نهي عنه النبي ﷺ، في قوله: « من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر»¹ .

وعلى أساس هذا الحديث تحديدا، فإنه « لما أطلق عمر بن الخطابؓ، الخطيئة من حبسه إياه... قال له: إياك والهجاء المقذع، قال: وما المقذع يا أمير المؤمنين ؟ قال: المقذع: أن تقول: هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف، وتبني شعرا على مدح لقوم وذم لمن تعاديتهم، فقال: أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم مني بمذاهب الشعر، ولكن حباني هؤلاء فمدحتهم وحرمني هؤلاء فذكرت حرمانهم ولم أنل من أعراضهم شيئا، وصرفت مدحي إلى من أراده ورغبت به عن كرهه وزهد فيه »² .

وأحسب أن الرسول ﷺ، شرع حكم الهجاء المقذع بقطع لسان الشعراء فيه، بعدما وصله هجاء المشركين له وللمسلمين، من طرف الشعراء معارضي الدعوة الإسلامية، كعب بن الأشرف، وهبيرة بن أبي وهب، وعبد الله بن الزبير، وكعب بن زهير وغيرهم من شعراء الشرك الذين أهدر دمهم .

ومن هنا نجد الخليفة عمر يفتح باب الحوار مع الخطيئة ليدله على مفهوم الهجاء المقذع، رغم أن الخطيئة لم يصل بهجائه للزبير بن بدر إلى حد الإقذاع، ولكن عمر وعظه، ولفت انتباهه وأرشدته إلى ما يجمله عن الهجاء المقذع، كي لا يميل إليه، وما استفهام الخطيئة عن المقذع، إلا دليل على جهله بالإقذاع ودلالته ، كما يجمل الموقف الإسلامي من الإقذاع في الشعر .

أما عن رأي الخطيئة في لون هجائه للزبير وغيره من مهجويه فقال: " لم أنل من أعراضهم شيئا"، حقيقة ف « نحن إذا قرأنا أشعاره المختلفة التي عرض فيها للزبير وجدهنا لا يقذع في هجائه . وإنما يمس على نحو ما رأينا في بيته السالف برفق، عامدا إلى التهكم والسخرية، ولا شك في أن الإسلام هو الذي خفف من حدة لسانه »³ .

ومع هذا يبقى هجاء الخطيئة للزبير شديدا ، لأنه كان صادقا فيه ، وصل إلى أبلغ مكن في نفسية الزبير، لأنه اعتمد على الهزل، والهزل في هجاء الخطيئة والتهاوت والتصريح أو التعريض، هو

1- ابن رشيقي : العمدة ، ج2 ، ص 149 .

ما دل على تفسير حكم حسان لدلالة الأبيات قوله: " لم يهجه ولكن سلح عليه "، الأمر الذي يدل على أن الخطيئة وإن لم يقذع ، فإن تهكمه وسخريته من مهجويه كانت أشد إيلاما. وهذه هي النظرة الجديدة التي أشار إليها الخليفة عمر، والتي أدركها من خلال فهمه لميل الخطيئة للهجاء، وتحذيره إياه من الميل إلى الإقذاع، هي - كما قال عبد الله حمادي: - « ميزة الشعر التي لا يدركها إلا ذوي الاختصاص والشعراء أنفسهم . لأن الشعر في جوهره ليس الصياغة المكررة الحقائق، بقدر ما هو الاستلهام المعبر عن التماس الذي يقع بين الرؤية الإبداعية والواقع »¹.

4- موقف الخليفة عمر من النجاشي * الحارثي (ت669م):

أما عن موقف عمر من شاعر الهجاء النجاشي، جاء في الشعر والشعراء أن النجاشي « كنا هجا بني العجلان، فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب τ ، فقال: ما قال فيكم ؟ فأنشدوه: [الطويل]

إذا الله عادى أهل لؤم و رقّة
فعداى بني العجلان رهط ابن مُقْبِلِ

فقال: إنما دعا فإن كان مظلوما استجيب له، وإن كان ظلما لم يستجب له، قالوا: وقد قال أيضا:

قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ
وَلَا يَظْلُمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَزْدَلِ

فقال عمر: ليت آل الخطاب هكذا ، قالوا: وقد قال أيضا:

لَا يَرِيدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً
إِذَا صَدَرَ الْوَرَادُ عَنْ كُلِّ مَنَهْلِ

فقال عمر : ذلك أقل للكاك ، قالوا و قد قال أيضا:

تَعَاْفُ الْكَلَابِ الضَّارِيَاتُ حُومَهُمْ
وَتَأْكُلُ مِنْ كَعْبٍ وَعَوْفٍ وَنَهْشَلِ

فقال عمر: أجن القوم موتاهم فلم يضيعوهم، قالوا: وقد قال أيضا:

وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانُ إِلَّا لِقَبِيلِهِمْ
خَذِ الْعَقْبِ واحلب أيها العبدُ وَأَعَجَلِ

فقال عمر: خير القوم خادمهم (كلنا عبيد الله)، ثم بعث إلى حسان والخطيئة وكان محبوسا عنده، فسألها فقال حسان: مثل قوله في الخطيئة فهدد (عمر) النجاشي، وقال له: إن عدت قطعت لسانك »².

وقد علق ابن رشيقي على موقف عمر، فقال: « وكان عمر τ ، أبصر الناس بما قال النجاشي،

1- عبد الله حمادي : الشعرية العربية بين الإتياع والابتداع ، ص 77 .

2- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 210 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

ولكن أراد أن يدرأ الحدود بالشبهات، فلما قال حسان: ما قال، سجن النجاشي وقيل إنه حده¹. ففي النص تبدو شخصية الخليفة عمر ملهمة، فهو خبير بمسالك الشعر، ومقاصد الشعراء ودروب الهجاء، ولكنه أجرى حواراً متميزاً محكماً، دقيق الدلالات، تتجلى فيه مقدرة عمر الفقهية في تسيير الحوار مع بني العجلان، حول الهجاء الذي صب عليهم من النجاشي الحارثي، للوصول إلى الغرض المقصود من الهجاء، وما مدى مبلغ تأثيره في بني العجلان . ومع ذلك استفتى عمر حسان بن ثابت والحطيئة في لب هجاء النجاشي لبني العجلان، فقال حسان: مثل قوله في الحطيئة "، ورغم أن عمر متيقن من أن النجاشي هجا بني العجلان هجاء مؤلماً، لكنه كلما عرض عليه القوم كلام النجاشي « يقلب للقوم الكلام على وجه آخر، مهدئاً غضبهم، ممتصاً ثائرهم، ثم عكس مرة أخرى احتراماً للنقد الموضوعي الصادر عن متخصص، فاستشار أرباب الصناعة ووجوه الرأي، حتى إذا استبان له الأمر، ورأى أن هجاء النجاشي لم يبلغ مبلغ هجاء الحطيئة، وأن النجاشي لم يعرف بما عرف به الآخر من جشع وافتراء، ونزوع إلى الهجاء، كان عقابه توبيخاً شديداً، وتهديداً عنيفاً، يقطع لسانه إن عاد»². إن تهديد الخليفة عمر للنجاشي بقطع لسانه أو سجنه أوحده، هو نقد عميق للشعر والشاعر معاً، وهو يدل على أن موقفه من شعر الهجاء، موقف سلمي، فالهجاء في دولة الخليفة عمر لا يتماشى مع نظرتة الدينية والسياسية في بناء المجتمع الإسلامي ونشر الاستقرار فيه، ورؤيته الأدبية خاصة .

5- موقف الخليفة عمر من شعر الخمر- ومن أبي محجن* الثقفي (ت 30هـ 650م) :

استمرت رقابة الخليفة عمر للشعر والشعراء، حيث كان على علم بأن كثيراً من الشعراء المخضرمين، مازالوا محافظين على بعض نزواتهم القديمة، إما الهجاء أو شرب الخمر أو التغني بها، لهذا نجد بعض آثار مواقفهم تبين لنا بأنه كان حريصاً كل الحرص في اتخاذه مواقف واضحة، سواء كانت سلباً أو إيجاباً من الشعر والشعراء، في جميع الأغراض والمواضيع الشعرية، ولاسيما شعر الهجاء وشعر الخمر،

1- ابن رشيقي : العمدة ، ج 1 ، ص ص 44 - 45 .

2- وليد قصاب : شخصيات إسلامية في الأدب والنقد ، ص 32 .

* « أبو محجن الثقفي من الشعراء الأبطال في الإسلام ، ولد في الجاهلية وأسلم في التاسعة للهجرة ، وروي عنه أحاديث كثيرة ... لانعرف عت حياتع الكثير » له ديوان .

فإذا كنا قد وجدنا الخليفة عمر لم يتوان في اتخاذه موقفا صارما من الحطيئة والنجاشي، فقد وجدنا له موقفا مماثلا صارما من أبي محجن الثقفي، الذي « كان مولعا بالشراب مشتهرا فيه »¹.

وقد وصل إلى الخليفة شعر أبي محجن الذي يتحدث فيه عن الخمر، و« كان منهمكا فيه، منصرفا إليه . ورغم نزول تحريم الخمر، ظل يشرب . وقد حده عمر بن الخطاب مرات، لكن ذلك لم يردعه، ولم صرفه عن الشراب، ثم نفاه إلى جزيرة حَضَوْضَى قرب البحرين، فهرب من منغاه، ولحق بسعد بن أبي وقاص، وكان يومئذ بالعراق. فعلم عمر بأمره، فكتب لسعد أن يجسه ويقيده. فحبسه في قصره »².

« وكان سعد بن أبي وقاص حبسه فيه، فلما كان يوم القادسية وبلغه ما يفعل المشركون بالمسلمين وهو عند أم ولد لسعد [سلمى] قال:

كَفَى حُزْنًا أَنْ تُطَعَنَ الْخَيْلُ بِالْفَنَّا وَأَتْرَكَ مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيَا
إِذَا قُمْتُ عَنَّا بِي الْحَدِيدُ وَعُغِّلَقْتُ مَغَالِيْقُ مِنْ دُونِي تُصِيْمُ الْمَادِيَا
وَقَدْ كُنْتُ ذَا أَهْلِ كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ فَقَدْ تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا أَحَا لِيَا
هَلُمَّ سِلَاحِي لَا أَبَالِكَ إِنِّي أَرَى الْحَرْبَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا

فقلت له أم ولد* سعد أتجعل لي إن أنا أطلقتك أن ترجع حتى أعيدك في الوثاق؟ قال: نعم . فأطلقته وركب فرسا لسعد بَلْقَاءَ وحمل على المشركين ، فجعل سعد يقول: لولا أن أبا محجن في الوثاق لظننت أنه أبو محجن وأنها فرسي ، وأنكشف المشركون وجاء أبو محجن فأعادته في الوثاق، وأتت سعدا فأخبرته، فأرسل إلى أبي محجن فأطلقه، وقال: والله لا حبستك فيها أبدا، قال: وأنا والله لا أشربها بعد

1- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 276 .

2- أبو محجن الثقفي: الديوان ، ص 5 .

* وقد جاءت القصة في تاريخ الطبري على هذه الرواية : « قالت سلمى : يا أبا محجن ، في أي شيء حبستك هذا الرجل؟ [أي عمر] ، قال : أما والله ما حبستك بجرام أكلته ولا شربته ؛ ولكنني كنت صاحب شراب في الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني ، يبعثه على شفتي أحيانا، فيساء لذلك ثنائي ، ولذلك حبستك ، قلت :

إذا مت فادفني إلى أصل كرمة تروى عظامي بعد موتي عروقتها
ولا تدفني بالفلاة فإنني أخاف إذا ما مت لا أذوقها
وتروي بخر الحص لحددي فلاني أسير لها من بعد ما قد أسوقها

فلما أطلقه سعد ، وقال : اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله ، قال : لا جرم ، والله لا أحيب لساني إلى صفة قبيح أبدا .»

اليوم أبدا»¹.

يبدو في هذا النص النقدي الدرامي موقفين: أولهما: موقف الخليفة عمر، الذي يظهر فيه أنه أقام الحد على أبي محجن الثقفي على ما قاله في الخمر، لأن في نظر عمر أن تغني الشاعر بالخمر والإشادة بها في شعره، يؤكد القيام بالفعل وهو شرب الخمر، لأن- كما قال عبد الله حمادي:- « هذا الفارس الشاعر الذي رفض الرضوخ إلى تعاليم الدين الإسلامي والمثول إلى حدودها نجده يواصل الإدمان على شرب الخمر، ولما ضايقته ملاحظات عمر رد عليه بمقولته المأثورة: "ما لعمر ومالي: لساني للخمر وسيفي للإسلام"، وتعود ثانية إشكالية الانشطار التي وجد لها الرسول الأعظم مخرجا مع أمية بن أبي الصلت، لكن عمر عجز عن إيجاد مثل المخرج الذي أهتم الله به الرسول الأعظم من أجل الغفران للشعر، تكريما وتقديرا لهذه المادة الأثرية، التي تعلقنا بالحكمة وأسرار الغيب»².

لكن، إذا كان الخليفة عمر لم يلهم بما أهتم به الرسول ρ، ليجد مخرجا فنيا لأبي محجن كمخرج ابن أبي الصلت، في قول الرسول ρ: (آمن شعره وكفر قلبه)، إلا أن ابن أبي الصلت في نهاية المطاف كفر شعره وكفر قلبه، فكان على الرسول ρ أن يقف منه ومن شعره ذلك الموقف السليبي، لأنه رجل شاعر كافر حارب النبي الكريم وتغزل بنساء المسلمين، لهذا أهدر دمه، ولكن أبا محجن رجل مسلم، فالخليفة عمر لم يهدد أبا محجن بالقتل أو بقطع لسانه، لأنه لم يؤذي أحدا من الناس، ولم يشكوه أحد إلى الخليفة، بل كان الخليفة عمر ينفذ فيه الحدود الشرعية الخاصة بشرب الخمر، وكان آخر حكم فقهي نفذه فيه هو النفي إلى جزيرة حَضَوْضَى قرب البحرين، الأمر الذي دفع أبا محجن للهروب من منفاه، ومن هنا فموقف عمر كان من الشاعر وليس من الشعر، لأننا نعتقد أن السبب أو الأمر الذي حرك موقف عمر ضد أبا محجن وإقامة الحد عليه، هو أنه كان يتغنى بلذة الشراب، وهذا في حد ذاته تعدي على أحكام الشريعة في تحريم الخمر، وفيه استفزاز وأذى لراعي الشريعة، ويظهر هذا التعدي- كما قال وليد محمود خالص:- في « المعاني التي أوردها الشاعر في شعره مما يخالف الإسلام صراحة، وعمر خير من يعلم سرعة شيوع الشعر وانتشاره، لذلك بادر إلى معاقبته وفق منطق إسلامي»³.

1- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 276 .

2- عبد الله حمادي: أصوات من الأدب الجزائري الحديث، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2000-2001م، ص 334-335 .

3- وليد محمود خالص: النقد الأدبي في كتاب الأغاني، ج 1، ص 7 .

المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء

الباب الثالث

وثانيهما: موقف سعد بن أبي وقاص ، فإنه بعد الذي قاله أبا محجن الثقفي من شعر في وصف الخمر ونفى شربها، وبعد أن تأكد لسعد عدم شرب أبي محجن الخمر، نظر سعد إلى شعر أبي محجن على أنه قول بمعزل عن الفعل، فالشاعر قال شعرا في الخمر ولم يشربها، وعلى ما يبدو فمن خلال مزج الشاعر لإلهامه الشعري الذي يجري على لسانه وإضافته على صورته الخيالية في شرب الخمر، هو الذي أدى إلى كل من يسمع أو يقرأ شعر أبي محجن يتصور أنه مازال يشرب الخمر. ففهم سعد ذلك، وألهم في إيجاد مخرج لأبي محجن فأدرجه في حكم فقهي ثان، ضمه مقرونا إلى الشعراء المتخيلين الذين □ □ □ وبهذا عفا عنه ، وأعطى بذلك سعد حرية مزدوجة للشعر وللشاعر .

وأما قول أبي محجن لسعد : "وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبدا " فهذا اعتراف صريح وإقرار بأنه استمر في شرب الخمر، يناقض نفيه في شرب الخمر في قوله لما : « قالت سلمى : يا أبا محجن ، في أي شيء حبسك هذا الرجل؟ [أي عمر] ، قال: أما والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته؛ ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني ، يبعثه على شفتي أحيانا، فيساء لذلك ثنائي، ولذلك حبسني »¹ . لهذا فإقلاع أبا محجن عن شرب الخمر ، فبكل تأكيد أنه قد أدرك أن موقف الخليفة عمر منه معلل، كما أنه أدرك أن العصر الجاهلي الذي كان فيه كل شيء مباح قد ولى، وهو « في عصر إسلامي تحولت فيه رسالة الشعر، فصارت سمحة لا تعرف الفحش ولا تحب الجهر بالسوء، ولا تألف الخوض فيما حرم الله »² . وهذا من الأسباب التي أدت بالخليفة عمر إلى عدم تساهله معه في تغنيه بالخمر .

موقف الخليفة عمر من شعر التشبيب :

الواضح أن موقف الخليفة عمر من الشعر الذي يؤذي الناس كانت صورته شاملة ، ف« كما كره عمر للشعراء أن يتعرضوا للمسلمين وأعراضهم بالهجاء، كذلك كره لهم أن يتعرضوا لنسائهم وبناتهم بالتشبيب والغزل، فتقدم لهم ألا يشيب أحد بامرأة إلا جلده، مما اضطر حميد بن ثور أن يشيب بسرحة (شجرة) »³ . وهي كناية عن المرأة ، فقال حميد* بن ثور في تشبيهه للمرأة بالسرحة : [الطويل]

1- الطبري : تاريخ الطبري، ج 3، ص 549-550 .

2- صلاح الدين محمد عبد التواب: الشعر في ظلال الإسلام أصالة وتجديد ، ص 214 .

*«حميد بن ثور بن حزن لهلالي العامري ، أبو المثنى . شاعر مخضرم عاش زمنًا في الجاهلية وشهد حينًا مع المشركين ، وأسلم ووفد على النبي ﷺ =
المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء الباب الثالث

وَهَلْ أَنَا إِنْ عَلَلْتُ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ مِنْ السَّرْحِ مَسْدُودٌ عَلَيَّ طَرِيقٌ¹ .

وهذه الرمزية الفنية التي هرب إليها حميد بن ثور الهلالي ووظفها في شعره، تؤكد مبلغ حرص الخليفة عمر حظره على الشعراء ذكر النساء في أشعارهم، وهو ما يبين أن مسألة موقف الخليفة عمر السلمي من الشعر قد شمل كل الأغراض والمعاني التي يحظرها الإسلام .

أقوال الخليفة عمر في الشعر

بالإضافة إلى ما ثبت عن عمر بن الخطاب من مواقف إيجابية من الشعر والشعراء ، رويت أقوال في مصادر الشعر ونقده تنسب إليه ، وكانت على ما يبدو خلاصة تجربته مع الشعر ونقده ، وهذه الأقوال منها ما خاطب بها عامة المسلمين ، ومنها ما خص بها بعض عماله وولاته .

أما ما قاله من أقوال لعامة المسلمين فتظهر فيها نظرته التربوية إلى الشعر ، ومن خلاله إلى تعلم الفصاحة وتهذيب سلوك الفرد ، وتعلمه الحكمة. وفي هذا الصدد قال ابن رشيقي : « وقال الزبير بن بكار : سمعت العمري يقول : « رووا أولادكم الشعر ، فإنه يحل عقدة اللسان ، ويشجع قلب الجبان ، ويطلق يد البخیل ، ويحض على الخلق الجميل »² .

وقال: « أرووا من الشعر أعفاه، ومن الأحاديث أحسنها، ومن النسيب ما تواصلون عليه وتعرفون به، فرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت ، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق ومساوئها »³ .
ففي هذين القولين يوضح عمر فائدة وأهمية رواية الشعر للصغار والكبار ، لأنه عندما ينشأ الطفل في صغره ، ويشب الكبير ، على رواية الشعر فإن كلا منهما يربي على رواية الشعر ، ويتعلم من خلال الرواية الفصاحة ، ويكسب الشجاعة، ويعرف الجودة ، بالإضافة إلى غلبة الخلق الكريم عليه .
ومن أقواله: « قال عمرؓ تعلموا الشعر فإن فيه محاسن تبتغي ومساوئ تتقي، وحكمة للحكماء،

= ومات عقب خلافة عثمان ، وقيل أدرك زمن عبد الملك بن مروان ، وعده الحمصي في الطبقة الرابعة من الإسلاميين . وفي شعره ما كان يتغنى به .
قال الأصبغي : الفصحاء من شعراء العرب في الإسلام أربعة : راعي الإبل النميري ، وتميم بن مقبل العجلاني ، وابن الأحرر الباهلي ، وحميد بن ثور الهلالي من قيس عيلان ، توفي في حدود السبعين للهجرة وقيل إنه أدرك الجاهلية .

- حميد بن ثور الهلالي : الديوان ، إشراف : يوسف نجم ، ط1، بيروت ، لبنان ، دار صادر ، 1995م ، ص 70 .

1- المصدر نفسه ، ص 70 .

2- ابن رشيقي : العمدة ، ج 1 ، ص 25 .

3- القرشي: جمهرة أشعار العرب ، ص 36 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

ويدل على مكارم الأخلاق»¹.

وقال عمر بن الخطاب: «تعلموا من الشعر ما يكون لكم حكماً، ويدل على مكارم الأخلاق»².
ففي هذين القولين دعوة إلى تعلم الشعر لما فيه من محاسن وحكم، وتوجيه إلى المكارم الحميدة .
وقال عمر: « تحفظوا الأشعار ، وطالعوا الأخبار فإن الشعر يدعو إلى مكارم الأخلاق ويعلم محاسن الأعمال، ويبعث على جميل الأفعال، ويفتق الفطنة، وحشد القرحة، ويجدو على ابتناء المناقب، وادخار المكارم، وينهي عن الأخلاق الدنيئة ، ويزجر عن موقعة الريب، ويحض على معالي الرتب »³.

ومن الأقوال التي خص بها عمر ابنه عبد الرحمن ، قال المفضل عن أبيه عن جده قال: « قال عمر لابنه عبد الرحمن: بابني ! أنسب نفسك تصل رحمك ، وأحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك ، فإن من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه ، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقاً، ولم يقترف أدبا »⁴.
فعمر في هذا التوجيه الحكيم لابنه عبد الرحمن، يقرن النسب بصلة الرحم، وقرن حسن الأدب بحفظ محاسن الشعر ، كما قرن عدم معرفة النسب بعدم صلة الرحم ، كما أكد أن فضل حفظ محاسن الشعر تبني شخصية الإنسان ، وتجعل مروءته لا تزيع عن الحق .

وأما الأقوال التي خص بها عماله وولاته فيروى: أن الخليفة عمر كتب إلى أهل الأمصار:
« علموا أولادكم العوم والفروسية ، ورووهم ماسار من المثل، وما حسن من الشعر »⁵.

وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: «مر من قبلك بتعلم الشعر ، فإنه يدل على معالي الأخلاق، الأخلاق، وصواب الرأي ومعرفة الأنساب»⁶.

1- علاء الدين الهندي : كنز العمال ، ج 3 ، ص 855 .

2- نقلا عن : وليد قصاب : النقد العربي القديم نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي ، ص 60 .

- ابن أبي الدنيا: مكارم الأخلاق، تحقيق: جيمز. أ. يلبي، دار فرانز شتاينر، 1973م ، ص 15.

3- نقلا عن : وليد قصاب : النقد العربي القديم نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي ، ص 62

- المظفر العلوي: نظرة الإغريض في نصرة القريض، تحقيق: نهي عارف ، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1393هـ 1976م، ص 357.

4- القرشي : جمهرة أشعار العرب ، ص 35 .

5- نقلا عن : وليد قصاب : النقد العربي القديم نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي ، ص 62.

- ابن عبد البر القرطبي : بحجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق: محمد موسى الخولي، القاهرة ، دار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، 1383هـ

يتجلى في هذه النصوص جميعها، فلسفة الخليفة عمر بن الخطاب الخلقية والتربوية، والفنية ، حول أهمية الشعر وحفظه وروايته، ولهذا فهو يوجه إلى الشعر الذي يهدف إلى توجيه الإنسان إلى كسب قيم فنية وخلقية، يحافظ من خلالها على مركزه الاجتماعي بين ذويه وأقربائه ، وتعد هذه الآراء في جوهرها آراء ورؤى نقدية، مستمدة من خبرة الخليفة عمر مع الشعر والشعراء ، ومما حفظه من شعر وما رواه ، وما سمعه من الشعراء ، وفيها كثير من النصائح والإرشادات والتوجيهات الواعية، التي تعكس تجربته مع نقد الشعر ، وقد دفعه تفكيره إلى ترسيخ قاعدة الاستفادة من الشعر العربي باعتباره ديوان العرب ، أو كما قال: « الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه »¹. فيه علمهم وفيه تاريخهم ولغتهم وآدابهم وبلاغتهم ونسبهم، فيأخذ منه المرء ما يفيد في حياته، ويُعينه على معرفة وفهم قضاياها الدينية والتشريعية .

3- المرتكزات النقدية عند الخليفة عثمان بن عفان (ت35هـ665م) للشعر وشعراء

الحكمة والهجاء والتهمك والاستهتار :

أ - موقف الخليفة عثمان بن عفان من شعر زهير الحكمي :

كان عثمان بن عفان τ مثله مثل باقي الخلفاء يسمع الشعر، ويتذوقه ويعجب به وينقده، فروي عنه: « قال ابن الأعرابي*: قال أبو زياد الكلابي**: أنشد عثمان بن عفان قول زهير: [الطويل]

وَمَهْمًا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تُخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ

فقال: أحسن زهير وصدق، لو أن رجلا دخل بيتا في جوف بيت لتحدث به الناس، قال: وقال النبي ϕ : " لا تعمل عملا تكره أن يتحدث عنك به " ¹.

من خلال هذا الموقف، يعد عثمان بن عفان الخليفة الثاني الذي أعجب بشعر زهير، بعد الخليفة عمر، فقلوه: " أحسن زهير وصدق " ربط فيه حسن معنى البيت الشعري بالصدق، بمعنى أن زهير لو لم يكن صادقا لما أجاد في قوله، وبالتالي فالحكم فيه موازنة لمعنى البيت بتجارب الخليفة عثمان في الحياة، فجعل الجمال والصدق مقياسا للشعر، لكن « الصدق الذي أعجب في بيت زهير يشير إلى أن مقياس عثمان في الحكم على الشعر هو مقياس الصدق في القول ، وهنا يظهر تأثيره كسائر أصحابه برأي الرسول ϕ المستمد من تعاليم الإسلام، والذي حاولوا بمقتضاه أن يتجهوا بالشعر اتجاها إسلاميا بحيث يعبر عن كل ما هو حق وصدق » ².

كما ربط القول بالعمل، فالعمل الحسن مقياسا للسلوك الفكري الحسن، وهكذا جعل الخليفة عثمان القول الحسن والسلوك الحسن مقياسا للمسلم الذي يراقب نفسه في أقواله وأفعاله .

* « أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي... قال أبو العباس ثعلب: شهد مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مائة إنسان، وكان يسأل ويقرأ عليه فيجيب عن غير كتاب، قال: ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتابا قط، ومات بسر من رأى ، وقد جاوز الثمانين ، قال أبو العباس : قد أملى على الناس يحمل على أجمال ولم ير أحد في علم الشعر أغزر منه... قال ثعلب : سمعت ابن الأعرابي سنة خمس وعشرين ومائتين يقول : ولدت في الليلة التي مات فيها أبو حنيفة ومات سنة إحدى و ثلاثين ومائتين (231هـ) وكان عمره إحدى وثمانين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام وذكر له ابن النديم ستة عشر كتابا منها : كتب النوادر ، وكتاب الخيل وكتاب غريب الحديث .

- ابن النديم : الفهرست ، ص 313- 314 .

** « اسمه يزيد بن عبد الله بن الحر ، أعرابي بدوي ، قال دعبل : قدم بغداد أيام المهدي حين أصابت الناس المجاعة ، و نزل قطعة العباس بن محمد وأقام بها أربعين سنة، وبها مات ، وكان شاعرا وهو من بني عامر بن كلاب وله من الكت : كتاب النوادر، كتاب الفرق ، كتاب الإبل، كتاب خلق الإنسان .»

- ابن النديم : الفهرست ، ص 207- 208 .

1- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج 10 ، ص 306 .

2- عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 81 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

ب- موقف الخليفة عثمان من شعراء الهجاء : عبد بني الحسحاس .

لما تولى عثمان بن عفان الخلافة وجد أن الشعر قد عاد إلى الوجدان بقوة، وذلك بجكم أن المسلمين عرب يتنفسون الشعر، ويبدو أن عودة الشعر إلى لغة الخطاب وإلى الوعي العربي بقوة، منذ حرب الردة في عهد أبي بكر، ومنذ عهد عمر بن الخطاب، الذي حض المسلمين على العودة إلى الشعر لفهم القرآن العظيم، وابن عباس الذي كان الشعر بالنسبة إليه معجماً لغوياً أساسياً، يفسر به القرآن العظيم، إلا أنه حظر عليهم الهجاء والمدح والتشبيب .

ومن هنا كان لانتشار الشعر على ألسنة الشعراء أثره السلبي في المجتمع، فمال به بعض الشعراء إلى ما لا يوافق النظرة الإسلامية ولا يرضي الخلفاء، فظهر شعر الهجاء الذي أقلق كل من المهجووين والخلفاء، وكثرت الشكوى من الشعراء الهجائين، وحرار الخلفاء كيف يوقفون ألسنة الشعراء، لهذا ظهر الموقف الصارم للخلفاء من الشعراء الهجائين، سواء بشراء ذمم الناس من ألسنتهم، كما فعل الخليفة عمر مع الخطيئة، أو بتهديدهم وسجنهم أو حدهم، كما نهي الشعراء عن التشبيب بالنساء، ولما أتى الخليفة عثمان سار في مواقفه مع عديد من الشعراء الهجائيين سيرة الخليفة عمر .

ومن مواقف الخليفة عثمان من الشعراء ما روي عنه في موقفه من عبد بني الحسحاس*، حيث « كان عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي اشتراه، وكتب إلى عثمان بن عفان، أني قد اشتريت لك غلاماً حبشياً شاعراً، فكتب إليه عثمان: لا حاجة بنا إليه، فأردده وإنما حظ أهل العبد** الشاعر منه، إن شبع أن يشيب بنسائهم ، وإذا جاع أن يهجوهم ، فرده »¹.

* « اسمه سُحَيْم وكان حبشياً مغلظاً... وكان شاعراً محسناً ، وربما أنشد فيقول : أَحْسَنْتُكَ والله يريد أحسنت... ويقال : سمعه عمر بن الخطاب

[الكامل]

ينشد :

ولقد تحدر من كريمة بَعْضِهِمْ عَزَّقَ على جَنْبِ الفِرَاشِ وطيب

فقال له : إنك مقتول ، فسقوه الخمر ، ثم عرضوا عليه نسوة فلما مرت به التي كان يتهم بما أهوى إليها فقتلوه » .

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ص 263 - 364 .

** وجاء عن هذا الموقف في طبقات الشعراء : « ذكروا عن عثمان بن عفان أنه أتى بعبد من عبيد العرب نافذ فأراد شراءه ، فقيل له : إنه شاعر، فقال: لا حاجة لي به ، إن الشاعر لا حرّم له ، ويقال : إنه عبد بني الحسحاس ، وذلك قبل خلافة عثمان » .

- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج1، ص187 .

1- ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ص 263 .

المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء

الباب الثالث

يبدو واضحا في هذا النص موقفان: أولهما: موقف من الشاعر، حيث تظهر خبرة الخليفة عثمان بسلوكيات الشعراء العبيد، فيرى أنهم لا وفاء ولا عهد ولا مروءة ولا فضائل لهم، وثانيهما: موقف من شعر الهجاء والتشبيب، فالخليفة ينبذ شعر التشبيب والهجاء، فهما الغرضان اللذان يجيد فيهما الشعراء العبيد . فإذا شبع العبد تشبب بنساء سادته، وإن جاع هجا سادته، وموقف الخليفة عثمان موقف خلقي، وهو الذي دفعه لصرف النظر عن هذا الغلام الشاعر، وذلك للحفاظ على نفسه وعرضه . كما « يبدو أن عثمان عبر عن رداءة في أصل العبد الشاعر متجسمة في إلحاق الأذى بأهله في حالي السراء والضراء، وبذلك يجرده من كل الفضائل كما لو كان مجبولا على الرذيلة، فكأن إتيان المحاسن والاعتراف بالجميل من الصفات المتأصلة في الأسياد، وكأنا إتيان المساوي وجحود النعمة صفات متأصلة في العبيد »¹ . وبالتالي فـ « إن موقف عثمان من عبد بني الحسحاس ... يقيم الفرق بين شاعرية الأسياد والعبيد »² .

ج- موقف الخليفة عثمان من زياد بن لبيد البياضي وشعره :

ومن المواقف التي نهي من خلالها عثمان الشعراء عن التعريض بالهجاء، أو التهكم من الناس، أو بذكر ما يمس شعورهم، وذلك لما شكاه له عبيد الله* بن عمر، من أن « رجلا من الأنصار، يقال له: زياد بن لبيد البياضي ، إذا رأى عبيد الله بن عمر قال:

أَلَا يَا عُبَيْدَ اللَّهِ مَالِكَ مَهْرَبٌ
وَلَا مَلَجًا مِنْ ابْنِ أَرْوَى وَلَا خَفَرٌ
أَصَبْتَ دَمًا وَاللَّهِ فِي غَيْرِ حِلِّهِ
حَرَامًا ، وَقَتْلُ الْهَرَمَزَانِ لَهُ خَطَرٌ

1- أحمد الوردني : قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن 13هـ، ج 1 ، ص361 .

2- المرجع نفسه ، ج1 ، ص 326 .

* أما عن موقف عثمان بن عفان من عبيد الله بن عمر بعد قتله جفينة الهرمزان وابنة أبي لؤلؤة ، فقال الطبري : « جلس عثمان إلى جانب المسجد ودعا بعبيد الله بن عمر ، وكان محبوسا في دار سعد بن أبي وقاص ، وهو الذي نزع السيف من يده بعد قتله جفينة الهرمزان وابنة أبي لؤلؤة، وكان يقول: والله لأقتلن رجلا ممن شرك في دم أبي - يعرض بالمهاجرين والأنصار- فقام إليه سعد، فنزع السيف من يده، وجذب شعره حتى أضجعه إلى الأرض ، وحبسه في داره حتى أخرجه عثمان إليه ، قال عثمان : لجماعة من المهاجرين والأنصار ، أشيروا علي في هذا الذي فتن في الإسلام ما فتن ، فقال علي : أرى أن تقتله ، فقال بعض المهاجرين : قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم ، فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعفك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان، إنما كان هذا ولا سلطان لك، قال عثمان: أنا وليهم ، وقد جعلتها فدية . واحتملها في مالي . »

على غير شيء غير أن قال قائلٌ
فقال سَفِيهٌ: والحوادث جَمَّةٌ
وكان سلاحُ العبدِ في جوفِ بيتهِ
يُقَلِّبُهَا والأمرُ بالأمرِ يُعْتَبَرُ
أَتَتَّهَمُونَ الهرمزانَ على عُمَرَ
نَعَمْ أَهْمُهُ قَدْ أَشَارَ وَقَدْ أَمَرَ

قال: فشكا عبيد الله بن عمر إلى عثمان زياد بن لبيد وشعره ، فدعا عثمان زياد بن لبيد،
فنهاه. قال: فأنشأ زياد يقول في عثمان:

[الوافر]

أَبَا عمرو عبيدُ اللهِ رَهْنٌ
فَأِنَّكَ إِنْ غَفَرْتَ الْجَزْمَ عَنْهُ
أَتَعَفُّوْا إِذَا عَفَوْتَ بِغَيْرِ حَقٍّ
فَمَا لَكَ بِالَّذِي تَحْكِي يَدَانِ !
فَلَا تَشْكُكَ بِمَقْتَلِ الْهَرْمَزَانِ
وَأَسْبَابِ الْخَطَا فَرَسَا رِهَانِ

فدعا عثمان زياد بن لبيد فنهاه وشذب به «¹ .

إن فحوى النص يبين موقف الخليفة عثمان السليبي، من الشعر المتعلق بمسألة قتل عبيد الله بن عمر جفينة والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة ، في قتل والده عمر بن الخطاب، ونلاحظ أن زياد بن لبيد البياضي يعرض ويتهمكم بآبَنِ عُمَرَ فِي الْأَبْيَاتِ، وحرص الخليفة عثمان على عدم العفو عليه، وهو الأمر الذي لم يقبله عبيد الله، ولم يقبله كذلك عثمان بن عفان ، وهو ما يبين الموقف السليبي للخليفة من الشاعر .

د- موقف الخليفة عثمان من شعراء التهكم والاستهتار : الوليد بن عقبة بن أبي معيط :

ومن مواقف عثمان بن عفان من شعراء التهكم والاستهتار، موقفه من الوليد بن عقبة بن أبي معيط، حيث « كان السبب في صرف الوليد بن عقبة وولاية سعيد - على ما روي- أن الوليد بن عقبة كان شرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل إلى الصباح، فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضلاً في غلاته، فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح، فصلى بهم أربعاً، وقال: أتريدون أن أزيدكم؟ وقيل: إنه قال في سجوده وقد أطل، " أشرب واسقني " ، فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأول: " ما تزيد لا زادك الله من الخير، والله لا أعجب إلا ممن بعثك إلينا واليا وعلينا أميراً " ، وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفي .

وخطب الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد، فدخل قصره يترنح ، ويتمثل بأبيات لتأبط

شرا:

[الطول]

ولست بَعِيدًا عَنْ مَدَامِ وَقِينَةٍ وَلَا بَصَفًا صَلَدَ عَنِ الْخَيْرِ مَعَزَلٍ
وَلَكِنِّي أُرْوِي مِنَ الْخَمْرِ هَامَتِي وَأَمْشِي أَلْمَلَا بِالسَّاحِبِ الْمَتَسَلِّيلِ¹.

و« روي عن ابن عائشة قال: حدثني أبي قال: لما أحضر عثمان ط الوليد لأهل الكوفة في شرب الخمر، حضر الحطيئة فاستأذن على عثمان وعنده بني أمية متوافرون، فطمعوا أن يأتي الوليد بعذر، فقال:

[الكامل]

شَهَدَ الْحَطِيئَةُ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّهُ أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعُذْرِ
خَلَعُوا عَنَانِكَ إِذْ بَرِيتَ وَلَوْ تَرَكَوا عَنَانِكَ لَمْ تَنْزَلْ تَجْرِي
فَرَأَوْا شَمَائِلَ مَا جَدَ أَنْفٍ يُعْطِي عَلَى الْمَيْسُورِ وَالْعُسْرِ
فَنَزَعَتْ مَكْدُوبًا عَلَيْكَ وَلَمْ تَنْزِعْ إِلَى طَمَعٍ وَفَقْرِ

قال: فسروا بذلك وظنوا أن قد قام بعذره ، فقال رجل من بني عجل يرد على الحطيئة:

نَادَى وَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُهُمْ أَزِيدُكُمْ - ثَمَلًا - وَمَا يَدْرِي
فَأَبُوا أَبَا وَهَبٍ وَلَوْ فَعَلُوا وَصَلَتْ صَلَاتُهُمْ إِلَى الْعَشْرِ
فوجم القوم، فأطرقوا، فأمر عثمان - رضي الله تعالى عنه - فحد².

وفي هذا الموقف قد « نقل الشعر الواقعة، فوصفها فكان سببا في إقامة الحد، فكم حفظ الشعر من حوادث³ ». كما لعب الشعر دورا كبيرا في كشف حقيقة الوليد في مجلس الخليفة عثمان بن عفان فتفطن لجرم الوليد فأقر بجمده، ويروي أن علي بن أبي طالب هو من حده⁴.

وعلق طه حسين على هذه الحادثة قائلا: « فلما عزل الوليد، كان الحطيئة أسرع الناس إلى مدحه ومواساته والثناء عليه، في هذه الأبيات التي عبثت بها الشيعة فيما بعد، فبدلتها تبديلا وصرفتها عن موضعها، وسمع هذه الأبيات، فسترى فيها وفاء الحطيئة للوليد، وسترى فيها أيضا صورة للمثل الأعلى عند الحطيئة للرجل الكريم⁵ ».

1- المسعودي : مروج الذهب ، ج2، ص ص 334- 335 .

2- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج5 ، ص 127 .

3- وليد محمود خالص ، النقد الأدبي في كتاب الأغاني ، ج1 ، (هامش) ص 358 .

شَهَدَ الحَطيئةُ يَومَ يَلقى رَبَّهُ أَنَّ الوليدَ أَحقُّ بِالْعُدْرِ
خَلَعُوا عِنانَكَ إِذْ جَرِيتَ وَلَوْ تَرَكَوا عِنانَكَ لَمْ تَزَلْ تَجْرِي
وَرَأَوْا شَمائِلَ ماجِدٍ مَتَبَّرِعٍ يُعْطِي على المِيسُورِ وَالْعُسرِ
فُنزِعَتْ مَكذُوبًا عَليكَ وَلَمْ تُرُدِّدْ إِلى عَوْرِ وَفُقرٍ¹.

ويؤكد طه حسين خلط رواية الأبيات فقال: « ويقول المفضل الضبي ، فيما يروي ابن السجري، إن من الرواة من يروي هذه الأبيات على نحو آخر، وهو عندي وعندك فيما أذكر، من تجني الشيعة على الحطيئة والوليد أيضا وهذه هي الرواية الأخرى:

شَهَدَ الحَطيئةُ يَومَ يَلقى رَبَّهُ أَنَّ الوليدَ أَحقُّ بِالْعُدْرِ
نَادَى وَقَدْ كَمَلتْ صَلاتُهُمْ أَأزِيدُكُمْ - ثَملاً - وَمَا يَدْرِي
لِيَزِيدَهُمْ خَيراً وَلَوْ فَعَلُوا لَفَرَّنتَ بَيْنَ الشَّفْعِ وَالوْتَرِ
فَأَبُوا أبا وَهَبٍ وَلَوْ فَعَلُوا وَزَادتْ صَلاتُهُمْ إِلى العُسرِ
كَفُّوا عِنانَكَ إِذا جَرِيتَ وَلَوْ خَلُّوا عِنانَكَ لَمْ تَزَلْ تَجْرِي

فليس من شك عندك ولا عندي في أن الرواية الأولى هي الصادقة ، وفي أنها تمثل حزن الحطيئة لما أصاب الوليد ؟ »².

وأيا كانت الروايات مختلفة، فهذا يؤكد صحة جرم الوليد واستهتاره بالقيم والمثل الإسلامية العليا، وصحة موقف الشهود ، وصحة موقف الخليفة عثمان بن عفان من الوليد بن عقبة وصرامته معه .

هـ - موقف الخليفة عثمان من سويد بن أبي كراع .

ومن مواقف الخليفة عثمان التي هدد من خلالها الشعراء الذين هجوا قومهم ، لما : « هجا سويد بن أبي كراع* قومه... فاستعتدوا عليه عثمان بن عفان T ، فأوعده وأخذ عليه ألا

1- طه حسين: حديث الأربعاء ، ج 1 ، ص 135 .

2- المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 135 .

* «هو من عكل جاهلي إسلامي... وهو القائل :

أبيت بأبواب القوافي كأنما أصادي بما سرى من الوحش نزعاً

يعود»¹.

و- موقف الخليفة عثمان من ضابئ بن الحارث البرجمي .

وتذكر المصادر أن عثمان بن عفان كان حازما في موقفه الأدبية وخاصة مع الشعراء المهجائين ، ومن موقفه التي تدل على حزمه اتجاه الشعراء الذين يسيئون القول للناس، ويعتدون على حرمتهم وأعراضهم، ويغلظون لهم القول، ويههبونهم بالشعر، فقد كان لهم بالمرصاد؛ حيث « اتبع عثمان سنة عمر في التشديد على من يسلقون المسلمين بألسنة حداد، وقصته مع ضابئ بن الحارث البرجمي مشهورة ، فقد هجا جماعة من الأنصار هجاء مقذعا أفحش فيه فاستعدوه عليه »².

وذكر ابن قتيبة أن: « ضابئ بن الحارث بن أرطأة من بني غالب بن حنظلة من البراجم ، وكان استعار كلبا من بعض بني جرول بن نهمشل، فطال مكثه عنده فطلبوه فامتنع، فعرضوا له فأخذوه منه ، فغضب ورمى أمهم بالكلب ، واسم الكلب قرحان فقال:

بَحْسَمَ دُونِي وَفَدُ فُرْحَانَ شُقَّةَ تَظَلُّ بِهَا الْوَجْنَاءُ وَهِيَ حَسِيرُ
 فَأَرَدْتُهُمْ كَلْبًا فَرَا حَوْ كَأَمَّا حَبَاهُمْ بَتَا جِ الْمُرْمَانِ أَمِيرُ
 وَقَلَّدْتُهُمْ مَا لَوْ رَمَيْتُ مُتَالِعًا بِهِ وَهُوَ مُعْبَرٌ لَكَادَ يَطِيرُ
 فَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبُلْعُنْ ثُمَامَةَ عَنِّي وَالْأُمُورُ تَدُورُ
 فَأُمُّكُمْ لَا تَتَرَكُوها وَكَلْبُكُمْ فَإِنَّ عُقُوقَ الْوَالِدَاتِ كَبِيرُ
 فَإِنَّكَ كَلْبٌ قَدْ ضَرَبْتَ بِمَا تَرَى سَمِيعٌ بِمَا فَوْقَ الْفَرَاشِ حَبِيرُ
 إِذَا عَنَنْتَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دُخْنَةً يَبِيْتُ لَهَا فَوْقَ الْفَرَاشِ هَرِيرُ

فاستعدوا عليه عثمان بن عفان فحسبه وقال: والله لو أن رسول الله ﷺ، حي لأحسبته نزل

= بعيدة شأوا لا يكاد يردها لها طالب حتى يكل ويطلعها
 إذا خفت أن تروي علي رددتها وراء التراقي خشية أن تطلعها
 وحشمني خوف بن عفان ردها ففتتها حولا جريدا ومرمعا
 وقد كان في نفسي عليها زيادة فلم أر إلا أن أطيع واستمعا
 هبت بغير الآبدات فراجعت طريقا أملته القصاد مهيعا

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 427 .

فيك قرآنا وما رأيت أحدا رمى قوما بكلب قبلك»¹.

وفي رواية ابن سلام: « فاستعدوا عليه عند عثمان. فقال: ويلك ! ما سمعت أحدا رمى امرأة من المسلمين بكلب غيرك ! وإني لأراك لو كنت على عهد رسول الله - صلى الله عليه - لأنزل الله فيك قرآنا، ولو كان أحد قبلي قطع لسان شاعر [في هجاء] لقطعت لسانك . فحبسه في السجن... ولم يزل ضابئ في السجن حتى مات »².

وفي رواية البلاذري: « فاستعدوا عليه عثمان لما قال في أمهم وفيهم، فيقال: إنه أدبه وخلاه، ويقال: بل حبسه وخلاه، فأراد الفتك ففطن له وأخذ فحبس حتى مات في الحبس* »³.

يتضح من النص ان موقف الخليفة من الشاعر موقف سلبي، لأن هجاء الشاعر ورميه قومه بكلب تعد في نظر الخليفة من الكبائر، وذلك لقوله للشاعر: " والله لو أن رسول الله ﷺ، حي لأحسبته نزل فيك قرآنا ". هذا تنظير من الخليفة عثمان بالغ الأهمية في نقد شعر الهجاء ، وعدم قبوله ، لأنه مؤلم لا يقبله أحد من الناس، وقول الخليفة: "وما رأيت أحدا رمى قوما بكلب قبلك " فهذا يدل على معرفته بكل ما قيل في الهجاء ، سواء في الأفراد أو القبائل .

فهذه المواقف كلها تدل على حزم الخليفة عثمان في موقفه السلبي من شعر وشعراء الهجاء ، فإنكاره على الشعراء مسلكتهم الفني، الذي يرى فيه تجريحا للأعراض ومسا خلقيا بالحرمانات ، يؤدي حتما إلى الإيذاء وسوء العلاقة بين الناس، وقد خرج الشعراء بمسلكتهم هذا عن مسلك الهجاء الذي كان يقصد به السؤال ، كما فعل الخطيئة ، بل هو مسلك جديد يقصد به الشعراء السب والشتم والتهمك والاستهتار بالقيم الاجتماعية والمثل العليا للمجتمع والمساس بمشاعر الناس، وقد كانت صرامة الخليفة عثمان في تشدده مع هؤلاء الشعراء امتدادا لصرامة الخليفة عمر من الشعراء الهجائين في عصره .

1- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ص 224 - 225 .

2- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج 1 ، ص 172 وما بعدا .

* وفي رواية البلاذري : أنساب الأشراف ، ج 6، ص 205، قال ضابئ في الحبس:

[الطويل]

هممت ولم أفعل كدت وليتني فعلت فكان المعولات حلائله

4- المرتكزات النقدية للشعر والشعراء عند الخليفة علي بن أبي طالب (23 ق هـ 40 هـ):

أ- الموقف النقدي للخليفة علي بن أبي طالب من شعر امرئ القيس :

أما من حيث نقد الشعر عند علي بن أبي طالب، فإن معياره النقدي هو المفاضل بين الشعراء، قال ابن رشق: « فقد حكى عن علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- أنه قال: لو أن الشعراء ضمهم زمان واحد، ونصبت لهم راية واحدة فجزوا معا علمنا من السابق منهم، وإذا لم يكن فالذي لم يقل لرغبة ولا لرهبة، فقيل: ومن هو ؟ فقال: الكندي، قيل: ولم ؟ قال: لأني رأيته أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة»¹.

وقد روي هذا النص بصورة فيها بعض الاختلاف في اللفظ، فقال ابن رشيقي: قال عبد الكريم: « امرؤ القيس يماني النسب، نزارى الدار والمنشأ وفضله علي بن أبي طالب بأن قال: رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة»².

من خلال هذا النص نرى أن علي بن أبي طالب ثالث النقاد، وثاني الصحابة بعد رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب من حيث الاهتمام بشاعرية امرئ القيس ، فوقفوا عندها وحددوا مواطن إبداعه ، ففي هذا الحكم « يضع الإمام علي -كرم الله وجهه- قيدا مهما لهذا المصطلح وهو الزمان والغاية والمذهب ، فمن خلال تقارب الشعراء يمكن الحكم بعد ذلك أيهم أشعر ، وربما أن الكثرة لا ينطبق عليها هذا فمن الصعب تعميم الحكم على الجميع ، وهي نظرة فاحصة مدققة ، ولعل هذا ينفع في إجراء الموازنة بين شاعرين أو أكثر»³.

ومن خلال الموازنة بين الشعراء « يبدوا الجديد في نظرة علي بن أبي طالب إلى الشعر ، فالتفاضل لا يجري إلا بين الشعراء المعاصرين ، ولا يتم ذلك على وجه الدقة إلا إذا نصبنا لهم راية واحدة ليجروا نحوها، وكأنه يشترط وحدة الموضوع الشعري للمتسابقين من الشعراء، وبذلك يضع للمفاضلة شرطين: المعاصرة ووحدة الموضوع»⁴.

وفي هذا الحكم نجد الخليفة علي « قد تأثر بمنهاج عمر في النقد، فأردف حكمه بأسبابه وحيثياته...فأسباب الحكم التي قضى بها لامرئ القيس على غيره من الشعراء المتقدمين تتمثل في أنه

1- ابن رشيقي : العمدة ، ج 1 ، ص 35.

2- المصدر نفسه ، ج1، ص ص 81-82.

3- وليد محمود خالص: النقد الأدبي في كتاب الأغاني ، ج 2 ، ص 1308.

4- صلاح الدين محمد عبد التواب : الشعر العربي في ظلال الإسلام أصالة وتجدد ، ص 122

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة ، أي أنه أحسنهم التقاطا لجواهر المعاني ، وأسبقهم بديهة ، وابتكارا في طرائق الشعر¹ .

وهكذا يتضح لنا جلليا، فبعد نظرة الرسول (ﷺ) ونظرة عمر وعلي - رضي الله عنهما - تبين أن سبب إجماعهم في حكمهم على تقديم امرئ القيس على الشعراء ، يكمن في إلمامهم بشعره وشعر باقي الشعراء الجاهليين، وبعد أن تم فرزهم لأشعارهم جميعا، تم عقد الموازنة والمفاضلة بينهم في المبنى والصورة الشعرية ، فتبين لهم فضل تقديم امرئ القيس على الشعراء في الإبداع .

ب- الموقف النقدي للخليفة علي بن أبي طالب من شعر أبي محجن الثقفي :

لقد كان عمر وعلي - رضي الله عنهما - كثيرا الاهتمام بالشعراء ، وكثيرا السؤال عن أسباب تقدم الشعراء وتميزهم عن غيرهم، من ذلك ما روي: « كان عمر - رضي الله تعالى عنه - يفضل هذه الأبيات*، ويتهم رأيه فيها فلا يذكر ذلك، إلى أن قال لعلي -كرم الله وجهه - : من أشعر الناس ؟ قال: الذي أحسن الوصف ، وأحكم الرصف ، وقال الحق . قال: ومن هو ؟ قال: أبو محجن في قوله: " لا تسأل الناس عن مالي و كثرته " قال: أيدتني يا أبا الحسن أيدك الله، فمازلت مؤيدا في كل خير... ثم قال له: قد صدق في كل ما ذكر، لولا آفة كانت في دينه من حبه الخمر، وقد تركها أنفا . والأنف من الكرم ، والكرم من الإيمان ، لقوله تعالى: □ □ تن تي تي □ فقال

1- عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 83.

*هذه الأبيات التي أشار إليها هي في قصيدته وهذه :

[البيسط]

وسائلي القوم عن ديني وعن خلقي	لا تسأل الناس عن مالي و كثرته
إذا سما بصر الرعيدة الفارق	قد يعلم الناس أنا من سرائم
وعامل الرمح أرويه من العلق	أعطي السنان غداة الروع نخلته
تنفي المسابير بالأزباد الفهق	وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض
وإن ضلمت شديد الحقد الحق	عغوا الإياسة عما لست نائله
وأكتم السر فيه درية العنق	وأكشف المكروب غمته
وقد يتوب السوامة العاجز الحقم	قد يقتز المرء يوما وهو ذو حسب
ويكتس العول بعد الجذب بالورق	قد يكثر المال يوما بعد قلته
وقد أكر وراء الحجر البرق	وقد أجود وما مالي بذني فنع

عمر T: يأبي الله يا بني هاشم إلا أن يسودكم في الدين والدنيا «¹.

يتجلى من خلال المحاور النقدية الفنية النبيلة في النص، خَلْفِيَة حكم الخليفة عمر على أبي محجن من خلال سؤال الناقد " من أشعر الناس ؟ " بتفضيله لقصيدته ، التي أفاضت إعجابه بها، رغم أنه وقف من أبي محجن موقفا سلبيا من قصيدته أو قصائده الخمرية ، ثم نرى حكم علي بن أبي طالب على شاعرية أبي محجن المعلل، لأنه عند إجابته عن سؤال الخليفة عمر، وضع بُعْدَ نظره من خلال الموازنة بين أبي محجن والشعراء ، وأبرز أن أبا محجن هو **أشعر الناس**، وجعل معيار تقديم وتفضيل شاعرية أبي محجن هو: إجادته للوصف ، وبنائه الفني المحكم للشعر، والصدق فيه .

وقد عبر علي بن أبي طالب عن أسباب تقديمه وتفضيله لأبي محجن على الشعراء بأفعال التفضيل: **أحسنَ ، وأحكَمَ ،** التي بين من خالهما حكمه على شعر أبي محجن، وهي تدل على دقة أبي محجن في صناعته الشعرية، وهما معياران فنيان، بالإضافة إلى قوله الحق، وهو معيار خلقي، استنتج علي بن أبي طالب هذه المعايير من خلال قراءته لشعر أبي محجن الثقفي، ويظهر أن هذا الحكم تطبيقي إذ استخلص هذه المعايير من قراءته لقصيدته التي يقول فيها: " **لا تسأل الناس عن مالي وكثرته** " فعلي T يرى أن أبا محجن قد أحسن في وصف مبادئه، ومكارمه الخلقية وصفا دقيقا جميلا ، بالإضافة إلى أن بناءه الفكري والفني في القصيدة محكم، وذلك لإتقانه صناعة الشعر، ثم إن أبا محجن كان صادقا في أفكار ومعاني القصيدة ، وذلك أن ما قاله يتماشى مع سلوكياته وأخلاقه ، فكان بذلك أكثر واقعية قولاً وعملاً ، وهذه المعايير جديدة ، في عصر الصحابة ، حيث لم نر شاعراً وُصف شعره بها قبله ، كما أن الحكم على هذه القصيدة جاء بعيداً عن التعميم ، والقصيدة المشار إليها عُدت على أنها من عيون الشعر العربي الإسلامي، وهذا حسب إشارة الشعبي في قوله: « فلم يكن في الحي فتى لا يحفظ هذه الأبيات فتعد له مروءة »².

الفصل الثاني

المرتكزات النقدية للشعر والشعراء عند الصحابة
غير الخلفاء

1- عند معاوية بن أبي سفيان

2- عند عبد الله بن عباس

3- عند عبد الله بن عمر

المرتكزات النقدية للشعر والشعراء عند الصحابة الشعراء

1 - عند عثمان بن مظعون

2- عند حسان بن ثابت

3- عند لبيد بن ربيعة

1- المرتكزات النقدي للشعر والشعراء عند معاوية بن أبي سفيان (ت60هـ 680 م):

أ- موقف معاوية النقدي من شعر التشبيب والهجاء والفخر والمدح :

إن الباحث في تاريخ الصحابي معاوية بن أبي سفيان، يجده خلافا للصورة التي اشتهر بها، فهو «علم بارز في تاريخ العرب والمسلمين قاطبة ، وقد اشتهر بالدهاء والحكمة السياسية ، ولم يعرف بالشعر»¹، وبعد البحث والتقصي في مصادر الأدب والنقد ومراجعهما تأكد لدينا أن لمعاوية بن أبي سفيان ديوان شعر، جمعه وحققه ودرسه ، فاروق اسليم بن أحمد، يكشف فيه أن « لمعاوية شعرا مميزا يعبر فيه عن تجربة قائد سياسي سعى إلى المركز الأول في الدولة العربية الإسلامية فناله»².

كما كشفت لنا المصادر النقدية عن بعض مواقف الصحابي معاوية النقدية، التي تبرز قوة شخصية الأديبة الفنية والنقدية ، إلى جانب حفظه للشعر وروايته له ، ولم تعرف شاعرية معاوية إلا في معركة صفيين وما بعدها، وقد برز اهتمامه بالأدب خطابة وشعرا، لما انتقلت السلطة إلى بني أمية وانتقلت عاصمة الخلافة إلى دمشق، وقف الشعراء ضده فرموه بقصائد ومقطوعات شعرية، فكان يتقبلها على مضض، فدعاه ذلك لفتح باب قصره في الشام للشعراء ، وكان مجلسه تأتيه الفقهاء والشعراء من كل حدب وصوب ، فجاءه الصحابة الشعراء والتابعين الشعراء ، وكانت له مواقف أدبية ظهر فيها ذوقه للشعر، ومن خلال مجلسه كان يقود حركة الشعر وفق رؤيته الأدبية والنقدية.

وفي هذا المجال روي عنه في مصادر الأدب العربي المغربي القديمة ، بعض مواقفه النقدية من شعر الهجاء والمدح والتشبيب ، وهذه المواقف تعكس بكل تأكيد رؤيته للشعر من خلال تجربته السياسية، فجاء في العقد الفريد: « قال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم يا ابن أخي! إنك شهرت بالشعر ، فإياك والتشبيب بالنساء ، فإنك تغري الشريفة في قومها، والعفيفة في نفسها، والهجاء فإنك لا تعدو أن تعادي كريما، أو تستشير به لئيمًا، ولكن أفخر بمآثر قومك، وقل من الأمثال ما تأثر به نفسك وتؤدب به غيرك»³.

وجاء في رواية البيهقي في المحاسن والمساوي: « قال معاوية بن أبي سفيان لعبد الرحمن بن الحكم : يا ابن أخي ! قد لُحِجَّت بالشعر ، فإياك والتشبيب فتهجن به كريما، والهجاء فتشير به لئيمًا، وإياك والمدح فإنه كسب الخسيس، ولكن افخر بمآثر قومك، وقل من الأمثال ما تزين به نفسك وتؤدب به

1- معاوية بن أبي سفيان: الديوان، جمعه وحققه ودرسه: فاروق اسليم، ط1، بيروت، لبنان، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م، ص5.

2- المصدر نفسه، ص 5 .

3- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص 281 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء
المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

غيرك، فإن لم تجد بُدًّا من المديح فقل كما قال الأول:

[الرجز]

أَخْلَلْتُ رَحْلِي فِي بَنِي نُعْلٍ إِنَّ الْكَرِيمَ لِلْكَرِيمِ مَحَلٌ¹.

الواضح من الروايتين أنهما نص واحد، ويتجلى فيهما أن التجربة السياسية والاجتماعية والأدبية العميقة في حياة معاوية واضحة، ويبدو أن تجارب معاوية مع مجالس الشعر والشعراء دعتة إلى الحذر من الميل إلى أغراض: التشبيب والهجاء، كما هو واضح في النص الأول. وأما في النص الثاني فيبدو الحذر فيه من التشبيب والهجاء والمدح، فمعاوية حاول بعث هذه التجربة في نفس عبد الرحمن ابن الحكم ليستفيد منها، وهي وصية فنية نقدية بحكم التجربة الخاصة لمعاوية مع الشعر والشعراء، فهو يريد أن يوجه فن الشعر والشعراء توجيهها أخلاقيا، بحيث يعلي من نفوس الناس ولا يبعث بهم إلى الحضيض الأسفل، لهذا يظهر أن موقفه من شعر التشبيه والهجاء موقفا سلبيا، لأنه يتنافى والقيم الأخلاقية والمثل الإسلامية العليا، كما رأى في التشبيب تهجن للكريم، وحذر عبد الرحمن من الهجاء لأنه يثير اللئيم للتطاول على من هو أشرف منه، كما حذره من المدح كي لا يتحول به إلى السؤال والتكسب لأنه رآه مسلك الأندال؛ الذين يتخلون في لحظة ما عن مروءتهم، لهذا نجده يوجهه إلى الفخر بمآثر قومه، وإلى الشعر الذي يضرب به المثل في التربية وحسن الأدب، ليقتدي به غيره، وإذا مالت نفسه إلى المدح، فما عليه إلا أن يلتزم بمدح نفسه مقرونا بممدوحه، كما هي الحال في البيت الشعري الذي قاله الملك المرادي، الذي ضرب به معاوية المثل، وهذه نظرة نقدية جمالية أخلاقية معللة، تعكس بُعد نظر معاوية الذي اعتمد في بيان محاسن ومساوئ موضوعات هذه الأغراض الشعرية على الموازنة والمفاضلة بين التشبيب، والهجاء، والفخر، والمدح، فوجد أحطها قيمة غرضي: التشبيب والهجاء، ووجد أفضلها، غرضي: الفخر والمدح في مواطن الحفاظ على عزة النفس وكرامتها وتهذيبها، وكل هذه الأحكام النقدية قيم مضافة إلى النقد الأدبي العربي، تعكس رؤية معاوية النقدية.

ب- موقف معاوية النقدي من الشعراء الهجائيين :

1- موقف معاوية النقدي من عتبية الأسدي :

روي في هذا الصدد عن « قول معاوية لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وكان دخل حماما فزحمه رجل، فرفع رجل يده فلطم بها أبا بردة فأثر في وجهه ، فقال: فيه عتبية الأسدي: [الطويل]

1- البيهقي : المحاسن والمساوي ، ص 479 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

لا يَصْرَمُ اللهُ اليَمِينَ التي لها بَوَجْهَكَ يا بَنَ الأشْعَرِي نُدُوبُ

قال: فاستعدى عليه معاوية، وقال: إنه هجاني، قال: وما قال فيك؟ فأنشده البيت .

قال معاوية: هذا رجل دعا ولم يقل إلا خيرا، قال: فقد قال: غير هذا، قال: وما قال؟ فأنشده:

وَأَنْتَ امْرُؤٌ فِي الأشْعَرِينَ مُقَابِلٌ وَفِي البَيْتِ والبَطْحَاءِ أَنْتَ غَرِيبٌ

قال معاوية: وإذا كنت مقابلا في قومك فما عليك ألا تكون مقابلا في غيرهم، قال: فقد قال

غير هذا، قال: وما قال؟ قال: قال:

وما أنا من حُدَاثِ أَمَكِ بالضُّحَى ولا مَنْ يُزَكِّيها بظَهْرِ مَنِيْبٍ

قال: إنما قال: ما أنا من حُدَاثِ أَمَكِ، فلو قال: إنه من حداتها، لكان ينبغي لك أن تغضب ،

والذي قال لي: أشد من هذا، قال: وما قال لك يا أمير المؤمنين؟ قال: قال: [الطويل]

مُعَاوِيَ إِنَّا بَشَرٌ فَأَسْجَحُ فَلَسْنَا بالجِبَالِ ولا الحَدِيدِ

أَكَلْتُمْ أَرْضًا وَجَرَدْتُمُوهَا فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أو مِنْ حَصِيدِ

فَهَبْنَا أُمَّةً هَلَكْتَ ضِيَاعًا يَزِيدُ أَمِيرُهَا وَأَبُو يَزِيدِ

أَتَطْمَعُ بالخُلُودِ إِذَا هَلَكْنَا وَلَيْسَ لَنَا ولا لَكَ مِنْ خُلُودِ

ذَرُّوا جُورَ الخِلافةِ واستقيموا وتأميرَ الأرازلِ والعبيدِ

قال: فما منعك يا أمير المؤمنين أن تبعث إليه من يضرب عنقه؟ قال: أو خير من ذلك؟ قال:

وما هو؟ نجتمع أنا وأنت فنرفع أيدينا إلى السماء ندعو عليه ، فما زاد على أن أزري به ¹.

الواضح أن في النص هجاءين أخفهما مرًا ، الأول متعلق بأبي بردة والثاني متعلق بمعاوية ، ونرى

معاوية يحاول تخفيف وطأة الهجاء التي تألم لها أبي بردة، من خلال تخفيفه لمعاني أبيات الهجاء ، وصرفه

عن تعلقه بفكرة ما سمعه من عتبية الأسدي، وبعد أن عرض معاوية على أبي بردة ما تعرض له من

هجاء سياسي لاذع من طرف عتبية الأسدي، بهت مما هجي به معاوية .

وموقف معاوية من هذا الهجاء موقف سلبي، والواضح أن معاوية لم يعاقب عتيبة الأسدي سواء فيما هجاه به أو فيما هجا به أبي بردة ، " فما زاد على أن أزري به " أي بالشاعر، فكان الحكم على قسوة الهجاء ضمنيًا، ويبدو أن الهدف من صمت معاوية وعدم معاينة عتيبة الأسدي أو ضرب عنقه

1- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج5 ، ص ص 319-320 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء
المرتكرات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

كان لحكمة سياسية ، الهدف من ورائها عدم التشهير بما قاله الأسدي من هجاء وعقابه ، حتى لا يتمادى في هجائه ثانية ، وبذلك غلق معاوية أفواه الشعراء الهجائين .
وهكذا كما سكت معاوية وتنازل عن عقاب عتيبة الأسدي، سكت أبي بردة عما سمعه من هجاء، وفهم المغزى من حكمة معاوية في قوله: "نجتمع أنا وأنت فنرفع أيدينا إلى السماء وندعو عليه ". وفي هذا تعليل لنقد معنى الأبيات، وتعليل الحكم على قسوة الهجاء، وإبراز أثره النفسي في أبي بردة ومعاوية.

2- موقف معاوية من هجاء الأخطل* (ت92هـ) للأنصار:

وفي موقف ثان « لما وقع التهاجي بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن أم الحكم، أرسل يزيد بن معاوية إلى كعب بن جعيل، فقال له: إن عبد الرحمن بن حسان قد فضح** عبد الرحمن بن أم الحكم، فأفضح الأنصار، فقال: أرادي أنت إلى الشرك بعد الإيمان ؟ لا أهجو قوما نصرورا رسول اللهﷺ، ولكن أدلك على غلام منا نصراني، فدلته على الأخطل، فأرسل إليه فهجا الأنصار، وقال فيهم: [الطويل]

ذهب قريشٌ بالمكارم كُلهَا	واللؤمُ تحتَ عمائمِ الأنصارِ
قومٌ إذا حضر العَصير رأيتهم	حُمْرًا عُيُونُهُم مِنَ الْمَسْطَارِ
وإذا نسبت ابن الفريعة حلتُهُ	كالجَحشِ بين جِمارِةٍ وِحِمَارِ
فدَعُوا المكارمَ لستُم من أهلها	وخذُوا مساحيكم بني النَّجَارِ

وكان مع معاوية النعمان بن بشير الأنصاري ، فلما بلغه الشعر أقبل حتى دخل على معاوية ،

* « هو غياث بن غوث من بني تغلب من فدوكس ويكنى أبا مالك وقال مسلمة بن عبد الملك : ثلاثة لا أسأل عنهم أنا أعلم العرب بهم: الأخطل والفرزدق وجرير... وكان الأخطل يشبه من شعراء الجاهلية بالناطقة الذبياني... وكان الأخطل يمدح بني أمية . مدح معاوية ويزيد ومن بعدهم من خلفاء بني مروان حتى هلك . جعله ابن سلام في الطبقة الأولى من فحول الإسلام مع جرير والفرزدق والراعي » .

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 325 .

- و ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص ص 297- 298 .

**» ومن قول عبد الرحمن بن حسان في عبد الرحمن بن الحكم :

[الوافر]

وأما قولك الخلفاء منا فهم منعوا ويرجك من وداجي
ولولاهم لَطِخَتْ كُحُوت بجر هوى في مُظلم السراب داجي
وهم دُغج ووُلدُ أبيك زُرُق كأن عيونهم قطع الزجاج

- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 5 ، ص 322 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

ثم حسر العمامة عن رأسه، وقال: يا معاوية، هل ترى من لؤم؟ قال: ما أرى إلا كرما . قال: فما الذي يقول فينا عبد الأرقام؟:

ذهبت قريشٌ بالمكارم كُلِّها واللؤمُ تحتَ عمائمِ الأنصارِ

قال: قد حكمتك فيه ، قال: والله لا رضيت إلا بقطع لسانه ، ثم قال: [الطويل]

مُعَاوِي إِلَّا تُعْطِينَا الْحَقَّ نَعْتَرِفُ لِحِي الْأَزْدِ مَشْدُودَا عَلَيْهَا الْعَمَائِمُ
أَيْشْتُمْنَا عَبْدُ الْأَرَقِمِ ضَلَّةً وَمَا ذَا الَّذِي تَجْدِي عَلَيْنِكَ الْأَرَقِمُ
فَمَا لِي ثَارَ دُونَ قَطْعِ لِسَانِهِ فَذُونِكَ مِنْ تَرْضِيهِ عَنكَ الدَّرَاهِمُ

قال معاوية: قد وهبتك لسانه ، وبلغ الأخطل ، فلجأ إلى يزيد بن معاوية ، فركب يزيد إلى النعمان فاستوهبه إياه ، فوهبه له ¹ .

في هذا النص مواقف كثيرة لشخصيات عديدة، أولها: هجاء عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن ابن أم الحكم، ثانيا: موقف يزيد بن معاوية من هذا الهجاء، ثالثا: موقف كعب بن جعيل من هجاء الأنصار، رابعا: هجاء الأخطل للأنصار، خامسا: موقف النعمان بن بشير الأنصاري من هجاء الأخطل للأنصار، سادسا: موقف معاوية من الأخطل .

هذه المواقف الأدبية والفكرية والسياسية ازدحمت في النص في لوحة متشابكة ذات مشهد سياسي مركز بين الأنصار والمهاجرين، بسبب موقف يزيد بن معاوية من هجاء عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن أم الحكم ، لأن في بداية الأمر أن التهاجي وقع بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن ابن أم الحكم وكان متبادلا، وهو ما يبين بأن الهجاء المتبادل بين الشعارين هجاء سياسي، ولكن يزيدا أحس أن التهاجي قد مس عبد الرحمن بن أم الحكم أو بالأحرى مس بني أمية ولم يجد له ردا ، لذا نراه حاول اللجوء إلى شاعر كبير حليف معاوية هو كعب بن جعيل، وأراد أن يدخله في مواجهة أدبية

وسياسية لا علاقة له بها ، ففهم كعب الموقف ورفض طلب يزيد في رد يدل عن قوة إيمانه وصدقه، إذ " قال كعب بن جعيل ليزيد: أرادي أنت إلى الشرك بعد الإيمان ؟ لا أهجو قوما نصرنا رسول الله ﷺ"، وهو موقف إيجابي من الأنصار، ربط فيه كعب هجاء الأنصار بالخروج عن الإيمان والعودة إلى الكفر. وعلى ما يبدو أن إصرار يزيد على الرد على عبد الرحمن بن حسان هو الذي جعل كعب يدل على

1- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج5 ، ص ص 321-322 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

الأخطل، وكان هجاء الأخطل لعبد الرحمن بن حسان والأنصار يعكس جرأة كبيرة بدون موقف ، حيث أفحم نفسه في موقف سياسي يعبر عن فتح باب التقرب إلى السلطة الأموية، بدون أن يدرك عواقب الهجاء .

إلا أن غضب النعمان بن بشير الأنصاري من هجاء الأخطل للأنصار ، يعبر عن إدراكه المغزى الذي كان يرمي إليه الأخطل ويزيد من الهجاء ، لهذا كان موقفه أمام معاوية يوضح صورة الغاضب من الهجاء ، والرافض له بدون أن يعطي توضيحا، أو تعليلا لقوة الهجاء وأثره في نفسه ، لأن "حسر العمامة عن رأسه " هو جزء كبير من العملية النقدية لدلالة الأبيات وما تحمل من هجاء ، لأن الصورة النقدية المذكورة في قول الأخطل " واللؤم تحت عمائم الأنصار " فيها ما فيها من المكر والخبث والدهاء السياسي، ولما سمع معاوية أبيات الهجاء عرف دلالتها وأدرك هدفها السياسي، لأنه لا توجد بين الأخطل والأنصار قضية شخصية معينة يدافع عنها، وإنما كان هجاءه سياسيا بامتياز، هدفه إثارة الفتنة بين الأنصار والمهاجرين، لهذا لم يحاول معاوية التخفيف من روع النعمان - كما حاول مع أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، في القضية النقدية السابقة-، حيث نراه لم يتوان في الاستجابة لطبه ووهبه الأخطل، وهو تعبير عن رفض هجاء الأخطل للأنصار، فأراد معاوية ألا تتسع هوة الخلاف والمعارضة السياسية بينه وبين الأنصار، لأن أبيات النعمان التي واجه بها معاوية في مجلسه كانت كافية لتعبر عن صرامة النعمان في الاقتصاص من الأخطل، لذا لم يتوان يزيد في السعي إلى إنفاذ الأخطل مما وضع فيه نفسه مع الأنصار، فما كان على يزيد إلا أن أرضى النعمان ليخلص الأخطل من قطع لسانه، " فركب يزيد إلى النعمان فاستوهبه إياه ، فوهبه له " .

3- موقف معاوية من تشبيب عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بابنته رملة :

وفي موقف ثالث يتكرر الموقف نفسه لمعاوية ولابنه يزيد مع عبد الرحمن بن حسان الذي يبدو أنه تسلط على بني أمية ويزيد وأبيه خصوصا ، من خلال نغزله بابنة معاوية ، وفي هذا الصدد روى ابن عبد ربه هذا الموقف فقال : « وقال يزيد لأبيه : إن عبد الرحمن بن حسان يشبب بابنتك رملة ، قال : وما يقول فيها ؟ قال : يقول :

صِ صِيغَتْ مِنْ لَوْلُو مِنْ مَكْنُونٍ هِيَ بَيْضَاءُ مِثْلُ لَوْلُو الْعَوَا

قال: صدق، قال: ويقول:

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

وإذا ما نَسَبْتَهَا لَمْ يَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنْ الْمَكَارِمِ دُونَ
قال: صدق أيضا، قال: ويقول:

تَجْعَلُ الْمَسْكَ وَالْيَلْنَجُو جِ صِلَاءٍ لَهَا عَلَى الْكَائِنُونَ
قال: وصدق، قال: فإنه يقول:

ثُمَّ حَاصِرَتْهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضْرَا ءَ تَمَشِي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونٍ
قال: كذب ، قال: ويقول:

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ ضَرَبُوهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونٍ

قال: ما في هذا شيء . قال: تبعث إليه من يأتيك برأسه ، قال: يا بُني ، لو فعلت ذلك لكان أشد عليك ؛ لأنه يكون سببا للخوض في ذكره، فيكثر مكثر ويزيد زائد، اضرب عن هذا صفحا، واطوِ دونه كَشْحًا¹ .

يبدو أن معركة الخلاف السياسي بين الأنصار والقصر الأموي في دمشق ظلت مستمرة ، فكان عبد الرحمن بن حسان قد خص بعض شعره في بني أمية ومنهم معاوية ، فهجا بني أمية من خلال عبد الرحمن بن أم الحكم هجاء سياسيا ، ومرة يتغزل برملة بنت معاوية ، الأمر الذي جعل يزيد بن معاوية يبحث عن قطع رأس عبد الرحمن بن حسان، ولكن ذكاء وحكمة معاوية جعله يبحث في دلالة الأبيات التي بلغته أنها قيلت في التغزل بابنته رملة فلم يجد فيها شيئا ذا بال، يل كلما قرأ يزيد بيتا مما قاله عبد الرحمن بن حسان في التشبيب برملة، فقال معاوية لابنه : "صدق" لأن عبد الرحمن بن حسان لم يذكر في أبياته أنه التقى برملة ، ولم يذكر أنهما تبادلوا أطراف حديث الشوق والعشق، وهذا

ما تبينه لغة الأبيات التي جاءت خالية من أي عاطفة وأي حس شعوري يدل على علاقة بين الطرفين، وهو ما يدل على أن هذا الغزل سياسي، قصده إليه عبد الرحمن قصداً ، ونكاية في البيت الأموي ومعاوية ويزيد ، « ولعل من الطريف أن نلاحظ هنا أن عبد الرحمن بن حسان حين أراد أن يهاجم معاوية ابتكر طريقة سار عليها كثير من شعراء الحجاز وهي أن يهاجمه عن طريق الغزل بابنته . وهكذا تغزل في رملة بنت معاوية ، وغاز ذلك أحاها يزيد »² .

1- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 5 ، ص ص 322-323 .

2- شوقي ضيف : الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية ، ط 5 ، دار المعارف ، 1992م ، ص 76 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

ويتجلى الوجه النقدي في النص أن معاوية لم ير ولم يجد في غزل عبد الرحمن ما يدعو لالتخاذ موقف حاسم منه، لهذا " قال: ما في هذا شيء " . وهو التعليل الذي يدل على أن معاوية قد أدرك أن القصد من التشبيب برملة كان لغرض هجوم سياسي، يريد به عبد الرحمن لفت انتباه معاوية وابنه يزيد ويشغلهم بهذا الشعر ويجعله يدور على الألسنة بين راوٍ ومحدثٍ عن التشبيب برملة ، وهو ما علله معاوية بحكمته السياسية في إجابته ليزيد لما " قال: تبعث إليه من يأتيك برأسه ، قال: يا بُني ، لو فعلت ذلك لكان أشد عليك ؛ لأنه يكون سبباً للخوض في ذكره ، فيكثرُ مكثراً ويزيد زائداً، اضرب عن هذا صفحا، واطو دونه كَشْحًا " . ولم يتخذ معاوية أي موقف ضد الشاعر وأراد للأمر أن يكون نسيا منسيا .

2- المرتكزات النقدية للشعر والشعراء عند عبد الله بن عباس (ت 68هـ 687م)

أ- جدلية نافع* بن الأزرق لابن عباس في اعتماده على الشعر في تفسير القرآن العظيم :

يعد عبد الله بن عباس من كبار الصحابة الفقهاء والمفسرين، المهتمين بالشعر ونقده ، وكانت له مواقف إيجابية من الشعر، فكان يستمع للشعراء ، ويقول الشعر ويرويهِ ، وله رؤية نقدية للشعر عميقة فائقة التقدير والإعجاب ، فقال عن الشعر: « الشعر علم العرب وديوانها فتعلموه وعليكم بشعر الحجاز »¹.

فهذا الرأي يدل على أن ابن عباس أكثر الصحابة إلماما بلغة العرب وشعرها، الأمر الذي عمق تفقّحه في لغة القرآن العظيم، وتفقّحه في دلالة معانيه ، وقد دفعه تبحره اللغوي إلى توظيف الشعر العربي في تفسير القرآن ، وكان يقول : « إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب »². وهي الرؤية النقدية التي سهّلت له التبحر في علم التفسير . « ورغم ماروي عن الخوارج عن حبهم للشعر، فإن أئمتهم كانوا يتحرون في رواية شعر الغزل، وهذه مشادة طريفة حول فلسفة استحسان الشعر تدور بين ابن عباس ونافع بن الأزرق »³، رواه صاحب " الكامل في اللغة والأدب "، حيث أثار اعتماد ابن عباس على الشعر في منهجه في تفسير القرآن العظيم فضول نافع ابن الأزرق الذي كان يحضر مجلس ابن عباس في التفسير. وعن هذا الأمر قال المبرد: « إن ابن الأزرق أتى ابن عباس فجعل يسأله حتى أمّله . فجعل ابن عباس يظهر الضجر. وطلع عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام فسلم وجلس، فقال له ابن عباس: ألا تنشدنا شيئا من شعرك فأنشده:

[الطويل]

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرٌ عَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فَمُهَجَّرٌ
بِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا فَتُبَلِّغُ عُذْرًا وَالْمَقَالَةَ تُعْدِرُ

تَهَيِّمُ إِلَى نُعْمٍ فَلَا الشَّمْلُ جَامِعٌ وَلَا الْحَبْلُ مَوْصُولٌ وَلَا الْقَلْبُ مُقْصِرٌ
وَلَا تُقْرَبُ نُعْمٌ أَنْ دَنَتْ لَكَ نَافِعٌ وَلَا تَأْيُهَا يُسْلَى وَلَا أَنْتَ تَصْبِرُ

* « نافع بن الأزرق (ت65هـ685م) زعيم الأزارقة الخوارج. احتاح قرى السواد. قتل في وقعة دولاب أيام خلافة عبد الله بن الزبير » .
- المنجد في اللغة والأعلام ، ص 569 .

1- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص 281 .

2- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، 1424 هـ 2003م ، ج 2 ، ص 55 .

3- داود سلوم : تاريخ النقد العربي من الجاهلية حتى القرن الثالث المحجري ، ص 49 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

وَأُخْرَى أَتَتْ مِنْ دُونِ نُعْمٍ وَمِثْلَهَا هَيَّذَا النَّهْيُ لَوْ يَرْعَوِي أَوْ يُفَكِّرُ
إِذَا زُرْتِ نُعْمًا لَمْ يَزَلْ ذُو قَرَابَةٍ لَهَا كَلِمًا لَاقِيْتَهُ يَتَنَمَّرُ
عَزِيْزٌ عَلَيْهِ أَنْ أَمَرَ بِبَابِهَا مُسِرٌّ لِي الشَّحْنَاءَ وَالْبُعْضُ مُظْهَرُ
أَلِكِنِّي إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ فَإِنَّهُ يُشْهَرُ الْيَامِي بِهَا وَيُكَكَّرُ
بِأَيَّةٍ مَا قَالَتْ غَدَاةً لَقِيْتُهَا بِمَدْفَعِ أَكْنَانٍ أَهَذَا الْمُشْهَرُ
فَفِي فَانْظُرِي يَا أَسْمَ هَلْ تَعْرِفِيْنَهُ أَهَذَا الْمَغِيْرِيُّ الَّذِي كَانَ يُذَكَّرُ؟
أَهَذَا الَّذِي أَطْرَيْتِ نَعْتًا فَلَمْ أَكُنْ وَعَيْشِيْكَ أَنْسَاهُ إِلَى يَوْمِ أَقْبَرُ؟
فَقَالَتْ: نَعْمَ لَا شَكَّ غَيْرَ لَوْنَهُ سُرَى اللَّيْلِ يُحْيِي نَصَّهُ التَّهَجُّرُ
لَكِنَّ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا عَنِ الْعَهْدِ وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَعَيَّرُ
رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ

حتى أتمها، وهي ثمانون (80) بيتا، فقال له ابن الأزرق: لله أنت يا ابن عباس أنضرب إليك

أكباد الإبل نسألك عن الدين فتعرض، ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفها * فتسمعه؟ ! فقال:

تالله ما سمعت سفها ، فقال ابن الأزرق أما أنشدك :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ

فقال: ما هكذا؟ قال: إنما قال: "فيضحى وأما بالعشي فيخصر"، قال: أو تحفظ الذي قال!

قال: والله ما سمعتها إلا ساعتها هذه ، ولو شئت أن أردّها لرددتها ، قال فاردها . فأنشده إياها.

وروى الزبيريون أن نافع قال له: ما رأيت أروى منك قط ، فقال له ابن عباس: ما رأيت أروى من عمر ولا أعلم من علي¹ ، ويظهر في هذا اللقاء الموقف الإيجابي لابن عباس من شعر الغزل العفيف. ومن خلال قول " ابن الأزرق: لله أنت يا ابن عباس أنضرب إليك أكباد الإبل نسألك عن الدين

* جاء جذر (س ف هـ) في القرآن العظيم بستة صيغ ، وهي : « سفه - سفها - سفاهة - سفيها - سفيها - السفهاء . وأصل السفه : الخفة والحركة ، ومنه قيل : ثوب سفه ، أي خفيف النسج ، وزمام سفه أي كثير الاضطراب . ثم صار السفه يستعمل في الجهل وخفة الحلم . ومنه : سفه يَسْفَهُ سَفْهُا وسفاها وسفاهة فهو سفهيه وهي سفهية وهم سفهاء . وسفه نفسه : حملها على السفه . ويستعمل السفه للطيش ونقصان العقل والجهل في الأمور الدنيوية والأمور الدينية .»

- معجم ألفاظ القرآن الكريم : جمهورية مصر العربية ، دار الشروق ، 1401هـ 1981م ، 299 .
1- المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، ج2 ، ص ص 168 - 169 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

فَتُعْرَضُ وَيَأْتِيكَ غلام من قريش فَيُنشِدُكَ سفها فتسمعه ؟ " ، من هنا بدأت جدلية ابن الأزرق لابن عباس حول منهج تفسر القرآن العظيم ، ونقده له ، لأنه رأى أن شعر عمر بن أبي ربيعة سفها ، وقد نفى ابن عباس أن يكون قد سمع سفها ، كما يظهر لنا ضعف حفظ ابن الأزرق للشعر .

وجاء في بعض المصادر تعلق ابن الأزرق بمجادلة ابن عباس في طريقته في تفسير القرآن العظيم ، حيث سلك في اعتماده على الشعر منهجا لغويا علميا أنكره عليه نافع بن الأزرق وغيره بعده ، ويتمثل إنكارهم هذا « في الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر »¹ . وقد روي في هذا عن أبي عبيدة في فضائله... « عن ابن عباس ، أنه كان يُسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر »² . ووضح أبو عبيدة معنى هذا فقال: « يعني كان يستشهد به على التفسير »³ .

وقد وجدنا في كتاب "الإتقان في علوم القرآن" ، للسيوطي حوالي مائة وتسعين (190) مسألة⁴ ، رويت عن نافع بن الأزرق يسأل فيها ابن عباس عن معاني الآيات ، فقال السيوطي: « هذا آخر مسائل ناع بن الأزرق ، وقد حذف منها يسيرا نحو بضعة عشر سؤالا ، أسئلة مشهورة ، وأخرج الأئمة أفرادا منها بأسانيد مختلفة إلى ابن عباس »⁵ ، وكان ابن عباس يستشهد لابن الأزرق في تفسير ما يسأل عنه من القرآن ببيت من الشعر ، وكان الشعراء الذين يستشهد بهم ابن عباس جاهليين وإسلاميين ، فمن الشعراء الجاهليين: " امرئ القيس ، والمهلhel ، وعنترة ، والنابعة الذبياني ، وطرفة بن العبد ، وعبيد بن الأبرص ، والأعشى ، وزهير بن أبي سلمى ، وعمرو بن كلثوم ، وبشر بن أبي خازم ، ومالك بن كنانة ، وتبع ، وأوس بن حجر ، وأممية بن أبي الصلت . ومن الشواعر: هزيلة بنت بكر" . ومن الشعراء

الإسلاميين: "حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وليد بن ربيعة، وحمزة بن عبد المطلب، وأحيحة الأنصاري، وأبوسفيان بن الحرث، وعبد الله بن الزبير، وأبوذؤيب الهذلي، وعدي بن زيد، والحطيئة العبسي، وأبو محجن الثقفي، ومالك بن عوف⁶"، ولم يلتزم ابن عباس بشعر شعراء

- 1- السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 55 .
- 2- ابن رثيق : العمدة ، ج 1 ، ص 25 .
- 3- السيوطي : الإتيان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 55 .
- 4- المصدر نفسه ، ج 2 ، من ص 56 إلى ص 88 .
- 5- المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 88 .
- 6- المصدر نفسه ، ج 2 ، من ص 56 إلى ص 88 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء
المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

عصر معين ، فكان هدفه من صنيعه هذا أنه فسر القرآن العظيم بجميع لغات القبائل العربية .
والملاحظة التي يمكن أن نسجلها حول كثرة الشعراء الذين استشهد بشعرهم ابن عباس في تفسير القرآن العظيم، أنه جعل شعرهم مرجعا لغويا يستعين به في بيان ما يسأل عنه ، لهذا فهو لم يفرق بين ما هو شعر جاهلي وما هو إسلامي، لأن هدفه كان إيصال معنى الآية إلى السائل من لغة الشعر.
ويتضح أسلوب مجادلة ابن الأزرق لابن عباس أكثر فأكثر من خلال هذا اللقاء بينهم ، إذ يروى: « بينما عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع ابن الأزرق لنجدة بن عويمر ، قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب؛ فإن الله إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما؛ فقال نافع: أخبرنا عن قول الله تعالى: **أَأَنْجُوهُنَّ أَنْجُوهُنَّ أَنْجُوهُنَّ** [سورة المعارج الآية 37]، قال: العزون: الحلق الرفاق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:
[الوافر]

فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونُوا حَوْلَ مِنْبَرَةِ عَزِينَا

قال: أخبرني عن قوله: ﴿ **أَأَنْجُوهُنَّ أَنْجُوهُنَّ أَنْجُوهُنَّ** ﴾ [سورة المائدة الآية 48]، قال: الشرعة: الدّين، والمنهاج:

الطريق. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم ، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب

[الطويل]

، وهو يقول:

لقد نَطَقَ المأمونُ بالصَّدقِ والهَدَى وَبَيَّنَّ للإسلامِ دينًا وَمِنْهَاجًا¹.

و« قال: أخبرني عن قوله: ﴿□ □ □ □ □﴾ [سورة البلد الآية 4]، قال: في اعتدال واستقامة ، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم ، أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول: [المنسرح] يا عينُ هَلَا بِكَيْتِ أُرْبَدُ إِذْ قُمْنَا وَقَامَ الخِصُومُ فِي كَبْدِ قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿□ □ □ □﴾ [سورة النور الآية 43]، قال: السنا: الضوء ،

1- السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص ص 56- 57 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم ، أما سمعت أبا سفان بن الحارث يقول: [البيسط] يَدْعُو إلى الحَقِّ لَا يَبْغِي بِهِ بَدَلًا يَجْلُو بِضَوْءِ سَنَاةِ دَاجِي الظُّلَمِ¹.

و« قال: أخبرني أخبرني عن قوله تعالى: ﴿□ □ □ □﴾ [سورة مريم الآية 13]، قال: رحمة من

عندنا، قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم، أما سمعت طرفة بن العبد يقول: [الطويل]

أَبَا مُنْدِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِ بَعْضَنَا حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿□ □ □ □﴾ [سورة الرعد الآية 31] ، قال: أفلم يعلم ، بلغة

بني مالك ، قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم، أما سمعت مالك بن عوف يقول:

[الطويل]

لَقَدْ يَمَسُّ الأَقْوَامُ أَيْيَ أَنَا ابْنُهُ وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ العَشِيرَةِ نَائِيًا .

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿□ □ □﴾ [سورة الإسراء الآية 102]، قال: ملعوننا محبوسا عن الخبر،

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبد الله بن الزبير يقول: [الخفيف]

إِذْ أَتَانِي الشَّيْطَانُ فِي سِنَّةِ النَّوْمِ وَمَنْ مَالٌ مِثْلُهُ مَثْبُورٌ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿□ □ □﴾ [سورة مريم الآية 23]، قال: ألبأها، قال: وهل

تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم ، أما سمعت حسان بن ثابت يقول: [المديد]

إِذْ شَدَدْنَا شِدَّةً صَادِقَةً فَأَجَانَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الجَبَلِ².

كما أن ابن عباس يستشهد ببيت في الخمر لامرئ القيس في بيان ما يسأل عنه ابن الأزرق ، لما
«قال : أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ ۞ ۞ ۞ ﴾ [سورة الصافات الآية 47] ، قال: ليس فيها نَتْزٌ ولا
كراهية كخمر الدنيا، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول امرئ القيس: [الخفيف]
رُبَّ كأسٍ شربْتُ لاغْوَلَ فيها وَسَقَيْتُ النَّدِيمَ منها مِرْاجًا»³ .
كما لم يجد حرجا في أن يستشهد ببيت لأمية بن أبي الصلت الذي كان معارضا للرسول (ﷺ) ،

1- السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ج2 ، ص 57 .

2- المصدر نفسه ، ج2 ، ص ص 57- 58 .

3- المصدر نفسه ، ج2، ص 61 .

وذلك لما « قال : أخبرني عن قوله تعالى ﴿ ۞ ۞ ﴾ نبيّ [سورة الصافات الآية 142] ، قال: المسىء المذنب،
قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت: [الوافر]
من الآفات ليسَ لها بأهلٍ ولكنَّ المسيء هُو المليمُ »¹ .

فمن هذه النماذج، وضح ابن عباس لابن الأزرق أن فهم القرآن باعتباره نصا لغويا جديدا، يمكن
الاعتماد في شرح مفرداته أو غريبه على الشعر، لذا جعل الشعر العربي مرجعا لغويا يفسر به القرآن
العظيم، وليس مصدرا له، وهذا على حد قول ابن عباس: « الشعر ديوان العرب؛ فإذا خفي علينا
الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب ، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه »² .

ومن هنا نرى قوة ابن عباس في حفظه للشعر وروايته له ، ثم مقدرته في توظيف الشعر وتحويله إلى
معجم لغوي يستعين به في تفسير ألفاظ القرآن ، قال عبد اللطيف صوفي: « وكان الصحابي ابن عباس
أول من تقدم لتفسير غريب القرآن الكريم مشروحة بكلام العرب ، وصنعه هذا هو صنيع معجمي،
وإليه ينسب أول كتاب في غريب القرآن »³ . وهو المراد الذي وضعه ابن عباس لابن الأزرق في مسألة
عروبة القرآن ، بمعنى أنه لا يوجد تضارب بين لسان العرب ولسان القرآن العظيم .

وقد جاءت الإشارة إلى هذه الدلالة في " جمهرة أشعار العرب " فروي عن « المفضل بن محمد
الضبي يرفعه إلى عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما- ، قال: قدم نافع بن الأزرق الحروري إلى
ابن عباس يسأله عن القرآن ، فقال ابن عباس: يانافع القرآن كلام الله عز وجل ، خاطب به العرب
بلفظها ، على لسان أفصحها ، فمن زعم أن في القرآن غير العربية ، فقد افتري ، قال الله تعالى:

﴿أ﴾ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ، وقال تعالى: ﴿﴾ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ، وقد علمنا أن اللسان لسان محمد ﴿﴾، وقال تعالى: ﴿﴾ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ، وقد علمنا أن العجم ليس قومه ، وأن قومه هذا الحي من العرب ، وكذلك أنزل التوراة على موسى ﴿﴾ ، بلسان قومه بني إسرائيل، إذ كانت لسانهم الأعجمية ، وكذلك أنزل الإنجيل

1- السيوطي : الإتيان ف علوم القرآن ، ج2، ص 65 .

2- المصدر نفسه ، ج2، ص 55 .

3- عبد اللطيف صوفي: مصادر اللغة في المكتبة العربية ، عن امليلة ، الجزائر ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت ، ص41 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

على عيسى ﴿﴾ ، لا يشاكل لفظه لفظ التوراة ، لاختلاف لسان قوم موسى وقوم عيسى ¹ . فهذا النص يوضح أن ابن عباس قد فهم وأدرك أن لغة العرب ولغة القرآن ينبعان من لسان واحد، هو لغة ولسان الرسول ﴿﴾ ، وهذا اللسان هو نفسه لسان الشعر والشعراء العرب ، وإذا كانت كل الرسائل السماوية مُنَزَّلَةٌ من عند الله ، فإن خصوصية كل رسالة ينعكس فيها لسان رسولها ، لهذا فلا غرابة أن ينعكس في القرآن اللسان العربي وهو لسان الرسول محمد ﴿﴾ ، وهذا ما أراد تبليغه ابن عباس لنا في الأزرق ، من خلال ربطه لألفاظ غريب القرآن العظيم بما جاء من لفظ فصيح في الشعر العربي .

ب- موقف ابن عباس من شعر وشعراء الهجاء :

وكما سبق لنا القول فإن ابن عباس معدود من كبار الصحابة المهتمين بالشعر ونقده ، وهو من الفقهاء الأدباء من متذوقي الشعر، « وكان ابن عباس مثالا ممتازا للفقهاء المتحررين، الذي يعجبه الشعر مهما كان موضوعه، فقد كان ابن عباس ينشد الشعر الداعر ثم يدخل في الصلاة ليدلل أن الأدب إنما هو كلام لا يدخل في العقيدة ولا يؤثر فيها، وكأنه أباح للشاعر أن يطرق الآفاق الفنية الواسعة دون تخرج أو تأثم ² .

فكان يقول الشعر ويرويهِ ويسخر ممن يكرهه، وفي هذا السياق: قال ابن رشيقي « فسئل ابن عباس: هل الشعر من رفث القول ؟ قال : إنما الرفث عند النساء... ثم أحرم للصلاة ³ .

وهذا ما يبين لنا صورة تعكس موقف ابن عباس الإيجابي من الشعر . على أن الشعر في نظره كلام لا حرج في أن يقوله الإنسان . ولكن ما هو موقف ابن عباس من شعر الهجاء ؟

أما عن شعر الهجاء فقد كان ابن عباس يدافع بقوة عن حسان بن ثابت ، الذي اتخذ منه بعض المسلمين موقفا خاصا في بعض المواقف ، ويدل على ذلك ما روي « عن سعيد بن جبير قال: كنا عند ابن عباس فجاء حسان، فقالوا: قد جاء اللعين، فقال ابن عباس: ما هو بلعين، لقد نصر رسول

1- القرشي : جمهرة أشعار العرب ، ص 10 .

2- داود سلوم : تاريخ الشعر العربي من الجاهلية حتى القرن الثالث الهجري ، ص 48 .

3- ابن رشيقي : العمدة ، ج 1 ، ص 25 .

الله (ﷺ) بلسانه ويده¹.

وفي رواية: « عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال : قد جاء اللعين من الشام، فقال ابن عباس: ما هو بلعين ، لقد جاهد مع رسول الله (ﷺ) بلسانه ونفسه².
والحديث في الروايتين يظهر موقفين من حسان بن ثابت : موقف بعض الصحابة يصف حسان ابن ثابت باللعين ، وموقف ابن عباس الذي يدافع عن حسان ويعد عنه اللعنة ، « ولعل وصف الشاعر باللعين يعود إلى ما شاع عن بعض الشعراء من اقتراح المنكرات وهجاء المحصنات وجاءت قولة ابن عباس- رضي الله عنهما- لتصحح هذا الوضع عن حسان ، وتضعه في موقعه السليم ، ناصرًا لرسول الله ، مدافعا عنه³.

وبالتالي فمن هذا المنطق يتضح موقف ابن عباس من شعر الهجاء ، هذا الموقف الذي يفرق فيه بين ألوان الهجاء ، ف« لقد كان ابن عباس من خلال دفاعه عن حسان بن ثابت يميز بين هجاء وهجاء ، فهو ضمن مفارقة لها منطقتها ، يهاجم هجاء ، ويدافع عن هجاء ، إنه يهاجم هجاء يفضي إلى الظلم والأذى والبهتان بين المسلمين ، وهو في الوقت نفسه يدافع عن هجاء استدعته ضرورات مرحلة في تطور الدعوة ، وقد قيل في الدفاع عن الحق والدين ، بعد أن تألب المشركون لدحض ذلك الحق ومحاربة ذلك الدين⁴.

ولعل من خلال الروايتين السابقتين ، ومن خلال نصوص أخرى سنذكرها يتضح أن موقف « ابن عباس الذي يدافع عن هذا اللون من الهجاء ، ممثلا في شخص أبرز شعرائه وهو حسان بن ثابت يتخذ هو نفسه موقفا آخر من الهجاء على إطلاقه ، أو من ألوان الهجاء الأخرى ، فهو لا يخفي

إدانتة للهجاء الظالم ولا يوارى تحفظاته على البهتان وأهله»⁵ ، أمثال : ابن فسوة والحطيئة . و يمكن توضيح موقف ابن عباس في ما يأتي :

1- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج4، ص 145.

2- المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 146 .

3- وليد محمود خالص : النقد الأدبي في كتاب الأغاني، ج1، المحقق : (هامش) ص 54 .

4- فهد العرابي الحارثي : موقف ابن عباس من شعر البهتان، مجلة الأدب الإسلامي السنة الثانية، العدد الثامن، 1416هـ 1995م، ص 68.

5- المرجع نفسه ، 68 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

1- موقف ابن عباس من شعر البهتان (لابن فسوة *) :

تعددت مواقف ابن عباس في جانبها السلبي من الشعر والشعراء ، فقد ثبت عنه أنه لا يتوانى في عقاب الشعراء الذين يلحقون الضرر بالمسلمين من خلال هجائهم وابتزازهم للناس ، وفي هذا الموقف تروي لنا مصادر الشعر أن « عتبة أتى عبد الله بن عباس فحجب عنه فقال: [الطويل]

أتيتُ ابنَ عباسٍ أُرَجِّي نوالهُ فلمَ يَرِجُ مَعروفي ولمَ يَحشَ مُنكَري
وقالَ لبواييه لا تُدْجِلنَّهُ وسدَّ حِصاصَ البابِ من كلِّ مَنْظَرِ
وَ تَسْمَعُ أصواتَ الخِصومِ وراءَهُ كصوتِ الحمامِ في القليبِ المَعوَرِ
فلو كنتُ منْ زهرانَ فَصَيَّتَ حاجتي ولكنني مولى جميل بنِ مَعَمري

وكان ابن عباس تزوج امرأة بالبصرة من زهران يقال لها شَمَيْلَة ، وقوله: مولى " جميل بن معمر " أراد أنه وليه ومن قومه وكان جميل مضرباً»¹.

هذه الأبيات لما وصلت إلى ابن عباس بلورت له بوضوح الموقف السلبي منها ، وما الذي يجب أن يتخذه ضد الشاعر ابن فسوة ، وشعره المهجائي الذي لم يغفل شأنه ، فقد روي في الأغاني: « أتى عتيبة بن مرداس - و هو ابن فسوة - عبد الله بن عباس - عليهما السلام - ، وهو عامل لعلي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - على البصرة ، وتحت يومئذ شميلة بنت جنادة بن بنت أبي أزهري الزهرانية ، وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السلمي فاستأذن عليه ، فأذن له ، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم ، فيعطونه ، ويخافون لسانه ، فلما دخل على ابن عباس قال له : ما جاء بك

* « الفرق بين السب والشتيم : أن الشتم هو تقييح أمر المشعوم بالقول وأصله من الشتامة ، وهو قبح الوجه ورجل شتيم قبيح الوجه ، وسمي الأسد شتيمًا لقبح منظره ، والسب هو الإطتاب في الشتم والإطالة فيه ، واشتقاقه من السب وهي الشقة الطويلة ويقال لها: سيب أيضا، وسبب الفرس شعر ذيله سمي بذلك لطوله خلاف العرف ، والسب العمامة الطويلة ، فهذا هو الأصل فإن استعمل في غير ذلك فهو توسع ... والشتيم يكون حسنا إذا كان المشعوم يستحق الشتم ».

- أبو هلال العسكري : الفروق في اللغة ، ص 43 .

** « العفو يقتضي إسقاط اللوم والذم ولا يقتضي إيجاب الثواب، ولهذا يستعمل في العبد فيقال عفا زيد عن عمرو وإذا عفا عنه لم يجب عليه إثابته » - أبو هلال العسكري : الفروق في اللغة ، ص 230.

*** « (1) بغى عليه يعني - من باب رمى - ظلم وعدا عن الحق واستطال فهو باغ . وبغى بغيا كذب وظلم . (2) والبغي : الكبر والظلم والفساد أو هو كل مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حد الشيء . وقد يطلق لبغي على الحسد . (3) بغى الشيء يبلغه - كرمى يرمي - بُغَاءً وبُغَىً وبُغْيَةً : طلبه . (4) ابتغى الشيء يبتغيه ابتغاء : طلبه . (5) ويقال ابتغى أن يفعل: أي صلح له أن يفعل . وما يبتغي بمعنى لا يصلح ولا يجوز . ويقال : ابتغى الشيء تيسر وسهل . (6) بغت المرأة بُغْيًا وبغاء فهي بُغْيٌ ، وبأغت بغاء ومباغاة: فَجَرَتْ ».

- معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ص ص 58-59 .

الأعرابي أجله وأعظمه وألطف في مسألته ، وقال: قرب الله دارك يا أبا مُليكة ! فقال ابن عباس: أجزول ؟ ! قال: جزول ! فإذا هو الحطيئة ¹.

إن أول ما يصادفنا في هذه المحاورة هو موقف الحطيئة من شعره الذي يهجو به الناس ، ولعل الحس الديني هو الذي دفع به إلى الذهاب إلى مجلس ابن عباس ليفتيه في شعره ، ولكن ابن عباس لم يعطه الحكم مباشرة . حيث حاول استدراج الحطيئة إلى تفقيحه في أن الهجاء هو ظلم وشتيم وبغي، ويظهر في « أن ابن عباس قد كرر في هذه القصة مسألة " العفو " مرتين محبا ومشجعاً، ومنوها بما لذلك من فضل، فهو يقدمه على الانتقام ، أو الانتصار للنفس، ما دامت هناك فسحة للتسامح، كما وردت كلمة " البغي " مرتين في سياق التكريه والتنفير ، أما في الثالثة فقد وصف البغي صراحة بأنه " مرتع وخيم " مُعطيًا بذلك حكمه النهائي على الأذى وعلى من يريد بالناس الأذى ².

وقول ابن عباس: " والعفو خير " ، إنما أراد أن يثني عزم الحطيئة على هجاء الناس، وأن يستميل بوعيه إلى العفو على من أخلفه واستخف به ، وهو بهذا يحيله إلى ما جاء في القرآن ﴿ □ □ □ □ ﴾ : « ومن انتصر فلا جناح عليه » : ﴿ □ بر □ ﴾ [سورة الأعراف الآية 199] ، وفي قول ابن عباس: " ومن انتصر فلا جناح عليه " : فهو يذكره بالآية الكريمة: ﴿ □ □ □ □ سم □ □ □ □ ﴾ [سورة الشورى الآية 41] ، ولكن الانتصار الذي يريده ابن عباس للحطيئة ليس عن طريق الهجاء ، ذلك لأن ابن عباس لما سمع قول الحطيئة : " أيسعني أن أهجوه ؟ قال : لا يصلح الهجاء " ، « لأنه قد يطال ما هو أبعد من المهجو

إن محاوره ابن عباس في هذا الموقف ترد فيها فكرة " الظلم " و " الشتم " إلا أن الخطيئة « يحاول إقناعه بموقفه شعرا ونثرا ، ولكن ابن عباس لا يتزحزح ، فيقسم عليه أن يدع ذلك ، وأن " لا يقول إلا خيرا " ، و قول الخير هنا لا يشمل بتأكيد الهجاء ولا يتضمنه ² . وهكذا يتجلى أن حكم ابن عباس على منع الخطيئة من الهجاء معلل ، وقد أقنع الخطيئة بذلك ، كما أعجب ابن عباس بالمقدرة الفنية للخطيئة ، « وموهبته وبإمكاناته الإبداعية ، ثم يعتد بآرائه بالمفاضلة بين الشعراء فيسأله ويجاوره ويقره على ما يقول ، هو ذاته الخطيئة الذي يجد نفسه في موقع

1- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، (ط. دار الشعب)، ج 2، ص ص 192- 193 .

2- فهد العرابي الحارثي: موقف ابن عباس من شعر البيهتان، ص 62 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

النقد والمؤاخذة من ابن عباس نفسه ، وقد قلنا : إن ابن عباس إنما يكبر الموهبة في ذاتها ، وإنما ينحاز إلى الشعر في إمكاناته ومقوماته ، فهو يتحفظ على " الشتم " وعلى " الفحش " وعلى ما يفضي إلى " الظلم " حتى وإن صدر ذلك عن الخطيئة نفسه وهو الشاعر المجيد ، والموهبة الفذة كما يرى ذلك ابن عباس ¹ .

ومن هنا برز بكل وضوح الفرق بين موقف ابن عباس من ابن فسوة والخطيئة ، فعندما حكم على ابن فسوة كان « الوضع كل ظروفه وشروطه ومعطياته ، ولم يعد يحتل أن يتخذ ابن عباس موقفا كالذي اتخذه مع الخطيئة فيكتفي بعبارة ² ، " أقسمت عليك ألا تقول إلا خيرا " أو جملة مثل " في العفو ما قد علمت من فضل " ، وبالتالي فإن ابن عباس من خلال موقفه من شعر الهجاء يتضح أنه كان يسمع ويتقبل شعر الهجاء من حسان بن ثابت لأن المرحلة كانت تقتضي ذلك ، فكانت الحرب الكلامية فيها بين مؤمنين ومشركين ، وكان الصراع فيها بين الحق والباطل ، وكان الجدل فيها بين التوحيد والشرك ، وبين الكفر والإيمان ، وقد قال حسان هجاءه في الدفاع عن الحق والدين ، لهذا تقبل ابن عباس شعر تلك المرحلة ، ولكن بعد أن عم الإسلام الجزيرة ودخل في الإسلام من كان مشركا، فإنه حاول قطع دابر شعراء الهجاء، منتهجا في ذلك منهج الخليفة عمر بن الخطاب في موقفه من شعر الهجاء الذي وضحنه سابقا ، ومن خلاله رفضه لشعر الهجاء الذي وصف مسلكه بالعصيان والبيهتان حفاظا على روابط المسلمين ، وحماية أعراضهم وأنفسهم وأموالهم من أذى شعراء الهجاء كابن فسوة ، وتوجيه فتوى فقهية للخطيئة أقنعه من خلالها أن يتعد عن الهجاء وأرشده على أن للعفو فضل كبير .

1- فهد العرابي الحارثي: موقف ابن عباس من شعر البهتان ، ص 70 .

2- المرجع نفسه ، ص 70 .

3- المرتكزات النقدية لشعر المدح عند عبد الله بن عمر (ت 73هـ 692م).

ومن الصحابة الفقهاء الذين رويت عنهم بعض النقداة عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-، حيث كان يتجنب سماع ما يكره من المعاني الشعرية التي لا تتماشى مع الأخلاق الإسلامية ومع ذوقه الفني ، وفي ذلك روي عنه :

أ- فقد روي « عن خالد بن كيسان ، قال: كنت عند ابن عمر ، فوقف عليه إياس بن خيثمة ، قال: ألا أنشدك من شعري يا ابن الفاروق ؟ قال: بلى ، ولكن لا تنشديني إلا حسنا، فأنشده حتى إذا بلغ شيئا كرهه ابن عمر قال له: امسك»¹.

فموقف ابن عمر من الشعر من خلال النص ، موقف إيجابي ، فهو لا يرفض سماع الشعر، ولكنه لا يسمع من الشعر إلا الحسن في معناه ومبناه ، والذي يتوفر على صفات فنية عالية ، وهذا ما يعكس ذوقه الجمالي ، وينم عن فهمه العميق للشعر وإدراكه لمعانيه ، ومقاصد الشعراء ، لهذا يبدو أن معياري جودة الشعر عنده: الحسن والقبیح أو الجودة والرداءة ، وبالتالي فهو لا يسمع من الشعر إلا الشعر الجميل الذي يتماشى مع ذوقه الفني المشبع بالقيم الإسلامية ، والذي فيه العفة وضرب المثل، وإثارة الحكمة ، وينأى عن سماع الشعر القبیح ، لأنه ينفر النفس، ويشير الإحن ، ويفسد المروءة ، وقد وضع في نصب عينيه قول الرسول ﷺ: « إنما الشعر كلام حسنه حسن ، وقبيحه قبيح »².

ب- وفي موقف آخر روي عن ابن عمر أنه كان لا يميل إلى شعر المدح من ذلك « مدح رجلا عند ابن عمر ، فجعل ابن عمر يثو التراب نحو فيه وقال : قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتهم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب »³.

يبدو في النص أن ابن عمر يرفض سماع شعر المدح، وذلك لأن صاحبه قد يبالغ في إطراء ممدوحه إلى حد التطرف في المبالغة والكذب ، لأغراض معينة ، وهو ما يدفع المادح إلى الابتعاد عن الحقيقة ، ويصبح مدحه خال من صدق الوصف ، وصدق العاطفة ، لهذا لما سمع ابن عمر الشاعر يمدح رفض مدحه ووقف يحنوا التراب في فم الشاعر عملاً بما سمعه عن الرسول (ﷺ)، وهو معيار خلقي التزم به ابن عمر .

1- نقلا عن : ولد قصاب : النقد العربي القديم نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي ، ص 75 .

- البخاري : الأدب المفرد، تحقيق: محمد هشام البرهاني، أبوظبي، وزارة العدل و الشؤون الإسلامية والأوقاف، 1401هـ 1981م، ص297.

2- عبد القاهر الجورجاني : كتاب دلائل الإعجاز ، ص 24.

3- نقلا عن : ولد قصاب : النقد العربي القديم نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي ، ص 50 .

- البخاري : الأدب المفرد ، ص 149 .

ج- ومن نقداً ابن عمر مارواه ابن عبد ربه : « سمع عبد الله بن عمر رجلاً ينشد بيت الحطيئة:

[الطويل]

مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُّوْهُ إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مُؤَقِدٍ
فقال : ذاك رسول الله (ﷺ) »¹.

وقد علق ابن عبد ربه على هذا الموقف النقدي والجمالي فقال : « إعجاباً بالبيت ، يعني أن مثل هذا المدح لا يستحقه إلا رسول الله (ﷺ) »².

وهذا هو الصواب ، لأن ابن عمر يرى أن الحطيئة قد بالغ في وصف ممدوحه بهذا المعنى ، لغرض التكسب ، وحب المال ، كما هو معروف عنه ، لأن صورة الممدوح وصفة الكرم التي ذكرت في البيت لا تنطبق إلا على رسول الله (ﷺ)، وبالتالي فكأن ابن عمر يتمنى لو أن الحطيئة في بيته هذا مدح النبي الكريم ، حتى وإن لم يره ، لأن المعنى الذي ذكره من كرم ومروءة وخصال حميدة في أعلى صورها لا تكشف إلا على العظمة في خلق وصفاته (ﷺ).

1- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 5 ، ص 271 .

2- المصدر نفسه ، ج 5 ، ص 271 .

المرتكزات النقدية للشعر والشعراء عند الصحابة الشعراء :

لم يتخلف الصحابة الشعراء عن القيام باهتمامهم بالدور المنوط بهم ، من التعلق بروافد الدعوة الإسلامية ، مما جاء به القرآن العظيم من مثل عليا ، وتوجيهات الرسول (ﷺ) نحو القيم الدينية الجديدة ، فكان تجاوب الصحابة مع هذه التوجيهات إيجابيا ، وأدركوا الفرق الواضح بين تلك القيم والمثل الدينية والفكرية والفنية التي كانوا يعيشونها في الجاهلية ، وما جاء به الإسلام من تجديد لهذه القيم والمثل . وفي صدر الإسلام لم يكن للشعراء دور كبير في نقد الشعر ، كما كان في العصر السابق للإسلام . لأن الصحابة الخلفاء قاموا بما كان عليهم أن يقوموا به من خلال مسؤولياتهم بتوجيه الشعر والشعراء بما يخدم الدعوة الإسلامية ، وأضافوا إلى ذلك نقدهم للشعر ، ولكنهم لم يمنعوا الصحابة الشعراء من نقد الشعر « فاستمرت مشاركة الشعراء في النقد خلال العصر الإسلامي ، ولا يزال النقد عندهم يهدف إلى الغاية الفنية حيناً ، وإلى النظرة في المضمون حيناً آخر ، وإن اختفى التعصب والهوى في صدر الإسلام... ونقد الشعراء في العصر الإسلامي يتردد بين النظر في شعر الجاهليين ونقده وتقويمه وتحديد طبقات شعرائه ، وبيان أشعرهم ، والنظر في شعر الإسلاميين وتقويمه ، وبيان أشعرهم ، والموازنة بينهم وبين الجاهليين في بعض الأحيان أو عقد المشابهة بينهم وبين من يشابه شعره مع شعرهم من الجاهليين»¹ .

حتى وإن رأينا أن « النقد في صدر الإسلام يصدر من قادة الدعوة الإسلامية بحكم مهمتهم في تعريف المسلمين - ومنهم الشعراء- بأمور الدعوة الجديدة ومبادئها ، فإن ذلك لم يكن يمنع بعض

الشعراء من المشاركة في الحكم النقدي على بعض الأشعار ، حيث لهم خبرتهم في هذا المجال ، ولهم علمهم بالأمر الفنية فيه ، وهم أقدر الناس على نقد الشعر من هذا الجانب ².

ومن هؤلاء الشعراء الذين صدرت عنهم نقداً في العصر الإسلامي: عثمان* بن مظعون (ت2هـ/624م) ، وحسان بن ثابت ، ولبيد بن ربيعة . وهذا ما يمكن توضيحه فيما يأتي :

1- عبد اللطيف محمد الحديدي : الشعراء النقاد في العصور الجاهلي والإسلامي : ص 83 .

2- المرجع نفسه ، ص 84 .

* « عثمان بن مظعون بن جبيب بن وهب بن حذافة بن جمح كان من حكماء العرب في الجاهلية ، صحابي من المهاجرين الأولين إلى الحبشة » .

- ابن هشام : سيرة النبي ﷺ، ج1، ص 169، وص 344

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

1- المرتكز النقدي لعثمان بن مظعون (ت 2هـ634م) في نقد بيت شعر للبيد بن ربيعة :

في هذا الصدد تروي لنا بعض مصادر السير النبوية، اهتمام الصحابة الشعراء بالنقد الأدبي منذ الوهلة الأولى للإسلام في رؤية جديدة ، ومن النصوص النقدية الأولى ، التي رويت في هذا المجال ، وتعد من البذور النقدية للصحابة الشعراء ؛ ما قاله عثمان بن مظعون للبيد بن ربيعة ، بعد عودته إلى مكة من هجرته إلى الحبشة ، حيث استجار عثمان بالوليد بن المغيرة ، ولكنه ما انفك أن رد عليه جواره علانية ، حيث قال : « فخرجنا حتى أتيا المسجد فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد علي جواربي ، قال: صدق ، قد وجدته وفيما كريم الجوار ، ولكني قد أحببت ألا أستجير بغير الله ، فقد رددت جواره ؛ ثم انصرف عثمان بن مظعون ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب، في مجلس من قريش ينشدهم ، فجلس معهم عثمان فقال لبيد:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

فقال عثمان : صدقت ، قال :

وَ كُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول ، قال لبيد بن ربيعة : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤذى جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه من سفهاء معهم قد فارقوا ديننا ، فلا تجدن في نفسك من قوله ، فرد عليه عثمان حتى شري أمرهما فقام إليه ذلك الرجل

فَلَطَمَ عَيْنَهُ فَخَضَرَهَا ، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لَعْنِيَّةٌ ، لقد كنت في ذمة مَنِيعة ، قال : يقول عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله ، وإني والله لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس . فقال له الوليد: هلم يا ابن أخي إن شئتَ إلى جوارك فَعُدْ، فقال: لا¹.

فنظرة عثمان إلى شطري بيت لبيد نظرة إسلامية جديدة، من حيث نقد المعنى، فمن وجهة نظره، فالمسلمون ينعمون بنعيمين نعيم دنيوي، ونيعم الآخرة، لأن عثمان يرى أن الجنة نعيم لا يزول، لكن المعيار النقدي الذي حدد من خلال معنى هذا البيت هو معيارا: الصدق والكذب ، وهما معياران

1-ابن هشام : سيرة النبي (ﷺ)، ج1، ص ص 392-393.

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

خلقيان، وهذا يعني المطابقة وعدم المطابقة، والصدق والكذب هما ليسا مطابقة الشعر لحياة الشاعر فحسب، بل هما مطابقة الواقع المعيش، ولهذا فالقصيدية التي رثى بها لبيد عمرو بن هند، هي قصيدة جاهلية، ولهذا فالنعيم الذي يؤمن به عثمان هو من الأفكار والمعاني الجديدة التي جاء بها الدين الإسلامي، وهو الإيمان بالحياة الآخرة، لهذا نراه صدق لبيدا في الشطر الأول، وكذبه في الشطر الثاني من البيت، على اعتبار أن الجاهليين كانوا لا يؤمنون بالحياة الآخرة والبعث، ولكن على ما يبدو أن لبيدا كان من الذين يؤمنون بالبعث .

2- المرنكز النقدي للشعر والشعراء عند حسان بن ثابت (ت54هـ) :

يعد حسان بن ثابت من الصحابة الشعراء النقاد ، فكان يحكم بين الشعراء أحياناً، وكما رأينا فيما سبق قد حكّمه الخليفة عمر في بيت الحطيئة في هجائه للزبرقان بن بدر ، واستشاره في الحكم على أبيات النجاشي التي هجا بها بني العجلان ، وأخذ برأيه وجعله حجة على الشعاعين . وفي هذا الصدد تروي بعض المصادر الأدبية والنقدية نصوصاً عن أحكامه النقدية تعكس ممارسته لنقد الشعر والحكم على الشعراء. فإلى جانب تعليق حسان على بيت الحطيئة في هجائه للزبرقان ابن بدر، وحكمه على الشعر الذي هجا به النجاشي بني العجلان، وهما حكمان نقديان صدرا عن شاعر كبير، حكّمه الخليفة عمر بين الشعراء في صدر الإسلام، وهناك أقوال نقدية لحسان ماثوثة في مصادر الأدب ونقده ، تكشف ممارسته لنقد الشعر ، منها :

أ- جاء في طبقات فحول الشعراء: قال أبو عمرو بن العلاء: « سئل حسان من أشعر الناس ؟ قال: رجلاً أم حَيًّا ؟ ، قيل: بل حيا ، قال: أشعر الناس حيا هذيل »¹.

إن الحكم النقدي في قول حسان كما هو واضح ، غير معلل فيه إجمالاً، وقد حكم حسان في إجابته بالشاعرية لقبيلة هذيل ، بمعنى أنه قدم شعراء قبيلة هذيل على جميع شعراء العرب ، بدون ذكر لعلّة تقديمهم على غيرهم من الشعراء ، وبالتالي فإن شعراء هذيل متساوون في الرتبة ، وهم في نظره أشعر الناس، وإن لم يذكر التعليل ، لأنه قال حكمه النقدي لمن يفهم منه ما أراد .

وعنهم « قال الأصمعي: فيهم أربعون شاعراً مفلحاً ، وكلهم يعدو على رجله ليس فيهم فارس »².

ووضح ابن سلام أن « أشعر هذيل أبو ذؤيب غير مدافع ، وحكى الجمحي ، قال : أخبرني عمر

ابن معاذ المعمرى قال: قال: في التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زور، وكان اسم الشاعر بالسريانية

...قال أبو عمر بن العلاء: أفصح الشعراء لسانا وأعذبهم أهل السروات ، وهن ثلاث وهي الجبال المطلّة على تامة مما يلي اليمن ، فأولها هذيل... ثم بجيلة في السراة الوسطى، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها، ثم الأزد أزد شنوءة وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نضر بن الأزد³.

ب- وفي موقف نقدي لحسان، « سئل حسان من أشعر الناس؟ قال: امرؤ القيس، فقيل ذلك

لرسول الله ﷺ: فقال: صدق، رفيع في الدنيا، وضيع في الآخرة، هو قائد الشعراء إلى النار⁴.

1- ابن رشيقي: العمدة، ج1، ص 77.

2- أبو حاتم السجستاني: فحولة الشعراء، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1411هـ 1991م، ص 129.

3- ابن رشيقي: العمدة، ج1، ص 77.

4- نقلا عن: عبد اللطيف محمد الحديدي: الشعراء النقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص52.

- السيوطي: شرح شواهد المغني، بيروت، منشورات دار الحياة، د.ت، ج1، ص 23.

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

فحسان بصفته شاعر مخضرم متمرس ومحترف للشعر، وعلى اطلاع واسع بأشعار الشعراء الجاهليين والمخضرمين، فقد صدقه الرسول ﷺ، الذي قدم هو بدوره امرأ القيس على سائر الشعراء الجاهليين والمشركين، وإن جاء حكم حسان قبي تقديمه لامرئ القيس بدون تعليل أو تفصيل، فإنه قال ذلك لمن يفهم المراد من قوله، وقد فهمه الرسول وحكم بالشاعرية لامرئ القيس وبين شيئا من التعليل، وذلك في جعله امرأ القيس " قائد الشعراء إلى النار" لأنه قاد الشعراء الجاهليين في الإبداع، حيث أبدع سنة جعلها الشعراء منهجا فنيا يبنون عليه شعرهم، وهو ما أشار إليه ابن رشيقي في قوله: « سبقهم إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها، لأنه قيل: أول من لطف المعاني، واستوقف على الطلول، ووصف النساء بالطباء والمها بالبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصي، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد، وقرب مأخذ الكلام، فقيد الأوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه¹.

ج- وفي موقف ثالث، ووجه سؤال لحسان بن ثابت: « قال قائل لحسان: لان شعرك - أو هرم-

في الإسلام، فقال: يا ابن أخي! إن الإسلام يحجب عن الكذب، وإن الشعر يزينه الكذب².

والواضح أن إجابة حسان على سؤال الناقد تؤكد عمق إيمانه وتشبعه بالإسلام، وتبين نظرته للشعر

الذي يتماشى مع قيمه الأدبية الجديدة، بعيدا عن الغلو والتطرف في التشبيهات والمبالغة في الصور.

د- ومن مواقف حسان النقدية، ما رواه الأصمعي في قوله: « حدثنا ابن أبي الزناد قال: أنشد

حسان شعر عمرو بن العاص، فقال: ما هو شاعر، ولكنه عاقل³.

هذا الرأي يؤكد فيه حسان بأن ما سمعه من شعر عمرو بن العاص خال من التجربة الشعرية ، ولا يجري فيه الماء الشعري، لهذا نفى عنه الشاعرية التي تجعل ابن العاص ضمن مصاف الشعراء، وإنما الذي سمعه من شعره ، لا ينم إلا عن تعبير عن بعض الحكم المعبرة عن التجارب والمواقف الحياتية له . وهكذا نجد حسانا لم يقف عند حد قول الشعر فحسب، بل شارك في نقد الشعر، مما يعطي صورة واضحة على مشاركته في تطور الحركة الأدبية والنقدية في العصرين الجاهلي والإسلامي .

1- ابن رشيقي : العمدة ج 1 ، ص 82 .

2- ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج 1، ص 346 .

3- أبو حاتم السجستاني : فحولة الشعراء ص ص 128-129 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

3- المرتكزات النقدية للشعر عند ليبيد بن ربيعة العامري :

أ- موقف ليبيد من الشعر ومن القرآن العظيم :

بعد الصحابي الشاعر ليبيد بن ربيعة العامري من الشعراء الفحول المخضرمين، وقد وضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة من فحول الجاهلية ، مع النابغة الجعدي، وأبي ذؤيب الهذلي، والشماخ بن ضرار¹ . فإلى جانب فحولته الشعرية أثرت عنه بعض النقديات في الإسلام، هي من بذور نقد الشعر، ونعدها بذورا نقدية في مدرسة الصحابة النقدية ، وظهرت نقدياته، وكل ما أثر عنه من نقد نتيجة مشاركة الشعراء الصحابة في الحركة النقدية في عصر صدر الإسلام .

وقد حافظت بعض المصادر الأدبية والنقدية عن بعض مواقفه النقدية ، وتذكر عنه أنه في إسلامه توقف عن قول الشعر-، وقد أدى هذا الرأي إلى جدل بين القائلين به والمعارضين له- ، من ذلك «كتب عمر إلى عامله أن سل ليبيدا والأغلب ما أحدثا من الشعر في الإسلام، فقال الأغلب: [الرجز]

أرجزًا تريد أم قصيدًا؟ فقد سألت هينًا مؤجودا

وقال ليبيد: قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران . فزاده عمر في عطائه فبلغ به ألفين»² . وفي رواية الشعر والشعراء: « قال له عمر بن الخطاب ت: أنشدني من شعرك فقراً سورة البقرة ، وقال: ما كنت لأقول شعرا بعد إذ علمني الله سورة البقرة وآل عمران ، فزاده عمر في عطائه خمس مائة (درهم) وكان ألفين»³ .

الواضح أن رقابة الخليفة عمر للشعراء، جعلته يفتش عن مسلكهم الشعري في الإسلام ، في أي مكان ، وأنه يعلم أن من فحول الشعراء المخضرمين من مازال على قيد الحياة ، ويعلم بوجودهم في الكوفة ، لهذا فمن خلال استفسار عمر للمغيرة بن شعبة اكتشف أن الشعراء لم يقولوا جديدا من الشعر في الإسلام ، فهل اطمأن الخليفة عمر لذلك ؟

من الواضح أن النصين يختلفان في ذكر الخبر، ففي النص الأول خاطب الأغلب لبيدا أن ينشده ، وفي النص الثاني خاطب عمر لبيدا أن ينشده، وهنا ظهرت شخصية لبيد الإسلامية، وهو الشاعر الذي

1- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج1، ص 123 .

2- المصدر نفسه ، ج1 ، ص ص 135-136 .

3- ابن قتيبة : لشعر والشعراء ، ص 172 .

حفظ القرآن العظيم ، ومنه سورتي البقرة وآل عمران ، وأنه قد تمعن في معانيه وأسلوبه وتشريعاته التي أقرها ، فكل هذا دفع لبليد إلى التأمل في مذهبه الشعري ، فوجده أدنى منزلة من القرآن من الناحية الفكرية والفنية ، فرأى أنه من الحكمة وسداد الرأي أن يعيد ترتيب مصادر ومراجع فكره ووجدانه ، وهكذا فبعد أن كان الشعر مقدما عنده ، فقدم عليه القرآن العظيم، ويتجلى هذا واضحا في إجابته عن سؤال الأغلب: " قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران" أو قوله للخليفة عمر: " ما كنت لأقول شعرا إذ علمني الله سورة البقرة وآل عمران " فالتغيير الجذري في فكر لبليد واضح في القولين، إذ يظهر زهده في الشعر ، وقد أدرك هذا بعد أن فاضل بين الشعر والقرآن العظيم، وفي هذا المنحنى الروحي نظرة نقدية جديدة ، تتمثل في كون أن لبيدا أول شاعر مخضرم محترف نظر للقرآن نظرة فكرية وجمالية أشبعت رغبته الروحية فزادته إيمانا وتقوى ، وأول شاعر بدل الشعر بالقرآن العظيم ، وهي نظرة سلبية لموضوعات الشعر وبنائه الفكري والجمالي ، والتعليل واضح في قول لبليد: " قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران" و" ما كنت لأقول شعرا إذ علمني الله سورة البقرة وآل عمران " ، وهو لم يزد على قوله هذا، لأن إجابته وجهها إلى ذوي الاختصاص ومن يفهم المقصد من كلامه . والقول الأهم عن شاعرية لبليد: هل فعلا أن لبيدا ترك الشعر كما شاع عنه ؟ وهل اطمأن الخليفة عمر لذلك ؟ حقيقة فـ« عمر هنا إذ يثيب لبيدا ، يريد أن يوجه الشعراء الوجهة التي يرتضيها الإسلام ، ولا يعني أنه يشجعه على هجر الشعر . كما قد يذهب الظن . بل إن عمر ليكبر في لبيد انصرافه إلى القرآن

الكريم ، وتفضيله إياه على ما سواه ، وإن كان لبيد في أرجح الظن ، قد تفتن لرغبة عمر ، فأجابه بما يحسن أن يجاب به ، لأن لبيدا لم يترك الشعر على ما يشاع عنه وإن كان شعره قد قل في الإسلام»¹ .
ومن هنا فرأى لبيد في تفضيله للقرآن العظيم على الشعر، لا يستبعد أن يكون بذلك ظهور إحدى بذور الزهد الإسلامي الذي بدأ ظهوره قديما .

1- يحيى الجبوري : الإسلام والشعر ، ص ص 92- 93 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر و الشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

ب- مفاضلة لبيد بين الشعراء

ومن نقداً لبيد ما رواه القرشي قال: « وذكر المفضل أن لبيد بن ربيعة مر بمجلس بني نهد بالكوفة، ويده عصا له يتوكأ عليها بعدما كبر . فبعثوا خلفه غلاما يسأله: من أشعر الناس ؟ فقال: ذو القروح بن حجر الذي يقول:

وَبَدَّلْتُ قَرْحًا دَامِيًا بَعْدَ صِحَّةٍ فَيَا لِكَ نُعْمَى قَد تَبَدَّلَتْ أَبُوسَا

يعني امرأ القيس ، فرجع إليهم الغلام وأخبرهم ، قالوا : ارجع إليه فأسأله: ثم من ؟ فرجع فسأله: ثم من ؟ قال: ثم ابن العنيزتين ، يعني طرفة ، قال: ثم من ؟ قال : صاحب المحجن، يعني نفسه»¹ .
وفي رواية ابن قتيبة: « قال لبيد بن ربيعة : أشعر الناس ذو القروح ، يعني امرئ القيس»² .

ففي النص الأول إجابة الناقد الخبير العالم بالشعر ، والعارف لفضل الشعراء ، لأن الحوار الذي أداره الغلام بينهما ، كان القصد منه ترتيب الشعراء ، لذا اقتصر الجواب على المفاضلة بين ثلاثة شعراء من الفحول في العصر الجاهلي كلهم أصحاب معلقات ، فليبد قدم امرؤ القيس على طرفة بن العبد وجعل نفسه في المرتبة الثالثة ، والواضح من النص أن حكم الناقد خال ومجرد من التعليل في ترتيبه للشعراء ، في النصين، ولعل كونه لم يشر إلى علة التفضيل بين الشعراء الثلاثة في حكمه ، « لأنه يوجهه إلى أناس لديهم خبرة ودراية بهذا الحكم ، فليسوا في حاجة إلى التعليل أو التفضيل...ونقد لبيد

هنا يمكن أن نطلق عليه ما يسمى بنقد الشعراء المجيدين في فنهم بوجه عام، الذين تكتمل عناصر الجودة والتقدم في أشعارهم شكلاً ومضموناً فيقدمون على سائر الشعراء»³.

أما النص الثاني فتقدم امرئ القيس بأنه أشعر الناس غير معلل، لكن لبدا يفضل امرأ القيس لعله يراها هو دون غيره، ولعلها هي العلل التي وقف عندها فيما بعد ابن رشيق، التي ذكرناها أثناء حديثنا في تقدم حسان بن ثابت لامرئ القيس على الشعراء .

1- القرشي : جمهرة أشعار العرب ، ص ص 38-39 .

2- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 52 .

3- عبد اللطيف محمد الحديدي : الشعراء النقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي ، ص 64.

ج- نقد لبید لشعر ابنته خماسية في ردها على شعر الوليد بن عقبة بن أبي معيط في ربح الصبا:

قال ابن سلام عن لبید: « وعمر طويلاً، وكان في الجاهلية خير شاعر لقومه: بمدحهم، ويرثيهم، ويعد أيامهم ووقائعهم وفرسانهم ، وكان يطعم إذا هبت ربح الصبا ، وكان المغيرة بن شعبة إذا هبت ربح الصبا قال: أعينوا أبا عقيل على مروءته »¹.

وفي قصة ربح الصبا* نقد لبید شعر ابنته خماسية في ردها على شعر الوليد بن عقبة بن أبي معيط، حيث جاء في الكامل للمبرد: « كان لبید بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب شريفاً في الجاهلية والإسلام ، قد نذر أن لا تهب الصبا، إلا نحر وأطعم حتى تنقضي، فهبت بالإسلام وهو بالكوفة مقتر مملق . فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي معيط... وقال: إنكم قد عرفتم نذر أبي عقيل وما وكد على نفسه فأعينوا أحاكم . ثم نزل فبعث إليه بمائة ناقة (وأبيات يقول فيها):

أرى الجزارَ تُشحذُ مُدَيَّتَاهُ إذا هبَّت رياحُ أبي عَقِيلِ
طَوِيلِ الباعِ أبيضَ جَعْفَرِيٍّ كريمِ الجِدِّ كالسِّيفِ الصَّبْقِيلِ
وَفِي ابنِ الجَعْفَرِيِّ بما لَدَيْهِ على العِلاَّتِ والمالِ القَلِيلِ

فلما أتته قال: جزى الله الأمير خيراً، قد عرف الأمير أنني لا أقول شعراً ولكن أخرجي يا بنيتي فخرجت خماسية . فقال لها: أجيبي الأمير (فأقبلت وأدبرت) . وبَعَثَ الناس فقضى نذره ففي ذلك تقول ابنة لبيد:

إِذَا هَبَّتْ رِيَاخُ أَبِي عَقِيلٍ دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا
(طويلُ الباعِ أبيضَ عَبْشَمِيًّا أَعَانَ عَلَيَّ مَرَوْتَهُ لَيْبِدَا
بَأَمْثَالِ الْهَضَابِ كَأَنَّ رُكْبًا عَلَيْهَا مِنْ بَنِي حَامٍ قُعودَا
أَبَا وَهَبٍ جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا نَحْرَنَاهَا وَأَطْعَمَنَا الثَّرِيدَا
فَعِدْ إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مَعَادٌ وَظَنِّي بِإِنِّي أَرَوَى أَنْ يَعُودَا

قال لها لبيد: أحسنت يا بنيتي لولا أنك سألت ، فقالت: إنَّ الملوك لا يستحي من مسألتهم،

1- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج 1 ، ص 136 .

*الخبر المذكور في: الشعر والشعراء، ص ص 172-173. وذكره كذلك: ابن رشيقي: العمدة، ج 1، ص 71. مع اختلاف طفيف في لفظ الخبر.

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

(فقال لها: يا بنيتي وأنت في هذا أشعر) ¹.

يبدو أن الحوار في النص أو القصة دار بين ثلاثة شعراء ، عقبة بن أبي معيط ولبيد وابنته خماسية ، فليبد تقبل الإعانة كما تقبل شعر الوليد بن عقبة ، وتقبل كذلك جواب ابنته للوليد قبولاً حسناً، وقول لبيد لابنته : " أحسنت يا بنيتي لولا أنك سألت " دل على شاعريتها القوية في تجاوزها مع علو همة أبيها لبيد ، وتجاوزها مع هدية وشاعرية الوليد ، وقد تحفظ لبيد على المعنى ، وذلك لأن « المعنى لم يرض عنه لبيد ، لما أحس فيه من مذلة ومهانة تخالف ما اعتاد عليه العربي في العصر الجاهل في سلوكه الاجتماعي، ولكن كان رد الابنة مقنعا لوالدها بوجهة نظرها ، فاستحسن ردها البليغ »² ، " فقال لها: يا بنيتي وأنت في هذا أشعر". ودل هذا على أن لبيدا « حكم لها بالشاعرية ، ولا يزال هذا النقد أيضاً من قبيل النقد الفطري غير المعلل، وعرفنا سر ذلك إذ لازال في طور النشأة والطور الفطري في تاريخ النقد العربي الذي لا ينتظر منه أكثر من ذلك »³.

وهكذا تعد نقداً لبيد من نقداً المفاضلة ، فقد فاضل بين الشعر والقرآن العظيم، وقدم القرآن وفضله على الشعر ، كما فاضل بين الشعراء الجاهليين: فقدم امرأ القيس ثم طرفة ، ثم صاحب

المحجن ، يعني نفسه ، ولكن هذا التقديم لم يعط فيه تعليلا ، لأنه قاله لمن يعرفون علة التقديم ، كما نقد شعر ابنته خماسية ، وشهد لها بالشلعرية بدون أن يعلل .

-
- 1- المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، ج 2 ، ص ص 60 - 61 .
 - 2- عبد اللطيف الحديدي : الشعراء النقادي العصر الجاهلي والإسلامي ، ص 66 .
 - 3- المرجع نفسه ، ص 66 .

الفصل الثالث

أسس التجديد النقدي عند التابعين

- أولاً: التجديد في مجالس التابعين الخلفاء.
- ثانياً: التجديد في مجالس التابعين العلماء والفقهاء.
- ثالثاً: التجديد في مجالس التابعين الأدباء النقاد.
- رابعاً: التجديد في مجالس الأدبيات الناقدات.
- خامساً: التجديد في مجالس التابعين النحاة.
- سادساً: التجديد في مجالس التابعين الشعراء.

أسس التجديد النقدي عند التابعين

بعد انقضاء عصر الصحابة الخلفاء الذين قادوا عصرهم دينيا وسياسيا وأديبا، وقادوا حركة النقد التي أعطت بذورها النقدية نفسًا جديدًا في الإبداع النقدي، سواء من حيث التنظير لمفهوم الشعر، أو بيان وظيفته الجديدة التي خالفوا بها وظيفة الشعر في العصر الجاهلي، أو من حيث تشكيلهم لمدرستهم النقدية ، وبانتقال السلطة السياسية والاجتماعية إلى بني أمية ، حدث ذلك التحول الكبير في الاتجاه السياسي، و« أدت التناقضات السياسية والاجتماعية التي حملتها معها الدولة الأموية إلى انشطار المجتمع إلى مؤيد ومعارض، ومحيد، وبذلك انفرط عقد التوازن الاجتماعي، الذي سعى المسلمون الأوائل إلى ترسيخه في الحياة الاجتماعية عبر سلسلة من القوانين والتوجيهات الأخلاقية الإسلامية ، وقد امتد هذا الانشطار إلى مجال الشعر والشعراء ، فأصبحوا يتأرجحون بين التأييد والمعارضة والحياد ، وساهم هذا التناقض السياسي في اتساع رقعة الشعر باعتباره سلطة تمد هذا الاتجاه أو ذلك بعناصر القوة والصدور»¹ ، وبعد أن « تقوض نظام الحكم الأول في دولة الخلفاء الراشدين، تقوض ذلك الحاجز الذي ظل قائما دون المثل الجاهلية يمنعها ويصدها أو ينبه على الأقل من شرتها، فلم تلبث أمواجها التي احتجزت زمانا أن انبعثت ثم تفجرت واستفاضت وجعلت تغالب الروح الإسلامية ، وتحاول بكل ما تملك من قوة أن تفرض نفسها على المجتمع، وتهدم تلك المثل التي رأينا عمر حريصا على تحقيقها وإقرار سلطتها، وحياطة المجتمع بها»² .

لهذا، فإن ما حدث في عصر التابعين من تغير وتطور سياسي وأدبي يرجع أساسا إلى الساسة الأمويين، الذين كانوا « بحكم تمكنهم من جهاز الدولة وثرواتها أكثر المتحكمين في مسار الشعر والشعراء ، وتوجيههم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، لابتلاء موا مع سياستهم، ولذلك خصصوا جزءا من ثروات الدولة هبات وهدايا للشعراء الذين يتحزبون للدولة أو يظهروا ممالا لها، وفي الوقت نفسه تعرض المعارضون للحرمان والإبعاد والإهانة»³ . عندئذ أصبح التابعون الشعراء يترددون ويجتمعون في بلاط الخلفاء والولاة لإنشاد شعرهم ، والفوز بالجوائز والعطايا، وتوجيه الشعر من خلال بعض النقدا ذات البعد السياسي، وكما يقول عبد العزيز حسوس « وغالبا ما ينتهي ذلك الإنشاد بإبداء ملاحظات نقدية حول الشعر الذي تم إنشاده ، قد لا تكون هذه الملاحظات ذات مضمون سياسي

1 - عبد العزيز حسوس : نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 69 .

2- محمد طه الحاجري: في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي ، والقرن الأول الإسلامي ، ص 70 .

3- عبد العزيز حسوس : نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 69 .

واضح ومباشر ، ولكنها على الأقل كانت تطمئن إلى أن ذلك الشعر لا يتعارض مع السياسة الأموية ، فيتم التركيز على انتقاد المعنى والصياغة ، والدفع بالشعراء إلى التباري على المعاني الظرفية ، والصبغ الجميلة من أجل الحصول على الجائزة»¹.

وأدت رغبة التابعين الشعراء من خلال الحصول على الجوائز في تلك المجالس بعد الاهتمام بشعرهم، إلى الاستزادة فنيا من شعر غيرهم، حيث « تجاوزوا التجويد إلى التفكير في أشعار غيرهم المعاصرين لهم والسابقين عنهم للاستفادة منه وإدراك خواصه ، واشتقاق معاني وصيغ جديدتين تكونان محطة تقدير وإعجاب ، ونتيجة لهذا التفكير في الشعر تواترت عن شعراء هذه الحقبة سلسلة الأحكام المتبادلة ، التي اهتمت في عمومها بالمعاني والصيغ والأغراض والمقارنات بين الشعراء»².

ولقد قادت سياسة وثقافة عصر التابعين الشعراء إلى الاستزادة من الموروث الشعري للعصرين الإسلامي والجاهلي، بالإضافة إلى الاستفادة من القرآن العظيم، والسنة النبوية الشريفة ، وآراء ومواقف الصحابة الفقهية والنقدية، فازدادت ثقافة التابعين الخلفاء والشعراء والعلماء، وتكونت ونمت خبرتهم وتجاربهم الشعرية والنقدية. إلا أن المطلع على سبل تنامي النقد وتطوره في عصر التابعين « يدهشه ما يرى من اهتمام عام بالنقد على جميع المستويات وبين مختلف الطبقات، فالنقد الأدبي في هذا العصر قد أسهم فيه الرجال والنساء والشعراء وغير الشعراء، كل على قدر ذوقه وفهمه وروحه ونوع ثقافته»³.

وهكذا نرى أن الاهتمام بالنقد لدى التابعين، « كان وليد الاهتمام بالشعر ذاته ، وبما يدور حوله من جدل ونقاش بين الناس أنفسهم في مجالسهم ومنتدياتهم»⁴.

وقد أدى الاهتمام بالنقد إلى تلوين مجالاته وكثرة المهتمين به ، في المدينة ومكة والعراق والشام ، حيث شارك في العملية النقدية الخلفاء والفقهاء والنحاة والأدباء والشعراء .

وعلى هذا الأساس يمكن طرح السؤال الآتي، ما هي العوامل التي ساعدت على تنامي النقد في عصر التابعين وتطوره؟ وهل استطاع التابعون تشكيل مدرسة نقدية؟ وما هي إضافتها في مجال النقد؟ مما يلفت النظر في عصر التابعين هو « اهتمام الأمويون بالشعر والشعراء . فأصبحوا يعتقدون لذلك

1- عبد العزيز حسوس : نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 69 .

2- المرجع نفسه ، ص 69 .

3- عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 113 .

4- المرجع نفسه ، ص 113 .

مجالس يحضرها أعيان الدولة وكبار الشعراء ، وتعتبر هذه المجالس صيغة متطورة للأسواق الأدبية القديمة التي كان يشهدها عموم الناس ويتساوى فيها الشعراء ، في الجودة والإثارة . بينما هذه المجالس للصفوة، وكان معظم الشعر المتداول فيها يدور حول غرض المدح ، مدح الخلفاء ، والكبراء ، بهدف بناء قوة الدولة وتكريس صورتها في أذهان الناس، وإذا أريد للشعر أن يتجاوز مجال المدح فعليه أن يتجه إلى الغزل وبعض الطرائف الشعرية التي كانت تضيئي على هذه المجالس الحيوية والتسلية»¹.

والواضح أن ما كان يجري « في هذه المجالس هو أن الشعر الجاهلي أصبح خلفية فنية يصدر عنها الشعراء ، ورؤساء هذه المجالس لإنتاج الشعر وتقويمه . ولم يعد ينظر إليه من الزاوية الأخلاقية والدينية ، كما لاحظنا بداية ذلك في الحقبة الإسلامية ، بل نظر إليه باعتباره ثروة فنية مثالية يجب الحرص عليها والصدور عنها في الإنتاجات الجديدة . وهذه النظرة التي تركزت في هذه الحقبة ستستمر في المراحل اللاحقة من تاريخ نقد الشعر عند العرب...وبذلك رفعت عن الشعر والشعراء الصفة الأخلاقية الالتزامية . فأصبح للشعر الماخن مجال واسع للتداول . بل أصبح له شعراء متخصصون ، يتندر بشعرهم ويشجعون ضمناً أو صراحة على الاستمرار فيه ، حتى اشتهر الأخطل أنه كان يدخل على الخليفة في قصره والصليب معلق على صدره وحيته تتقاطر خمراً»².

وقد اتضح أن العوامل المباشرة التي ساهمت في تنامي الحركتين: الشعرية والنقدية وتطورهما زمن التابعين وساعدت على تكوين مدرسة التابعين النقدية، هي المجالس الأدبية التي كان يحضرها الخلفاء، والشعراء والفقهاء والنقاد ، وهذه المجالس هي :

1- مجالس التابعين الخلفاء: لقد انعكس في هذه المجالس اهتمام خلفاء بني أمية بالشعر والشعراء ، فعقدوا المجالس في قصورهم وجعلوها منبرا للشعر ونقده ، وكانت تدار فيها الحلقات النقدية، وسوق سيادة بني أمية، « وأشهر من استن تقليد هذه المجالس ورغب فيها وصيرها تقليدا متبعا لدى لاحقيه، هو المؤسس الثاني للدولة الأموية عبد الملك بن مروان (65-86هـ)، فقد توافد على قصره ومجالسه معظم شعراء هذه الحقبة وخصوصا كبارهم ومشهورهم ، فضلا عن الوازع المادي الذي كان

1- عبد العزيز حسوس : نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص ص 80- 81 .

2- المرجع نفسه ، ص 81 .

يحرك هؤلاء الشعراء ، لنيل الهبات على قصائدهم المدحية ¹ .

وقد تعود الشعراء على طرق أبواب مجالس الخلفاء ومدحهم، فأغدقت الأموال على الشعراء، ولعب كل من الشعر والشعراء دورا كبيرا في خدمة سياسة بني أمية ، وتعزيز ملكهم وتقوية سلطانهم، وبسط نفوذهم على الملك والرعية . وقد غلب على هذه المجالس مدح الخلفاء، والكبراء، وشعر الغزل .

2- مجالس التابعين العلماء النقاد: إن الحديث عن موقف التابعين العلماء الفقهاء من الشعر والشعراء ، يدفعنا إلى القول : على أن « هناك لون آخر من المجالس الأدبية ، أدنى إلى الوقار ، كان يتعقد في المسجد ، مسجد الرسول (ﷺ) في المدينة ، أو المسجد الحرام بمكة ، وكان مثل هذه المجالس يتحلق حول جماعة من العلماء الذين كانوا يأخذون هنالك مجالسهم لرواية الحديث وللتبصر بالدين وبيان مبادئه ، وأصوله ، ومناهجه ، ولكنهم كانوا إلى ذلك أدباء تغلغل الأدب في صميمهم، وكون ناحية من نواحي شخصيتهم، فكانوا إلى جانب تلك الغاية الأولى التي أطبعوا أنفسهم عليها يشاركون في الحياة الأدبية الحجازية ² . وكان هؤلاء العلماء ينشدون الشعر ، ويروونه ويتمثلون به ، وينقدونه ، فكان منهم من يقول الشعر الجيد الرائع ، يعبرون به عن أفكاره ونوازهه وخلجاته النفسية ، كعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت98هـ) وعروة بن أذينة (ت130هـ) وكان منهم الشاعر الذواقة الذي يروي الشعر وينشده ويستمتع إلى إنشاده ، ويجيد التمييز بينه كسعيد بن المسيب ³ (ت94هـ 712 م) . وغلب على مجالس العلماء شعر الزهد والغزل العفيف .

3- مجالس التابعين الأدباء النقاد : وتدل هذه المجالس على أن التابعين النقاد عل غرار ابن أبي عتيق في الحجاز ، الذي ساهم مساهمة فعالة في تنامي النقد من خلال مجالسه في عصره ، كما أن المرأة العربية في عصر التابعين كان لها دور فعال ومشاركة إيجابية في مجال الحركة الأدبية والنقدية إلى جانب النقاد ، وكان لها موقف إيجابي من الشعر والشعراء، حيث « ساهمت في النشاط الأدبي في بيئة الحجاز وشاركت في حركة النقد، كالذي نعرفه عن سكينه بنت الحسين بن علي [126هـ]، وعقيلة بنت عقيل ابن أبي طالب [ت ؟] ، وكتلتاهما كانت دارها ناديا من الأندية في الحجاز يجتمع فيها الشعراء ، وأهل

1 - عبد العزيز حسوس : نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 82 .

2- محمد طه الحاجري: في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي ، والقرن الأول الإسلامي ، ص 84 .

3 - مصطفى الصاوي الجويني : نقد العرب الأدبي في ثلاثة عصور، د . م ، دار المعارف الجامعية ، 1998م ، ص 24.

الأدب ورجال الفن ويجري فيه حديث الشعر ونقده»¹.

4- مجالس التابعين النحاة واللغويين : وكانت هذه المجالس يعقدها علماء النحو واللغة لنقد شعر

الشعراء- الذين طارت شهرتهم- نقدا لغويا، حيث لاحظوا على شعرهم الأخطاء اللغوية ، فلفتوا نظر الشعراء من خلال منهج وقواعد صارمة ، كالذي وقع بين عبد الله بن إسحق الحضرمي والفرزدق .

5- مجالس التابعين الشعراء : وهي مجالس كان يعقدها الشعراء في مكة والمدينة أثناء أدائهم للحج،

« فيتناشدون الشعر ويفيضون في حديثه ، ويفاضلون بينه ويوازنون بين شعراء الحجاز، ويلاحظون ما يمتاز به هؤلاء عن أولئك من خصائص في معاني شعرهم وأساليب صياغتهم، ويكون من ذلك مادة خصبة للنقد الأدبي في هذه المجالس، التي تنقل إلينا كتب الأدب بعض أخبارها، نجد شعراء العراق كجرير والفرزدق ، كما نجد شعراء البادية كالنصيب وذو الرمة ، وحين كان جرير يذهب إلى المدينة مثلا كان طلاب الأدب والشعر يتسابقون إلى الجلوس والاستماع منه والأخذ عنه ، كما كان من شعراء الحجاز من يقصد إليه ليتحداه، ويدخل مرثيا في بعض ألوان الخصومة ، وكذلك تروى أخبار عن الفرزدق كنتلك التي من جرير، مما يدلنا على ما أتاحه الحجاز ومجالسه للشعر ونقده»² من تطور .

وهكذا تكون المجالس النقدية من أهم العوامل المساعدة على تنامي النقد وتطوره في زمن التابعين.

أي العصر الأموي ، ويمكن توضيح ذلك فيما يأتي :

أولا : التجديد النقدي في مجالس التابعين الخلفاء:

1- رؤية عبد الملك بن مروان في نقد الصور والمعاني الشعرية وتطور النقد عنده :

لقد بدأنا الحديث عن مجالس عبد الملك بن مروان لأنه أشهر من استن تقليد هذه المجالس الشعرية والنقدية بالشام ، فكانت الشعراء تأتيه من كل حذب وصوب لتعرض على مسامعه مدائحها ، وكان كثيرا ما يتعرض في مجلسه أثناء سماعه للشعراء المادحين له إلى نقد المعاني والصور الشعرية ، بخاصة المتمثلة في " كثرة التشبيهات المنقولة عن البادية"³ ، المأخوذة من الطبيعة الحية كتشبيهه بالأسد والصقر والباز ، والطبيعة الصامتة كالبحر والجبل ، وقد تعودت الشعراء على مدحه بهذه المعاني ، حيث

1- مصطفى الصاوي الجويني : نقد العرب الأدبي في ثلاثة عصور، ص24.

2- المرجع نفسه ، ص 25 .

3 - محمد عبد العزيز الكفراوي : تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وعصر بني أمية ، ج 1 ، ص 347 .

كان يسمع قصائدهم ويضطرب لها ويجازيهم عليها ، ثم إن عبد الملك رأى أن وصفه بهذه الصفات فيه فرق جوهري بين مستوى المديح الذي يمدحه به الشعراء من خلال هذه الصور ، والمستوى الفني الذي يمدحون به غيره ، من خلال ما يضيفون عليهم من المعاني الدينية والصور المعنوية ، فلاحظ أن الشعراء يتبارون في نظم صورته وفق العناصر الطبيعية المادية، التي رآها لا تعطيه قيمته الحقيقية بصفته بطلا وخليفة له نزعه الإنسانية والدينية ، ولاحظ أن بعض المدائح التي مَدَحَ الشعراء بها وُلّاتَه جاءت في أجود معنى وأبلغ لفظ عما يمدحونه به ، لهذا راح يبحث عن المعاني الجمالية الجديدة ، ويبحث الشعراء على التغيير في المعاني والصور التي تخصه ، وطلب من كل شاعر يريد أن يمدحه ألا يشبهه بالأسد والصقر والباز والبحر والجبل ، بل طلب من الشعراء أن يغيروا مجرى أسلوب وصور ومعاني مدحهم له ، كالذي حدث في مجلسه مع الأخطل، بل ذهب إلى حد رفض تشبيهه بملوك العجم التي تضع على رؤوسها التاج، من خلال رفض صور ومعاني ابن قيس الرقيات التي مدحه بها، ووجه الشعراء إلى ما قاله أيمن بن خريم في بني هاشم ، وما قاله كعب الأشقر في المهلب وولده ، ووصف عبدة بن الطيب للأخبية والمراجيل والمناديل ، وما قالته أخت بني الشريد لأخيها صخر .

إن رفض عبد الملك للمعاني والصور الطبيعية ليس معنى هذا أنه لا يحب الطبيعة ، بل هو يحب طبيعة البادية في بساطتها ، وتقشفها .

ولهذا فعندما نتحدث على نقد عبد الملك للشعر على المستوى الفني والجمالي ، فإننا نتحدث على رؤية عبد الملك المتطورة التجديدية ؛ حيث أراد من الشعراء إعطاء البديل ، وتحديد صور الممدوح في قصائدهم ، وأن يختص بمدائحهم، ويظهره الشعراء في صورة الممدوح الخاص بهم ، وإبراز صورته في معاني وصور مدحية ذات قيمته دينية وإنسانية ومعنوية وجمالية بين الرعية .

أ- وفي مجال نقد المعنى والصورة لـ «قد أنكر عبد الملك من تشبيه الممدوح بالأسد والصخر والبحر فأخبرنا أبو أحمد قال: أخبرنا أبو بكر أخبرنا عبد الأول بن مزيد - أحد بني أنف الناقة- عن ابن عائشة عن أبيه قال: قال عبد الملك يوما وقد اجتمع الشعراء عنده، تشبهونا بالأسد، والأسد أبحر، وبالبحر والبحر أحاج، وبالجليل والجليل أوعر، ألا قلت كما قال أيمن بن خريم في بني هاشم: [الوافر]

نُحَارِكُمْ مُكَابِدَةً وَصَوْمٌ وَلِيْلِكُمْ صَلَاةٌ وَأَقْتِرَاءُ
أَجْعَلِكُمْ وَأَقْوَامًا سَوَاءً وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْهُوَاءُ

وهم أرضٌ لأرجلكم وأنتم لأعينهم وأرؤسهم سماءً»¹.

إن النقد الموجه للشعراء نقد بلاغي فني، خاص بنقد صورة التشبيه ، وهو ما يعني أن عبد الملك يعرف الدلالة البلاغية للتشبيه ، لهذا لفت نظر الشعراء إلى صورهم البلاغية التي يضيفونها عليه ، والأبيات التي فضلها عبد الملك تظهر الممدوح في صورة شاعرية دينيا ومعنويا، لا تظهره في قوة وحرث .

- وفي موقف مماثل في نقد المعنى: أبدى عبد الملك استياءه لهذه الظاهرة ، فقال للشعراء: « تشبهوني مرة بالأسد، ومرة بالبازي ، ومرة بالصقر ، ألا قلت كما قال كعب الأشقري في المهلب وولده : [الوافر] يراك الله حين يراك بحرًا وفجر منك أنهارًا غزارًا »².

« وقد يعجب المرء لصدور مثل هذا من عبد الملك المعروف بحبه لحياة البادية البسيطة، المتقشفة، كما يبدو من إعجابه بقول عبدة بن الطيب »³، إذ قال : « عبد الملك بن مروان يوما جلسائه ، وكان يتجنب غير الأدباء ، أي المناديل أفضل ؟ فقال قائل منهم: مناديل مصر كأنها غر قى البيض... وقال آخر: مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع . فقال عبد الملك : ما صنعتمنا شيئا ، أفضل المناديل ما قال أخو تميم ، يعني عبدة بن الطيب: [البسيط]

لَمَّا نَزَلْنَا نَصَبْنَا ظِلَّ أُخْيِيَّةٍ وفار للقوم باللحم المراجيل
وَرْدٌ وَأَشَقَّرَ مَا يُؤْنِيهِ طَابِحُهُ ما غَيْرَ الْعَلْيِ مِنْهُ فَهُوَ مَأْكُولٌ
ثُمَّتْ قُمْنًا إِلَى جُرْدٍ مُسْتَوِّمَةٍ أَعْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلٌ»⁴.

إذًا، فالمعاني والصور المنقودة من طرف عبد الملك كلها مأخوذة من البيئة العربية ، التي تعود الشاعر العربي على توظيفها في قصائده ، وإبرازها في صورته ومعانيه الشعرية ، معتقدا أن ذلك أبعث وأفضل لإرضاء الممدوح ، وأخذ الجائزة منه، ولكن يبدو أن « عبد الملك بن مروان رغم هذا الحب والإعجاب بالبادية أراد للشعراء أن يميزوا بين المستساغ وغير المستساغ من مظاهر البادية ، وكأنه بذلك يدفعهم إلى نوع من التطور الجدير بجياتهم الجديدة ، ودولتهم التي أخذت في الاتساع والازدهار »⁵.

1- أبو هلال العسكري : ديوان المعاني ، د . م ، عالم الكتب ، د . ت ، ج1، ص ص 25- 26 .

2- محمد عبد العزيز الكفراوي : تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وعصر بني أمية ، ج1 ، ص 347 .

3- المرجع نفسه ، ج1 ، ص 347

4- المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، ج1 ، ص 327 .

5- محمد عبد العزيز الكفراوي : تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وعصر بني أمية ، ج1 ، ص 348

ب- وفي السياق نفسه تكرر موقف رفض عبد الملك من الشعراء أن يشبهوه بالطيور والحيوانات ، قال العسكري: « أخبرنا أبو حامد: قال: أخبرنا أبو بكر بإسناد ذكره عن الهيثم بن عدي قال: دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان، فقال: يا أمير المؤمنين قد امتدحتك فاستمع مني ، فقال: إن كنت شبهتني بالصقر والأسد فلا حاجة لي بمدحك ، وإن كنت قلت: كما قالت أخت بني الشريد لأخيها صخر ، فهات ، فقال الأخطل: وما قالت يا أمير المؤمنين: قال: هي التي تقول: [الطويل]

فَمَا بَلَغَتْ كَفُّ امْرِئٍ مُتَنَاوِلٍ بِهَا الْمَجْدَ إِلَّا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلُ
وَلَا بَلَغَ الْمَهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةً وَلَوْ أَطْنَبُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ

فقال الأخطل: والله لقد أحسنت القول، ولقد قلت فيك بيتين ماهما بدون قولها، قال: هات

فأنشد: [الطول]

إِذَا مُتَّ مَاتَ الْعُرْفُ وَأَنْقَطَعَ النَّدَى مِنْ النَّاسِ إِلَّا فِي قَلِيلٍ مُصَرَّدٍ
وَرُذِّتْ أَكْفُ السَّائِلِينَ وَأَمْسَكُوا مِنْ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِخَلْفِ مَجْدَدٍ¹.

وقد علق أبو هلال العسكري على بيتي الأخطل ، فقال: « وليس بحسن عندي أن يقال: للممدوح " إذا مت " فإن استماع ذلك مكروه وإن كانت الشعراء استعملته في كثير من مقاماتها². فالواضح أن عبد الملك رفض مدح الأخطل قبل أن يسمعه مدحه له ، لأنه تعود على سماع مدحه وتشبيهه بالطيور الكاسرة كالصقر والحيوانات المفترسة كالأسد ، لذا فهو لا يضيف إليه قيمة إنسانية أو سياسية أو جمالية جديدة ، فقد كان يقبل مثل هذه الصور المدحية في المرحلة الأولى من بداية حكمه ، ولكن لما استتب له الأمر أصبح يرى أن هذه الصور لا تعبر عن وضعه السياسي القائم ، لذا وجه الشعراء إلى مدحه بمعاني أكثر عمقا اجتماعيا وسياسيا وإنسانيا ، تبرز مجده .

ج- ومن المواقف النقدية للمعاني والصور الشعرية التي لم ترض الخليفة عبد الملك في مدحه ، من ذلك

« لما أنشد ابن قيس عبد الملك بن مروان: [مخلع البسيط]

يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرَقِهِ عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الدَّهْبُ

قال: أما لمصعب بن الزبر فتقول: [الخفيف]

1- أبو هلال العسكري : ديوان المعاني ، ج1 ، ص 27 .

2- المصدر نفسه ، ج1 ، ص 27 .

إنما مُصعَّبُ شهابٍ من الله بَجَلَّتْ عن وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ

وأما لي فتقول: على جبين كَأَنه الذهب¹.

فالصورة المدحية التي نقدها عبد الملك في مدح ابن قيس له، هي: "على جبين كَأَنه الذهب" وهو نقد للمعنى نقدا جماليا، لأنها صورة أعجمية. وأن الخلفاء العرب غير متعودين على وضع التاج على رؤوسهم، لهذا فضل عبد الملك أن يُمدح بمعاني وصور فنية روحية، كالتي مُدِحَ بها مصعب بن الزبير. وعلى هذا الأساس يتضح الموقف السلي للخليفة عبد الملك من المعاني والصور التي يمدحه بها الشعراء؛ لهذا نجده قد وضع للشعراء مقياسا نقديا جديدا للمدح، وللمعاني والصور المدحية الجديدة، وألزم الشعراء بالتحديد فيما يضيفون عليه من الصور والمعاني في مدائحهم.

د- ومن معاني النقد الثقافي، التي تكشف عن سعة اطلاع عبد الملك بن مروان وتبحره في فهم معاني القرآن العظيم وتشريعاته، هو أنه «لما أنشد الراعي عبد الملك قصيدته فبلغ قوله: [الكامل] أَخْلِيفَةَ الرَّحْمَنِ إِنَّا مَعْشَرٌ حُنْفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا عَرَبٌ نَرَى لِلَّهِ فِي أَمْوَالِنَا حَقَّ الزَّكَاةِ مَنْزِلًا تَنْزِيلًا قال: ليس هذا شعرا، هذا شرح إسلام، وقراءة آية²».

لقد أدرك عبد الملك بن مروان بحسه النقدي أن بيتي الراعي خاليان من الماء الشعري، بل هما منظمان في شرح بعض ما جاء به الدين الإسلامي من تشريعات، أما قراءة الآية المشار إليها في النص هي قوله تعالى: أَمْ نَجْمٍ نَجْمٍ ﴿سورة الأحزاب الآية 42﴾، وقوله تعالى: أَسْمَاءٌ ﴿سورة الإنسان الآية 9﴾، وقوله تعالى: أَمْ أَمْ ﴿سورة الإنسان الآية 25﴾، وأما ما تشير إليه الزكاة في البيت: هو قوله تعالى: أَمْ أَمْ ﴿سورة البقرة الآية 43﴾.

وأيا كان النقد الديني الموجه إلى البيتين و«بصرف النظر عن القيمة الفنية لهذين البيتين، فقد استقر في ذهن عبد الملك أن (قيم الإسلام والقرآن) شيء، و(قيم الشعر) شيء آخر، لأن الشعر المطلوب هو شعر المدح الذي يُخدم هدفا سياسيا، فعليه يجب التركيز، وعنه تقدم الهبات والهدايا.

1- الرزباني: الموشح، ص 242.

2- المصدر نفسه، ص 207.

وقد أجاد الشعراء وتباروا في ذلك، غير أن شعرهم أحيانا كان يطفح بمخالفة اللياقة المطلوبة أمام الخليفة فيستشيط غضبا لذلك وقد يمنع الجائزة»¹.

هـ- ومن مآخذ عبد الملك على الشعراء ، أنه حينما « دخل جرير على عبد الملك بن مروان فابتدأ ينشده:

أَتَصْحُو أُمَّ فُوَادِكَ غَيْرُ صَاحٍ

فقال له عبد الملك: "بل فؤادك يا ابن الفاعلة"»².

نلاحظ أن رد الفعل من عبد الملك كان سريعا ، يدل على غضب شديد ، لأنه أحس أن الخطاب موجه إليه من سماعه لأول البيت ، فرفض كلام جرير ، والأمر كما قال ابن رشيق : « كأنه استثقل هذه المواجهة وإلا فقد علم أن الشاعر خاطب نفسه»³.

و- وفي موقف آخر « قال عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس الرقيات ، ويحك يا ابن قيس: أما اتقيت الله حين تقول لابن جعفر:

تَزُورُ امْرَأً قَدْ يَعْلَمُ اللهُ أَنَّهُ تَجَوَّدَ لَهُ كَفًّا قَلِيلًا غَزَارَهَا

ألا قلت: قد يعلم الناس، ولم تقل: " قد يعلم الله " فقال ابن قيس: قد والله علمه الله ، وعلمته أنت وعلمته أنا ، وعلمه الناس»⁴.

ز- ومما انتقده عبد الملك من المعاني : أنه « لما أنشد الأخطل عبد الملك:

"خَفَّ القَطِيرُ فَرَاخُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا"

تطير عبد الملك ، قال: لا بل منك ، لا بل منك ، فجعل الأخطل:

"فَرَاخُوا اليَوْمَ أَوْ بَكَرُوا"

قال علي بن يحيى: وذكر بعض أهل العلم أنه لما انتهى من القصيدة إلى قوله:

وقد نُصِرْتَ أميرَ المؤمنينَ بنا لما أتاك يَبْطِنُ العُوطَةُ الحَبِيرُ

1- عبد العزيز حسوس : نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 82 .

2- ابن رشيق : العمدة ، ج1 ، ص ص 184- 185 .

3- المصدر نفسه ، ج1 ، ص 185.

4- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، طبعة دار الكتب المصرية ، ج5 ، ص 81 .

فقال عبد الملك: بل الله أيديني¹.

والواضح أن عبد الملك أثناء سماعه لمديح الأخطل قد سجل ملاحظتين حول قصيدته ، لأنه كان يتفطن لأدنى كلمة تسيء معناها إلى سمعته ، فقول الأخطل " فراحوا منك " تطير منها ، و " نُصرت بنا " فالنصر هو من المعاني الشاملة المتممة لشخصية عبد الملك فهو منتصر سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، وليست من المعاني الجزئية التي يمكن أن يغفل عنها ويتسامح فيها مع الشاعر ، وبالتالي فهذا النقد ليس نقدا جزئيا ، بل هو نقد للمعاني المكملة لجمال القصيدة ، ولهذا نجد عبد الملك يراقب كل معاني الشعر التي يسمعها في مجلسه أوتبلغه عن الشعراء ، فينقدها ويرد على الشعراء ، وأحيانا يرفضها ويتخذ منها موقفا سلبيا ، وقد يجرم صاحبها الجائزة .

ح- هذا وقد كان لغرض الغزل مكانة نقدية في مجلس الخليفة عبد الملك بن مروان، مثله مثل غرض المدح، ولكن عبد الملك قد أثار الحوار والنقاش في مجلسه بين الشعراء، حول « قول نُصَيْبٍ: [الطويل]

أَهْيِمُ بِدَعِّ مَا حَيْثُ وَإِنْ أُمْتُ أَوْكُلُّ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي

فلم تجد الرواة ولا مَنْ يفهم جواهر الكلام له مذهبا حسنا . وقد ذكر عبد الملك ذلك لجلسائه

فكل عابه، فقال عبد الملك: فلو كان إليكم كيف كنتم قائلين؟ فقال رجلٌ منهم كنت أقول:

أَهْيِمُ بِدَعْدٍ مَا حَيْثُ وَإِنْ أُمْتُ فَوَا حَرَاءَ مَنْ دَا يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي

فقال عبد الملك: ما قلت والله أسوأ مما قاله، فقيل له فكيف كنت قائلًا في ذلك يا أمير المؤمنين؟

فقال: كنت أقول:

أَهْيِمُ بِدَعْدٍ مَا حَيْثُ وَإِنْ أُمْتُ فَلَا صَلْحَتْ دَعْدٌ لِيذِي خُلَّةٍ بَعْدِي

فقالوا: أنت والله أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين².

فالشاعر نصيب عبر من حلال البيت عن التعلق بالحجوب، وقد علق المبرد على خطاب البيت بقوله: "فلم تجد الرواة ولا مَنْ يفهم جواهر الكلام له مذهبا حسنا"، معنى هذا أنه لا المبرد ولا الرواة ولا ذوي الألباب استطاعوا أن يقترحوا معنى بديلا .

ومن هذا المنظور، فإن الجدل الذي أثاره عبد الملك بين الحاضرين حول الخطاب الشعري

1-المرزباني: الموشح ، ص 187 .

2- المبرد: الكامل في اللغة والأدب ، ج 1 ، ص 106 .

لنصيب، دل على أن عبد الملك لم يستسغ معنى البيت ، لهذا قال لمن في المجلس: " فلو كان إليكم كيف كنتم قائلين؟ "، وقد حاول بعضهم إعطاء معنى بديلا، ولكنه لم يقنع عبد الملك، لأن النقد الموجه إلى معنى البيت، ليس نقدا فنيا ولا لغويا ولا جماليا، بل هو طلب التعليل لقول نصيب الذي أخفق في التعبير عن تعلقه بمحبوبته، و« تلهف على من يهيم بها بعده »¹. وهو شعور داخلي ونظرة نفسية خلقية ، خاطب بها نصيب العشاق والمحبين، لهذا فإن عبد الملك عبر من خلال المعنى الذي اقترحه - " فلا صَلَّحَتْ دَعْدُ لِيذِي خُلَّةَ بَعْدِي " - فعبّر عما يجول بخاطره تجاه المحبوب، ليدل على أن المحب الذي يهيم بمحبوبه لا يتمنى له التعلق بشخص آخر، وذلك لدوام الوفاء، ومع ذلك فإن المعنى البديل الذي اقترحه عبد الملك وأرضى الحاضرين، ليس هو المخرج النهائي لمعنى البيت، وإنما هو يبين التفاضل بين المعاني وأهمية دلالتها، وما إعجاب الحاضرين بالهدف من المعنى الذي اقترحه عبد الملك، إلا دليلا على أنه مس جانبا شعوريا لديهم، لهذا شهد له من في المجلس بالشاعرية، وعدوا رأيه نظرة جديدة في نقد المعنى.

المفاضلة بين الشعراء عند عبد الملك بن مروان :

دأب عبد الملك على محاورة الشعراء في مجلسه، وإثارة القضايا الأدبية والفنية معهم، سواء نقد الشعر أو المفاضلة بين الشعراء، ويبدو أن المسامرة حول الشعر امتدت إلى ولده وأهل بيته، وعن ذلك: 1- روي عن أبي عبيدة قال: « كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سمر مع ولده وأهل بيته وخاصته ، فقال: ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر، وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله، فأنشدوا وفضلوا، وقال بعضهم: امرؤ القيس، وقال بعضهم: النابغة ، وقال بعضهم: الأعشى، ولما فرغوا ، قال: أشعر والله من هؤلاء جميعا الذي يقول:

وذي رحمٍ قلمتُ أظفارَ ضغنه بجمي عنه وهو ليس له حلمٌ
إذا سُمتهُ وصلَّ القرابةِ سامني قطيعتها تلك السفاهةُ والظلمُ
وأسعى لكي ابني ويهدمُ مصالحني وليس الذي يبني كمن شأنه الهدمُ
يحاوُلُ رغمي لا يحاوُلُ غيرهُ وكالموتِ عند أن ينالَ له رَغْمُ
فإن انتصر منه أكن مثلَ رائش سهامَ عدوِّ يستنهاضُ بها العَظْمُ

1- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج5 ، ص 362 .

فبادر مني النأي والمرءُ قادرٌ على سهمه ما دام في كفه السهمُ
 فإن أَعْفُ عنه أغض جفنًا على القذى وليس له بالصفح عن ذنبه علمُ
 فما زلتُ في لينٍ له وتعطفَ عليه كما تحنو على الولدِ الأمُّ
 لأستلَّ منه الضغنَ حتى سللته وإن كان ذا ضغنٍ يضيقُ به الحُرْمُ

فقالوا: يا أمير المؤمنين من قائل هذه الأبيات ؟ فما أحسنها وأرضاهها ، قال: معن* بن أوس المزني¹.
 البارز في النص هو حفظ عبد الملك لعيون الشعر العربي، وأن مجلسه قائم باستمرار حتى مع أولاده
 فيحدثهم في الشعر، ثم إن عبد الملك لما قال لأولاده: " ليقبل كل واحد منكم أحسن ما قيل من
 الشعر" عرفوا أنه يقصد الشعر الجاهلي، وهو يعرف أن أولاده لا يلمون بالشعر الجاهلي كله، وإنما هو
 يعلمهم حفظ الشعر وروايته وطريقة الموازنة بين الشعراء، فأولاده ذكروا شعرا لشعراء جاهليين: امرؤ
 القيس، الأعشى، والنابغة، وفاضلوا بينهم، ولم يتفقوا على واحد، « ولكنهم اتفقوا على الحقة التاريخية
 ما يؤكد رسوخ الشعر الجاهلي في أذهانهم باعتباره الشعر المثالي، والمرجعية الفنية التي يقاس بها شعر
 الآخرين »². ولكن عبد الملك ذكر شعرا لمعن بن أوس، وهي المعاني التي أعجبتة واستحسنها أولاده.

2- وما يدخل في نقد المعاني ما « قال أبو قטיפعة عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعبد الملك

[الطويل]

ابن مروان:

بُتِّتُ أَنَّ ابْنَ الْقَلَمِ عَابِي وَمَنْ ذَا مِنَ النَّاسِ الصَّحِيحِ الْمَسَلِّمِ
 فَأَبْصَرَ سُبُلَ الرِّشْدِ سِيْدُ قَوْمِهِ وَقَدْ يُبْصِرُ الرِّشْدَ الرَّئِيسُ الْمَعَمِّمِ
 فَمَنْ أَنْتُمْ؟ هَا خَيْرُونَا مِنْ أَنْتُمْ؟ وَقَدْ جَعَلْتَ أَشْيَاءَ تَبْدُو وَتُكْتَمِ

فقال عبد الملك: ما كنت أرى أن مثلنا يقال له: من أنتم ؟ أما والله لولا ما تعلم لقلت قولاً

*معن بن أوس المزني بن نصر بن زياد بن أسعد بن سحيم بن عدي بن ثعلبة بن ذؤيب بن سعد بن عثمان بن عمرو بن آد بن طلحة ، وأم عثمان
 ابن عمرو مزيئة بنت كلب بن وبرة ، غلبت عليهم، فُنسبوا إليها . ومعنٌ رضيع عبد الله بن الزبير ، وكان مصاحباً له ، وكف في آخر عمره ... شاعر
 فحل ، له مدائح في جماعة من الصحابة . رحل إلى الشام والبصرة ، له أخبار مع عمر بن الخطاب ، وكان معاوية بن أبي سفيان يفضلهُ ، ويقول:
 أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى ، وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ومعن بن أوس " . مات في المدينة نحو 64 هـ . وله ديوان شعر طبع أكثر من
 مرة . »

- المرزباني : معجم الشعراء ، ص 380 .

1- أبو هلال العسكري : ديوان المعاني ، ج 1 ، ص ص 152 - 153 .

2- عبد العزيز حسوس : نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 85 .

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

الحققتك بأصلك الخبيث ، ولضربتك حتى الموت»¹.

فعبد الملك لم يستسغ خطاب أبو قطيفة لما قال له " فمن أنتم ؟ ها خبرونا من أنتم " ؟ باعتباره المتلقي المباشر لشعره ، الأمر الذي هدد فيه الشاعر بالطرب حتى الموت ، وبالتالي فالتجاهل المنعوي في البيت يدل على عدم إظهار الخليفة المخاطب في ما يليق بقيمته المعنوية .

نظرة عبد الملك بن مروان للشعر :

لقد كان لعبد الملك بن مروان بعض الآراء في الشعر، برزت نتيجة روايته وحفظه للشعر، وممارسته للنقد، وهي مبنية على رؤية نقدية وتربوية تحت على مكارم الأخلاق ، وتهذيب الذوق الفني . من ذلك أن عبد الملك قال: « تعلموا الشعر ففيه محاسن تبتغى ومساوى تتقى »².

وروي عن عبد الملك بن مروان أنه كان حريصا كل الحرص على تعليم أولاده الشعر وروايته ، لأنه يرى في ذلك تحسينا لأخلاقهم ومكارمهم ، وكان يختار كبار الرواة للشعر ليعلموا أولاده الشعر، « دفع ولده إلى الشعبي ليؤدبهم ، فقال: علمهم الشعر يمجّدوا وينجدوا »³.

وكان عبد الملك وجه مؤدب ولده ، ليروي لهم أشعار المشهورين من الشعراء ، كالذي قاله : « أدبهم برواية شعر الأعشى ، فإن لكلامه عذوبة ، قاتله الله ما كان أعذب بجره ، وأصلب صخره ، فمن زعم أن أحدا في الشعر أشعر من الأعشى ، فليس يعرف الشعر »⁴.

وقد أوصى مؤدب ولده أن لا يروي لأولاده شعر هذيل لأنه لا يعلمهم الشجاعة والإقدام ، ولا يعلمهم شعر أحيحة ، فقال له: « رُوّ بني الشعر يعرفوا به مكارم الأخلاق ، ولا تروهم شعر هذيل فتزين لهم الفرار ، ولا شعر أحيحة بن الجلاح فتحسن لهم البخل »⁵.

والواضح أن هذه التوجيهات تدل على علم عبد الملك بالشعر ومعرفة جيده وقيمه الفنية والأخلاقية.

1- الطبري : تاريخ الطبري ، ج6 ، ص 421 .

2- نقلا عن : ولد قصاب : النقد العربي القديم نصوص في الاتجاه الإسلامي والحلقي ، ص 80 .

- الراغب الأصبهاني : محاضرات الأدباء ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، 1394هـ-1974م ، ج1، ص 79 .

3- ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج2، ص 167 .

4- القرشي : جمهرة أشعار العرب ، ص 67 .

5- نقلا عن : ولد قصاب : النقد العربي القديم نصوص في الاتجاه الإسلامي والحلقي ، ص 86 .

- نثر الدر : الآبي ، تحقيق : محمد علي قرنة، بغداد ، دار البيان ، لبنان ، دار مصعب ، د. ت.

كما وجه عبد الملك بن مروان الحجاج لإجازة الشعراء، حيث حرمهم جوائزهم عند أول مقدمه إلى العراق، فكتب إليه عبد الملك وبين له قيمة وأهمية الشعراء الأخلاقية، فقال له: «أجز الشعراء فإنهم يجتوبون مكارم الأخلاق ويجرضون على البر والسخاء»¹.

بكل تأكيد فإن هذه الآراء والأحكام النقدية، الفنية والخلقية للشعر، نظر إليها عبد الملك بمنظور عصرها فهي جديدة، تدل على أن نظرة عبد الملك للشعر لم تكن نظرة فنية لخدمة سياسية ملك أو تعصب لقبيلة، بل تجاوز مرحلة قول الشعر وسماعه للشعراء في مجلسه وإجازتهم على مدحهم له، فخبرته مع الشعراء في مجلسه طورت نظرتهم للشعر، وجعل مخزونه الأدبي وثروة الفنية مرجعا للمعلمين والمؤدبين والرواة، ليستعينوا بها في تربية الأبناء، حيث يجعل من الشعر وسيلة تعليم مكارم الأخلاق، وتهذيب الأنفس، وتنشئة الصغار على حفظ عيون الشعر، ليشبوا على الشجاعة والإقدام، لهذا كان يكرم الشعراء ويجيزهم ويحث ولاته على إجازتهم، لبيدوا ويجددوا من شعرهم.

2- أما الموقف النقدي عند باقي التابعين الخلفاء فقد استمر النقد في مجالسهم، فكانوا ينظرون فيما يطرح عليهم من قضايا نقدية، وأحيانا يصل الجدل في النظرة النقدية إلى حد الشجار، كالذي حدث بين الوليد بن عبد الملك (ت86هـ/705م) الخليفة الأموي السادس ومسلمة* أخوه (ت120هـ/738م)، قال صاحب الموشح: «تشاجر الوليد بن عبد الملك ومسلمة أخوه في شعر امرئ القيس والنابغة الذبياني في وصف طول الليل أيهما أجود. فرضيا بالشعبي، فأحضر، فأنشد الوليد: [الطويل]

كِلِينِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ
تَطَاوَلٌ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقِصٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَزَعَى النَّجْمَ بِأَيِّ
وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبَ هُمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحَزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

وأُنشد مسلمة قول امرئ القيس:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْحَى سُدُولَهُ عَلِيٍّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لَيْبَتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَزْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكَلْكَلِي

1- نقل عن: ولد قصاب: النقد العربي القديم نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي، ص86.

- الراغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء، ج1، ص79.

* «أمير أموي قاد جيش أخيه يزيد الثاني وقضى على ثورة يزيد بن المهلب عامل خراسان».

- المنجد في اللغة والأعلام، ص533.

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا الْجَحْلُ بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَمْتَلٍ
 فَيَالِكَ مَنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُعَارٍ الْفُتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبَلٍ
 كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صُمَّ جَنْدَلٍ

قال: فضرب الوليد برجله طربا، فقال الشعبي: بانث القضية¹.

وهذا الانفعال يدل على « أن طرب المتقبل إذن مقياس هام يمكن أن يعتمد لإبراز² قيمة النص الجمالية . و« يبيي الصولي على هذه المفاضلة مقارنة طريفة، يحاول أن يتعرف إلى الأسباب التي أدت إلى تفضيل امرئ القيس ثم يعرض إلى تطور هذا المعنى فيقول: " المبتدئ امرئ القيس فإنه بحذقه وحسن طبعه وجوده قريحته، كره أن يقول: إن الهم في حبه يخف عنه في نهاره ويزيد في ليله فجعل الليل والنهار سواء عليه في قلقه وهمه وجزعه وغمه ". فأحسن في هذا المعنى الذي ذهب إليه وإن كانت العادة غيره والصورة لا توجبه³ . كما أن هذا النقد يدل على أن الخليفة عبد الملك قد وصل إلى مبتغاه مع أولاده، حيث « أصبح الشعر الجاهلي من أهم محفوظاتهم، وكيف لا وقد تعودوا على ذلك في جلسات أبيهم⁴ .

- ومن المواقف النقدية للوليد بن عبد الملك ، نقده لبعض معاني جرير: « روي عن عمارة بن عقيل ، لما بلغ الوليد قول جرير:

هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةٌ لَوْ شِئْتُ سَاقِكُمْ قَطِينًا

قال الوليد: أنا والله لوقال: لو شاء ساقكم لفلعت ذلك، ولكنه قال: لو شئت، فجعلني شرطي له⁵.

فالوليد شعر وكان الكلام لا يخصه ، في قوله: " لو شئت " وكان جريرا أصبح بيده الأمر والمشية ، يأمر الخلفاء كيفما شاء، فوصف جرير الوليد بالشرطي كأنه جاهل بدلالة المعاني ، لأن المعنى الصائب هو " لو شاء ساقكم " وهو معنى تضمن كلاما فيه طلبا من الوليد .

1- المرزباني : الموشح : ص ص 27- 28 .

2- توفيق الزبيدي : مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع ، ص 15 .

3- داود سلوم : تاريخ النقد العربي من الجاهلية حتى القرن الثالث الهجري : ص 62 .

4- عبد العزيز حسوس : نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 85 .

5- المرزباني : الموشح ، ص 160 .

وتومض أحيانا بعين مريضة
فأعرضت عنها مُشَمَّزا كأنما
وقد كُنت من أجبالها في مُمنع
فلما أتاك الملك عفوًا ولم يكن
تركت الذي يعنى وإن كان مؤنفاً
وأضررت بالفاني وثمرت للذي
فما بين شرق الأرض والغرب كلها
يقول: أمير المؤمنين ظلمتني
ولا بسط كف لأمرى غير مجرم
وتبسم عن مثل الجمان المنظم
سقتك مدوفا من سمام وعلم
ومن بحرها في مزيد الموج مُفعم
لطالب دنيا بعده من تكلم
وآثرت ما يبقى برأي مُصمم
أمامك في يوم من الشر مُظلم
مناد ينادي من فصيح وأعجم
بأخذ لدينار ولا أخذ لدرهم
ولا السفك منه ظالماً ملء محجم¹.

والواضح أن كثير في هذه القصيدة قد مدح الخليفة عمر بن عبد العزيز بمعاني جديدة، كشف من خلالها الفكر الجديد الذي انتهجه عمر في تسيير شؤون دولته ومعاملته للرعية، وذلك باحترام مشاعر المسلمين، وبخاصة الصحابة منهم من خلال احترامه للخليفة علي بن أبي طالب، فهو لم يشتمه كفعل خلفاء بني أمية، ولم تغره الدنيا مثلهم، ولم تضع حقوق الناس ولم ظلم عنده أحد، وغير ذلك من الصفات التي برزت في أخلاقه، ودفعت الشعرا إلى مدحة، فرضي عن خلافته جميع المسلمين. لهذا لما انتهى كثير من الإنشاد « قال يا كثير إنك تساءل عما قلت ، ثم تقدم الأحوال فاستأذنه

في الإنشاد فقال: قل: ولا تقل إلا خيراً فأنشده:

وما الشعر إلا خطبة من مؤلف
فلا تقبلن إلا الذي وافق الرضا
رأيناك لم تعدل عن الحق بمنة
ولكن أخذت القصد جهداً كله
فقلنا ولم نكذب بما بدى لنا
ومن ذا يرؤ السهم بعد مضائه
ولولا الذي قد عودتنا خلايف
لمنطق حق أو لمنطق باطل
ولا ترجعنا كالتساء الأرامل
ولا يسرة فعل الظلوم المخاتل
تعد مثال الصالحين الأوائل
ومن ذا يرؤ الحق من قول قائل
على فوقه إذ عار من نزع نايل
عطاريف كانوا كالليوث البواسل

1- ابن فتيبة : الشعر والشعراء ، ص ص 341- 342 .

المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

وَلَكِنْ رَجَوْنَا مِنْكَ مِثْلَ الَّذِي بِهِ صُرِفْنَا قَدِيمًا مِنْ دَوَائِكَ الْأَوَائِلِ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلشَّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ وَإِنْ كَانَ مِثْلَ الدَّرِّ فِي قَتْلِ قَاتِلِ
فَإِنَّ لَنَا قُرْبَى وَمَحْضُ مَوَدَّةٍ وَمِيرَاثُ آبَاءٍ مَشَوْا بِالْمَنَاصِلِ
فَكُلُّ الَّذِي عَدَدْتُ يَكْفِيكَ بَعْضُهُ وَقُلُّكَ خَيْرٌ مِنْ بَحُورِ سَوَائِلِ².

ولما انتهى الأحوص « فقال له إنك يا أحوص تُسأل عما قلت »³ ، وأمر لكل واحد منهما

بثلاثمائة درهم .

لكن الواضح في الوجه النقدي الذي وجهه عمر بن عبد العزيز للشاعرين هو نقد أخلاقي، لأنه على علم بأسلوب المدح ومعانيه عند الشعراء، وبالتالي فقول الحق معيار خلقي يقصد به الصدق الأخلاقي، ضد الكذب والنفاق والبهتان، ولذا ألزم عمر الشعراء بتوجيه شعرهم نحو قول الحق والصدق، حتى لا يتطرفون ولا يسمحون لملكهم الشعرية بالجنوح إلى المبالغة والغلو في مدحه وإطرائه .

وهذا نقد للمعاني لم نلاحظه من قبل عند الخلفاء الذين سبقوا عمر . وقد « رأينا نوعا جديدا من الشعر الذي يتجه به الشعراء إلى الخليفة، لا يتملقون فيه غريزة الغرور وإكبار الذات، على النحو الذي رأيناه من قبل، وإنما يعالجون بهذا الشعر موضوعات أخرى متصلة بالحياة، ومنها ما يتصل بمسؤولية الحاكم نحو رعيته ، وحتى رأينا مقياسا جديدا يقاس به فن المديح ، استطاع عمر بن عبد العزيز أن يفرضه على الحياة الأدبية في الشام ، وإن لم يطل العهد بهذا التحول، إذ لم يطل العهد بعمر...وما أسرع ما سقط ذلك الميزان ، وعاد الأمر في هذا الفن من الشعر إلى ما كان عليه »¹.

وهكذا يتضح أن النقد في زمن التابعين الخلفاء، قد تطور نتيجة لاستمرار المجالس الأدبية ونظورها، لأن الساسة الأمويون منذ عهد معاوية بن أبي سفيان إلى عهد يزيد بن عبد الملك ، ظلوا حريصين على تقريب الشعراء من قصورهم لأجل خدمة سياستهم وتمكين حكمهم في الأرض ، وقد نجح الخلفاء الأمويون إلى حد بعيد في تسخير الشعر والشعراء لأغراضهم وأهدافهم السياسية ، ونقدوا في مجالسهم معاني شعر المدح والغزل ، الأمر الذي أدى إلى تطور فكر الشعراء، ومعاني شعرهم في هذه الأغراض خاصة .

1- ابن فتيبة: الشعر والشعراء ، ص ص 342- 343

2- المصدر نفسه ، ص 343 .

3- محمد طه الحاجري : في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي والقرن الأول الإسلامي ، ص ص 136- 137 .

ثانيا - التجديد النقدي في مجالس التابعين العلماء الفقهاء:

- الموقف النقدي لسعيد بن المسيب (ت712هـ/712م):

وهو واحد من علماء المدينة وفقهائها السبعة الذين كانت مجالسهم لا تخلو من الشعر والشعراء ، وقد كان للشعر منزلة رفيعة في مجالس العلماء ، فكان منهم الشاعر كعبيد الله بن عبد الله بن مسعود ، وعروة بن أذينة ، ومنهم الذواقة الذي يروي الشعر وينشده ويجيد التمييز بينه كعبد الله بن عباس ، وسعيد بن المسيب ، ومن أقوى مجالس الأدب « مجلس ابن عباس مع رافع بن الأزرق وجماعة الخوارج في المسجد ، حين جاءه عمر بن أبي ربيعة ، فجعل ينشده " رائيته " ، وهو مصغ إليه مقبل عليه ، حتى أثار بذلك غضب ابن الأزرق... وهو يدل على ما كان للشعر من منزلة في مثل هذه المجلس وما كان له في نفس هؤلاء العلماء من مكانة . وطبيعي أن تكون هذه المجالس التي يلقي فيها الشعر كل الإيثار، من المواطن التي يدور فيها الحديث عنه ، والموازنة بينه؛ والمفاضلة بين هذا الشاعر وذاك، وبذلك تكون في اعتبار مؤرخ النقد الأدبي من المواطن التي جعل هذا النقد يظهر فيها ويتعرع في أحاديثها»¹.

- أما عن أخبار مجلس سعيد بن المسيب ذي الطابع النقدي، ما روي عن عبد الجبار المساحقي، عن أبيه ، قال: « دخلت مسجد رسول الله (ﷺ) ، مع نوفل بن مساحق ، فإنه لمعتمد على يدي ، إذ مررنا بسعيد بن المسيب في مجلسه ، وحوله جلساؤه ، فسلمنا عليه ، فرد علينا ، ثم قال لنوفل: يا أبا سعيد ، من أشعر أصحابنا أم صاحبكم ؟ يريد عبد الله بن قيس . أم عمر بن أبي ربيعة . فقال نوفل: حين يقولان ماذا ، يا أبا محمد ؟ قال: حين يقول صاحبنا:

خَلِيلِيَّ ، مَا بَأَلَ الْمُطَايَا كَأَمَّا نَرَاهَا عَلَى الْأَدْبَارِ بِالْقَوْمِ تَنْكُصُ ؟
وَقَدْ قَطَعْتَ أَعْنَاقُهُنَّ صَبَابَةً فَأَنْفَثَسْنَا ، مِمَّا يُلَاقِينَ ، شَخْصُ
وَقَدْ أَتَعَبَ الْحَادِي يَرَاهُنَّ ، وَانْتَحَى بِهِنَّ ، فَمَا يَأَلُو عُجُولَ مُقَلَّصُ
يَرِدُنَ بِنَا قَرَبًا ، فِيرِدَادَ شَوْفُنَا إِذْ زَادَ طُولَ الْعَهْدِ ، وَالْبَعْدَ يَنْقُصُ

ويقول صاحبكم ما شئت ، فقال له نوفل: صاحبكم أشعر في العزل وصاحبنا أكثر أفانين شعر.

فقال سعيد: صدقت ، فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر ، جعل سعيد يستغفر الله ويعقد بيده حتى وفي مائة»².

1- محمد طه الحاجري : في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي والقرن الأول الإسلامي ، ص ص 84 - 85 .

2- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج 1 ، ص 113 .

والواضح « أن هذا الخبر... يدلنا على الصبغة الأدبية التي كان يصطبغ بها مجلس سعيد بن المسيب في مسجد الرسول، إذ كان مما يدور فيه الحديث عن الشعر والشعراء ، والموازنة بين هذا الشاعر وذاك، والبحث عن شاعرية كل منهما ومجالها ومداهما، فابن أبي ربيعة أشعر في الغزل، وعبد الله بن قيس أكثر أفانين شعر»¹ .

معنى هذا أن التابعين النقاد « أخذوا ينظرون في الموازات الشعرية إلى تنوع القول في الأغراض كإحدى المزايا التي تُحسبُ للشاعر في ميزان النقد»² .

إضافة إلى هذا فإن « من الأخبار التي بين أيدينا ، مما يدل على شيء من طبيعة هذه المجالس من ناحية النقد الأدبي »³ ،

وهكذا يتضح لنا أن التابعين العلماء الفقهاء النقاد ومنهم سعيد بن المسيب ، فيلى جانب دوره الفقهي من خلال شرح تعاليم الإسلام في مجلسه ، فقد لعب دورا مهما في تطور الحركة الأدبية ، وتنامي النقد الأدبي في زمانه ، من خلال مشاركته الفعالة في الجدل النقدي للشعر والشعراء الذي كان قائما في مجالس فقهاء وعلماء المدينة ، وقد اتضح أن الفن الغالب على مجلس سعيد بن المسيب ، هو شعر الغزل العفيف ، وبهذا يكون لنقد التابعين العلماء الفقهاء بالحجاز دور إيجابي ومهم في توجيه حركة النقد الأدبي نحو ما يعطيها قيمة مضافة ودور فعال في تنامي النقد الأدبي زمن التابعين .

1- محمد طه الحاجري : في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي والقرن الأول الإسلامي ، ص 86 .

2- عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 129 .

3- محمد طه الحاجري : في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي والقرن الأول الإسلامي ، ص 85 .

ثالثاً- التجديد النقدي في مجالس التابعين الأدباء النقاد :

- دور ابن أبي عتيق* النقدي في تنامي نقد الشعر والشعراء :

أدى التابعون المتأدبون النقاد دوراً كبيراً ومهماً في نقد الشعر وبلورة مفاهيم نقدية جديدة ، وتعد نقادات التابعي ابن أبي عتيق للشعر ، ذات بعد نقدي قوي ، ودفع متميز في نقد الشعر ، وقد أثر عنه نقادات كثيرة ، وعدت نقاداته مقاييس جديدة لنقد الشعر في عصره ، وكان ابن أبي عتيق صاحب مجالس نقدية ، وقد أعطى بنقاداته شهرة قوية لشعر عمر بن أبي ربيعة وغيره من الشعراء ، وكان ينقد شعر عمر بحب وإعجاب ، ولم يؤثر ذلك في أحكامه النقدية ، وكان ابن أبي عتيق يحضر مجالس الشعراء ويستمتع لشعرهم، و« المجالس الأدبية التي كان يجتمع فيها الشعراء والمتأدبون كانت مجالس مترفة . في منتزهات المدينة أو منتزهات مكة ، كالعقيق والأبطح ، وقد اجتمع فيها الشعر والغزل والغناء والطرب واللهو والمجون ، كذلك المجلس الذي أتيح للأحوص وكثير بالعقيق»¹.

وهذه المجالس الأدبية التي صبغت بروح هؤلاء الشعراء المترفين، جعلت « الشعر الحجازي شعراً يطبعه الترف بطابعه ، في معانيه وصوره ، وفي موضوعاته واتجاهاته ، وفي ألفاظه وصياغته ، ملائماً لهذه الحياة المترفة ، وهذه المجالس الموسيقية الغنائية الغزلية ؛ فكان الغزل وحديث المرأة أغلب الموضوعات عليه ، وكانت صورته تلك الحياة اللاهية العابثة أكثر صورته ومعانيه ، وكانت ديباجته ديباجة رقيقة سهلة سمحة، لا تركز فيها ولا تعقيد ولا التواء ، أشبه شيء بتلك الصور والمعاني ، وتلك الحياة الهينة اللينة الرخية المترفة التي يحياها هؤلاء الشعراء ، حياتهم الظاهرة والباطنة جميعاً»².

1- ومما تعرض له ابن أبي عتيق بالنقد في مجلسه شعر الحارث بن خالد وشعر عمر بن أبي ربيعة ، وهذا النص النقدي من أشهر نقاداته للشعر، حيث « ذكر شعر الحارث** بن خالد وشعر عمر بن أبي ربيعة عند ابن أبي عتيق في مجلس رجل من ولد خالد بن العاص بن هشام . فقال: صاحبنا - يعني الحارث بن خالد - أشعرهما . فقال له ابن أبي عتيق : بعض قولك يابن أخي . لشعر عمر بن أبي

* هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق. أديب وراوية لغة ، نقد كثيراً من الشعراء اشتهروا في مكة والمدينة والحجاز.

1- محمد طه الحاجري : في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي ، والقرن الأول الإسلامي ، ص 74 .

2- المرجع نفسه ، ص 75 .

** « الحارث المخزومي بن خالد بن العاص ، (ت 700 م) شاعر غزل من أهل مكة ، كان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها » .

- المنجد غي اللغة والأعلام ، ص 211 .

ربيعة نوبة في القلب ، وعلوق بالنفس ، ودرك لحاجة ، ليست لشعر ! وما عصي الله - جل وعز - ،
 بشعر أكثر مما عصي بشعر عمر بن أبي ربيعة . فخذ عني ما أصف لك : أشعر قريش من دق معناه ،
 ولطف مدخله ، وسهل مخرجه ، ومتن حشوه ، وتعطف حواشيه ، وأنارت معانيه . وأعرب عن حاجته .
 فقال المفضل للحارث: أليس صاحبنا الذي يقول: [الكامل]

إني ، وما نَحروا عَدَاةَ مِنِّي عند الجمار يؤودها العَقْلُ
 لَوُ بَدَلتْ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا سُفْلًا ، وَأَصْبَحَ سُفْلَهَا يَعْلو
 فَيَكَاذُ يَعْرفُهَا الحَبِيرُ بِهَا ، فَيَزِدُه الأَقْوَاءُ والمُحَلُّ
 لَعَرَفَتْ مَعْنَاهَا بِمَا احْتَمَلَتْ مِئِّي الضَّلُوعَ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

فقال له ابن أبي عتيق : يا ابن أخي استر على نفسك ، وأكتم على صاحبك ، ولا تشاهد المحافل
 بمثل هذا . أما تطير الحارث عليها حين قلب ربيعها ، فجعل عاليه سافله . ما بقي إلا أن يسأل الله ،
 - تبارك وتعالى - ، لها حجارة من سجيل ، ابن أبي ربيعة كان أحسن صحبة للربيع من صاحبك وأجمل
 مخاطبة ، حيث يقول: [الخفيف]

سَائِلًا الرِّبْعَ بِالبلى ، وَقَوْلًا هَجَّتْ شَوْقًا لِي ، العَدَاةَ ، طَوِيلًا

وذكر الأبيات الماضية «¹ .

إن الفكر النقدي لابن أبي عتيق البارز في النص ، يتضح من خلال تحليل المكونات الفكرية
 والنقدية ، ولعناصر المثل الجمالية النقدية الجديدة للفكر النقدي التي وقف عندها ابن أبي عتيق .
 والجديد في النقد « الذي نعينه في هذا الخبر هو قول ابن أبي عتيق في تفضيل شعر عمر بن أبي ربيعة
 والإشادة به: "وما عصي الله جل وعز، بشعر أكثر مما عصي بشعر عمر ابن أبي ربيعة" ، وهذا
 شيء جديد حقا ، فقد أصبح من الفضائل التي يفضل بها شعر شعرا في اعتبار النقد الأدبي في هذا
 العصر ، أن يتضمن الدعوة إلى عصيان الله أو الإغراء به ، وكما كان أكثر حظا من هذا ، كان أوفر
 من الجمال الفني نصيبا ، وهكذا صار الفسوق عن أوامر الدين وتعاليم الإسلام مقياسا جديدا من
 مقاييس الفن، لا يتحرج ابن أبي عتيق من المجاهرة به في ذلك المجلس من المجالس الأدبية ، وما أبرزه تحولا

1- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج 1 ، ص 108 - 109 .

المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء

الباب الثالث

يساير التحول الذي أصاب الحياة السياسية والأدبية !¹.

كما أن « باقي هذا الخبر يدل على مجموعة المثل التي كان يراها النقد في الشعر ويزنه بها ؛ أن يكون له " نوبة في القلب وعلوق بالنفوس ودرك للحاجة " بمعنى أن يكون قوي التأثير في النفس، بليغ التعبير عن الغرض . أما وسائله إلى بلوغ هذه الغاية فهي: أن يكون دقيق المعنى، ليس من المعاني الشائعة أو المبتذلة التي تجري على كل لسان، وتبدو في كل خاطر ؛ لطيف المدخل ، سهل المخرج، بحيث يوضع المعنى في موضعه من الكلام ، فلا يكون ناييا مستوفزا في مكانه؛ بل يكون آخذا بما قبله، مسلما إلى ما بعده؛ وأن يكون قد " مَنَّ حشوه ، وتعطف حواشيه، وأنارت معانيه، وأعرب عن حاجته " ؛ بمعنى أن يكون جزل الديباجة، حلو الصياغة قريب المأخذ².

أضف إلى هذا أن ابن أبي عتيق في نقده لشعر عمر بن أبي ربيعة أنه كما قال محمد طاهر درويش: «يضيف إلى هذه الخصائص والصفات الموضوعية صفة هامة ، هي توافر الشعور الدافق والإحساس الصادق لدى الشاعر، فإنه الرباط الذي يصله بالسامعين ، والقوة النفسية التي تجدد صداها في النفوس، وبهذا الصدق والانفعال والتجاذب يكون التأثير ودرك المطلوب... فشعر عمر بن أبي ربيعة استحوذ بهذا الصدق ومخالطة النفوس على قلوب الناس ومشاعرهم ، فهاجهم وقادهم في الاتجاه الذي سلكه ، وحسنه للناس ، فاندفعوا في تياره - دون وعي ، ودون ضابط- مع عواطفهم إلى غايات غير محسومة ، حتى تورطوا في المعصية ومجانبة الرشاد³.

وما يمكن التأكيد عليه « فإن ابن أبي عتيق في هذه المفاضلة يعلق على شعر الحارث بقوله: " أما تطير الحارث عليها حين قلب ربعها، فجعل عاليه سافله . ما بقي إلا أن يسأل الله ، - تبارك وتعالى- ، لها حجارة من سجيل " فهذا النقد الذي يغلب عليه روح الفكاهة والتهكم يدل على فطنة ابن أبي عتيق إلى " الإيحاءات الشعرية " كعنصر من عناصر النقد . فيما يُحَسَّبُ للشعر في ميزان النقد أن يوحى بالمعاني السارة لا بالمعاني المؤلمة أو التي تدعو إلى التطير، كما هو الشأن لأبيات الحارث بن خالد . زمن أحل هذا نرى ابن أبي عتيق يقول لمن فضل شعر الحارث: " ابن أبي ربيعة كان أحسن

1- محمد طه الحاجري : في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي ، والقرن الأول الإسلامي ، ص ص 78- 79 .

2- المرجع نفسه 79 .

3- محمد طاهر درويش : في النقد الأدبي عند العرب ، ص 113.

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

صحبة للربع من صاحبك وأجمل مخاطبة "1. والأفكار النقدية التي وظفها ابن أبي عتيق في موازنته النقدية ومفاضلته بين شعر الحارث بن خالد وشعر عمر بن أبي ربيعة ، هي صفات ميزت شعرهما ، و« من هذه الصفات ما يتصل بالمعنى ، ومنها ما يتصل بالترتيب ، ومنها ما يتصل بالصياغة ، فإذا صح هذا الخبر ، ونحن أميل إلى افتراض صحته ، كان دليلاً صريحاً على ما بلغه النقد الأدبي في الحجاز في هذا العصر من منزلة غير هينة ، تتجلى في هذا الاستنباط لمثل الجمال الفني ، وإيرادها مجتمعة منتظمة في نسق . وهذه المثل المذكورة تسائر كل المسائرة طبيعة الحياة الأدبية ، كما تلائم طبيعة البيئات التي نشأ الأدب فيها وصدر عنها »2.

2- وفي موقف نقدي ثان لابن أبي عتيق ، يوازن فيه بين شعر كثير وابن قيس الرقيات ، حيث روى « رواية كثير عزة ، قال: قال لي كثير عزة يوماً : قُم بنا إلى ابن أبي عتيق نتحدث عنده ، قال: فجئنا فوجدنا عنده ابن معاذ المغني . فلما رآه كثيراً قال لابن أبي عتيق: ألا أغنيك بشعر كثير عزة ؟ قال: بلى ، فغناه:

أبائنة سُعدى نعم سَتَيْبُ كما انبتت من حَبْلِ القَرِينِ قَرِينُ
أَنَّ زُمَّ أجمالُ وفارقَ حَيْرَةً وصاحَ غُرَابُ البَيْنِ أنتَ حَزِينُ
كَأَنَّكَ لم تَسْمَعِ ولم تَرَ قَبْلَهَا تَفَرَّقَ الألفَ لهُنَّ حَزِينُ
فأخْلَفَنَ مِيعادي وخُنَّ أمانتي ولبسَ لمنْ خانَ الأمانةَ دِينُ

فالتفت ابن أبي عتيق إلى كثير ، فقال: أو للدين صحبتهن يابن أبي جمعة ؟ ذلك والله أشبه بهن ، وأدعى للقلوب إليهن ؛ وإنما يوصفن بالبخل والامتناع ، وليس بالوفاء والأمانة ، وذو الرقيات أشعر منك حيث يقول:

حَبَّذا الإذلالُ والعَنجُ والتي في طَرْفِها دَعَجُ
والتي إن حدثتْ كَدَبَتْ والتي في نَعْرِها فَالَجُ
حَبْرُوني هل على رَجُلٍ عاشِقٍ في قُبَلَةِ حَرْجُ

فقال كثير : قُم بنا من عند هذا ، ومضى »3.

1- عبد العزيز عتيق : النقد الأدبي عند العرب ، ص 124 .

2- محمد طه الحاجري : في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي ، والقرن الأول الإسلامي ، ص 79 .

3- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 5 ، ص 367-368 .

ففي هذا النص عقد ابن أبي عتيق موازنة بين شاعرين: كُثِيرَ عِزَّةِ وابْنِ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ فِي الْغَزْلِ، ويظهر أنه في نقده لشعرهما والمفاضلة بينهما أن « تجربته عن المرأة معينا يصدر عنه أحيانا في نقد ما يقوله الشعراء خاصة بمن ، فقد كان في مثل هذا النقد يعتمد على خبرته التي أكسبتها إياه حياته ، ومصاحبته صديقه عمر بن أبي ربيعة ، وتتبعه علاقاته الغرامية المختلفة ، ومعالجته لها أحيانا »¹ .
ولهذا نرى ابن أبي عتيق يوازن بين معاني الشاعرين في صفات النساء، وطلب من كثير أن يصفهن بالبخل والامتناع، وليس بالوفاء والأمانة، وهنا نجد يفضل معاني ووصف ابن قيس الرقيات على معاني ووصف كثير في ذكر صفات النساء .

رابعا- التجديد النقدي في مجالس التابعيات الناقدات :

أما عن دور المرأة التابعة في تنامي النقد الأدبي، فقد لعبت دورا فعالا بمشاركتها في الحركة النقدية ، حيث اجتذبتها هذه الروح العامة ، والنشاط الأدبي والنقدي الذي كان سائدا في الحجاز، فساهمت بمجلسها في نقد أشعار الشعراء الغزليين، مما ينم عن إدراكها النقدي وذوقها الفني والجمالي للشعر .
وكانت أشهر النسوة نقدا للشعر والشعراء السيدة سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب، ويبدو أن علاقة كل واحدة منهما بالشعر والشعراء ، علاقة الناقدة الواعية لمدارك الشعراء ومقاصدهم الشعرية ، لهذا فإن مواجهتهن ونقدهن لمعاني وصور الشعراء يعكس صورة المرأة الناقدة المدركة لجماليات القصيدة وخصوصيات جمال المرأة العربية، لذا لم تترك المجال واسعا للشعراء يقولون ما شاءوا عن المرأة، وإن كان المجال السياسي والبعد الفكري فتح المجال واسعا أمام الشعراء ليطوروا شعرهم، ويدعون في قصائدهم الغزلية، إلا أن النقد الذي تناولته كل من سكينه وعقيلة للشعر ، لم يكن ليتناوله النقاد الرجال، لأنهما أدري بخصوصية المرأة العربية من الرجال .

1- وما يروى عن النقد الأدبي عند السيدة سكينه بنت الحسين على أنها تعرضت بالنقد لبعض معاني الشعراء في غزلهم، ومن بينهم كثير، حيث «دخل كثير عزة على سكينه بنت الحسين- عليه السلام- ، فقالت له : يا بن أبي جمعة ، أخبرني عن قولك في عزة:

وما رَوْضَةٌ بِالْحِزْنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى بِمَجِّ النَّدى جَحْجَاحُهَا وَعَرَاها
بَأَطْيَبِ مِنْ أَرْدَانِ عَزَّةٍ مَوْهِنًا وَقَدْ أُوقِدَتْ بِالْمِنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا

1- محمد طه الحاجري : في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي ، والقرن الأول الإسلامي ، ص 82 .

ويحك ! وهل على الأرض زنجية منتنة الإبطين، توعد بالمندل الرطب نارها إلا طاب ريحها ؟ ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس:

[الطويل]

ألم تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وحدثت بها طيبًا وإن لم تُطَيَّبِ¹.

يظهر في النص أن الوجه النقدي الذي اتكأت عليه السيدة سكينه بذوقها الفني الرفيع، هو نقد المعنى نقدا جماليا متعلقا بحمال المرأة ، حيث وازنت وفاضلت بين ذوقي شاعرين : كثير عزة وامرؤ القيس في العزل، وبينت لكثير أنه لم يصل بوصفه لعزة إلى المعنى الصائب الذي يليق برائحة الزنجية ، لأن الأصل في رائحتها أنها طيبة وليست منتنة الإبطين ، لهذا عابت عليه وصفه ، وفضلت على معناه معنى امرؤ القيس الذي أجاد وصف الرائحة الطيبة للزنجية ، التي هي جزء من جمالها .

وفي السياق نفسه « أن سكينه بنت الحسين قالت لكثير حين أنشدها قصيدته التي أولها: [الطويل]

أشاقك برق آخر الليل وأصب تضمَّنه فَرَشُ الجبَا فالمسارِبُ
تألَّقَ واحمومى وخيم بالرُّبَى أحمُّ الدرَى ذو هيدبٍ مُتْرَاكِبُ
إذا زعزعتُه الريح أزرَمَ جانبُ بلا خَلْفٍ منه وأومضَ جانبُ
وهبتُ لسعدى ماءهُ ونباته كما كلَّ ذي وُدٍّ لمن ودَّ واهبُ
لترؤى به سعدى ويروى صديقها ويُعَدِّقُ أعدادًا لها ومشارِبُ

أتهب لها غيثا عاما جعلك الله والناس فيه أسوة ؟ فقال: يابنت رسول الله ﷺ ووصفتُ غيثا فأحسنته، وأمطرته وأنبته وأكملته، ثم وهبته لها . فقالت: فهلا وهبت لها دنانير ودراهم !².

يتجلى في النص أن السيدة سكينه نقدت معنى كثير نقدا جماليا ، حيث أخطأ في الوصف المناسب لسعدى حينما وصف لها "غيثا فحسنه، وأمطره وأنبته وأكملته، ثم وهبه لها " كأنه يرى ذلك أمرا مناسباً للهدية . بينما سكينه رأت أن الغيث لا ينفعها، ولا ينعكس على جمالها . لهذا فضلت أن يهب لها "دنانير ودراهم" وهنا مكنم النقد الجمالي الذي يليق بوصف مقام سعدى، إذ عليه أن يصفها في هيئة عروس جميلة تنثر على رأسها وفي حجرها الدنانير والدراهم، وهذا نقد المفاضلة بين معنيين فيما

1- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج5 ، ص 373 .

2- المرزباني : الموشح ، ص ص 203 - 204 .

يخص جمال سعدى . وسكينة بصفتها امرأة هي أدرى بمعاني جمال المرأة من الرجل، هذا الجمال الذي تريده أن يظهر في أجمل معنى وأبهى صورة تنعكس على شخصية سعدى .

2- وتعد السيدة عقيلة بنت عقيل من الناقدات اللواتي شاركن السيدة سكينة في نقد الشعر والشعراء في الحجاز، وقد روت لها مصادر النقد مواقف نقدية، تم على مقدرتها الأدبية والنقدية في نقد الشعر.

ومما روي عنها: « كانت عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب تجلس للناس . فبينما هي جالسة إذ قيل لها : العذري بالباب . فقالت : ائذنوا له : فدخل . فقالت له : أنت القائل : [الطويل]

فلو تركت عثلي معي ما بكيتها ولكن طلابها لما فات من عثلي

إنما تطلبها عند ذهاب عقلك ، لولا أبيات بلغتني عنك ما أذنت لك ، وهي : [الطويل]

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل إلى اليوم ينمي حُبها ويزيد
فلا أنا مرجوع بما جئت طالبا ولا حُبها فيما يببب يببب
يموت الهوى مبي إذا ما لقيتها ويحي إذا فارقتها فيعود

ثم قيل: هذا كثير عزة والأحوص بالباب . فقالت: ائذنوا لهما . ثم أقبلت على كير ، فقالت: أما

أنت يا كثير فألأم العرب عهدا في قولك : [الطويل]

أريد لأنسى ذكرها فكأتما تمثل لي ليلي بكل سبيل

ولم تريد أن تنسى ذكرها ؟ أما تطلبها إلا إذا تمثلت لك ! أما والله لولا بيتان قتلتهما ما التفت إليك،

وهما قولك: [الطويل]

فيا حُبها زدني حوى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

ثم أقبلت على الأحوص . فقالت : وأما أنت يا أحوص فأقل العرب وفاء في قولك: [البيسيط]

من عاشقين ترأسلا فتواعدا ليلا إذا نجم الثريا حلقا
بعثا أما مهما مخافة رفة عبدا ففرق عنهما ما أشققا
باتا بأنعم عيشة وألدها حتى إذا وضح الصباح تفرقا

ألا قلت : تعانقا . أما والله لولا بيت قلته ما أذنت لك ، وهو : [البيسيط]

كم من دني لها قد صرت أتبعه ولو صحا القلب عنها صار لي تبعا

الباب الثالث موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

ثم أمرت بهم فأخرجوا إلا كثيرا، وأمرت حواريتها أن يكتفنه، وقالت له: يا فاسق، أنت القائل: [الطويل]

أَلَا زُمْ أَجْمَالٍ وَفَارَقَ جِيرَةً وَصَاحَ غُرَابُ الْبَيْنِ أَنْتَ حَزِينُ

أين الحزن إلا عند هذا؟ حَرَّقَن ثوبه يا حوارية، فقال: جعلني الله فداك! إني قد أَعَقَّبْتُ بما هو

أحسن من هذا. ثم أنشد:

أَأَزْمَعَتِ بَيْنَنَا عَاجِلًا وَتَرَكْتَنِي كَثِيْبًا سَقِيْمًا جَالِسًا أَتَلَدَّدُ

وَبِيْنَ التَّرَافِي وَاللَّهَآةِ حَرَارَةً مَكَانَ الشَّجَا مَا تَطْمئنُ فُتَبَّرُدُ

فقلت: خَلِّين عنه يا حوارية. وأمرت له بمائة دينار وحلة يمانية، فقبضها وانصرف¹.

في هذا النص النقدي نصبت عقيلة حكومة أو مجلسا نقديا، لنقد شعر عمر بن أبي ربيعة وكثير عزة والأحوص، والواضح أن الشعراء تعودوا على حضور مجلسها لمعرفة بمقدرتها النقدية، والاستئناس بحديثها وتذوقهم لجمال نقدها، وكما هو واضح فإن نقدها كان لشعراء الغزل، وهو نقد معاني جزئية في بعض أشعارهم، وقد فاضلت بين معنيين لدى كل شاعر، وتظهر طريق مفاضلتها في نقدها للشعر، في قولها لعمر بن أبي ربيعة: "إنما تطلبها عند ذهاب عقلك" "لولا أبيات بلغتني عنك ما أذنت لك"، وهذا نقد المعنى إذ كيف يمكن لعمر أن يطلب حبيبته بعد ما فقد عقله، لأن فقدان العقل يحول بين المرأ ونفسه، مما يصعب عليه إدراك الحاجة. وهذا عكس الأبيات التي أجاد فيها وصف تعلقه بالمحجوبة، فطربت لها وأثنت على جمال معانيها.

ثم نقدت كثيرا بقولها: "أما أنت يا كثير فألام العرب عهدا... أما تطلبها إلا إذا تمثلت لك!" "أما والله لولا بيتان قلتها ما التفت إليك"، فنعتت كثير باللوم لأنه ليس وفيا لمحبوته.

ثم نقدت الأحوص بقلة الوفاء لمحبوته فقالت له: "وأما أنت يا أحوص فأقل العرب وفاء" "أما والله لولا بيت قلته ما أذنت لك". إذا فكل شاعر من هؤلاء الثلاثة كانت له هفوة تجاه من يحب، فكشفت عنها عقيلة في نقد معياره خلقي، وفاضلت ما قالوه من معاني جميلة في حبيباتهن.

وبهذا يكون لنقد التابعين الأدباء بالحجاز قيمة جمالية وفكرية مضافة ودور فعال في

تنامي النقد الأدبي وتطوره زمن التابعين.

1- المرزباني: الموشح، ص ص 211-212

خامسا - التجديد النقدي في مجالس التابعين النحاة :

إضافة إلى نقد الأدباء للشعر والشعراء في الحجاز ، فإننا نعد النقد النحوي واللغوي للشعر من أهم القضايا النقدية الجديدة التي أفرزها الجدل النقدي في عصر التابعين في إقليم العراق ، و كانت الأسباب المباشرة لظهور النقد النحوي هو تلك « المحاولات الأولى التي قام بها اللغويون والنحاة في ضبط الشعر وتنقيحه وتصفيته من شوائب اللحن والخطأ والتحريف والتصحييف وفي إخضاعه من ناحية الصياغة والبناء اللغوي والنحوي لكل ما تفرضه أصول اللغة وقواعد النحو والصرف ، أثرها في المحافظة على اللغة العربية عامة ، وعلى كتاب الله وسنة رسوله ، كما كان لها أثرها في تطور النقد الأدبي »¹ .

وقد بدأ هذا النقد عندما « تفوقت البصرة في الشعر والأدب والرواية وظهرت فيها أول مدرسة في علم النحو يتزعمها أبو الأسود الدؤلي [ت69هـ] ، وقد دفعه إلى هذا الاتجاه ما أصاب اللغة من ضعف ، فراح يعمل على تصحيح ما أفسده الناس كما وضع بعض الأبواب في النحو .

اهتمت هذه المدرسة بالنقد اللغوي والنحوي أو الموسيقى ، ووجه أتباع هذه المدرسة عنايتهم إلى الشعراء ، فما اتفق وأحكامهم اعترفوا به وما اختلف مع أحكامهم أنكروه »² .

وهكذا ظهر هذا « اللون الجديد من النشاط العلمي المتصل بهذه اللغة ، صادرا عن هذه الحاجة ، وكانت أظهر ما تكون في هذا الإقليم ، فاستحدث منهجا جديدا في النقد ، وفتح العلماء هذا الباب الذي كان وقفا على الشعراء والرواة ومدققي الأدب . وكان هذا النشاط يقوم على النظر في اللغة ، وتمثل أساليبها . وتتبع تراكيبيها ، وملاحظة العلاقات التي يقوم عليها بناؤها ، لينتهي ذلك إلى استنباط القواعد التي تحكمها وينبني عليها أواخر ألفاظها ، وهو الشيء الذي لم تكن مزاولة اللغة وروايتها بما يكفي دائما في التحرر من الخطأ فيه . ولم يكد العلماء الذين اتجهوا هذه الوجهة ، وعنوا بهذه الناحية ، يهتدون إلى هذه القواعد ، ويرونها مستقيمة مطردة ، حتى فتنوا بها أيما فتنة ، وجعلوا يستطيلون بها على الشعراء وما إليهم ، يصوبون بها ويخطئون ، ويقومون بها يعدلون »³ .

1- محمد طاهر درويش : في النقد الأدبي عند العرب ، ص 115 .

2- مصطفى علي عمر : في النقد الأدبي القديم ، د . م ، دار المعارف ، 1992 م ، ص 14 .

3- محمد طه الحاجري : في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي ، والقرن الأول الإسلامي ، ص 118 .

وبكل تأكيد فقد « أثرت المدارس اللغوية والنحوية في الشعراء والنقاد ، وكان علماء اللغة والنحاة يخضعون الشعر للأحكام النحوية ، وعندهم أن المتفوق من الشعراء من اهتم بقوافي الشعر ، ومن كانت قصائده تتفق والقواعد النحوية ، والشعر المضطرب عندهم من أفسد صاحبه فيه مقاييس اللغة »¹.

والواضح « أن اهتمام النحاة الأوائل في أواخر القرن الأول الهجري بتتبع السقطات النحوية للشعراء، أدى بهم إلى التعامل مع الشعر باعتباره (مادة لغوية) وليس (مادة فنية) فلم يكن همهم جمال الصورة أو قبحها ، دقة التركيب أو خلله ، صدق الشاعر أو افتعاله ، جدته أو تقليديته ، بقدر ما كان يهمهم الجانب القاعدي المبني على (الخطأ والصواب) النحوي وليس (الجودة والرداءة) الفنية »².

1- ظهور بذور النقد النحوي للشعر :

لقد كانت بذور النقد النحوي الأولى للشعر ، تلك النصوص النقدية التي أدت إلى تنامي النقد ، وعكست جهد النحاة ومشاركتهم في تطور الحركة النقدية في زمن التابعين ، حيث اهتموا بما وقع فيه الشعراء الجاهليون والإسلاميون من خطأ ، وقد حاول النحاة تبرير ملاحظاتهم ، من خلال ما أبانوه من نقد للشعراء من ذلك « أن عيسى * (ت766م) كان يقول : أساء النابغة في قوله: [الطويل]

فبتُّ كأبي ساورٍ نبي ضئيلةٍ
من الرُّقشِ في أنيابها السُّمُّ نافعٌ

يقول موضعها " ناقِعًا " ³. بالنصب على الحالية .

2- دور نقد ابن أبي إسحق الحضرمي لشعر الفرزدق في تنامي نقد الشعر والشعراء :

أما فيما يخص نقد النحاة للشعراء الإسلاميين وخصوصا الفرزدق ، فثمة خصوصية برزت في شعره وهي كما قال ابن سلام: إنه « كان يُداخل الكلام، وكان ذلك يُعجِبُ أصحاب النحو »⁴، الذين كانوا يرون « أن شعر الفرزدق خاصة يعد في حقيقة الأمر مادة خصبة للدرس النحوي، إذ كان أشبه

1- مصطفى علي عمر : في النقد الأدبي القديم ، ص 18.

2- عبد العزيز جسوس : نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 71 .

* « من طبقة أبي عمر بن العلاء. وهو عيسى بن عمر الثقفي...وهو بصري من مقدمي نحوي البصرة، وكان أخذ عن عبد الله بن أبي إسحاق وغيره... وكان - أعني عيسى - ضريرا، أحد قراء البصريين ، ومات سنة تسع وأربعين ومائة (149هـ). وله من الكتب: الجامع / وكتاب المكمّل .

- ابن النديم : الفهرست ، ص 196-197 .

3- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج 1 ، ص 16 .

4- المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 364 .

شيء بشخصيته المتقحمة التي لا تعباً، فكذلك كان شأنه في أسلوبه الشعري، لا يكاد يعنيه أن يجيء مستويا أو مضطرباً... كأنهم كانوا يجدون في هذه المداخل والمعاظلة، وهذا التقديم والتأخير، مجالاً رحيباً يديرون فيه أصولهم وقواعدهم، ويمرنون به على امتحانها وتطبيقها»¹.

وهكذا وقعت جدلية العلم والسليقة العربية، فـ« كان عجباً إيمان هذا العلم الجديد الناشئ بنفسه، وثقته بما وصل إليه، إذ يهاجم السليقة العربية متمثلة في شاعر فحل كالفرزدق، وهو لا يزال رخو العود لم يستكمل شخصيته بعد؛ ولكنها الفتنة القوية التي ملكت على هؤلاء العلماء أنفسهم، حين أتيت لهم أن يستكشفوا ما اعتبروه أسرار العربية وروحها المصرفة لها. ولم يكد العلماء ينظرون في شعر الفرزدق حتى أخذوا في مهاجمته بما في أيديهم من قواعد النحو»².

ونجد أن من النحاة الذين واجهوا الفرزدق ابن أبي إسحاق الحضرمي* الذي كان له موقف مما قاله

الفرزدق:

« وَعَضُّ زَمَانٍ يَابِنَ مِرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجْلَفًا**»

فقال ابن أبي إسحاق على أي شيء رفعت مجلفاً؟ قال: على ما يسوءك»³. وعلق ابن عبد ربه

على قول الفرزدق فقال: « وقد أكثر النحويون الاحتيال لهذا البيت، ولم يأتوا فيه بشيء يُرْضِي»⁴.

هذه صورة من بذور النقد الأدبي الأولى لنقد النحاة للشعر من الناحية اللغوية، حيث وقعت المواجهة بين ابن أبي إسحاق الحضرمي والفرزدق، فنظر الحضرمي إلى القاعدة النحوية السليمة فرأى « أن الفرزدق خالف قاعدة العطف المقررة التي تقتضي أن يكون المعطوف تابعا للمعطوف عليه في

1- محمد طه الحاجري: في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي، والقرن الأول الإسلامي، ص 118.

2- المرجع نفسه، ص 118-119.

* هو « عبد الله بن إسحاق الحضرمي [ت735م] أقدم النحاة الذين ذكرهم سيبويه في الكتاب "وأول من بعج النحو ومد القياس والعلل، وكان معه أنو عمرو بن العلاء [689-770م]، وبقي نعه بقاء طويلاً. وكان ابن أبي إسحاق أشد تجريداً للقياس، وكان أبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها».

- ابن سلام الجهمي: طبقات فحول الشعراء، ج1، ص 14.

** جاء البيت في قصيدة من مائة وواحد وعشرين (121) بيتاً قالها الفرزدق في مدح عبد الملك بن مروان، ومطلعها:

عَرَفْتُ بِأَغْشَاشٍ وَمَا كَذْتُ تَعْرِفُ وَأَنْكَرْتُ مِنْ خَدْرَاءَ مَا كُنْتُ تَعْرِفُ

- الفرزدق: الديوان، ص 429 وما بعدها.

3- المرزباني: الموشح، ص 136.

4- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص 362.

أحواله ، والمعطوف عليه هنا منصوب (مسحتا) بينما المعطوف مرفوعا (مجلف)، وهو خرق ظاهر للقاعدة ، وهو ما اضطر معه إلى أن يبحث عن العلة في ذلك ، عله يعثر على قاعدة لم يتوصل إليها بعد . ولكن جواب الفرزدق كان مفارقا للسؤال ، فرأى بأن سبب ذلك يرجع إلى الإساءة إلى علم الحضرمي وإتباعه في البحث عن العلة التي أدت به إلى الرفع ، وبالتالي فإن الشاعر مطالب بالقول، وأن مسؤولية النحو كامنة في البحث عن العلة ، وبقي الطرفان محافظين على مواقفهما ، لا، الحضرمي عثر على جواب ، ولا ، الفرزدق برر خروجه على القاعدة ، وقد حاول بعض النحاة إجابة الحضرمي نيابة عن الفرزدق، بقولهم بأن (أو) في البيت ليست للعطف وإنما هي للتخيير أو الاستئناف ، وبالتالي فإن (مجلف) هي خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو (هو مجلف) ¹.

بينما علق ابن قتيبة [828-889م] على الجدل الذي وقع حول رفع آخر البيت فقال : « رفع آخر البيت ضرورة وأتعب أهل الإعراب في طلب العلة . فقالوا وأكثروا ولم يأتوا فيه بشيء يُرضي ، ومن ذا تخفى عليه من أهل النظر أن كل ما أتوا به من العلل احتيال وتمويه . وقد سأل بعضهم الفرزدق عن رفعه إياه فشتمه ، وقال علي أن أقول وعليكم أن تحتجوا » ².

وهذه الضرورة التي يشير إليها ابن قتيبة هي ضرورة عروضية وهي "الإقواء" ، وهذا منحى جديدا في نقد الشعر . لكن الفرزدق يقرر أن المطلوب منه هو الإبداع في قول الشعر ، وعلى النحاة والنقاد الإتيان والاحتجاج بقوله ، وتعليل ما يذهب إليه ، وأن يجدوا مخرجا لمذهبه الشعري .

وفي صورة مماثلة " أقوى " الفرزدق في شعره ، وكان « أن عبد الله بن أبي إسحق قال : للفرزدق

في مدحه يزيد بن عبد الملك :

مُسْتَقْبِلِينَ سَمَالَ الشَّامِ - تَضْرِبُنَا بِحَاصِبِ كَنْدِيفِ القُطْنِ مَنْشُورِ
على عَمَائِمِنَا يُلْقِي وَأَرْحِلِنَا - على زَوَاحِفَ تُزْجِي مُحْطَهَا رِبْرِ

فقال ابن أبي إسحق : أسأت ، وإنما هو " رِبْر " ، بالرفع .

... فلما ألحوا على الفرزدق غير الشطر الثاني فقال : " عَلَى زَوَاحِفَ تُزْجِي مُحْطَهَا رِبْرِ " ثم ترك هذا

1- عبد العزيز جسوس: نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ، ص 72.

2- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 40 .

ورجعوا إلى القول الأول»¹.

وقد أدرك النحاة اللحن في قول الفرزدق ونقدوه في قوله:

[الطويل]

« عَدَاةٌ أَحَلَّتْ لَابْنَ أُصْرَمٍ طَعْنَةً حُصَيْنٌ عَبِيَّاتِ السَّدَائِفِ وَالْحَمْرُ

[كان حصين بن أصرم قد حلف ألا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يُدرك ثأره ، فأدركه في هذا اليوم الذي ذكره . فقال : "عبيطات السدائف" . " فنصب " عبيطات السدائف " ورفع " الخمر " ، وإنما هي معطوفة عليها ، وكان وجهها النعت ، فكأنه أراد : وحُلَّتْ له الخمرُ »².

وقد حاول علماء النحو بسط نفوذ هذا العلم الجديد على الشعراء ، وكان ابن أبي إسحق يتتبع السقطات اللغوية عند الفرزدق ، « ولم يلبث أن نشبت الخصومة بينه وبين الفرزدق ، إذ أخذ يثير عليه هذا اللون من ألوان النقد ، وهو لون لا قبل للفرزدق به ، ولا طاقة له على الجدل فيه ، كما رأينا ؛ فلم يملك من أمره لقاء ابن أبي إسحاق إلا أن يهجو ، فتلج الخصومة بينهما : أما سلاح الفرزدق في هذه الخصومة فهو الشعر - ولا شيء غير الشعر - يهجو به صاحبه ، وأما ابن أبي إسحق فسلاحه النحو ، ويبدو أن نفس الفرزدق كانت قد انطوت على الرهبة منه »³.

وكان الحضرمي يكثر الرد على الفرزدق ، حتى قال فيه الفرزدق:

[الطويل]

فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى هَجَوْتُهُ وَلَكِنَّ عَبْدَ اللَّهِ مَوْلَى مَوَالِيَا⁴.

ومما يلاحظ أن « الطريف في الأمر أن عبد الله لم يأبه بهذا الهجاء القارس، بل راح يتعقب الشاعر كرة أخرى، فزعم أنه أخطأ حين نصب الاسم المنقوص، وكان حقه الجر »⁵.
ثم أمعن فيه الفرزدق وقال له: « ما بال هذا الذي يجر خصييه في المسجد - يعني ابن أبي إسحاق -

1- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج1 ، ص 17 .

- ويظن : المرزباني : الموشح ، ص 132 .

- وينظر : ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 40 .

2- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج5 ، ص 363.

3- محمد طه الحاجري : في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي ، والقرن الأول الإسلامي ، ص120 .

4- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج1 ، ص 18.

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 40 .

5- وهب رومية : بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح أنموذحا) ، ص 336 .

لا يجعل له بجيلته وجها»¹.

والواضح أن الأمر الذي جعل الجدل الفكري والعلمي والفني يحتدم بين الفرزدق والحضرمي وعلماء النحو، هو كما قال توفيق الزيدي: « أن عدة عوامل إذن جعلت لقاء الشاعر بالناقد غير مثمر . من ذلك أن الناقد يحكم على النص بمقاييسه الخاصة كالنحوي الذي لا يرى الجودة إلا إذا تمثلت في سلامة اللغة . ومنها أيضا العوامل الذاتية كالمنافسة بين العنصر العربي والعنصر الأعجمي ، إذ لانسى مثلا أن ابن أبي إسحاق من الموالي . ولعل أهم من ذلك كله العامل الزمني إذ لا وقت للتمحيص والتأمل . فيكتفي الناقد بالحكم الذوقي أو بالحكم الذي يتماشى ومشاغله الفكرية »².

ولعل هذه الرؤية تؤكد لنا سبب هذا الجدل القائم بين الفرزدق والنحاة ، إذ يعود إلى تمسك الفرزدق والشعراء بلغتهم البدوية ، ليصعبوا الأمر على النحاة ، ويدفعونهم إلى ذلك سخرية منهم . وهي النتيجة التي توصل إليها عبد العزيز الكفراوي في حديثه عن " لغة الشعر في العهد الأموي و صدر الإسلام " ، وبعد حديثه عن شعر الرجاز والفرزدق ، وجرير و عوف القوافي والنابعة الجعدي ، حيث أكد أن « القارئ لما ذكر يستطيع أن يفرق بين نوعين من الصعوبة اللغوية ، الأول هو ما رأيناه عند الرجاز وعند الفرزدق وإخوانه . والثاني هو ما قرأناه لجرير و عوف القوافي والنابعة الجعدي، ويلاحظ أن الصعوبة في النوع الأول مصطنعة غالبا ، أتى بها أصحابها عن قصد وإن شئت فقل عن سوء نية ، أتوا بها ليرضوا النحاة وليسخروا منهم »³.

وعلى هذا الأساس يتضح كما قال الكفراوي: إن « غرابة اللفظ عند الفرزدق جزء من فنه الأدبي... فكان يعقد الأمر على اللغويين والنحاة »⁴، فكانوا هم كذلك يتبعون ما يقصد إليه .
والخلاصة : تعد هذه الصور النقدية النواة الأولى لنقد التابعين النحاة للشعر ، وهي وجه علمي ثقافي جديد في نقد الشعر، وقد حاول النحاة توجيه الشعر من خلال مآخذهم على الشعراء ، خاصة الفرزدق، من خلال توضيح " الخطأ والصواب " ودفعهم إلى ضرورة الالتزام بالقاعدة النحوية في شعرهم، وفق منهج علمي .

1- المرزباني : الموشح ، ص 134 .

2- توفيق الزيدي : مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، ص ص 29- 30 .

3- محمد عبد العزيز الكفراوي : تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وعصر بني أمية ، ج 1 ، ص 331 .

4- المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 331 .

لكن علماء النقد بعد دراستهم العروض، استخلصوا جوازات فنية يمكن للشاعر أن يلجأ إليها، ويخرج عن القاعدة اللغوية لضرورة فنية (عروضية) " الإقواء" ، وهذا الاجتهاد يوحى بأن مجال نقد الشعر في عصر ابن أبي إسحاق الحضرمي لم يتوقف عند نظرة النقاد النحاة فحسب، بل أخذ أبعاداً فنية، تعكس تطور الجدل الفكري والنقد الأدبي والغوي في أواخر القرن الأول الهجري .

يضاف إلى هذا ما قاله محمد طاهر درويش: « على أنه ينبغي أن ندرك أن ملاحظات النحويين ومآخذهم على الشعراء، وإن مست في صميمها المسائل اللغوية والنحوية في الكلام... فقد تجاوزت ذلك في كثير من الأحيان إلى كثير من المسائل الفنية والنظرات الموضوعية، التي تتصل بالإبداع الشعري في المعاني والأفكار والصور والخيال والإيجاز والإطناب، والذكر والحذف، وما إلى ذلك من الأمور التي تتصل بالنواحي الأدبية والبلاغية والجمالية»¹.

كما تجلّى لنا أن نقد النحاة للشعر في العراق، يعد قيمة نقدية جديدة مضافة في تنامي النقد الأدبي واللغوي زمن التابعين .

1- محمد طاهر درويش : في النقد الأدبي عند العرب ، ص 117 .

المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء

موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء

الباب الثالث

سادسا . التجديد النقدي في مجالس الشعراء :

أدى التابعون الشعراء دورا كبيرا في تنامي نقد الشعر من خلال اللقاءات التي كانت تجمعهم، فيدور فيها الحديث حول الإجابات عن الأسئلة التي كانت تطرح على الشعراء في نقد الشعر، « وقد كانت مجالس الشعراء في أكثر الأمر مجالس نقد أدبي، وكذلك كان النقد في أول أمره من صناعة الشعراء . كان هذا عند اليونان كما يقرره مؤرخو النقد عندهم ، وكذلك كان شأنه عند العرب ، فلا جرم كانت هذه المجالس التي يجتمع فيها الشعراء ، بعضهم إلى بعض في الحجاز مما نشط النقد الأدبي ولاسيما حين يكون هؤلاء الشعراء متنافسين في المنزلة الشعرية »¹.

يضاف إلى هذا أن الشعراء أعطوا دفعا قويا لـ « تلك النقديات الأدبية التي كانت تعقد آنذاك في مجالس الخلفاء والأمراء والشعراء أو في أسواق العرب كالمريد أو في المساجد التي قدّم الشعراء من خلالها إبداعاتهم؛ حدث نشاط كبير في الحركة النقدية المصاحبة للشعر، تكشف عن جوانب الجودة أو النقص فيه ، وقد أسهم فيه الشعراء بدور ملموس »². ومن هؤلاء الشعراء الذين سنعرض لنقدمهم:

أ- وسأبد بالحديث عن نقديات الشعر والشعراء عند الحطيئة (ت نحو 678م) لأنني سأعده في التابعين، كما أن نقدياته تعد من البذور الأولى في نقد الشعر والشعراء من طرف التابعين، وقد وجدت علماءنا وباحثينا في العصر الحديث يهملون تصنيف الحطيئة بدقة، فهم عندما يتحدثون عن النقاد الجاهليين يعدونه واحدا منهم، وعندما يتحدثون عن النقد الإسلامي يعدونه من نقاد العصر الإسلامي، كما فعل عبد اللطيف الحديدي مثلا أثناء حديثه على " الشعراء النقاد في العصر الجاهلي " و "...العصر الإسلامي" فقال: « ولما كان من الصعب تحديد زمن تلك الأحكام آثرنا أن نضع أحكامه التي أصدرها على بعض الجاهليين هنا [يقصد العصر الجاهلي] . ونضع أحكامه التي أصدرها على بعض الإسلاميين في العصر الإسلامي»³ ، مع أن الأحكام النقدية التي قالها الصحابة والتابعين كلها قيلت في العصر الإسلامي في زمن الصحابة الخلفاء وبعدهم، حيث ينشط النقد بقوة، وبالتالي فالنقد خلاف الشعر، وذلك أن الشعر مرتبط بالأحداث والوقائع، بينما النقد مرتبط بالمجالس واللقاءات

1- مصطفى الصاوي الجويني : نقد العرب الأدبي في ثلاثة عصور، ص 25 .

2- عبد الله محمد العضيبي : النقد عند الشعراء حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ص 45 .

3- عبد اللطيف محمد الحديدي : الشعراء النقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي ، ص 72 وما بعدها . و ص 130 وما بعدها

الأدبية والنقدية ، التي انتشرت بكثرة في عهد عبد الملك بن مروان، والتي تثار فيها قضايا الشعر وجمالياته بين الشعراء . من خلال قصائدهم المدحية والغزلية ، والمعروف أن الخطيئة لم تبرز شهرة الفنية والنقدية إلا في عهد الخليفة عمر ، حيث « إنه كان من بين الشعراء الذين كان يرجع إليهم عمر بن الخطاب أحيانا ليسأله عن رأيه في بعض الأشعار... في هجاء النجاشي لبني العجلان »¹ . مثلاً .

ويعود تصنيفنا للخطيئة في التابعين اعتماداً على رأي ابن قتيبة الذي قال عنه: « لا أراه أسلم إلا بعد وفاة الرسول ﷺ لم أسمع له بذكر فيمن وفد عليه من وفود العرب »² . وهو رأي صريح دقيق المعنى دل على أن الخطيئة ليس صحابياً ، مما يجعلنا نصنفه ونضعه ضمن التابعين . ومن هذا فـ« هو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، وله آراء نقدية صائبة في شعراء الجاهلية ، وشعراء الإسلام... وللخطيئة أحكام ارتجالية كثيرة خالية من التعليل ، وإن كانت صادرة عن شاعر فنان »³ .
1- ومن إجابته على سؤال الناقد ، إبداء رأيه في زهير بن أبي سلمى « وكان زهير أستاذ الخطيئة ، وسئل عنه الخطيئة فقال: ما رأيت مثله في تكفّيه على أكتاف القوافي وأخذِه بأعنتها، حيث شاء من اختلاف معانيها امتداحاً ودمًا »⁴ .

في هذا النقد يتجلى أن الخطيئة قدم زهيراً على جميع الشعراء الفحول في عصره والمجيدين، وفيه مدح له في الصناعة الشعرية ، و« هذا النقد تبدو فيه النظرة الموضوعية ، وإن كانت الموضوعية جزئية في هذا الرأي، لأنها لم تتناول الفن الشعري من نواحيه المتعددة ، بل اقتصر على امتداح الشاعر بقدرته على الصناعة ، وتمكنه من الشعر، وقدرته على التصرف في الأغراض وإن كان قد اقتصر في هذا الرأي على غرضين هما المدح والذم ، وأغفل ما عدهما مما عرف الناس عن زهير من دعوته إلى السلم وإكثاره من الحكمة... ونلاحظ جانباً يتصل بنقد المعنى، فقد امتدح الخطيئة أستاذه زهيراً بالقدرة على صناعة الشعر والتمكن من قوافيه، والقدرة على التصرف في الإغراض »⁵ .

أما قول الخطيئة " ما رأيت مثله في تكفّيه على أكتاف القوافي وأخذِه بأعنتها، حيث شاء " فهذا

1- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 203 .

2- المصدر نفسه ، ص 203 .

3- عبد اللطيف محمد الحديدي : الشعراء النقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي ، ص 72 .

4- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 77 .

5- عبد اللطيف محمد الحديدي : الشعراء النقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي ، ص 72-73 .

نقد عروضي، يؤكد سلامة شعر زهير من أخطائه و« تمكن زهير من القوافي، واقتداره عليها، فلا يستعصى عليه حرف من حروفها، وتأتي متناسبة مع صياغة البيت وغرضه »¹.

2- ومن إجابته على سؤال الناقد، قال ابن رشيق: « وأما الحطيئة فسئل عن أشعر الناس، فقال: أبو دؤاد حيث يقول: [الرميل]

لا أعدُّ الإقتارَ عُدْمًا ، ولكن فُقِدَ مَنْ رُزئتُهُ الإِعْدَامُ »².

فعلق ابن رشيق على الشعر فقال: « وهو وإن كان فحلا قديما وكان امرؤ القيس يتوكأ عليه ويروي شعره فلم يقل فيه أحد من النقاد مقالة الحطيئة »³. معنى هذا أن الحطيئة أول من أعجب بشعر أبي دؤاد ونقده نقدا جزئيا، وإن كان الحطيئة في إعجابه بمعنى البيت لم يعلل هذا الإعجاب .

3- ومن إجابته على سؤال الناقد، لما « سأله ابن عباس مرة أخرى، [عن أشعر الناس] فقال: الذي يقول: [الطويل]

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشُّتْمَ يُشْتَمَ

وليس الذي يقول: [الطويل]

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَحَا لَا تَلْمَهُ عَلَى شَعَثِ أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْدَبُ ؟

بدونه ، ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولا ، والله لولا الجشع لكنت أشعر الماضين ، وأما الباقون فلا شك أني أشعرهم ، قال ابن عباس: كذلك أنت يا أبا مليكة »⁴.

فالحطيئة يفاضل بين شاعرين من حلال البيتين، ف« رأى زهيراً والنابعة في منزلة واحدة من الشاعرية ولكن الذي أفسد النابعة ليس الفن وعناصره في شعره ، وإنما مذهبه في الضراعة والاستدلال بتكفيه عن المديح التكسبي والاعتذار، وينتقل إلى نفسه فيراها لا تقل عن شاعرية القدماء ، وإن كان قصر به عنهم مذهبه في التكسب إلى حد الاستجداء ، وإن كان يرى نفسه أشعر الباقين من شعراء الجاهلية، يعني المخضرمين، وكلها أحكام لا يقويها عملة أوسبب »⁵.

1- عبد اللطيف محمد الحديدي : الشعراء النقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي ، ، ص 73 .

2- ابن رشيق : العمدة ، ج1 ، ص 84 .

3- المصدر نفسه ، ج1 ، ص 84 .

4- المصدر نفسه ، ج1 ، ص 84 .

5- عبد اللطيف محمد الحديدي : الشعراء النقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي ، ص 76 .

4- ومما عرف عن أحكامه النقدية ، أنه « عرض للفرزدق مع الحطيئة، فإن الحطيئة قال له وقد سمعه ينشد شعرا أعجبه: أنجذت أمك ؟ قال: بل أنجد أبي! ونظم ذلك جريرا، ونعاه عليه، وادعى أنه صحيح فقال:

كَانَ الحَطيئةُ جَارَ أمِّكَ مرَّةً وَاللهُ يَعْلَمُ شَأْنَ ذَلِكَ الجَارِ
 مِنْ ثَمَّ أَنْتَ إِلَى الزَّناءِ بِعِلَّةٍ بِأشْرِ شَيْخٍ فِي جَمِيعِ نِزَارِ
 لَا تَفخَرَنَّ بِعَالِبِ مُحَمَّدٍ وَأفخرِ بِعَبْسِ كُلِّ يَوْمِ فَخَارِ

وكان يزعم أن الحطيئة جاور لينة بنت قرظة فأعجبته، فراودها فوقع عليها وزوجها أخوها العلاء غالبا أبا الفرزدق، وقد تبين حملها فولدت الفرزدق على فراشه¹.

الظاهر أن الوجه النقدي في النص ، أن الفرزدق أدرك ما كان يقصده الحطيئة من قوله : " أنجذت أمك ؟ " ، فكان رده سريعا : " بل أنجد أبي ! " ، وهو ما يدل على « إعجاب الحطيئة الشديد بشعر الفرزدق ويبدو أنه ظن في نفسه أن هذا الشعر الجيد لا يقوله إلا شاعر من نجد فراح يتهم الفرزدق في أمه ، بأنها أنجذت ، أي ذهبت إلى نجد ووقع عليها الحطيئة فورث الفرزدق الشعر عنه ، وأصبح شاعرا كبيرا من نسل النجديين ، ولكن الفرزدق فهم عنه ذلك ورد عليه بأن أباه هو الذي أنجد فوقه على أم الحطيئة فأنجبته ، وأصبح شاعرا كبيرا² . كما أن الحكم النقدي في عبارة الحطيئة « لا يزال عاما غير محدد ، كما لا يزال يصدره الناقد في عبارة غامضة ، وإن كانت تنطوي في حقيقتها على ما أراده الناقد من حكمه ، وتنقله إلى المتلقي ، بعد تأويل خفيف³ » .

ب- أما كثير عزة (ت723م) فهو من الشعراء الكبار ، وكان له دور في نقد الشعر والشعراء ، وقد روت له مصادر النقد مشاركات نقديه كثيرة، صدرت عنه في مجالس الخلفاء ، وفي مجالس الشعراء، وفي أسئلة عامة توجه إليه عن أشعر الناس ، وكان مما روي عن نقداته ، «قال ابن سلام : « دخل كثير على عبد الملك فأنشده مدحته وفيها :

على ابن العاصِ دِلاصٌ حَصىنةٌ أجادَ المِسَدِّي سَرَدَهَا وأذْهَها

1- ابن رشيقي : العمدة ، ج 1 ، ص ص 68 - 69 .

وينظر : ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج 2 ، ص ص 321 - 322 .

2- عبد اللطيف محمد الحديدي : الشعراء النقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي ، ص 93 .

3- المرجع نفسه ، ص 93 .

[الكامل]

فقال له: أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن معد كرب ؟

وإِذَا تَجِيءُ كَتِيْبَةٌ مَلْمُومَةٌ شَهْبَاءُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نَهَائَهَا
كُنْتَ الْمَقْدَّمُ، غَيْرَ لِأَبْسِ جُنَّةٍ، بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعَلِّمًا أَبْطَاهَا

قال كثير: وصفه بالخرق ، ووصفتك بالحزم ¹.

وفي رواية المرزباني: « فقال: يا أمير المؤمنين، وصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق والتغريير، ووصفتك بالحزم والعزم، فارتضاه ² ».

ووجه النقد هنا يكمن في الموازنة بين الشاعرين والمفاضلة بينهما ، وقد فضل عبد الملك معاني مدح الأعشى في قيس بن معد كرب على معاني كثير لما فيهما من المبالغة ، فكان جواب كثير سريعاً في الرد على عبد الملك ، فبين له بأن الأعشى وصف ممدوحه " بالخرق " وهو وصف فيه طيش وتغريير ، وهو في نظره لا يليق بمدح الخلفاء ، بينما كثير وصفه " بالحزم " ، وهذا من نقد المعاني الكلية لأن الحزم والعزم صفتان من صفات الكمال الخلقية تليق بالخليفة ، ولذا يبدو أن كثير عزة على اطلاع بمدائح الأعشى فأراد أن يتجاوزها في معانيه .

بينما يرى المرزباني أن « أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى في هذا المعنى على قول كثير، لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الأوسط ، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير حجة ، على أنه وإن كان لبس الجئة أولى بالحزم ، وأحق بالصواب ، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه ، لأن الصواب له، ولا لغيره إلا لبس الجئة . وقول كثير يقصر على الوصف ³ ».

ج- أما الشاعر الفرزدق فقد أجمع عليه العلماء النقاد أنه أحد الشعراء الفحول الثلاثة في الإسلام، أو الثلاثي الأموي: جرير والفرزدق والأخطل، وكان من الشعراء الذين يحضرون مجالس الشعر والنقد، وكانت له مشاركات قوية في نقد الشعر، ومن نقداًته إجابته على سؤال الناقد ، حيث كانت تطرح في المجالس أسئلة على الشعراء ، ومما سئل عنه الفرزدق: « روى الجمحي أن سائلاً سأل الفرزدق: من

1- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج2 ، ص ص 541-542.

2- المرزباني : الموشح ، ص 192 .

3- المصدر نفسه ، ص ص 192-193 .

أشعر الناس؟ قال: ذو القروح، قال: حين يقول ماذا؟ قال: حين يقول:

[الوافر] وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِنِي أَبِيهِمْ وَبِالْأَشَقَّيْنِ مَا كَانَ الْعُقَابُ¹.

فالفردق في إجابته على سؤال الناقد، قدم امرأ القيس من حث السبق والشاعرية على جميع الناس، وذلك من خلال بيت شعري واحد. بدون تحديد المعايير الفنية التي جعلت امرأ القيس أشعر الناس، لأن الفردق يعرف أن السائل يدرك القصد من إجابته، والفردق على دراية كبيرة بما يستوجب تقديم امرأ القيس من الناحية الفنية، وهو يعرف أن إجابته المختصرة كافية ليفهما السائل.

ومن نقداً الفردق كذلك مارواه ابن رشيق: «سئل الفردق مرة، من أشعر العرب؟ قال: بشر

ابن أبي خازم، قيل له: بماذا؟ قال بقوله:

[الوافر] ثَوَى فِي مَلْحَدٍ لِأَبْدٍ مِنْهُ كَفَى بِالْمَوْتِ نَأْيًا وَاعْتِرَابًا².

والحكم نفسه ينسحب على تقديم الفردق لبشر بن أبي خازم على جميع شعراء العرب من حيث الشعارية، من خلال استشهاده ببيت واحد، وبدون تحديده للمعايير الفنية التي جعلته أشعر العرب، ولعل هذه السمة النقدية في عصر الفردق كانت كافية ليفهم النقاد الغرض من الحكم النقدي على تقديم شاعر على آخر، أو على جميع الشعراء، وكما هو واضح فإن نقد الفردق في النصين منصب على تحديد أشعر الناس بدقة، فقدم الشعراء الجاهليين على باقي الشعراء.

د- أما جرير بن عطية فهو من الشعراء الإسلاميين الفحول المقدمين، وهو مع الفردق والأخطل يشكلون الثلاثي الأموي، ويمثلون عند النقاد الطبقة الأولى من فحول الإسلام، وإلى جانب إبداعه الشعري «كانت له نقداً كثيرة صائبة، وكان يؤخذ رأيه أحياناً كثيرة في بعض الشعراء جاهليين وإسلاميين، كما كان يؤخذ رأيه في تحديد أشعر الناس»³.

ومن نقده «قال الجمحي في كتابه: سألت عكرمة بن جرير أباه جريراً: من أشعر الناس؟ قال: أعرن الجاهلية تسألني أم الإسلام؟ قال: ما أردت إلا الإسلام إذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها، قال: زهير شاعرهم، قال: قلت: فالإسلام؟ قال: الفردق نبعة الشعر في يده، قلت: فالأخطل؟ قال: يجيد

1- ابن رشيق: العمدة، ج1، ص 82.

2- المصدر نفسه، ج1، ص 83.

3- عبد اللطيف محمد الحديدي: الشعراء النقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص 117.

مدح الملوك ويصيب صفة الخمر، قلت: فما تركت لنفسك؟ قال: دعني فأني نخرت الشعر نحرًا»¹. إن جريرا في هذا الحكم حكم على الشعراء الثلاثة بنظرة موضوعية ولكنها جزئية. فهو حين يفضل زهيرا لم يعلل سبب تفضيله وقد يكون ذلك عائد إلى إجادته في غرض المدح، بينما حين يتحدث على الشعراء الإسلاميين يعطي بعض التعليقات الفنية، وقد فضل الفرزدق لسيولة شعره وغزارته، وهو ما يعطي نظرة على أن الفرزدق أجاد في مجموعة أغراض شعرية، بينما قدم الأخطل على الشعراء الإسلاميين في غرضين عرف بهما هما: مدح الملوك ووصف الخمر، أما قول جرير عن نفسه: "دعني فأني نخرت الشعر نحرًا" فهي نظرة تبين أن جريرا قسم شعره بين هجائه للشعراء ومدح خلفاء بني أمية، ولم يستقر على غرض معين.

هـ- أما نصيب فهو من الشعراء المقدمين في العصر الأموي، فقال عنه: إسماعيل بن يسار لما سئل: «من أشعر الناس؟ قال: أخو بني تميم. قلت: ثم من؟ قال: أنا. فقلت: ثم من؟ قال: نصيب... إنه لشاعر والله كريم»²، وجعله ابن سلام في الطبقة السادسة من فحول الإسلام، و«اعترف له بالشاعرية كثير من النقاد والخلفاء والشعراء، شارك في الحركة النقدية في عصره فكان ناقدا ذائع الصيت، كما كان شاعرا، وبلغ من شهرته كناقدا أن كان الشعراء يأتونه فينشدونه، ويحكم على أشعارهم ويقومها، ويبيدي ملاحظاته على ما قد يكون فيها من خطأ أو زلل»³.

- ومن نقداته ما روى له ابن رشيقي: « قيل لنصيب مرة من أشعر العرب؟ فقال: أخو تميم، يعني علقمة بن عبدة، وقيل: أوس بن حجر، وليس لأحد من الشعراء بعد امرئ القيس ما لزهير والنابغة والأعشى في النفوس»⁴.

فلاحظ أنه عندما يكون سؤال الناقد عن أشعر الناس، أو أشعر العرب، تكون الإجابة دائما بتقدم وتفضيل الشعراء الجاهليين على غيرهم من المتأخرين، وهنا نجد نصيبا فاضل بين الشعراء الجاهليين فقدم علقمة ثم جاء بعده امرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى، وهو ما يعني أنه إلى عصر نصيب مازال النقاد يعدون الشعر والشعراء الجاهليين المقياس المفضل عند المفاضلة بين الشعراء عندهم

1- ابن رشيقي: العمدة، ج1، ص 83.

2- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج2، ص ص 675-676.

3- عبد اللطيف محمد الحديدي: الشعراء النقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص134.

4- ابن رشيقي: العمدة، ج1، ص 85.

بدون تعليل . وعلة ذلك كما يقول نصيب أن هؤلاء الشعراء مازال أثرهم الحسن في النفوس قائما ، فيذكرهم الناس ويجلونهم لما لهم من سبق في الزمن وجمال الإبداع .

و- ومن الشعراء الذين كان لهم أثرا نقديا في عصره الكمييت بن زيد الذي « مثل طبقة جديدة من الشعراء ، نشأت في أواخر هذه الفترة ، وكان نشوءها ظاهرة من ظواهر التطور الذي أتيح للمجتمع الإسلامي»¹ . ومن نغذاته ما روي عن محمد بن سعد راوية الكمييت ، قال: « قدم ذو الرمة* الكوفة فلقبه الكمييت** ، فقال له: إني قد عارضتك بقصيدتك . قال: أي القصائد ؟ قال: قولك: [البيسيط]

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّي مَقْرِيَّةٍ سَرِبُ

قال: فأني شيء قلت ؟ قال: قلت:

هَلْ أَنْتَ عَنْ طَلَبِ الْأَيْفَاعِ مَنْقَلِبُ أَمْ هَلْ يَحْسُ مِنْ ذِي الشَّيْبَةِ اللَّعْبُ

حتى أتى عليها . قال: فقال له: ما أحسن ما قلت ، إلا أنك إذا شبهت الشيء ليس تجيء به جيدا كما ينبغي، ولكنك تقع قريبا، فلا يقدر إنسان أن يقول : أخطأت ولا أصبت ، تقع بين ذلك، ولم تصف كما وصفنا أنا ولا كما شبهت . قال: وتدرني لم ذاك ؟ قال: لا ، قال: لأنك تشبه شيئا قد

1- محمد طه الحاجري : في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي ، والقرن الأول الإسلامي ، ص 114 .

* ذو الرمة (735م) « هو غيلان بن عُقبة بن بُهَيْش ويكنى أبا الحارث وهو من بني صعْب بن ملكان بن عدي بن عبد مناة » . « شاعر أموي كان يتردد على البصرة والكوفة أغرم بحب مية فأكثر من ذكرها في شعره حتى عرف بها عاصر جرير والفرزدق ، له "ديوان " .

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 356 .

** الكمييت الأسدي ولد بالكوفة (سنة 60هـ) (680-744م) « هو الكمييت بن زيد من بني أسد ويكنى أبا المسهل وكان معلما ، وكان أصلع أصم وكان بينه وبين الطرماح من المودة والمخالطة ما لم يكن بين اثنين على تباعد ما بينهما في الدين والرأي لأن الكمييت رافضيا وكان الطرماح خارجيا صُفْرِيًّا ، وكان الكمييت عدنانيا ، وكان الطرماح قحطانيا عصبيا ، وكان الكمييت متعصبا لأهل الكوفة ، وكان الطرماح يتعصب لأهل الشام ، وكان الكمييت شديد التكلف في الشعر كثير السرقة » . « شاعر من أهل الكوفة . مدح بني هاشم . وعرف يشاعر الهاشميين . له ديوان " الهاشميات » ويعتبر الكمييت من مكثري الشعر، ومع ذلك فما وصل إلينا من شعره قليل...ويعد من أقدم مُثثري بواعث العصبية وموقدي نار الشقاق بين العدنانيين والقحطانيين » .

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 390 .

- وينظر : الكمييت بن زيد : شرح هاشميات الكمييت بن زيد ، بتفسير: أبو ريش أحمد بن إبراهيم القيسي ، تحقيق : داؤد سَآوم ونوري حمودي

القيسي ، ط 2 ، بيروت ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، 1406هـ 1986م ، ص 239 .

رأيتُه بعينك، وأنا أشبُّه ما وُصِفَ لي ولم أرُه بعيني . قال: صدقت . هو ذاك»¹.

ووجه النقد في النص يبدو واضحاً أن الكميت « قصد قصداً إلى معارضة إحدى قصائد ذي الرمة ، يضع قصيدته على منهجها، ويصوغها على غرارها، فينجح في هذه المحاولة إلى حد ما، إلا أنه حين يجيء إلى التصوير لا يقع بحيث ينبغي أن يكون، ولا يبلغ من المعارضة في هذا ما يستطيع به أن يجاري ذا الرمة . وقد فسر هو نفسه هذا التفاوت الذي لاحظته ذو الرمة ، بأنه إنما يصور شيئاً لم يره وإنما وُصِفَ له ، فهو مقلد ، وتلك جريرة التقليد»². والمعارضة الشعرية التي قصدها الكميت هي معارضة فنية في المدح ، وهي تعد من المعارضات الفنية الأولى في الشعر العربي .

إدّاً ، فهذه مجموعة من التابعين الشعراء نقدوا الشعر برؤية عصرهم، وقد تجلّى من خلال النماذج التي درستها أنهم ينقدون الشعر، ويفاضلون بين الشعراء من خلال النظرة الجزئية المتعلقة بالبيت أو البيتين، وكانوا أثناء مفاضلتهم بين الشعراء يقدمون الشعراء الجاهليين على غيرهم، وعدوهم مقياساً للمفاضلة باعتبارهم هم أوائل شعراء العرب، وكثيراً ما يكون هذا التقديم بدون تعليل. وهو نقد لا يرقى إلى مستوى نقد الخليفة عبد الملك أونقد الأديباء للشعر.

وتبقى نقداً الشعراء قيمة نقدية مضافة في تنامي النقد الأدبي زمن التابعين .

وهكذا يتجلى أن ظهور مدرسة التابعين النقدية قد شارك في تأسيسها الخلفاء والعلماء والأديباء

والنحاة والشعراء .

1- المرزباني : الموشح ، ص 252 .

2- محمد طه الحاجري : في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي ، والقرن الأول الإسلامي ، ص 116 .

الخاتمة

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الشاققة والممتعة في مظان التراث العربي الإسلامي شعره ونقده ، ولاسيما في عهدي الصحابة والتابعين خلص البحث إلى النتائج الآتية :

1- إن تجربة الصحابة خلفاء وغير خلفاء مع الإسلام غيرت نظرهم للشعر، واستطاعوا أن يتجاوزوا مع العصر الجديد، ولما حددوا موقفهم الايجابي من الشعر، تمكنوا من أن يحددوا مفهوم الشعر، وبحكم أن الصحابة الخلفاء مخضرمون عرفوا الشعر الجاهلي، وعاشوا حركة تطور الشعر الإسلامي، لهذا نجد نظرهم للشعر نظرة نقدية جديدة، وقد استطاعوا أن يتجاوزوا العرب الذين لم يحددوا مفهوما للشعر، وقد يغيبوا نظرة العرب للشعر الدالة على الخوارق، والخرافة، والمرتبطة بشياطين الشعر والشعراء، وقد شارك الصحابة الخلفاء وغير الخلفاء في بلورة المفهوم الجديد للشعر وفق رؤية إسلامية ، وإن تعددت صيغته مفهومهم للشعر، سواء دل على أنه كلام أو علم أو ميزان القول، فهو مفهوم جديد دل على أنه من نتاج عقل وفكر وعواطف الإنسان، لا يشاركه فيه أحد ، يجري في نسق فكري واحد زمانا ومكانا، وبالتالي فالصحابة بتجديدهم لمفهوم الشعر أضافوا قيمة فكرية وأدبية فنية ونقدية إلى القيم الفكرية والأدبية والجمالية الجديدة التي جاء بها الإسلام، كما أنهم قالوا الشعر وتمثلوا به واستمعوا للشعراء ، وعبروا بذلك عن ذوقهم الفني والجمالي .

2- كان الصحابة شعراء المدينة حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك ، شعراء قبل مجيء الإسلام ، ولما جاء الإسلام انضوا تحتها بكل إيمان ، وواجهوا شعراء قريش ومن والاهم مدافعين عن الرسول ﷺ بكل قوة ، معتمدين في ذلك منهجا فكريا ومسلكا فنيا، يتكئ على موقفهم الأدبي والسياسي، فاحترفوا في الإسلام فن الهجاء والمدح، فقوضوا من خلالهما عزيمة شعراء الكفار، مما جعلهم يغيرون مفهوم كل من المدح والهجاء ، وكان ذلك بدافع خدمة العقيدة والذود عن صاحبها .

3- إن لقصيدة الصحابة من الناحية الشكلية بعدين: فالبعد الأول: تمثله قصيدة شعراء مدرسة الدعوة وهم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، والنابعة الجعدي، الذين تشبعوا بقيم الإسلام الجديدة ، وجسدوا ذلك في قصائدهم ومقطوعاتهم الشعرية ، على مستوى جميع الأغراض والموضوعات الشعرية التي طرقتها ، من هجاء وفخر ومدح وثناء .

وأما البعد الثاني: للقصيدة الصحابية ، فيتمثل في قصائد شعراء مدرسة الموروث الجاهلي، وهم: كعب بن زهير، وأبوسفيان بن الحرث، وعبد الله بن الزبير، وأنس بن زعيم، وظهر هذا الموروث الجاهلي في قصائدهم التي قيلت في إسلامهم واعتذروا من خلالها للرسول ﷺ ، فجاءت قصائدهم

محافظة في غرضها الشعري من مدح واعتذار واستعطف ، على مستواها الشكلي ، حيث اتكأ الشعراء في معانيهم وصورهم الشعرية على ما استعاروه من معاني وصور النابغة الذبياني في اعتذارياته، وقد مس تقليدهم الموسيقى الشعرية البحور الشعرية التي نظم عليها النابغة الذبياني اعتذارياته ، وظهر إيمانهم الصادق الذي عبروا من خلاله عن توبتهم ، مع توظيفهم لبعض المفردات الإسلامية في شعرهم .

4- إن التابعين استطاعوا أن يتميزوا عن الصحابة في رؤيتهم النقدية ، التي تماشى مع تطور عصرهم فكريا وسياسيا وفنيا، مما مكنهم من تجديد مفهوم الشعر، إذ جاء مفهومهم للشعر في القرن الأول الهجري محصورا في أمرين: أولهما: مفهوم نقدي فني جمالي مرتبط بالقافية جاء نتيجة تطور الوعي الفكري والجدل النقدي عند التابعين، وتبنى هذا المفهوم محمد بن سيرين، وهو من علماء المدينة الفقهاء النقاد . وثانيهما: مفهوم عاد إلى النظرة الخرافية الجاهلية في مفهوم الشعر، المتعلقة بفكرة شياطين الشعر والشعراء، التي كانت سائدة عند العرب والشعراء الجاهليين، وتعلق بهذا المفهوم التابعين الشعراء: الفرزدق وجريز وأبا النجم العجلي.

5- اتضح أن موقف التابعين سواء أكانوا خلفاء أو علماء أو نقادا أو نحاة من الشعر والشعراء، اتسم بالإيجابية، إذ تجاوزوا مع حركة الشعر والنقد ، فقالوا الشعر بين مكثر ومقل، وتمثلوا به، وكانت بعض مجالس الخلفاء يغلب عليها طابع اللهو مثل : مجالس يزيد بن معاوية ، ويزيد بن عبد الملك. أما عبد الملك بن مروان فهو واحد من التابعين الذين جمعوا بين الفقه والسياسة والشعر ، وهو أحد النقاد البارزين، فقد كان يعقد بعض المجالس الأدبية التي كان يتبارى فيها الشعراء ، وكان يحب شعر المدح والغزل، واستمع للشعراء الذين مدحوه وأعجب بشعرهم، وكثيرا ما كان ينقد ويعلق على ما يقوله الشعراء، ويوازن ويفاضل بينهم، وقال الشعر في مواقف عديدة ، ورواه ، وتشمل به ، وكان يرأسل ولاته برسائل شعرية، واستنشد الشعراء وأجازهم بالمال والنوق، وعلى هذه الشاكلة كانت رؤية بعض الخلفاء التابعين مرتبطة بهذا الذوق الفني للشعر والشعراء .

6- إلا أن كوكبة من العلماء التابعين مثل: شريح القاضي، وسعيد بن المسيب، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وابن سيرين، وعروة بن أذينة ، فرغم ورعهم، إلا أن هذا لم يمنعهم من تذوق الشعر في مجالسهم الفقهية المختلفة، فكانوا يجيزون إنشاد شعر الغزل العفيف ، ولا يعترضون على قائله .

7- إن تأثير الموروث الإسلامي في شعر التابعين الشعراء والرجاز، كان أمرا طبيعيا، لأن التابعين

الشعراء منهم من عاصر الصحابة الشعراء حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعرفوا شعرهم الذي كان مشبعاً بقيم وفضائل الدعوة الإسلامية، حيث جاء شعرهم في معانيه وألفاظه وعباراته يتكئ على روح القرآن العظيم ومعاني آياته، وجاء هذا التأثير بالموروث الإسلامي متعلقاً بالعقيدة ومدافعاً عنها، ولا أستبعد أن يكون لشعر الصحابة دور في تأثر التابعين بالموروث الإسلامي، في بنائهم الفني لقصائدهم. أما على مستوى أثر التقليد الجاهلي في شعر التابعين فقد تبين لي أن ثمة دوافع سياسية من طرف الساسة الأمويين، هي التي دفعت التابعين الشعراء إلى الأخذ من الموروث الجاهلي وتقليده، لإشباع رغبة الخلفاء، الذين كانوا ميالين للشعر الجاهلي، كما هو معروف عن الخليفة عبد الملك بن مروان.

8- تعد أحكام الصحابة الخلفاء النقدية جديدة إذا ما قورنت بالأحكام النقدية لعصر ما قبل الإسلام. ذلك أن نقد الصحابة لم يقف عند المفاضلة والموازنة بين الشعراء فحسب، بل إن مشاركتهم النقدية أسست لظهور المصطلح النقدي، الذي كان غائباً في نقد العصر الجاهلي، وهذه المصطلحات التي استخرجها النقاد الخلفاء من خلال رؤيتهم الجديدة لنقد الشعر، تدل على أنهم تمحصوا الشعر الجاهلي والإسلامي، وبالخصوص شعر المخضرمين، وكانت المصطلحات التي ابتدعها الصحابة الخلفاء هي: "المعاظلة" و"الحوشي" و"الصدق والكذب"، و"سابق الشعراء" و"أحسن الوصف"، و"أحكم الرصف"، و"قال: الحق" و"أنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة" و"أشعر الشعراء" وغير ذلك من المصطلحات التي كان لها دورها الأساسي في تحديد المعايير النقدية الخاصة بالعصر الإسلامي، والتي على أساسها كانت تعقد الموازنة بين الشعراء وتقديم بعضهم على بعض، وبكل تأكيد فهذه المصطلحات هي التي اعتمد عليها النقاد بعد عصر التابعين ودفَعوا بالنقد الأدبي العربي في العصر العباسي إلى التطور.

9- أما الأحكام النقدية للصحابة غير الخلفاء: معاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، فهؤلاء جميعاً قد عاشوا مع الصحابة الخلفاء، وقد كانت لهم مشاركة واضحة في نقد الشعر والشعراء، وأبرزوا موقفهم من الأغراض الشعرية، المدح والهجاء والفخر، فكانوا يفرقون بين مدح ومدح، وبين هجاء وهجاء، وبين غزل وعزل، وكانوا يفضلون أن تكون أغراض المدح والفخر والهجاء عفيفة في لفظها، بعيدة عن الظلم في معانيها.

10- إن للصحابة الشعراء فضلاً كبيراً في الذود عن الرسول (ﷺ). بينما يبقى دورهم في نقد الشعر

محدودا ومحصورا في بعض النقدرات ، ولم يظهر هؤلاء الشعراء كنفاد في عصرهم، مثل ما كان للشاعر في عصر ما قبل الإسلام من دور نقدي ، كالنابغة الذبياني ، لأن مهمة النقد قد أوكلت إلى الصحابة الخلفاء ، الذين كانوا أبرز الشخصيات الإسلامية الذين وقفوا إلى جانب الرسول (ﷺ) في تبليغ الدعوة ، عرفوا مسار الشعر والشعراء ، وبالتالي فهم أولى بتحديد كيف يكون الشعر .

وتبقى نقدرات الصحابة الشعراء فنية تتماشى ورؤاهم الفكرية والجمالية، وفق عصرهم الجديد. وقد كانت أولى النقدرات من شاعر في الإسلام ، هي نقدرات عثمان بن مظعون لبيت لبيد بن ربيعة ، وكان نقدا يعتمد على معياري الصدق والكذب ، ثم نقدرات حسان بن ثابت ، ثم نقدرات لبيد بن ربيعة في موازنته بين الشعراء، وفي نقد شعر ابنته خماسية ، وبهذا الموقف الايجابي من حيث الممارسة الشعرية والنقدية للصحابة تظهر بوضوح مدرسة الصحابة الشعرية والنقدية .

11- إن النقد الأدبي في زمن التابعين ، قد تطور تطورا كبيرا ، نتيجة النقدرات التي قدمها خلفاء بني أمية ، وفي مقدمتهم عبد الملك بن مروان، الذي نقد معاني وصور القصائد والمقطوعات التي مدحه بها الشعراء ، من خلال مشاركته في بناء رؤيتهم الفنية تجاهه ، ووضع مقياسا جديدا للمدح، وطلب من الشعراء مدحا سياسيا بليغ المعنى جميل الصورة، يتكئ على إبراز صورة الممدوح الروحية، لأن غرض المدح عنده يأتي في المرتبة الأولى في سماعه له في مجلسه .

وكانت نقدرات باقي الخلفاء تقوم على الذوق والرؤية الفقهية، فكان نقد سليمان بن عبد الملك نقدا فقهيا؛ حيث اتخذ من معاني الغزل التي تداولها الشعراء سببا في اتخاذه موقفا سلبيا منهم. وقد أعطى عمر بن عبد العزيز بنقده لمعاني المدح روحا جديدة، بعيدة عن الغلو والمبالغة ، تتكئ على معيار الصدق والكذب وقد دفع الشعراء إلى الالتزام به .

12- أما نقد التابعين العلماء الفقهاء النقاد ومنهم سعيد بن المسيب، فقد أدى دورا مهما في تطور الحركة الأدبية ، وتنامي النقد الأدبي في زمانه ، من خلال مشاركته الفعالة في الجدل النقدي الذي كان قائما في مجالس فقهاء وعلماء المدينة ، وقد كان ينقد شعر الغزل العفيف ، ويفاضل بين الشعراء، فكانت نقدراته قيمة مضافة ، ودور فعال في تنامي النقد الأدبي زمن التابعين .

13- أما نقد التابعين الأدباء النقاد، فقد كان لابن أبي عتيق دور أساسي في نقد شعر شعراء الغزل، وقد كان مبدعا في نقده ومفاضلته بين معاني شعر الحارث بن خالد وشعر عمر بن أبي ربيعة .

وكذلك كان حال الناقدات الأدبيات السيدة سكينه والسيدة عقيلة ، إذ كان اهتمامهما كبيرا بالنشاط الأدبي والنقدي الذي كان سائدا في الحجاز ، واعتمد نقد الأدباء على نقد المعاني والصور البلاغية التي يوظفها الشعراء في غزلهم.

14- أما نقد التابعين النحاة في نقد الشعر ، فقد ارتبط بالعلمية والدقة ، وتعد نقداً لهم النواة الأولى لنقد الشعر، وفق منهج علمي، وهي وجه ثقافي جديد في نقد الشعر، الذي كان يعتمد على نقد الأخطاء اللغوية نتيجة مخالفة الشعراء القواعد النحوية، ودفع النحاة الشعراء إلى ضرورة الالتزام بالقاعدة النحوية في شعرهم، وأشهر هذا النقد ما دار بين الحضرمي والفرزدق .

15- أما نقد التابعين الشعراء فقد تجلّى من خلال النماذج النقدية التي درستها، أنه قد شارك في العملية النقدية شعراء مدرسة الشام، ومدرسة الحجاز ومدرسة العراق، وتبقى مشاركتهم النقدية مشاركة فعالة نظراً لاهتمامهم بنقد الشعر كقيمة فكرية وجمالية، وإن كانت بعض نقداًهم تقوم على النظرة الجزئية المتعلقة بالبيت والبيتين أو الأبيات، ما يبين بأن النقد مازال عاماً غير معلن، وهناك نقداً تقوم على التعليل، وبهذا الموقف الإيجابي من حيث الممارسة الشعرية والنقدية للتابعين تظهر بوضوح مدرسة التابعين الشعرية والنقدية ، التي تعد امتداداً لمدرسة الصحابة .

وفي الأخير، فإن هذه الأطروحة، تكون قد وضعت اللبنة الأولى في الوقوف عند موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء ، وتكون بذلك قد هيأت السبل للباحثين والدارسين الذين يودون الولوج إلى العالم النقدي عند الصحابة والتابعين .

فهرس

ملخصات البحث باللغة العربية واللغة الفرنسية

ملخص البحث

إن موضوع "موقف الصحابة والتابعين من الشعر والشعراء"، ينطلق من فكرة موقف الصحابة الخلفاء وغير الخلفاء والصحابة الشعراء من الشعر والشعراء، حيث تعاملوا مع الشعر بصفته فنا عربيا موروثا، فعرفوه قبل أن يعرفوا الإسلام، ولما فقهوا الإسلام وأدركوا أنه لم يبلغ الشعر بصفته كلاما فنيا وقفوا منه موقفا إيجابيا، فقالوا الشعر في مواقف مختلفة، وتمثلوا به واستمعوا إلى إنشاد الشعراء، ووظفوه في المعارك الحربية الكلامية بصفته سلاحا مؤثرا، وحددوا مفهومه وحددوا وظيفته، واستمر الاحتراف في الشعر من طرف الصحابة الشعراء، حيث وظفوا الشعر في خدمة الدولة والدين الجديدين، كما اتخذ الصحابة الخلفاء مواقف سلبية من الشعر والشعراء في بعض المواقف التي لا تتماشى مع الإسلام. ومارس الصحابة الخلفاء وغير الخلفاء، والصحابة الشعراء النقد على الشعر الجاهلي والإسلامي، بكل احترافية وخاصة الخليفة عمر بن الخطاب، وأبدعوا مصطلحات نقدية فنية تتماشى وروح العصر، وتعد نقداً لهم البذور الأولى للنقد الإسلامي.

أما بالنسبة للتابعين فقد كان موقفهم من الشعر والشعراء موقفا إيجابيا، فساروا على نهج الرسول ﷺ والصحابة في رؤيتهم للشعر باعتباره فنا عربيا، فأحبي الخلفاء مجالس الشعر ونقده، وفي عصر التابعين ظهر مفهوم جديد للشعر، وتطورت فنونه وأغراضه، ودخل الشعراء في مجرى السياسة الأموية، وانقسموا حول صراع بني أمية، وأصبح الشعراء يقصدون قصور الخلفاء والأمراء ليسمعوهم قصائدهم المدحية والغزلية وينالون عطاياهم، وظل الشعراء في كل بيئة يحتفون لونا شعريا، ففي الحجاز غلب شعر الغزل نظرا لحياة البذخ، وفي العراق غلب الهجاء والنقائض نظرا لصراع الشعراء، وفي الشام حيث وجود القصر الأموي غلب فن المدح، وقد أبدع الشعراء وحددوا في كل فنون الشعر، وغيروا وظيفته وأصبح الشعر والشعراء بعد أن تشكلت مدرسة التابعين الشعرية في خدمة دولة بني أمية.

كما مارس التابعون نقد الشعر والشعراء، وحلت المجالس النقدية كوجه ثقافي أدبي في عهد عبد الملك بن مروان محل الأسواق الأدبية القديمة، ومد الحركة النقدية بطاقة فنية وجمالية من خلال نقده للمعاني والصور الشعرية، واهتمامه بالشعر والشعراء الجاهليين والإسلاميين، ودفع بباقي الخلفاء الأمويين بعده والعلماء والنقاد والنحاة والشعراء إلى الاهتمام بالشعر ونقده، ودخلوا المعركة النقدية، فأبدعوا وأضافوا الجديد إلى الحركة النقدية، مما دفع بتجديد نقد الشعر والشعراء وتطوره، وتشكيل مدرسة التابعين النقدية.

Résumé de la thèse

Le thème de notre thèse intitulé « la position des compagnons et des loyaux du prophète à l'égard de la poésie et des poètes » dérive de l'idée de la « dualité du coran et de la poésie ». Tandis que la position des compagnons successeurs et non successeurs, et poètes à traiter la poésie en tant qu'art arabe hérité. Ils l'ont connu avant qu'ils connaissent l'Islam. Et lorsqu'ils connurent l'Islam et que celui-ci ne réprima pas la poésie en tant que langage artistique, ils prirent à son égard une position positive. Ils ont poétisé dans plusieurs situations en personnification et en écoute poétique comme ils ont employé la poésie dans les querelles guerrières en tant qu'arme efficace et ils lui ont donné sa définition et sa fonction, et les « compagnes » poètes ont pratiqué la poésie, alors que les compagnons successeur sont pris une position négative.

Ces derniers, à l'instar de Omar Ibn El Khattab, ont pratiqué la critique littéraire vis-vis de la poésie Antéislamique et Islamique avec art et ils ont créé des termes critiques issus de l'esprit du siècle et que l'on considère comme le premier sillon de la critique littéraire islamique.

En ce qui concerne les loyaux leur position à l'égard de la poésie et des poètes était positive. Ils ont suivi la même procédure du prophète et de ses compagnons en ce qui concerne leur vision poétique, proprement arabe. Ils sont renouvelé les cercles poétiques et critiques.

Les poètes se sont lancés dans le courant de la politique Umayyade et se sont divisés vis-à-vis du conflit des Umayyades et des tribus. Les poètes entrent au plais des « compagnons ».

Pour faire écouter leurs poèmes flatteurs pour recevoir des récompenses.

Aux temps des loyaux, un nouvel concept de la poésie est apparu, ses types et ses thèmes ont évolué. Dans chaque milieu littéraire, les poètes pratiquent un type poétique. Au Hidjaz la poésie d'amour a pris le dessus.

Les loyaux et les poètes ont pratiqué la critique littéraire et les cercles de critique littéraire sont devenus un visage littéraire à l'époque d'Abdelmalek Ibn Merouane qui a donné un sceau esthétique à travers sa critique des rites et des images poétiques de par son intérêt à la poésie et aux poètes antéislamiques et islamiques et il a incité les successeurs omeyyades venus après lui ainsi que les savants ,les critiques ,les grammairiens et les poètes à s'intéresser à la poésie ce qui développa la critique de la poésie et des poètes et établit l'école critique des successeurs.

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع، والموسوعات، والمعاجم والقواميس، والدوريات

أولاً: المصادر

- القرآن العظيم برواية حفص عن عاصم

أ- مصادر تفسير القرآن العظيم:

1- القرطبي، (أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد الورداني

وإبراهيم اطفيش، ط2، القاهرة، دار الكتب المصرية، 13847هـ 1967م.

2- ابن كثير، (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل): تفسير ابن كثير، صحح بإشراف: خالد

الميس، ط2، بيروت، لبنان، دار القلم، د. ت.

ب- مصادر السنة:

3- البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ،

ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، موسوعة الحديث الشريف، الكتب

الستة، إشراف ومراجعة: صالح عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ط1، الرياض، دار

السلام للنشر والتوزيع، 1421هـ 2000م.

4- الترمذي، (الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة): سنن الترمذي، وهو الجامع الصحيح،

حققه وصححه: عبد الرحمان محمد عثمان، ط2، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع، 1403هـ 1983م.

5- مسلم، (ابن الحجاج): صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحاب، مؤسسة قرطبة،

1412هـ 1991م.

6- مسلم، (ابن الحجاج بن مسلم أبو الحسين الحافظ): صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق:

عبد الله أحمد أبوزيد، بيروت، دار الشعب، د. ت.

7- مسلم، (ابن الحجاج): صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، بيروت، دار إحياء التراث

العربي، د. ت.

8- الهندي، (علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين): كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال،

ضبطه وفسر غريبه : بكر حماني ، صححه ووضع فهرسه : صفوت السقاء ، د. م ، مؤسسة الرسالة ، 1413 هـ 1992 م.

ج- مصادر السيرة :

- 9-البلاذري ، (أحمد بن يحيى بن جابر): كتاب جمل من أنساب الأشراف، حققه و قدم له: سهيل زكار ورياض زركلي، ط1، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1417هـ 1996م.
- 10- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، قدم له : إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، د . ت .
- 11- ابن سيد الناس ، (محمد بن عبد الله بن يحيى): السيرة النبوية المسمى عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، القاهرة ، مكتبة القدس للطبع والنشر والتوزيع ، 1406 هـ 1986 م .
- 12- الشيرازي ، (أبو اسحق الشافعي) : طبقات الفقهاء ، حققه و قدم له: إحسان عباس، ط2، بيروت، لبنان ، دارالرائد العربي ، 1401 هـ 1981 م.
- 13- الطبري ، (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، لبنان ، في سلسلة روائع التراث ، د.ت .
- 14 ابن عبد البر،(أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق وتعليق : علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود ، قدم له : محمد عبد المنعم البري وجمعة طاهر النجار ، ط1، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية، 1415 هـ 1995 م.
- 15- العسقلان ، (شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي المعروف بابن حجر) : الإصابة في تمييز الصحابة ، ط 1 ، مكتبة الكليات الأزهرية ، د . ت .
- 16- ابن هشام ، (أبو محمد عبد الملك): سيرة النبي ﷺ، راجع أصولها : وضبط غريبها ، وعلق حواشيها، ووضع فهرسها : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1401 هـ 1981 م .
- 17- المطلي ، (محمد بن إسحاق بن يسار) : السيرة النبوية ، حققه وعلق عليه واخرج أحاديثه : أحمد فريد المزيدي، ط1، بيروت ، لبنان ، منشورات علي بيضون، بدار الكتب العلمية ،

1424هـ 2004م .

د- مصادر علم الحديث:

18- الزمخشري ، (جار الله محمود بن عمر): الفائق في غريب الحديث، طبعة حيدر آباد، الهند، د.ت.

19- ابن الصلاح ، (أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري): مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، اعتنى به وعلق عليه : إسماعيل زرمان، ط1، بيروت ، لبنان، مؤسسة الرسالة ناشرون، 1425هـ 2004م ،

20- ابن كثير ، (الحافظ): الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، بيروت ، لبنان ، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، 1370هـ 1951م .

ه- مصادر الشعر العربي (الدواوين):

21- بئينة ، (جميل): الديوان ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1405هـ 1984م .

22- ابن ثابت، (حسان): شرح ديوان حسان بن ثابت، وضعه وضبط الديوان وصححه: عبد الرحمن البرقوقي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د . ت .

23- الثقفني ، (أبو محجن): الديوان ، صنعه : أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، نشره وقدم له : صلاح الدين المنجد ، ط1، بيروت ، لبنان ، دار الكتاب الجديد ، 1389هـ 1970م .

24- ابن ثور ، (حميد): الديوان ، إشراف: يوسف نجم، ط1، بيروت، لبنان، دار صادر، 1995م.

25- جرير ، الديوان ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له : عمر فاروق الطباع ، ط1، لبنان ، بيروت ، شركة الأرقم بن أبي الأرقم ، 1417هـ 1997م .

26- الذبياني : (النابغة): الديوان، تحقيق وشرح : كرم البستاني ، بيروت ، دار صادر، د . ت .

27- ابن أبي ربيعة، (عمر) : الديوان ، شرحه وقدم له : عبد أ ، وعلي مهنا ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، د.ت .

- 28- ابن ربيعة ، (لبيد): الديوان ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له : عمر فاروق الطباع ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر ، 1417هـ 1997م .
- 29- ابن رواحة، (عبد الله): الديوان ، دراسة وجمع وتحقيق : حسن محمد باجودة ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، دار التراث ، 1972م .
- 30- ابن زهير، (كعب): الديوان، قرأه: محمد يوسف نجم، ط 1، بيروت، دار صادر، 1415هـ 1995م.
- 31- ابن زهير ، (كعب): الديوان، صنعه : أبي سعيد أحسن بن الحسين العسكري ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: حنا نصر الحتي ، ط 3، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، 1420هـ 1999م.
- 32- ابن زيد ، (الكميت) : شرح هاشميات الكميت بن زيد ، بتفسير: أبو ريش أحمد بن إبراهيم القيسي، تحقيق : داؤد سآوم ونوري حمودي القيسي ، ط 2 ، بيروت ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، 1406هـ 1986م .
- 33- ابن أبي سفيان ، (معاوية): الديوان ، جمعه وحققه ودرسه : فاروق اسليم، ط 1، بيروت، لبنان، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1996م .
- 34- الشيباني، (النابغة): الديوان ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له ، عمر فاروق الطَّبَّاع ، بيروت ، لبنان ، 1417هـ 1996م.
- 35- الصديق ، (أبوبكر) : الديوان ، حققه وعلق حواشيه وقدم له :فاروق الطباع، ط 1، د.ن، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، 1420هـ 1999م.
- 36- ابن أبي طالب ، (علي) : ديوان الإمام علي ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، ولاية أم البواقي، عين امليلة ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، 1989م.
- 37- ابن الطفيل ، (عامر): الديوان، رواية : أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد ابن يحيى ثعلب ، بيروت ، دار صادر ، 1399هـ 1979م .

38- الفرزدق ، الديوان ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له: عمر فاروق الطباع ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، شركة الأرقم بن أبي الأرقم ، 1418هـ 1997م .

39- ابن مالك ، (كعب): الديوان ، دراسة وتحقيق : سامي مكّي العاني ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، عالم الكتب ، 1417هـ 1996م .

و- مصادر التراث :

40- الأبيهي ، (شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح): المستطرف في كل فن مستظرف ، الطبعة الأخيرة ، مصر ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، 1371هـ 1958م .

41- ابن الأثير ، (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني): الكامل في التاريخ ، ط3 ، بيروت ، لبنان ، دار الكتاب العربي ، 1400هـ 1980م ، ج3 ، ص 261 .

42- ابن الأحرر ، (أبو الوليد إسماعيل): نثير الجمال في شعر من نظمنا وإياه الزمان ، ط1 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1396هـ 1976م .

43- الأصفهاني ، (أبو الفرج) : الأغاني ، طبعة دار الكتب المصرية ، د . ت .

44- الأصفهاني ، (أبو الفرج) : الأغاني ، طبعة ساسي ، د . ت .

45- الأصبهاني ، (الراغب): محاضرات الأدباء ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، د . ت .

46- الآمدي ، (الحسن بن بشر بن يحيى البصري): الموازنة بين أبي تمام و البحتري ، تحقيق و تعليق : محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، لبنان ، المكتبة العلمية ، 1363هـ 1944م .

47- الباقلائي ، (أبو بكر محمد بن الطيب): إعجاز القرآن ، تحقيق: السيد أحمد صقر ، ط4 ، القاهرة ، دار المعارف ، د . ت .

48- البيهقي ، (إبراهيم بن محمد): المحاسن والمساوي ، اعتنى به : عبد الرزاق إسبر ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، 1426هـ 2005م .

- 49- الثعالبي ، (أبو منصور): كتاب خاص الخاص ، قدم له : حسن الأمين ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، د . ت .
- 50- الجاحظ، (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين ، صيدا ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1422هـ 2001م.
- 51- الجاحظ، (أبو عثمان عمرو بن بحر): الحيوان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط1، مصر، مكتبة الجاحظ ، 1938م .
- 52- الجرجاني عبد القاهر ، (أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد): دلائل الإعجاز ، قدم وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، د.م ، مطبعة المدني ، دار المدني بجدة ، ط3 ، 1413هـ 1992م.
- 53- الجرجاني ، (أبو العباس أحمد بن محمد): كنايات الأدباء و إشارات البلغاء ، تحقيق : محمود شاكر القطان ، مصر ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2002م.
- 54- الجمحي، (محمد بن سلام): طبقات فحول الشعراء ، قرأه و شرحه: محمود محمد شاكر، دار المدني ، جدة ، 1974م .
- 55- ابن الجوزي، (الحافظ جمال الدين أبي الفدا عبد الرحمن البغدادي): سيرة عمر بن عبد العزيز ، مطبعة الإمام، بمصر، د . ت .
- 56- الجويني: البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح محمد عويضة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1408هـ 1997م .
- 57- ابن حزم، (أبو محمد علي بن أحمد بن عبد الله بن سعيد الظاهرة الأندلسي - رحمه الله تعالى -): أسماء الصحابة - رضي الله عنهم - وما لكل واحد منهم من العدد، تحقيق: مسعد عبد الصمد السعدي ، القاهرة ، مكتبة القرآن ، للطبع والنشر والتوزيع ، 1991م .
- 58- الذهبي، (شمس الدين محمد أحمد بن عثمان): سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد نعمر العرقسوسي، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1981م .

- 59- ابن رشيق ، (أبو علي الحسين القيرواني الأزدي): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه
وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، القاهرة، دار الطلائع للنشر والتوزيع،
2006م.
- 60- الزركلي ، (خير الدين): سير أعلام النبلاء ، دار العلم للملايين ، بيروت، ط6، ج4، 1404هـ
1984م .
- 61- الزوزني، (أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين): شرح المعلقات السبع، تحقيق ودراسة: محمد
عبد القادر أحمد ، القاهرة ، توزيع مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده،
1407هـ 1987م .
- 62- السبكي، (تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي): طبقات الشافعية الكبرى،
تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناجي، دار إحياء الكتب المصرية، د. ت.
- 63- السجستاني ، (أبو حاتم): فحولة الشعراء ، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد ، القاهرة ، مكتبة
النهضة المصرية ، 1411هـ 1991م .
- 64- السيوطي ، (جلال الدين عبد الرحمن) : الإتيقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل
إبراهيم، بيروت ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، 1424هـ 2003م .
- 65- السيوطي ، (جلال الدين) : تاريخ الخلفاء ، حققه وقدم له وخرج آياته : قاسم الشماعي
الرفاعي ومحمد العثماني ، د . م ، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت .
- 66- السيوطي، (جلال الدين عبد الرحمن) : شرح شواهد المغني ، ط1 ، بيروت ، منشورات دار
الحياة ، د. ت .
- 67- ابن عبد ربه، (أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي): كتاب العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه
وعنون موضوعاته ورتب فهرسه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب
العربي ، 1403هـ 1983م .

- 68- العسكري ، (أبو هلال) : ديوان المعاني ، د . م ، عالم الكتب ، د . ت .
- 69- العسكري ، (أبو هلال): الفروق في اللغة ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق العربية، ط7، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1411هـ1991م.
- 70- ابن فارس، (أبو الحسن محمد): الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، حققه وقدم له : مصطفى الشويبي، بيروت ، لبنان، مؤسسة أ. بدران، للطباعة والنشر، 1382هـ1963م.
- 71- ابن قتيبة، (أبو محمد عبد الله بن مسلم): الشعر والشعراء ، قدم له : حسن تميم، راجعه وأعد فهرسه: محمد عبد المنعم العريان، ط3، بيروت، لبنان، دار إحياء العلوم، 1407هـ1987م.
- 72- ابن قتيبة ، (أبو محمد عبد الله بن مسلم) : عيون الأخبار ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1393 هـ 1973 م .
- 73- قدامة ، (أبو الفرج بن جعفر) : نقد الشعر ، تحقق وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي، ط1، القاهرة، المكتبة الأدبية للتراث ، 1426هـ 200 م .
- 74- القرشي،(أبو زيد محمد بن أبي الخطاب): جمهرة أشعار العرب ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1404 هـ 1984 م.
- 75- القطاعي،(أبو عبد الله محمد بن سلامة):دستور معالم الحكم و مآثور مكارم الشيم من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-، القاهرة ، المكتبة الأزهرية للتراث ، د.ت.
- 76- ابن كثير ، (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل): البداية و النهاية ، قدم له : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع . د . ت .
- 77- ابن كثير ، (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل): البداية و النهاية ، ط2 ، بيروت ، مكتبة المعارف ، 1974 م .

- 78- المبرد ، (أبو العباس محمد بن يزيد): الكامل في اللغة والأدب، بيروت، مؤسسة المعارف، د.ت.
- 79-المسعودي، (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي): مروج الذهب ومعادن الجوهر، دقق فهارسه ووضعها وضبطها : يوسف أسعد داغر ، ط 6، بيروت ، لبنان ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، 1404هـ 1984م.
- 80- النبھاني، (يوسف بن إسماعيل): الأساليب البديعية في فضل الصحابة، تونس، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، 1989م.
- 81- ابن النديم، (محمد بن إسحاق) : الفهرست، حققه وقدم له: مصطفى الشومبي، تونس، الجزائر، دار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1406هـ 1985م .
- ثانيا: المراجع
- 82- إبراهيم، (أحمد طه): تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، بيروت ، لبنان ، دار الحكمة ، 1937م.
- 83- أدونيس: الشعرية العربية ، ط 1 ، بيروت ، دار الآداب ، 1985م.
- 84- الأسد ، (ناصر الدين): مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ط 7 ، مصر، دار المعارف، 1988م.
- 85- الأعظمي ، (وليد): شاعر الإسلام حسان بن ثابت الأنصاري دراسة أدبية تاريخية، القاهرة ، مطبعة المدني ، الكويت ، مكتبة المنار ، 1382هـ 1962م.
- 86- أمين ، (أحمد): فجر الإسلام ، ط 11، بيروت ، لبنان ، نشر دار الكتاب العربي ، 1979م .
- 87- ابن باديس ،(عبد الحميد): ابن باديس حياته وآثاره، إعداد وتصنيف: عمار الطالبي ، ط 1 ، الجزائر ، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر، 1995م.
- ودار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، 1388هـ 1968م .
- 88- بدوي ، (عبد): دراسات في النص الشعري عصر صدر الإسلام وبني أمية ، القاهرة ، دار

- قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، 2000م.
- 89- البستاني،(بطرس):أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام،د.م، دار مارون عبود، 1979م.
- 90- البستاني ، (فؤاد أفرام) : كعب بن زهير ، ط6 ، بيروت ، في سلسلة الروائع ، منشورات دار المشرق ، رقم 32 ، 1982م .
- 91- البنداري ، (حسن) : الشعر العربي في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، ط1،مكتبة الأنجلو المصرية ، 2003م.
- 92- ترحيني ، (فايز):الإسلام والشعر ، ط1 ، بيروت ، دار الفكر اللبناني ، 1990م.
- 93- التطاوي ، (عبد الله) : حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،1998م .
- 94- التطاوي ، (عبد الله): مداخل ومشكلات حول القصيدة العربية القديمة ، ط2 ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، 1996م .
- 95- الجبوري ، (يحيى):الإسلام والشعر ، بغداد ، مطبعة الإرشاد ، منشورات مكتبة النهضة، 1383هـ 1964م.
- 96- جسوس،(عبد العزيز): نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي، ط1، مراكش، مطبعة تينمل، مراكش ، 1995م .
- 97- جمعة ، (محمد إبراهيم) : جرير ، في سلسلة نوابغ الفكر ، ط6 ، القاهرة ، دار المعارف ، رقم 19 ، 1986م .
- 98- جمعة ، (محمد إبراهيم) : حسان بن ثابت ، في سلسلة نوابغ الفكر، ط2 ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، رقم 34 ، 1971م .
- 99- الجويني، (مصطفى الصاوي) : نقد العرب الأدبي في ثلاثة عصور، د.م، دار المعرفة الجامعية،

1998 م .

100- الجيوشي ، (محمد إبراهيم) : سيد التابعين سعيد بن المسيب من أعلام رجال الدعوة، ط 2 ، القاهرة ، مكتبة دار التراث ، 1418 هـ 1998م .

101- الحاجري ، (محمد طه) : في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية العصر الجاهلي والقرن الأول الإسلامي، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1982 م .

102- الحديدي ، (عبد اللطيف محمد): الشعراء النقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي، ط1، د.م.، د.ن، 1418 هـ 1998م .

103- حسان ، (عبد الحكيم): التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، د.ت .

104- حسب الله ، (بهاء) : الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام (تاريخ وتذوق) ، ط 1 ، الإسكندرية ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، 2007م .

105- حسين ، (طه) : حديث الأربعاء ، ط 9 ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، 1974 م .

106- حسين ، (طه) : في الأدب الجاهلي ، ط 9 ، مصر ، دار المعارف ، 1968م .

107- حمادي ، (عبد الله) : أصوات من الأدب الجزائري الحديث ، منشورات جامعة منتوري ، قسنطينة، 2000-2001م .

108- حمادي ، (عبد الله) : الشعرية العربية بين الإلتباع والابتداع دراسات نقدية ، ط 1 ، الجزائر ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ، مطبعة دار هومه ، ديسمبر 2001م .

109- خالص ، (وليد محمود): النقد الأدبي في كتاب الأغاني، ط1 ، عمان ، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع ، 2000م .

110- خليف ، (مي يوسف) : أبعاد الإلتزام في القصيدة الأموية ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، 1998م .

- 111- خليف ، (يوسف): في الشعر الأموي دراسة في البيئات ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت .
- 112- أبو داهش، (عبد الله بن محمد): شعراء حول الرسول 9، ط1، الدمام ، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، 1417 هـ 1997م .
- 113- درويش ، (محمد طاهر) : حسان بن ثابت ، ط2 ، مصر ، دار المعارف ، 1976م .
- 114- درويش، (محمد طاهر) : في النقد الأدبي عند العرب ، القاهرة ، دار المعارف ، 1979م.
- 115- الدهان،(سامي): المديح، ط5، في سلسلة فنون الأدب العربي، القاهرة، دار المعارف، 1992م.
- 116- الديق، (السيد محمد): أطوار الأدب العربي في العصر الإسلامي ، ط 1، القاهرة ، أبان للكمبيوتر والطباعة ، المكتبة الأزهرية للتراث ، 1419 هـ 1999م .
- 117- الروسي، (محمد الحافظ) : شعر الصحابة من خلال كتاب منح المدح لابن سيد الناس دراسة في النسبة والتوثيق ، في : الصحابة الكرام في تراث المغاربة والأندلسيين ، بحوث الندوة العلمية الدولية التي نظمها مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء بمدينة طنجة ، يومي الأربعاء والخميس (25 - 26 صفر 1431 هـ) (10 - 11 فبراير 2010 م)، سلسلة : ندوات ومحاضرات (3) .
- 118- رومية ، (وهب): بنية القصيدة حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح أنموذجا) ، ط 1، دمشق ، دار الطباعة والنشر والتوزيع ، 1418 هـ 1992م .
- 119- الزيدي، (توفيق): مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع ، ط2 ، تونس، سراس للنشر ، 1985م.
- 120- زيني، (محمود حسن): دراسات في أدب الدعوة الإسلامية، مكة المكرمة، د . ن، 1402 هـ.
- 121- سراج،(النبوي): مع أئمة التابعين رجال خلف الرسول 9، د.م، المكتبة التوفيقية ، د.ت .
- 122- سلوم، (داود): تاريخ النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى القرن الثالث الهجري، بغداد ،

- مطبعة الإيمان ، بغداد، مكتبة الأندلس ، بغداد ، 1969م .
- 123-سويلم،(أحمد): الإعلام الشعري في التراث العربي، د.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م.
- 124-سيد إسماعيل، (أحلام محمد): الأدب في العصر الأموي، د.م ، د. ن، 1419 هـ 1998م.
- 125- صالح عطية صالح مطر: نظرات في النقد الأدبي القديم، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب، 1424هـ 2003م.
- 126- صوفي ، (عبد اللطيف): مصادر اللغة في المكتبة العربية، عين امليلة، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت .
- 127- ضيف، (شوقي): التطور والتجديد في الشعر الأموي، ط6، القاهرة، دار المعارف، 1991م.
- 128- ضيف ، (شوقي) : الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية ، ط 5 ، دار المعارف ، 1992م.
- 129- ضيف، (شوقي): العصر الإسلامي ، ط4 ، مصر ، دار المعارف ، د . ت .
- 130- ضيف، (شوقي): الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط10، القاهرة ، دار المعارف ، 1978م .
- 131- طليمات ، (غازي) والأشقر، (عرفان): الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، ط 1 ، دمشق ، دار الفكر ، 1428هـ 2007م.
- 132-العاني، (سامي مكّي):الإسلام والشعر، الكويت، عالم المعرفة، رقم 66، 1403هـ 1983م.
- 133- عباس، (إحسان): تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، ط 4، عمان ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، 2006م .
- 134- عبد التواب ، (صلاح الدين محمد) : الشعر العربي في ظلال الإسلام أصالة وتجديد ، ط 1، القاهرة، مكتبة الآداب ، 1429هـ 2008م.
- 135- عبد الواحد، (محمود عباس) : فن الاعتذار الشعري تاريخه واتجاهاته ، د.م، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، 1412هـ 1991م.

- 136- عتيق ، (عبد العزيز): تاريخ النقد العربي عند العرب ، بيروت ، لبنان ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت .
- 137- عمارة،(السيد أحمد): شعرا خلفاء بني أمية تحقيق ودراسة ، د . م ، دار الكتب المصرية ، 1408هـ 1988م .
- 138- عمر ، (مصطفى علي) : في النقد الأدبي القديم ، د . م ، دار المعارف ، 1992م .
- 139- عيد ، (صلاح) : المدائح النبوية في الشعر العربي من عصر النبوة حتى البصري، ط1 ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، 1429هـ 2008م .
- 140- فهمي، (جاي زادة علي): من حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة، دار سعادت (رشن مطبعة س) 1329هـ .
- 141- القسطاوي، (رمضان خميس): الشواهد النحوية في شعر الصحابة (دراسة وتحليل) دار تشرين للنشر و التوزيع ، 1421هـ 2007م .
- 142- قصاب ، (وليد): شخصيات إسلامية في الأدب والنقد، ط1 ، الدوحة، دار الثقافة، 1413هـ 1992م .
- 143- قصاب ، (وليد): النقد العربي القديم نصوص في الاتجاه الإسلامي و الخلفي ، ط1، دمشق، دار الفكر ، 1426هـ 2005م .
- 144- القط ، (عبد القادر): في الشعر الإسلامي والأموي ، القاهرة ، دار المعارف ، 1995م .
- 145- الكفراوي ، (محمد عبد العزيز) : تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وعصر بني أمية ، الفجالة ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، 1988م .
- 146- المؤدب، (محمد أمين) : الإتياع والابتداع في الشعر الأموي القصيدة المادحة أنموذجا، ط1، الرباط ، منشورات كلية الآداب والعلم الإنسانية بتطوان ، في سلسلة الأطاريح الجامعية (3)، 1423هـ 2002م

- 147- مبارك، (زكي): المدائح النبوية في الأدب العربي، ط1، بيروت، دار الجليل، 1412هـ. 1992م.
- 148- مجهول المؤلف : في أدب صدر الإسلام والدولة الأموية (دراسات أدبية واختيارات شعرية) ، دن، د. م ، 1998م .
- 149- المحص ، (عبد الجواد محمد): الأحاديث النبوية عن الشعر والشعراء في مصادر الحديث والسيرة والأدب، الأزهر، دار المعرفة، 2002م.
- 150- المحص، (عبد الجواد محمد): الدين و قراءة النص الأدبي، الأسكندرية، الفتح للطباعة والنشر ، د . ت .
- 151- معاليقي، (منذر): دراسات نقدية في الأدب الإسلامي ، ط1، طرابلس ، لبنان ، المؤسسة الحديث للكتاب ، 2004م .
- 152- معروف ، (نايف): الأدب الإسلامي في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، 1418هـ 1998م.
- 153- مغنية، (حبيب يوسف) : الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي (1هـ 40 هـ) ، دراسة وصفية نقدية ، ط1، بيروت ، لبنان ، دار ومكتبة الهلال ، 1995م .
- 154- المناعي ، (مبروك) : الشعر والسحر ، ط1 ، د . ن ، دار الغرب الإسلامي ، 2004م .
- 155- أبو موسى، (محمد محمد): قراءة في الأدب القديم ، ط3 ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، 2006م.
- 156- النووي، (سعيد الأعظمي): شعراء الرسول (ﷺ) في ضوء الواقع والقريض ، أشرف عليه : محمد الرابع الحسيني النووي ، قدم له : السيد أبي الحسن علي الحسيني النووي ، ط1 ، أبو ظبي ، الإمارات المتحدة ، مكتبة الصفا ، 1430هـ 2009م .
- 157- هدارة ، (محمد مصطفى): الإسلام والشعر ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1995م .
- 158- هدارة ، (محمد مصطفى): الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي ، بيروت ، دار النهضة

العربية للطباعة والنشر، 1995م .

159- الوديني، (أحمد): قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن 7 هـ .
13م ، ط1، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1424 هـ 2004م.

رابعاً: الموسوعات

160- أبو عبد الله سيد بن كسروي بن حسن: موسوعة آثار الصحابة ، ط1، بيروت ، لبنان ، دار
الكتب العلمية ، 1418 هـ 1997م.

خامساً: المعاجم و القواميس

161- التونجي، (محمد): المعجم المفصل في الأدب ، ط1، بيروت ، لبنان، دار الكتب العلمية،
1413 هـ 1993م .

162- درنيقة ، (محمد أحمد) : معجم أعلام شعراء المدح النبوي ، قدم له وضبط أشعاره: ياسين
الأيوبي ، ط1، بيروت ، لبنان ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ، 1996م.

163- المرزباني ، (أبو عبيد الله محمد بن موسى): معجم الشعراء ، تحقيق : فاروق اسليم ، ط1،
بيروت، دار صادر ، 1425 هـ 2005م .

164- ابن مرزوق ، (أبو الحسن عبد الباقي): معجم الصحابة، حققه وخرج حديثه: أحمد فتحي عبد
الرحمن ، بيروت ، لبنان ، منشورات علي بيوض ، دار الكتب العلمية ، 1426 هـ 2005م .

165- معجم ألفاظ القرآن الكريم : جمهورية مصر العربية ، دار الشروق ، 1401 هـ 1981م .

166- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، جمهورية مصر العربية ، ط3، دن، د.ت.

167- المنجد في اللغة والأعلام : ط28 ، بيروت ، لبنان ، دار المشرق ، 1986م.

سادساً: الدوريات والمجلات

168- مجلة الأدب الإسلامي: فصلية تصدرها، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مؤسسة الرسالة،
السنة الثانية، المجلد الثاني، العدد الثامن، 1416 هـ 1995م .

فهرس الموضوعات

المقدمة: أ- ز

الباب الأول: موقف الصحابة من الشعر والشعراء: 347-8

الفصل الأول: موقف الصحابة من الشعر والشعراء: 108-9

- أولا : مفهوم الصحابي اصطلاحا: 10
- ثانيا : مفهوم الشعر لدى الصحابة: 18
- ثالثا : موقف الصحابة الخلفاء من الشعر والشعراء: 32
- 1- موقف أبي بكر الصديق: 35
- 2- موقف عمر بن الخطاب: 47
- 3- موقف عثمان بن عفان: 80
- 4- موقف علي بن أبي طالب: 90

الفصل الثاني: شعر الصحابة بين البعد الفكري والفني: 156-109

- 1- البعد الفكري للصحابة شعراء المدينة: 112
- 2- البعد الفني للصحابة شعراء المدينة: 115

الفصل الثالث: شعر الصحابة في الميزان الأخلاقي والفني: 199-157

- 1- شعر الصحابة في الميزان الأخلاقي: 158
- 2- شعر الصحابة في الميزان الفني: 171

الباب الثاني: موقف التابعين من الشعر والشعراء: 346-200

الفصل الأول: موقف التابعين من الشعر والشعراء: 288-201

- أولا: مفهوم التابعي اصطلاحا: 202
- ثانيا: مفهوم الشعر عند التابعين: 208
- ثالثا: موقف التابعين الخلفاء من الشعر والشعراء: 223

- 1- موقف يزيد بن معاوية: 240
- 2- موقف عبد الملك بن مروان: 248
- 3- موقف سليمان بن عبد الملك: 264
- 4- موقف عمر بن عبد العزيز: 270
- 5- موقف يزيد بن عبد الملك: 281
- 6- هشام بن عبد الملك: 286
- الفصل الثاني: موقف التابعين العلماء من الشعر: 289-309**
- 1- شريح القاضي: 290
- 2- سعيد بن المسيب: 292
- 3- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: 297
- 4- محمد بن سيرين: 302
- 5- عروة بن أذينة: 304
- الفصل الثالث: شعر التابعين في الميزان الأخلاقي والفني: 310-346**
- 1- أثر الموروث الإسلامي في شعر التابعين: 313
- 2- أثر الجاهلية في شعر التابعين مضمونا وفنا: 333

الباب الثالث: المرتكزات النقدية عند الصحابة والتابعين في نقد الشعر والشعراء: 347-185

- الفصل الأول: المرتكزات النقدية عند الصحابة الخلفاء في نقد الشعر والشعراء... 348-403**
- 1- عند أبي بكر الصديق: 352
- 2- عند عمر بن الخطاب: 357
- 3- عند عثمان بن عفان: 393
- 4- عند علي بن أبي طالب: 400
- الفصل الثاني: المرتكزات النقدية عند الصحابة غير الخلفاء في نقد الشعر والشعراء: 404-438**
- 1- عند معاوية بن أبي سفيان: 405

- 413..... 2- عند عبد الله بن عباس:
- 427..... 3- عند عبد الله بن عمر:
- 438-429**..... - المرتكزات النقدية عند الصحابة الشعراء في نقد الشعر والشعراء:
- 430..... 1- عند عثمان بن مظعون:
- 432..... 2- عند حسان بن ثابت:
- 434..... 3- عند لبيد بن ربيعة:
- 485-439**..... الفصل الثالث: أسس التجديد النقدي عند التابعين:
- 444..... أولاً: التجديد في مجالس التابعين الخلفاء:
- 460..... ثانياً: التجديد في مجالس التابعين العلماء والفقهاء:
- 462..... ثالثاً: التجديد في مجالس التابعين الأدباء النقاد:
- 464..... رابعاً: التجديد في مجالس التابعيات الأديبات الناقدات:
- 470..... خامساً: التجديد في مجالس التابعين النحاة:
- 477..... سادساً: التجديد في مجالس التابعين الشعراء:
- 486..... الخاتمة:
- 492..... فهرس الملخصات:
- 496..... فهرس المصادر والمراجع:
- 513..... فهرس الموضوعات: